روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

للإمام الحافظ أبي حاتم

محمد بن حبان البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شرح وتعليق فضيلة الشيخ

أ.د عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر حفظه الله

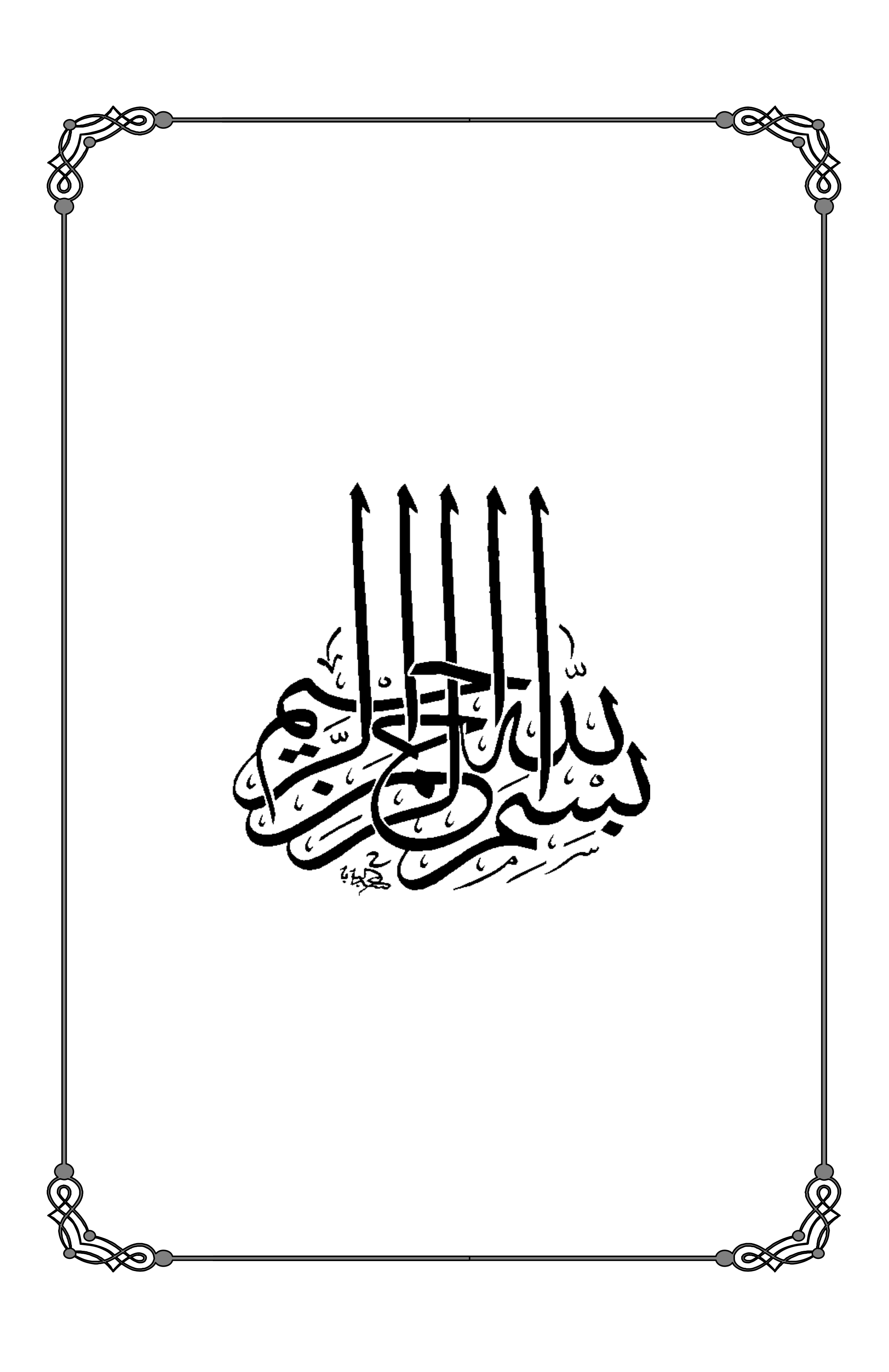
(من المجلس الأول الى المجلس الاخير)

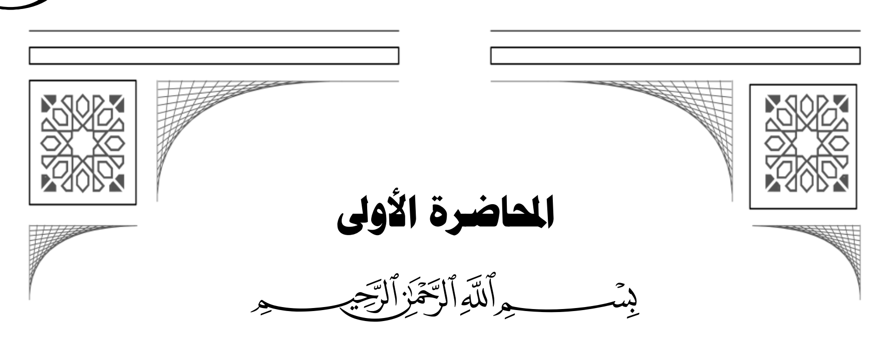
رابط تسجيلات المجالس:

https://www.al-badr.net/sub/297

تنبيه: الشيخ لم يراجع التفريغ

المجلد الأول


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، اللهم علمنا ما ينفعنا وزدنا علمــًا وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنها سيئها لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت. أما بعد:

فهذا كتاب عظيم في بابه (باب الآداب والأخلاق الشرعية) المتلقّاة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وبين يدي دراسة ومذاكرة هذا الكتاب، والوقوف مع مضامينه المفيدة أقف وقفات لا تخلو من فائدة إن شاء الله.

۞ الأمر الأول: تسمية هذا الكتاب:

سماه مصنفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (**روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**).

وهذا يفيد أن أهل العلم يرون أن مسائل العلم وتفاصيله وفنونه العظيمة يعدّ ذلك روضة رنّاء وبستانا بهيجا ومنتزها عظيما،و لهذا ترى هذا المعنى الذي يراه أهل العلم في العلم ومسائله ودلائله ترى هذا المعنى الذي قام في صدورهم يجعلونه عنوانــًا لمؤلفاتهم مثل هذا الكتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء وكتاب رياض الصالحين،كتاب الروض المربع،كتاب الروض الأُنُف إلى غير ذلك من كتب كثيرة سماها أهل العلم بمثل هذه التسمية مما يفيد أن أهل العلم رحمهم الله

تعالى يرون العلم بمسائله ودلائله كالبستان الجميل والروضة البهيجة التي فيها نزهة النفوس وقرة العيون وبهجة الصدور، بل إن العلماء يجدون من اللذة في مسائل العلم ودلائله والغور فيه.

يجدون في ذلك من اللذة والأنس ما لا يجده المتنزه في أجمل روضة وأطيب بستان وذلك فضل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومما يذكر في هذا الباب أو من لطيف ما يذكر في هذا الباب ما جاء في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كان في صغره وكان منذ صغره شغوفـًا بالعلم وعاكفـًا على العناية به وضبطه وكان أهله في الشام فأرادوا يومـًا الخروج إلى النزهة، فاعتذر وفضل البقاء في البيت وهو إذ ذاك صغيراً، فلمّا رجعوا أخذ إخوانه يغايرونه رأينا كذا وشاهدنا كذا ولم ترَ معنا قال ذهبتم ولم تأتوا بشيء وفي غيبتكم حفظت كتاب كذا وكذا في غيبتكم كذا وكذا كان كتابا في النحو حفظه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غيبتهم

فانظر كيف يجد من تذوق العلم هذه الحلاوة وهذه اللذة بحيث يعتبر العلم روضة ونزهة وبستانـًا

ولا يعنى هذا انقطاع العلماء وطلاب العلم عن النزهة، النزهة إلى البستان أو البراري أونحو ذلك تجمّع الفؤاد وتؤنسه لكنهم يجدون في العلم من اللذة والنزهة أعظم مما يجده الإنسان من تنزهه في البساتين والروضات.

۞ الأمر الثاني

مؤلف هذا الكتاب كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء:

هو الإمام أبوحاتم محمد بن حبان البُستي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-

صدَّر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترجمته لهذا الإمام في سير أعلام النبلاء بقوله:

الإمام الحافظ المجود شيخ خراسان صاحب الكتب المشهورة،ونقل عن الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال

ولادته:

كانت ولادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى سنة بضع وسبعين ومئتين.

وفاته:

وكانت وفاته سنة ثلاثمائة وأربع وخمسين للهجرة.

مصنفاته:

له مصنفات كثيرة وكثير من مصنفاته مفقود لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان كثير التصنيف، وأيضـاً تنوعت مصنفاته في فنون العلم، وجعل جميع مصنفاته وما يملكه من كتب في مكتبة أوقفها رَحِمَهُ ٱللَّهُ. لكنها كانت في مكان لا يُعتنَى به بالكتب ولا تُعرَف قيمتها ومكانتها فتَلِف أكثرها وفقد الكثير منها وإلا فإنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كان كثير التصنيف

من مصنفاته: المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء وغيرها من الكتب المفيدة.

نقل الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه سير أعلام النبلاء عن ابن حبان أنه قال في ثنايا كتابه الأنواع والتقاسيم قال: لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقـاً كذا فلتكن الهِمم هذا مع ما كان عليه من الفقه والعربية والفضائل الباهرة وكثرة التصانيف،هذه نبذة مختصرة عن هذا الكتاب.

۞ الأمر الثالث:

ولا أظن أن فيه بالنسبة للإخوة كبير فائدة لكنني أذكره هكذا بالمناسبة

"هذا الكتاب صلتي به كانت منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة عندما كنت طالباً في المرحلة الثانوية من الجامعة الإسلامية وكان هذا الكتاب مقرراً علينا في مادة المطالعة فمنذ ذلك الوقت تذوقت حلاوة هذا الكتاب وطعمه عام ألف وثلاثمائة وثمان وتسعين والنسخة التي عندي كانت من الكتب التي توزعها الجامعة للطلاب نسخة قديمة من الورق الأصفر العتيق وكنا درسناها في الجامعة في المرحلة الثانوية في مادة المطالعة والقراءة،فصلتي بذلك الكتب منذ ذلك الوقت،وكان أيضا مقررا على الطلاب في المعاهد العلمية.

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حلية طالب العلم: ومن أحسن ما رأيت في هذا كتاب روضة العقلاء للبستي كتاب عظيم على اختصاره فيه فوائد عظيمة ومآثر كريمة للعلماء للمحدثين وغيرهم.

وكان مقررا في المعاهد أيام كنا ندرس في المعهد مقررا كتاب مطالعة للطلاب وانتفع به الكثير وقال أيضـاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كتاب روضة العقلاء لابن حبان البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وهو كتاب مفيد على اختصاره وجمع عددا كبيرا من الفوائد ومآثر المحدثين وغيرهم.

۞ الأمر الرابع:

أن هذا الكتاب كتاب روضة العقلاء لابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كتاب صنفه في الآداب والأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم مبينا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أنها صفة أولي الحِجا والعقول السليمة والنُهى القويمة.

حيث عقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذا الكتاب خمسين بابا كلها في تقرير ذلك.

كما أشار إلى ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند كلامه على إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله قال: وإني ذاكر في هذا الكتاب إنِ الله قضى ذلك وشاء خمسين شعبة من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ليكون الكتاب مشتملا على خمسين بابا، بناء كل باب منها على سنة رسول الله ﷺ ثم نتكلم في عُقَيْبِ كل سُنة منها بحسب ما يمن الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله.

فالكتاب فيه خمسون بابا في الآداب والأخلاق الفاضلة التي هي صفات العقلاء صفات أولي النهى وتنوعت هذه الشعب بين شعب مأمور بها فيفعلونها وشعب منهي عنها فيتقونها ويجتنبونها.

وبعد ذلك نشرع في قراءة هذا الكتاب مستعينين بالله تبار ك وتعالى طالبين مده وعونه وتوفيقه وأن يجعل مجلسنا هذا خالصاً لوجه وأن ينفعنا به إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

قال الحافظ ابي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

بالحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية المتعزز بعظمة الربوبية القائم على نفوس العالم بآجالها والعالم بتقلبها وأحوالها المانِّ عليهم بتواتر آلاءه المتفضل عليهم بسوابق نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير فمضت فيهم بقدرته مشيئته ونفذت فيهم بعزته إرادته فألهمهم حسن الإطلاق وركّب فيهم تشعّب الأخلاق وهم على طبقات أقدارهم يمشون وعلى تشعب أخلاقهم يدورون وفيما قضى وقدر عليهم يهيمون وكل حزب بما لديهم فرحون

وأشهد ان لا إله إلا الله فاطر السموات العلى ومنشئ الأراضين والثرى لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وأشهد أن محمدا عبده المجتبى ورسوله المرتضى، بعثه بالنور المضيء والأمر المرضي على حين فترة من الرسل ودروس من السبل ودمغ به الطغيان وأكمل به الإيمان وأظهره على كل الأديان وقمع به أهل الأوثان وصلى الله عليه وسلم ما دار في السماء فلك وما سبح في الملكوت ملك وعلى آله أجمعين.

التعليق:

نعم هذا استهلال بدأ به المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كتابه حامداً الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مثنيـاً عليه خيراً بما هو أهله جَلَّ وَعَلَا وهو أهل الحمد والثناء، وقد جمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الاستهلال حمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على ألوهيته وربوبيته وأسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصفاته، وهذه الثلاث هي أركان الإيمان بالله، لأن الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقوم على أركان ثلاثة:

إيمان بوحدانية الله في ربوبيته وإيمان بوحدانية الله في ألوهيته وإيمان بوحدانية الله في أسمائه وصفاته،وقد جمع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذا الاستهلال حمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على هذه الأنواع الثلاثة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

قال الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية المتعزز بعظمة الربوبية.

والألوهية: هي الصفة التي يدل عليها اسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (الله) كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

والربوبية: صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يدل عليها اسمه (الرب). والربوبية تعني الخلق والرَّزق والتصرف والتدبير فهي توحيد لله بأفعاله جَلَّ وَعَلَا.

الألوهية: تعني إخلاص الدين له وإفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة فهي تعني توحيده جَلَّ وَعَلَا بأفعال العباد بأن يخلص له الدين وأن يفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده بالعبادة.

قال: القائم على نفوس العالَم بآجالها والعالِم بتقلبها وأحوالها

القائم على نفوس العالم بآجالها: أي القائم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كل نفس ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

❁ والله عز وجل من أسمائه القيوم يدل على أمرين:

١-يدل على قيامه بنفسه جَلَّ وَعَلَا واستغنائه عن خلقه فهو الغني الذي غناه ذاتي غني عن خلقه من كل وجه.

٢-ويدل على قيامه بخلقه وأن خلقه لاغنى لهم عنهم طرفة عين،فهو المدبر لأحوالهم وشؤونهم عطاءً ومنعا خفضا ورفعا قبضا وبسطا عزا وذلا، القائم على نفوس العالَم بآجالها العالِم بتقلبها وأحوالها أحاط علمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكل شيء،المانِّ عليهم بتواتر آلائه المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه وهذا فيه حمد الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على منه العظيم وعطائه الواسع، ويكون المصنف بهذا أيضا جمع في هذا الحمد بين نوعي ما يُحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه.

فهو عز وجل يُحمد على الأسماء والصفات، الربوبية والألوهية و أسماء الله وصفاته ويُحمد على نعمه وآلائه وعطاياه التي لا تعد ولا تحصى

قال الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير،وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته ونفذت فيهم بعزته إرادته

وهذا كله من ربوبية الله هذا كله من ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن الله عز وجل مشيئته في الخلق نافذة ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو الذي خلق بدأ خلق هذه المخلوقات لا معين له ولا مشير تفرد بالخلق ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ: ٢٢] هذا هو معنى قول المصنف بلا معين ولا مشير أي ليس لله عوين أو ظهير أو وزير، فهو عز وجل الغني و المتفرد بالخلق والرزق والتدبير

قال: فألهمهم حسن الإطلاق وركّب فيهم تشعّب الأخلاق وركّب فيهم تشعّب الأخلاق. والإطلاق ضد الإمساك الإطلاق ضد الإمساك

فألهمهم حسن الإطلاق وركّب فيهم تشعّب الأخلاق

وركب فيهم تشعب الأخلاق: إذن مايكون في العبد من إقبال على الأعمال

الفاضلة والكرم والبذل والسخاء والعطاء وغير ذلك، فهذا إلهام من الله له وتوفيق.

فهذه الأخلاق التي تكون بين الناس وهائب، هبات من الله ومنن يمن بها على من شاء، فألهمهم حسن الإطلاق وركب فيهم تشعب الأخلاق.

الناس في أخلاقهم متفاوتون،هذا صعب وهذا سهل و هذا حسن الخلق وهذا سئ الخلق،هذا غليظ فظ وهذا لطيف لين وهكذا...

فركّب فيهم تشعب الاخلاق، فهم على طبقات أقدارهم يمشون وعلى تشعب أخلاقهم يدورون، ليسوا على خلق واحد ولا على نهج واحد بل هم في ذلك متفاوتون ومتباينون،وفيما قضى وقدر عليهم يهيمون وكل حزب بما لديهم فرحون.

ثم عندما تقرأ هذا الكلام أنت لا تدري مالذي كتب الله لك ومالذي قدر،لهذا تجاهد نفسك على الأخلاق الفاضلة متحليا بها وتأدبا، وفي الوقت نفسه تسأل الله ان يهب لك من واسع فضله وجزيل منه،ماتسعد به في دنياك وأخراك من كامل الأخلاق وجميل الاداب، وفي الدعاء المأثور: اللهم إهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت.

قال:وأشهد أنه لا إله إلا الله فاطر السماوات والعلا ومنشأ الأراضين والثرى، [الثرى:هو التراب] لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وأشهد أن محمدا عبده المجتبى، ورسوله المرتضى، بعثه بالنور المضئ والأمر المرضي، على حين فترة من الرسل، ودروس من السبل [أي إنقطاع] فدمغ به الطغيان وأكمل به الإيمان، وأظهره على كل الأديان،كما قال الله تعالى (ليظهره على الدين كله) وقمع به أهل الأوثان وصلى الله وسلم ما دار في السماء فلك،وما سبح في الملكوت ملك، وعلى أله أجمعين.

وما سبح في الملكوت ملك من التسبيح. والملائكة يسبحون بحمد ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا.

وما سبح في الملكوت ملك وعلى أله أجمعين.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما بعد، فإن الزمان قد تبيّن للعاقل تغيُرُه، ولاح للّبيب تبدلهُ، حيث يبس ضَرْعُهُ بعد الغَزَارة، وذَبَلَ فرعُهُ بعد النّضَارة، ونَحِلَ عوده بعد الرطوبة، وبَشِعَ مذاقه بعد العذوبة، فنبغ فيه أقوام يَدّعون التمكن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل من شهوات صدورهم، وترك ما يوجبه نفس العقل بهَجَسَات قلوبهم، جعلوا أساس العقل الذي يعقدون عليه عند المعضلات: النفاق والمداهنة، وفروعه عند ورود النائبات حُسنَ اللباس والفصاحة، وزعموا أنّ مَنْ أحكم هذه الأشياء الأربع فهو العاقل، الذي يجب الاقتداء به، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك الذي يجب الإزورار عنه.

فلما رأيت الرّعاع من العالم يغترون بأفعالهم والهمجَ من الناس يقتدون بأمثالهم، دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف، يشتمل متضمنة على معنى لطيف، مما يحتاج إليه العقلاء في أيامهم، من معرفة الأحوال في أوقاتهم، ليكون كالتذكرة لذوي الحجى عند حضرتهم، وكالمعين لأولى النُّهيَ عند غيبتهم، يفوق العالمُ به أقرانه، والحافظ له أترابه، يكون النديم الصادق للعاقل في الخلوات، والمؤنس الحافظ له في الفلوات، إن خَصّ به من يحب من إخوانه، لم يفتقده من ديوانه، وإن استبد به دون أوليائه، فاق به على نظرائه.

أبَيّن فيه ما يَحْسُنُ للعاقل استعماله من الخصال المحمودة، ويقبح به إتيانه من الخلال المذمومة، مع القصد في لزوم الاقتصار، وترك الإمعان في الإكثار، ليخفَ على حامله، وتعيَه أذن مستمعه، لأن فنون الأخبار وأنواع الأشعار، إذا استقصى المجتهد في إطالتها، فليس يرجو النهاية إلى غايتها، ومن لم يرجّ التمكن من الكمال في الإكثار، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار.

والله الموفق للسداد، والهادي إلى الرشاد، وإياه أسأل إصلاح بالأسرار، وترك المعاقبة على الأوزار، إنه جواد كريم، رءوف رحيم.

التعليق:

هذه مقدمة لكتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، بين المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تعالى فيها أمرين:

الأول: بين فيه سبب تأليفه للكتاب.

الثاني: بين منهجه في هذا الكتاب.

١- أما عن سبب التأليف ذكر أن الزمان قد تبين للعاقل تغيره،ولاح للبيب تبدله، يعني رأى قي أحوال الناس في زمانه،وهو من أعيان القرن الرابع الهجري.

فرأى في ذلك الوقت تغيرا وتبدلا في الأحوال، وفتورا في الهمم، وضعفا في الرغبة في طلب العلم،إقبال على حظوظ النفس من الشهوات والملذات والمتع،وانصراف على ما ينبغي أن يكون عليه العبد من جميل الأخلاق وعظيم الأداب وكريمها، فرأى تبدلا وتغيرا وتحولا.

قال:حيث يبس ضرعه بعد الغزارة وذبل فرعه بعد النظارة، ونحل عوده بعد الرطوبة،وبشع مذاقه بعد العذوبة.

هذه ثلاثة أشياء أراد أن يصور من خلالها الحال.

قوله: يبس ضرعه.

الضرع:من بهيمة الأنعام موضع الذر والحليب،فبعد أن كان غزيرا بالحليب صار هزيلا وقليل النفع والفائدة.

وذبل فرعه بعد النظارة: بعد أن كان فرعا نظرا بهيجا،يسر الناظر لجماله وحسنه

أصبح ذابلا...فذهبت عنه نظارته.

ونحل عوده بعد الرطوبة: بعد ان كان رطبا بتعاهده بسقي الماء ذبل عوده.

وبشع مذاقه بعد العذوبة: بعد ان كان مذاقه حلوا تحول إلى ان ذهبت عنه

حلاوته.

فنبغ فيه أقوام يَدَّعون التمكن من العقل من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل من شهوات صدورهم، وترك ما يوجبه نفس العقل بهَجَسَات قلوبهم: أي أنهم أصبحوا يعملون أهوائهم ومبتغيات نفوسهم،ويزعمون أنها هي العقل،وانها هي الحكم، وأصبح ما يهواه الإنسان ويميل إليه يصفه أنه العقل.

ولا يكون الحكم عنده كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإنما ما تميل إليه نفسه وتهواه، ولهذا جاؤوا بأمور مصادمة للعقل ومضادة له، لكونها مضادة لشرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويزعمون أنها هي العقل،وهذا بسبب التبدل والتغير والبعد أيضا عن الإستمساك بما جاء عن الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه.

قال: جعلوا أساس العقل الذي يعقدون عليه عند المعضلات: النفاق والمداهنة: فالعقل تبدل عندهم إلى نوع من النفاق، وإلى نوع من المداهنة.

وإذا أصبح الإنسان منافقا مداهنا، ماكرا مخادعا يقولون عاقل.ويصفون بأن عنده عقل، ولو كانت هذه الأمور على حساب ضياع الدين،فيعدون الحزم والعقل هو النفاق والمداهنة.

وفروعه عند ورود النائبات حُسنَ اللباس والفصاحة: لباس جميل وهيئة جميلة، وفصاحة في اللسان، هذا من حيث المظهر، أما الحقيقة والمخبر فهي ضياع و انحراف، كلمات مزوقة وعبارات منمقة ولباس حميل،لكن لا تقف على حقائق قويمة وهدى مستقيمة.

وزعموا أنَّ مَنْ أحكم هذه الأشياء الأربع:[التي هي: النفاق والمداهنة وحسن اللباس والفصاحة] فهو العاقل، الذي يجب الاقتداء به، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك [الأنوك: يراد به العاجز الجاهل، والنوك مرتبة من مراتب الجهل مثل

ما سيأتي عند المصنف، قال كذلك الجاهل يقال له في أول درجته المائـق ثم الرقيـع ثم الأنـوك ثم الأحمق فهي درجات] الذي يجب الإزورار عنه،أي البعد عنه، هذا هو سبب التأليف.

قال: فلما رأيت الرَّعاع [يعني الغوغا من التاس والجهال] من العالم يغترون بأفعالهم والهمجَ من الناس يقتدون بأمثالهم، دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف، [أي هذا الكتاب، فهو كتاب خفيف ليس بالمطول الموسع] يشتمل متضمنه على معنى لطيف، مما يحتاج إليه العقلاء في أيامهم، من معرفة الأحوال في أوقاتهم، ليكون كالتذكرة لدوي الحجى[أى العقول] عند حضرتهم، وكالمعين لأولى النُّهيَ عند غيبتهم، يفوق العالمُ به أقرانه، والحافظ له اترابه، يكون النديم الصادق للعاقل في الخلوات، والمؤنس الحافظ له في الفلوات [جمع فلاة وهي المفازة و أيضا تطلق على الأرض التي لا يهتدى فيها إلى طريق]

هذا كتاب يكون له مؤنسا وحافظا له في الفلوات،يحفظ وقته في العلم والفائدة والمتعة العلمية العظيمة التي تنفعه وتفيده وتؤنسه في الفلوات.

إن خَصَّ به من يحب من إخوانه، لم يفتقده من ديوانه: ما معنى ذلك؟؟

إذا أخذ يورد لبعض إخوانه من الفوائد التي في هذا الكتاب، تجد إخوانه يرغبون في مجلسه، ومزيد الحضور عنده، حتى يأخذوا أيضا مزيد من الفوائد التي عنده، فإذا خص به من يحب من إخوانه لم يفتقده من ديوانه، أي أنه سيرغب في مزيد الإستفادة منه والتحصيل من هذه الفوائد.

وإن استبد به دون أوليائه، فاق به على نظرائه: أي استأثر به من دون أوليائه، فاق به على نظرائه

أبَيِّن فيه ما يَحْسُنُ للعاقل استعماله من الخصال المحمودة، ويقبح به إتيانه من

الخلال المذمومة:إذا الكتاب يجمع هذين النوعين، يجمع خصال محمودة ذكرها من أجل أن يتحلى بها المسلم، فهي من خصال ذوي العقول وصفات أول النهى.

وذكر صفات قبيحة يجب أن تعذر، وهذا وضحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما بعد في(ص ١٧) قال: وإني ذاكر في هذا الكتاب إن الله قضى ذلك وشاء خمسين شعبة،من شعب العقل من المأمورات و المزجورات. ليكون الكتاب مشتملا على خمسين بابا، بناء كل باب منها على سنة رسول الله ﷺ.

مع القصد في لزوم الاختصار: أي أنه سلك به مسلك الإختصار، فليس هو بالطويل الممل ولا بالمختصر المخل.

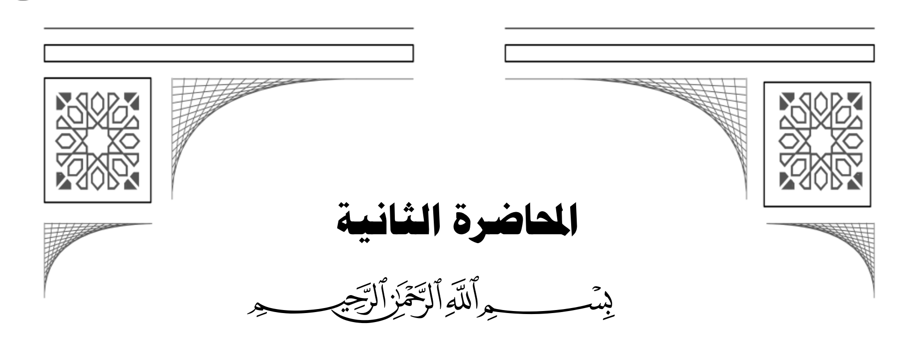
وترك الإمعان في الإكثار ليخفَ على حامله، وتعيَه أذن مستمعه، لأن فنون الأخبار وأنواع الأشعار، إذا استقصى المجتهد في إطالتها، فليس يرجو النهاية إلى غايتها: يعني لو أنني أردت أن أجمع كل ما أقف عليه.

ما أصل لغاية، كثير جدا، لكنني اقتصرت في كل باب ما يتحقق به المقصود من الأخبار والأشعار المفيدة.

ومن لم يرجّ التمكن من الكمال في الإكثار، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار.

و هذا مثل ما يقولون مالا يدرك، لا يترك.

وأما من همته واسعة وكبيرة فدونه المطولات يخوض غمارها ويبحث فيها، وإذا كان الإنسان يريد الإختصار المفيد الذي جمع له الفائدة، سيجد بغيته في هذا الكتاب فيما يخص الموضوع الذي قصده المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -.والله الموفق للسداد، والهادي إلى الرشاد، وإياه أسأل إصلاح الأسرار، وترك المعاقبة على الأوزار، إنه جواد كريم، رءوف رحيم.



المحاضرة الثانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر الحث على لزوم العقل وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبويه حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فضيل بن عياض عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال النبي ﷺ إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها

التعليق:

فهذا أول باب من أبواب هذا الكتاب ، الحث على لزوم العقل وصفة العاقل اللبيب وان لم ينص المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُعلى التبويب الا أنه اعتبره أبوابا وان لم يستعمل هذه اللفظة ، لفظة باب ولكنه ذكر انه جعل كتابه هذا فى خمسين بابا؛فهذا الباب الأول من أبواب هذا الكتاب وعدتها خمسون بابا ،جعله في الحث على لزوم العقل صفه العاقل اللبيب ، اذا هذا التبويب فى بيان أهمية لزوم العقل وما يقتضيه العقل السليم من صلاح واستقامه ولزوما للاخلاق الفاضله والاداب الكاملة وبعدا عن سفساف الأمور ورديئها؛ وكان من حسن صنيعه –رحمه الله

تعالى- أن صدر هذه الترجمة بحديث سهل بن سعد- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال قال النبي ﷺ إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها -وسفساف الأخلاق رديئها وسيئها وهذاجماع ما ينبغى أن تكون عليه العقول السليمة القويمة ان يكون صاحبها متحليا بالأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة وأن يكون بعيدًا عن سفساف الأخلاق ورديئها وهذا الحديث حديث سهل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حديث ثابت عن النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ودل هذا الحديث على ان الأخلاق نوعان اخلاق كريمة واخلاق سيئة وأن الواجب على المسلم أن يتحلى بالاخلاق الكريمة والاداب الرفيعة وأن الله-سبحانه وتعالى- يحب ذلك من عبده وان الواجب على العبد ايضا أن يبتعد عن سيء الأخلاق ورديئها فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكره ذلك من عبده نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لست أحفظ عن النبي ﷺ خبرا صحيحا في العقل لأن أبان بن أبي عياش وسلمة بن وردان وعمير بن عمران وعلي ابن زيد والحسن بن دينار وعباد بن كثير وميسرة بن عبد ربه وداود ابن المحبر ومنصور بن صفر وذويهم ليسوا ممن أحتج بأخبارهم فأخرج ما عندهم من الأحاديث في العقل .

○ **التعليق:**

هذه تقدمة أراد ان ينبه من خلالها وهو امام محدث عارف بالحديث وعلومه واطلاعه فيه واسع كبير وله كتاب فى الرجال والضعفاء فهو على علم واسع بهذا الأمر فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لن يحفظ خبرًا صحيحًا عن النبى فى العقل هناك أحاديث كثيرة تروى فى العقل لكن لا تصح رواها أمثال هؤلاء الضعفاء أو المتهمين بالكذب والوضع وسمى بعض هؤلاء على سبيل الإشارة ولهذا قال وذويهم أى ومن كان على شاكلتهم من الضعفاء والمتروكين والمتهمين والوضاعين يقول قد يكون ممن هو على شاكلة هؤلاء يروى عنهم أحاديث فى العقل لكن لا نرويها لان فى اسنادها الى النبى ﷺ من هو ضعيف أو من هو متهم أو من هو كذاب فلا يعول عليها وشأنها أن فيها أمثال هؤلاء وهؤلاء فيهم ممن هو ضعيف وفيهم من هو متهم بالكذب ومن هو متروك الحديث وفيهم من وضع كتابا فى العقل جمع فيه احاديث ولفق أسانيدها وركبها ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى كتاب المنار المنيف فى تمييز الحديث الضعيف من الصحيح والكتاب نفيس جدًا فى بابه يعطيك قواعد جوامع وأصول عظيمة جدا يميز من خلالها بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة قال فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قال الدار قطنى إن كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عباد ثم سرقه منه داوود المحبر وركبه بأسانيد غير أسانيد

ميسره وسرقه عبدا لعزيز ابن أبى رجاء وركبه بأسانيد اخر وسرقه سليمان بن عيسى السجلى فأتى بأسانيد أخر فمثل هؤلاء ممن هذه حالهم لا يعول على كتبهم ولا يعول على مروياتهم وأسانيدهم فإن جهابذة الحديث وعلماء الحديث بينوا حال هؤلاء وما هم عليه من ضعف وتهمة بكذب ووضع على رسول الله ﷺ

وكثير من هؤلاء أثرت فيه عقيدته الباطلة وأخذ يركب الأسانيد التى يحاول من خلالها نصر عقيدته يذكر عن داوود بن المحبر وهو أحد الأشخاص الذين سماهم هنا ابن حبان أنه كان فى بداية أمره على نوع عناية بالحديث ثم إنه بلى فيما بعد بصحبة بعض المعتزلة فأفسدوا عليه عقيدته وانحرف عن الجادة ، قول ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لست أحفظ عن النبى ﷺ حديثا أو خبرا صحيحًا فى العقل هذا عليه ائمة الحديث أنه لا يحفظ عن النبى ﷺ حديث فى العقل قال ابن تيمية فى كتابه الفرقان والحديث الذى ذكروه فى العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك أبو حاتم البستى صاحب هذا الكتاب والدار قطنى وابن الجوزى وغيرهم نعم.

❁

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكراهته سفسافها هو نفس العقل ٠ فالعقل به يكون الحظ ويؤنس الغربه وينفي الفاقة ولا مال أفضل منه ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله ٠

○ **التعليق:**

هذا كلام جميل عرف من خلاله العقل ماهو العقل؟ قال العقل هو محبة المكارم من الأخلاق وكراهة سفسافها ولهذا صدر هذه الترجمة بالحديث الذى مر معنا حديث سهل إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها إذا الشخص الذى يحب مكارم الأخلاق ويتحلى بها ويبغض سفسافها ويتجنبها هو الرجل العاقل وهذا هو العقل فالعقل أن يكون المرء محبا للأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة ومتحليا بها مجاهدا نفسه على التحلى بها وأن يكون فى الوقت نفسه مبغضا للأخلاق السيئة والرديئة ومجاهدا نفسه على البعد عنها إذا كانت هذه صفته فإن هذا العقل يعتبر حظ ومكسب عظيم للعبد إذا العقل ليس مجرد دعوة يدعيها الإنسان لنفسه وإنما العقل حقيقة تقوم فى العبد حبا للفضائل وكراهية للرزائل مع مجاهدة النفس على التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل فإذا كان كذلك فهذا حظ عظيم وفق الله عبده اليه يؤنسه فى غربته وينفى أى يبعد الفاقه- اى الفقر – ولا مال أفضل منه؛ فهذا يعد مكسبًا عظيمًا جدًا وغنيمة كبيرة جدًا إذا وفق العبد للتحلى به والاتصاف به ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله حتى تتم أخلاقه وقد مر معنا تعريفه للعقل أنه محبة المرء لمكارم الاخلاق وكراهيته لسفسافها ورديئها نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعقل اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم بإجتناب الخطأ

التعليق:

وهذا تعريف آخر للعقل لكن هذا العلم والمعرفه لا تكفى وحدها لتعريف العقل فالعقل ليس علم ومعرفة فقط بل علم ومعرفة وعمل حتى أن شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال «وأما العمل بالعلم وهوجلب ما ينفع ودفع ما يضره بالنظر فى العواقب فهذا هو الاغلب على مسمى العقل فى كلام السلف والائمة» فالعقل ليس إسمًا يقع على مجرد المعرفة والعلم فقط والعلم بسلوك الصواب والعلم باجتناب الخطأ بل عمل بالصواب الذى عرفه ومع المعرفة باجتناب الخطأ الذى عرف أنه خطأ فهذا هو العقل العقل علم بالحق ومجاهدة للنفس على سلوكه وعلم بالباطل ومجاهدة للنفس على اجتنابه نعم.

๑◊๑

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديبًا ثم أريبًا ثم لبيبًا ثم عاقلًا

التعليق:

هذه كلها درجات فى المعرفة فقط يعنى أول الدرجات يكون أديبا ثم أريبا ثم لبيبا ثم عاقلا يعنى أعلى الدرجات فى المعرفة وهو ليس معرفة فقط بل جماع أمرين أحدهاعلم بالحق مع العمل به وعلم بالباطل مع الاجتناب له والبعد عنه نعم.

❖

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما أن الرجل إذا دخل في أول حد الدهاء قيل له شيطان فإذا عتا في الطغيان قيل مارد فإذا زاد على ذلك قيل عبقري فإذا جمع الى خبثه شدة شر قيل عفريت

التعليق:

هذه مراتب تذكر فى الدهاء والمراد بالدهاء هنا دهاء فى شر وعمل على إيذاء الناس والإضرار بهم والحاق الاذى بهم فبعض الناس يكون عنده دهاء فى هذا الباب باب الشر فاذا كان الانسان فى اول الدهاء يقال له شيطان فإذا عتا في الطغيان قيل مارد فإذا زاد على ذلك قيل عبقري فإذا جمع الى خبثه شدة شر قيل عفريت والعبقرى قد يطلق على ما هو أوسع من ذلك فكل شيء قد بلغ نهايته يقال له عبقرى ولهذا جاء فى الحديث قال «فلم ارى عبقرى فى الناس يفرى فرية»

أى أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذلك الجاهل يقال له في أول درجته المائق ثم الرفيع ثم الأنوك ثم الأحمق

التعليق:

فهذه درجات تذكر فى مراتب الجهل

๑◈๑

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأفضل مواهب الله لعباده العقل

التعليق:

والمراد بالعقل هنا العقل عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مثل ما سيأتى فى أثر لاحق قال قلت لعطاء ابن أبى رباح يا أبا محمد ما أفضل ما أعطى العبد قال العقل عن الله والمراد بالعقل عن الله أن يعقل عن الله دينه وتوحيده الذى شرعه لعباده وكذلك طاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التى فرضها على عباده –سبحانه وتعالى .

๑◈๑

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول — وأفضل قسم الله للمرء عقله
فليس من الخيرات شيء يقاربه — إذا أكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومآربه — يعيش الفتى في الناس بالعقل إنه
على العقل يجري علمه وتجاربه — يزيد الفتى في الناس جودة عقله
وإن كان محظورا عليه مكاسبه — ....

❍ **التعليق:**

هذه أبيات ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فى فضل العقل وأنه من المنن العظيمة والعطايا الجليلة التى يمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها على من يشاء من عباده وهذه الأبيات تنسب فى بعض المصادر لابن بريد وفى بعضها لإبراهيم بن حسان وسيأتى عند المصنف بعد قليل ذكر للبيت الاخير يزين الفتى وأتبعه ببيت أخر ونسبهما لعبدالله بن عكراش وعلى كل هذه الابيات فى فضل العقل وانه من أعظم قسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأنه ليس من الخيرات والنعم ما يقاربه وأن العبد إذا أنعم الله عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فكمل له عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه أى تحققت له مصالحه **يعيش الفتى في الناس بالعقل إنه... على العقل يجري علمه وتجاربه** أما إذا أفتقد العقل فإنه لا يتحقق له شىء من ذلك ثم ذكر أن العقل زينة للفتى وجميل به إتصافه وان كان محظورًا عليه مكاسبه حتى وإن عدم المال فالعقل بحد ذاته كما مر هو المال والمكسب الحقيقى ولا مال أفضل منه كما تقدم معنا نعم.

❊❊❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سيار حدثنا حبيب الجلاب قال قيل لابن المبارك ما خير ما أعطى الرجل قال غريزة عقل قيل فإن لم يكن قال أدب حسن قيل فإن لم يكن قال أخ صالح يستشيره قيل فإن لم يكن قال صمت طويل قيل فإن لم يكن قال موت عاجل

أخبرنا محمد بن داود الرازي حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابن المبارك قال سئل عقيل ما أفضل ما أعطى العبد قال غريزة عقل قال فإن لم يكن قال فأدب حسن قال فإن لم يكن قال فأخ شفيق يستشيره قال فإن لم يكون فطول الصمت قال فإن لم يكن قال فموت عاجل

التعليق:

عقيل هو ابن خالد بن عقيل

هذان أثران أوردهما رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى بيان مكانة العقل وفضله وأن خير ما أعطى الرجل غريزة عقل وهذا فيه أن العقل غريزة أى شيء يجعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فى العبد يعى به الأمور ويقبل به على الخير ويجتهد به فى فعل الصالحات والنظر فى العواقب وغير ذلك فالعقل غريزة أى شيء يجعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبد ثم هذه الغريزة تحتاج الى أمور هى داخلة فى العقل وهى سماع الخير والهدى والعلم حتى يتقوى الإنسان ويزداد عقلًا وبصيرة وصلاحًا ورشادًا قيل لابن المبارك«ماخير ماأعطى الرجل قال غريزة عقل قيل فإن لم يكن فيه هذه الغريزة قال أدب حسن أى يتحلى به» والعقل زينته الأدب أن يكون الإنسان متحليًا بالأدب قال فإن لم يكن إن لم يكن فيه لا هذا ولا هذا قال أخ صالح يستشيره هذا فيه أن العبد وإن كان فيه شيء من القصور والنقص والضعف إن وفق بأخ صالح

يستشيره ربما أن الله يسر له على يديه أن يأخذ بيده إلى الخير قال أخ صالح يستشيره قيل فإن لم يكن قال صمت طويل يصمت ويكثر من الصمت لأن كلامه فى الغالب سيكون فيه عثرات فليحاول أن يمسك نفسه عن الكلام وقد جاء فى الحديث عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال (من صمت نجا) قال صمت طويل قال **فإن لم يكن قال موت عاجل** والأثر الآخر هو بمعناه لكن يرويه ابن المبارك عن عقيل أنه سئل فأجاب بالمعنى نفسه عندكم فأخ شقيق والصواب أخ شفيق وهذا خطأ مطبعى فى هذه النسخة أخ شفيق أى فيه شفقة ورحمة ومحبة لأخية وإرادة له بالخير فإذا وفق المرء إلى أخ شفيق فإنه بإذن الله يعمل على تسديده وهدايته ودلالته إلى أبواب الخير نعم.

❖

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العقل نوعان مطبوع ومسموع فالمطبوع منهما كالأرض والمسموع كالبذر والماء ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من رقدته ويطلقه من مكامنه كما يستخرج البذر ماء ما في قعور الأرض من كثرة الريع

فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض والعقل المسموع من ظاهره كتدلى ثمرة الشجرة من فروعها .

التعليق:

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العقل مطبوع ومسموع وبين ما المطبوع وما المسموع بالمثال قال فأما المطبوع منهما كالأرض والمسموع كالبذر والماء

والمراد بالمطبوع أى ما جعله الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ غريزة فى العبد والمراد بالمسموع ما يكتسبه بالسماع من الحكم والمعانى العظيمة وأبواب الخير البر التى تزيد العاقل عقلًا وفضيلة فالعقل نوعان مطبوع ومسموع فالمطبوع كالأرض والمسموع كالبذر والماءولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع يعنى العقل بمجرده وحده لا يمكن أن يصل الى الحق والهدى بمفرده بل لابد أن يرد عليه العقل المسموع ومن خلاله يصل إلى الحق والهدى ويمكن أن يحصل أو يخلص إلى العمل النافع الذى يهتدى به فهذا فيه أن العقل الغريزى وحده لايكفى يحتاج معه إلى سماع الحق والهدى وتلقيه حتى يستطيع أن يصل إلى العمل الصالح الذى ينفعه قال ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من رقدته ويطلقه من مكامنه كما يستخرج البذر والماء ما فى قعور الأرض من كثرة الريع الآن عندما توضع البذور ويصب عليها الماء يبدأ يحصل لهذه البذور النمو

إلى أن تصبح مثلًا ذروعًا مثمرة نافعة ومفيدة فللأرض وحدها منتجة لهذه الثمور ولا أيضًا البذور وحدها بدون الأرض منتجة

فيحتاج هذا المقام الى عقل غريزى وعقل مسموع حنى تأتى الثمار ولقد ضرب ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لهذا المثال مثالًا قد يكون أوضح من المثال الذى ذكره المصنف و كلامه منقول ، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «العقل فى القلب مثل البصر فى العين» يراد به الإدراك تارة أى إدراك المبصرات ويراد به القوة التى جعلها الله فى العين تارة التى يحصل بها الإدراك فالبصر يراد به الإدراك ويراد به القوة التى يحصل بها الإدراك قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن العقل قد يراد به القوة الغريزية التى فى الإنسان التى بها يعقل وقد يراد به نفس أن يعقل ويفهم ويعلم أى يسمع العلوم والمعارف ويتعقل ويتفهم ويتبصر فيكتسب هذه الأشياء فالعقل يطلق على الغريزى ويطلق على المسموع ، لكن عرفنا ايضا أن هذا وحده لايكفى ضابطا فى العقل لابد مع هذا الفهم والادراك العمل ، ونقلت لكم كلمة شيخ الاسلام ، العظيمة وأعيدها لأهميتها (أما العمل بالعلم وهو جلب ما ينفع ودفع ما يضره بالنظر فى العواقب فهذا هو الاغلب في مسمى العقل فى كلام السلف والأئمة)

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

رأيـــت العقـــل نـــوعين　　　فمطبـــوع ومســـموع
ولا ينفـــع المســـموع　　　إذا لـــم يـــك مطبـــوع
كمـــا لا تنفـــع الشـــمس　　　وضـــوء العـــين ممنـــوع

التعليق:

هذا البيت فيه التقسيم للعقل على أنه مطبوع ومسموع وأنه لا ينفع المسموع إذا لم يك مطبوع مثل ما أشرنا فى المثال الذى سبق أنه إذا وجدت الأرض الزراعية الخصبة ولم يوضع فيها البذور ما تنبت ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع فلا بد منهما أيضًا إذا وضع البذر ولم يجد أرضًا خصبة لا ينبت وإذا وضع فى قيعان لا ينبت فالمقام يحتاج إلى أمرين العقل المطبوع والمسموع قال كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع إذا كانت الشمس طالعة لكن ضوء العين الذى هو قوة الإدراك ممنوعة ومفقودة عند العبد ما يبصر حتى وإن كانت الشمس طالعة لأن طلوع الشمس بمثابة المسموع الذى ممكن أن يرى الإنسان الأَشياء لكن الشىء الغريزى غير موجود الذى هو قوة الأدراك فلا يرى مع وجود الشمس فأيضًا إذا وجدت الأمور التى تعقل وتفهم ويتبصرها الناس ويفيدون منها لكن ليس عند الإنسان عقل غريزى فإنه إذًا لا يستفيد من هذه الأشياء لعدم جود هذا العقل الغريزى .

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا القطان بالرقه حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن حسان حدثني ابن عامر قال قلت لعطاء بن أبي رباح يا أبا محمد ما أفضل ما أعطى العبد قال العقل عن الله

❍ **التعليق:**

هذا سؤال وجه لعطاء بن أبى رباح ما أفضل ما أعطى العبد قال العقل عن الله

اى يعقل عن الله دينه وما طلب من عباده ودعاهم الى عقله و فهمه تبصرا بكتابه وبسنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه نعم.

☙◊❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني أحمد بن عبدالله الصنعاني لعبد الله بن عكراش

يـزين الفتـى في النـاس صـحة عقلـه وإن كــان محظــورا عليــه مكاســبه
يشـين الفتـى في النـاس خفـة عقلـه وإن كرمــت أعراقــه ومناســبه

التعليق:

البيت الأول مر فى الأبيات التى تقدمت وأضاف إليه بيتًا أخر وفيه أن صحة العقل زين الفتى وجمال له وأن خفة العقل شين للفتى وأمرً يقبح به حتى وإن كرمت أعراقه ومناسبه حتى وإن كان له نسب عريق وحسب فإذا فسدت أخلاقه فإن تلك ما تغنى عنه شيئًا ولا تفيده نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالواجب على العاقل أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسده من القوت لأن قوت الأجسام المطاعم وقوت العقل الحكم فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب وكذلك العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت ٠

❍ **التعليق:**

فالواجب على العاقل أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسده من القوت وأكلف يعنى أشد اهتمامًا بما يحيى عقله من الحكم والعلوم والمعارف أكثر من اهتمامه بما يحيى بدنه من طعام وشراب يقول لأن قوت الأجساد المطاعم وقوت القلوب والحكم وقوت القلوب أهم من قوت الأجسام فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب كذلك العقول إذا فقدت قوتها من الحكم ماتت والعبد حاجته إلى العلم والمراد به هو المستمد من الكتاب والسنة والحكمة أيضًا المراد بها الحكمة المستمدة من الكتب والسنة فحاجته إليها أشد من حاجته لطعامه وشرابه

الطعام والشراب كم يحتاج اليه الانسان فى اليوم من مرة؟ يحتاجه مرتين أو ثلاث أو أربع مثلًا ما يحتاجه بشكل مستمر اما العلم فيحتاج اليه فى كل حركه من حركاته ان يتحرك بعلم ولذا يقول الامام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الناس أحوج الى العلم من الطعام والشراب لأنه يحتاج اليه مره أو مرتين ويحتاج الى العلم بعدد أنفاسه) وقوله رحمة الله عليه ان الحاجة الى الطعام مرة أو مرتين هذا فى الزمان الأول فى زمانهم أما الآن الناس تكثر الأكل ماتكفى مرة او مرة او ثلاثه بل يجلس للأكل جلسات فيقول يكفى فى الطعام مرة أو مرتين أما العلم فبعدد الأنفاس بمعنى أن كل حركة من حركاتك ينبغى أن تصدر منك عن علم وبصيرة نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والتقلب في الأمصار والإعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلًا وإن عدم المال في تقلبه

❍ **التعليق:**

والتقلب فى الأمصار والإعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلًا وهذا باب من الأبواب التى تكسب الإنسان مزيدًا من العقل والبصيرة والدراية التقلب فى أرض الله والتفكر والإعتبار فهذا باب من الأبواب التى تزيد العقل وتنميه وإن عدم المال فى تقلبه حتى لو ماكان عنده مال فإن نفس التقلب للتفكر والإعتبار يزيد الإنسان عقلًا لأنه لما قال وإن عدم المال هو ينبه إلى أمر يعنى أن المال بحد ذاته ليس هو الذى يكسب الإنسان عقله ثمة أمور هى التى تكسب الإنسان عقله وزيادة فى قوة العقل ورسوخه وثباته أما المال حتى وإن كثر ليس هو الذى يكسب الإنسان عقلًا بل كثيرًا ما يؤثر المال على العقول فسادًا كما قال تعالى﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق: ٦-٧] نعم.

❧◈☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي

إن ذا العقـــل يــــرى غنمـــا لـــه   عــدم المــال إذا مــا العقــل صــح
مــا علــى المــرء بعــدم ســبة   إن وفــا العقــل وإن ديــن صــلح...

❍ **التعليق:**

هذا كلام جميل فى بيان أن العقل أفضل من المال ،العقل السليم أفضل من المال الكثير لأن الانسان إّذا كان عنده عقل سليم وليس عنده مال فهذا لا يضره لكن إذا كان عند الإنسان مال كثير ولاعقل له فكيف يكون؟ نسأل الله السلامة والعافية مهلكة ومضرة به ولغيره فكم أهلكت الأموال خلقا لا عقول لهم فيقول إن ذا العقل يرى غنما له ... عدم المال إذا ما العقل صح يرى صاحب العقل هذه غنيمة كبيرة جدًا أن عنده عقل صحيح حتى وإن عدم المال هذا مكسب يعتبره مكسبًا مكسب كبير جدا وغنيمة وعظيمة

... **ما على المرء بعدم سبة** أى ليس على المرء بعدم أى عدم المال وأنه لا مال عنده ليس عليه سبة فى ذلك إن وفا العقل وإن دين صلح...

فإذا كان عقله وافيا ودينه صالحا ماعليه سبه إذا كان لا مال له لا سبة عليه فى ذلك والناس فيهم الغنى والفقير ولايلام فقير على فقره ولا غنى على كثرة ماله لكن البلاء إذا فقد الإنسان العقل هذه هى المصيبة إذا فقد الإنسان العقل سواء كان غنيًا أو فقيرًا نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن المسيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدني قال سمعت حاتم ابن اسماعيل يقول ما أستودع الله عقلًا عبدا إلا استنقذه به يوما ما

التعليق:

نعم هذا صحيح يعنى ما أكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبدا بعقل ومن عليه بعقل إلا واستنقذه به يوما ما لأن العقل الصحيح خلاص للعبد ونجاه له من المعاطب والمهالك نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العقل دواء القلوب ومطية المجتهدين وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا وعدته في وقوع النوائب ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزا ولا المال يرفعه قدرا ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه فكما أن أشد الزمانه الجهل كذلك أشد الفاقه عدم العقل

○ **التعليق:**

نعم فهذا كلام جميل فى مكانة العقل وقيمته وعظم فائدته وهى أن العقل دواء للقلوب وشفاء لها من أسقامها ومطية للمجتهدين فإذا كان يجتهد عن عقل وبصيرة فنعمت المطية له العقل السليم وبذر حرث الآخرة فإن حرث الاخرة والعمل الصالح المقرب الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحتاج العبد فيه إلى قلب عاقل وتاج للمؤمن فى الدنيا أى جماله وزينته وعدته فى وقوع النوائب أى البلايا والمصائب نعمة العدة ومر معنا ما استودع الله عبدا عقلا إلا استنقذه به يومًا ما فإذا هو نعم العدة فى النوائب ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزًا فإن كان ذا سلطان فلا يزده سلطانه عزًا وإن كان ذا مال لا يوده ماله رفعة ةقدرًا ثم يقول ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه هذا فساد فى العقل إذا الإنسان لذة الدنيا أشغلته عن الآخرة فكما أن أشد الزمانة الجهل فكذلك أشد الفاقة عدم العقل كما أشد الزمانة الجهل الزمانة أى المرض الدائم المستمر فأشد المرض الذى يصاب به العبد الجهل أشد مرض مستمر ملازم للعبد يصاب به هو الجهل هذا الجهل إذا أصيب به هو داء عضال وبلاء عظيم جدًا فأشد مرض مستمر يصاب به العبد هو الجهل الجهل المرض كذلك أشد الفاقة عدم العقل أشد الفاقة أى أشد الفقر عدم العلم فأشد المرض الجهل وأشد الفقر عدم العقل وقد مر معنا لا مال لمن لا عقل له فأشد الفاقة عدم العقل نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعقل والهوى متعاديان فالواجب على المرء أن يكون لرأيه مسعفا ولهواه مسوفا فإذ أشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه لأن في مجانبته الهوى إصلاح السرائر وبالعقل تصلح الضمائر

❍ **التعليق:**

فهذا أيضا كلام جميل فالعقل والهوى متعاديان كل منهما عدو للآخرقال فالواجب على المرء أن يكون لرأيه مسعفا ولهواه مسوفا فإذا جاء للمرء أمر مبنى على رأى صحيح وتعقل وتبصر وفهم ودراية فليكن مسعفًا يبادر إليه أما إذا كان الأمر مصدره الهوى ليس العقل إذا كان الأمر الذى تريده النفس وتطلبه مصدره الهوى وليس العقل فليكن مسوفا يؤجل إذا دعته نفسه إلى شيء يدفعه إلى فعله هواه فعليه فى هذا المقام أن يؤجل لا يستعجل بل عليه أن يؤجل أماّا كان الذى دعاه إليه عقله وتبصره وفهمه وبصيرته فى الأمرفليسارع إليه هذا فى الواضحات فماذا عن المشتبهات هذا فى الواضحات يقول فالواجب على المرء أن يكون لرأيه مسعفًا ولهواه مسوفًا هذا فى الواضحات أما إذا اشتبه فماذا يفعل؟ قال فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه لا يدرى يفعل هذا أو هذا اشتبه عليه فليجتنب الأقرب لهواه لأن فى مجانبة الهوى إصلاح السرائر وبالعقل تصلح الضمائر أى القلوب نعم.

❧◈❧

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني قال قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عمر دهرا أخبرني بأحسن شيء رأيته قال عقل طلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة

❍ **التعليق:**

هذا سؤال وجهه معاوية بن أبى سفيان لرجل معمر أى طال عمره من العرب وطول العمر فيه اكتساب للخبرات ووقوف على أمور وتجارب خاصة إذا كان هذا الذى طال عمره من أولى العقول والنهى فإنه يستفاد من تجاربه الطويلة التى امتدت مع امتداد عمره فلقى رجلًا من العرب عمر دهرًا فقال له أخبرنى بأحسن شىء رأيته فى عمرك الطويل عمر دهرًا أى عاش عمرًا طويلًا فما هو أحسن شىء رأيته فى عمرك الطويل وهذا يعطى قيمة للكلام الذى سيقوله ذلك الرجل قال عقل طلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الاخرة وهذا أحسن شىء مر على عقل طلب به مروءه مع تقوى الله وطلب الآخرة فإذا كان لدى الإنسان عقل يطلب به المكارم والفضائل وأبواب الخيرات وفى الوقت نفسه متقى لله عزوجل وأعماله كلها يطلب بها ما عند الله يريد بها الاخرة فهذا أجمل شىء يقول رأيته فى حياتى نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا تم عقل المرء تمت أموره ... وتمت أياديه وتم بناوه
فإن لم يكن عقل تبين نقصه ... ولو كان ذا مال كثيرا عطاؤه

التعليق:

نعم إذا كان عند الإنسان العقل فأموره كلها تتم وأياديه أيضًا تتم وبناؤه ومصالحه كلها تتم أما إذا فقد العقل يتبين نقصه بفقده العقل حتى وإن كثرت أمواله نعم.

❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدرى حدثنا عمران بن خالد الخزاعي قال سمعت الحسن يقول ما تم دين عبد قط حتى يتم عقله

التعليق:

نعم الحسن هو البصرى من علماء التابعين الأجلاء رحمهم الله تعالى قال ما تم دين عبد قط حتى يتم عقله لأن العقل السليم القويم من امتنان الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على العبد فمن خلاله يهتدى العبد الى سماع الخير فيعقل عن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ مراده نعم.

❁

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أفضل ذوي العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة وأقلهم عنها فترة

❍ **التعليق:**

هذا كلام جميل يبين فيه أن ذوى العقول لا يفترون عن محاسبة أنفسهم بل هم فى محاسبة دائمة لأنفسهم قبل العمل وبعده وأثنائه لا يفترون فهولاء هم أفضل العقول منزلة. نعم

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فبالعقل تعمر القلوب كما أن بالعلم تستخرج الأحلام وعمود السعادة العقل ورأس العقل الاختيار ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس لنوره فقرب العاقل مرجو خيره على كل حال كما أن قرب الجاهل مخوف شره على كل حال.

❍ **التعليق:**

هذا كلام أراد منه أن يوضح مكانة العقل وعظيم فائدته ومنزلته العلية نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا يجب للعاقل أن يغتم لأن الغم لا ينفع وكثرته تزري بالعقل ولا أن يحزن لأن الحزن لا يرد المرزأة ودوامه ينقص العقل

التعليق:

قال ولا يجب للعقل أن يغتم ولقد كرر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه العبارة كما سيأتى فكثيرًا ما يعبر «لا يجب للعاقل أن يكون كذا»

والعبارة «ولا يجب للعاقل أن يغتم» فيها شيء من الضعف والصحيح أن يقال ويجب للعاقل أن لا يغتم أو الواجب على العاقل أن لا يغتم أو من الواجب على العاقل أن لا يغتم فهكذا تستقيم العبارة والتنبيه على هذا الموضع يغنى عن التنبيه على هذه الكلمة فيما سيأتى قال ولا يجب للعاقل أن يغتم لأن الغم لا ينفع أى فائدة تفيد العبد إذا ملأ قلبه غمًا وهمًا إذا ينبغى عليه أن يعمل على إيجاد الوسائل التى تطرد عن قلبه ما أصابه من هم وغم قال وكثرته تزرى بالعقل وكثرته أى الغم تزرى بالعقل أى تعيب العقل وتنقصه تعتبر منقصة وعيب فى عقل الإنسان أن يكون كثير الغموم والأحزان يغتم كثيرًا ويحزن كثيرًا هذا منقصة فى عقل الإنسان كثرته تزرى بالعقل ولا أن يحزن لأن الحزن لا يرد المرزأة وهى مافات الإنسان من خير فى مصيبة أصابته مثل شخص فقد مالًا أو ولدًا أو نحو ذلك هذه المرزأة أى المصيبة التى أصيب بها أورزىء بها أى شيء يفيده الحزن وتوالى الحزن عليها قال ولا أن يحزن لأن الحزن لا يرد المرزأة ودوامه ينقص العقل إذا داوم الإنسان الحزن فهذا نقص فى عقله نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه فإذا وقع فيه رضى وصبر والعاقل لا يخيف أحدا أبدا ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد منه مذهبا وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من الطارف والتالد مع لزوم العفاف إذ هو قطب شعب العقل

التعليق:

نعم هذا كله ذكر لصفات ذوى العقول السليمة يقول العاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به وانظر إلى ما جاء فى الحديث «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء» فالعاقل يحسم الداء قبل ان يبتلى به من ذلكم الحمية فيها حسم للداء قبل أن يبتلى ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه فمن صفات العاقل دفع الأمر القبيح أو المشين أو نحو قبل أن يقع به ولهذا يقال «الدفع قبل الرفع» والدفع أهون من الرفع يدفع الأمر قبل ان يقع فيه فمن صفات العاقل أن يتبصر فى العواقب وينظر فى المآلات فإذا وقع فيه رضى وصبر يعنى هو يبذل الأسباب لكن إذا أصابته المصيبة بعد بذله للأسباب رضى وصبر على ما قدره الله قال والعاقل لايخيف أحدًا أبدًا ما استطاع هذه ليست من العقل مع أن كثير من الناس يفضل أن يداعب بعض أصدقائه بإخافتهم بل إن بعض الناس اختل عقله بسبب مداعبة بعض أصدقائه له بإخافته له فعلًا بعض الناس اختل عقله بمداعبة غليظة شديدة فيها إخافة له فليس هذا من العقل ليس من العقل أن يخيف أحدًا أبدًا ما استطاع ولا يقيم على خوف إذا كان يجد منه مذهبا منه يبحث عن مكان يمارس فيه أعماله وعباداته وطاعاته ومصالحه بعيدا عن الخوف فإن هذا أطيب وأهنأ وأقوم له فى الطاعة والعبادة وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من الطارف والتالد إذا خاف على

نفسه من الهوان وهو الذل وهو أن يهان الإنسان فى دينه وأن يذل فى عبادته لربه هان عليه الطارف والتالد والتالد هى الأموال القديمة التى ورثها وحصلها بالميراث وهى قديمة عنده والطارف يعنى المكاسب والأرباح التى زادت على ذلك هذه كلها تهون عنده وترخص لأن دينه عنده أثمن من ماله وحفظ دينه أغلى عنده من حفظ ماله ولهذا يهون عليه ماله كله الطارف منه والتالد فى سبيل ماذا؟ حفظ الدين ولهذا بعض الناس يمكن أن يتنازل عن ماله كله حفظًا لعرضه ودينه مستعد أن يتنازل عن كل ماله وأى فائدة للمال إذا فقد الإنسان مثلًا العرض والشرف والدين ومثل هذه الحقائق المهمة العظيمة فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من الطارف والتالد مع لزوم العفاف إذ هو قطب شعب العقل التى عليها يدور نعم.



❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري

أو لست تأمر بالعفاف وبالتقى ... وإليك آل الأمر حين يؤول
فإن استطعت فخذ بعقلك فضله ... إن العقول يرى لها تفضيل...

❍ **التعليق:**

هذان بيتان يقول فيهما الناظم **أو لست تأمر بالعفاف وبالتقى** ... **وإليك آل الأمر حين يؤول** أى أصبحت بهذه المكانة فى الدعوة للفضائل والدعوة إلى والتقوى والعفاف فإن استطعت فخذ بعقلك فضله إن العقول يرى لها تفضيل وهذا فيه نصح لمن يقوم على الناس دعوة ونصحًا وتعليمًا أن يحرص على أن يكون هو نفسه عاملاً بالفضائل والكمالات وما يدعو الناس إليه من بر وخير وفضيلة نعم.

℘◊℘

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكرج حدثنا محمد بن علي الطاحي حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحرانى حدثنا مفضل بن صالح قال على لما أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل فقال إنى أمرت أن أخيرك في ثلاثة فاختر واحدة ودع إثنتين فقال آدم وما الثلاث فقال الحياء والدين والعقل فقال آدم فإني قد أخترت العقل قال فقال جبريل للحياء والدين أنصرفا ودعاه فقالا إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ثم عرج جبريل وقال شأنكم

❍ التعليق:

الكرج يقال عنها جورجيا وهى الآن كرجستان

نعم هذا حديث موقوف عن على بن أبى طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لكن لا يصح السند إليه أولًا من يرويه عن على هو مفضل بن صالح قال عنه البخارى منكر الحديث وقال عنه ابن حبان صاحب هذا الكتاب منكر الحديث وكان ممن يروى المقلوبات حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لها من كثرته فوجب ترك الإحتجاج به وذكر أيضًا فى بعض المواضع قال لا يحتج به وهذا يفيدكم الفائدة المعروفة التى يذكرها أهل العلم (من أسند فقد أحال) برئت ذمته فمثل هذه الكتب التى لم يشترط مصنفوها الصحة إذا ذكر لك الإسناد برئت الذمة فالآن هذا الرجل عند ابن حبان نفسه منكر الحديث ولا يحتج به لكنه ساقه لذكره للإسناد وإذا ذكر الإسناد تبرأ الذمة فمفضل بن صالح هذه حاله ولا يحتج به وشيخه وشيخ شيخه هؤلاء ليس لهم تراجم إلا فى كتب الشيعة فكل هؤلاء ليسوا من أهل الإعتبار بالإحتجاج بما يروونه فلا نقف عنده نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من حسن عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح وجهه ومن حسن وجهه وقل عقله فقد أذهب محاسن وجهه نقائص نفسه فلا يجب للعاقل أن يغتم إذا كان معدما لأن العاقل المقل قد يرجى له الغنى ولا يوثق للجاهل المكثر ببقاء ماله ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله

وآفة العقل الصلف والبلاء المردي والرخاء المفرط لأن البلايا إذا تواترت عليه أهلكت عقله والرخاء إذا تواتر عليه أبطره والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل

❍ **التعليق:**

هذه كلمات فى بيان أمور هى من حسن العقل قال من حسن **عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح وجهه** لكن من حسن وجهه **وقل عقله فقد أذهب محاسن وجهه نقائص نفسه** ترى بعض الناس يعتنى بمظهره الخارجى أما المخبر من حيث الأخلاق والآداب فهذه وهاء وضعيفة جدًا فمظهره ما يغنى شيء ولا ينفعه ولا يكفى جمالًا للمرء لكن إذا كان الإنسان خلوقًا وإن كان مظهره على قدر وليس بذاك فإن الجمال فى الخلق جمال المرء بأخلاقه ولا يجب للعاقل أن يغتم إذا كان معدمًا يعنى إذا ما كان عنده مال وفقير لأن العاقل المقل قد يرجى له الغنى ولا يوثق للجاهل المكثر ببقاء ماله فإذا خير للإنسان أن يعرف منة الله عليه بالعقل حتى وإن كان قليل ذات اليد من المال قال لأن العاقل المقل قد يرجى له الغنى ولا يوثق للجاهل المكثر ببقاء ماله ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله وآفة العقل الصلف يعنى الشدة والغلظة والبلاء المردى والرخاء المفرط هذه ثلاثة أمور الصلف والبلاء المردى والرخاء المفرط هذه آفات للعقول لأن البلايا إذا توالت أى تواترت عليه أهلكت عقله والرخاء إذا تواتر عليه أبطره والعدو

العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل لماذا؟ لأن الصديق الجاهل قد يتصرف تصرفًا يريد ماذا أن يحسن إلى صاحبه فقد يفعل أمرًا يهلك صاحبه به وهو إنما أراد ماذا؟ الإحسان عليه فالصديق الجاهل مضرة عظيمة على صاحبه والعدو العاقل عقله يمنعه عن الظلم والأذى أو نحو ذلك إذا كان عنده عقل فإن عقله يمنعه من مثل هذه الأشياء نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني علي بن محمد البسامي

عــدوك ذو العقــل أبقــى عليــك ... مــن الجاهــل الوامــق الأحمــق
وذو العقــل يــأتي جميــل الأمــور ... ويقصــد للأرشــد الأرفــق...

❍ **التعليق:**

قال الناظم عدوك هذا شاهد للكلام السابق والعدو العاقل خيرللمرء من الصديق الجاهل قال الناظم **عدوك ذو العقل أبقى عليك ... من الجاهل الوامق الأحمق** الوامق يعنى المحب فإذا كان المحب لك جاهل أحمق فالعدو العاقل أبقى عليك من هذا الجاهل الأحمق وإن كان محبًا لك ومعنى ذلك أن المحب الجاهل أضر على الإنسان من العدو العاقل قال

وذو العقل يأتي جميل الأمور ويقصد للأرشد الأرفق ... هذا ما يقتضيه العقل يقصد الأرشد من الأمور والأرفق ولهذا يؤمن من هذه الجهة لأن عنده عقل فلا يقصد بما يقتضيه عقله إلا الأرشد من الأمور والأرفق أما الجاهل فإنه يقصد إلى أمور فيها شيء من الحمق أو التسرع أو الإندفاع أو نحو ذلك نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بعسقلان حدثنا ابن أبى السرى حدثنا داود بن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خليد بن دعلج قال سمعت معاوية ابن قرة يقول إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم

❍ **التعليق:**

مثل ما ترون ذكر بلدان أشياخه وتلاحظون تنوع بلدان أشياخه الذين تلقى عنهم ومر معنا أنه مكثر من الشيوخ ورحل فى البدان وأخذ عن خلق كثير ومر معنا أنه قال يبلغون الألفين أو لعلهم يزيدون ويحرص مثل ما ترون تسمية بلدان أشياخه

وما يعطون يوم القيامة على قدر عقولهم لعل مراد معاوية بن قرة بقوله وما يعطون يوم القيامة إلا على قد عقولهم ما جاء فى الحديث «ليس له من صلاته إلا ما عقل منها فلعل هذا هو المعنى المراد نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت محمد بن محمود بن عدى النسائى يقول سمعت على بن خشرم يقول سمعت حفص بن حميد الأكاف يقول العاقل لا يغبن والورع لا يغبن

قال أبو حاتم هذه لفظة جامعة تشتمل على معان شتى فكما لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق ولا الجمال بغير حلاوة ولا السرور بغير أمن كذلك لا ينفع العقل بغير ورع ولا الحفظ بغير عمل وكما أن السرور تبع للأمن والقرابة تبع للمودة كذلك المروءات كلها تبع للعقل

❍ **التعليق:**

قول حفص بن حميد الأكاف العاقل لا يغبن والورع لا يغبن العاقل لا يغبن أى لا يخدع لا فى رأى ولا فى بيع لأنه رجل عاقل وأما ضعيف العقل فإنه قد يغبن أى يخدع فى رأيه وفى البيع واشراء قال والورع لا يغبن أى لا يخدع الناس لماذا؟ لأن ورعه يمنعه من الخديعة من خديعة الناس إذا الإنسان يحتاج إلى العقل ويحتاج إلى الورع عقل يسلم به من أن يغبن وورع يسلم به من أن يغبن الناس نعم.

❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعقول كل قوم على قدر زمانهم فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل فإنه خير من الحياة النكدة وإن طالت والعقل الموعى غير المنتفع به كالأرض الطيبة الخراب.

والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يسأل ولا يكثر التمارى إلا عند القبول ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت.

والعاقل لا يستحقر أحدا لأن من أستحقر السلطان أفسد دنياه ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ومن استحقر العامة أذهب صيانته.

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها وما أنفع التجارب للمبتدى.

التعليق:

كل هذا كلام جميل فى صفات أولى العقول يقول وعقول كل قوم على قدر زمانهم فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل فإنه خير من الحياة النكدة وإن طالت والعقل الموعى غير المنتفع به كالأرض الطيبة الخراب والعقل الموعى أى الحصيف الحافظ غير المنتفع به كالأرض الطيبة الخراب والعقل الموعى أى الواعى الحصيف الذكى إذا لا ينتفع به صاحبه بأن يسمع به العلم والهدى والخير حتى يزداد فضله ونبله يصبح مثل الأرض الطيبة الخراب وعرفنا المثل السابق أن العقل الغريزى يحتاج إلى العقل المسموع وأن العقل المسموع بمثابة البذر والعاقل لا يبتدى الكلام إلا أن يسأل ولا يكثر التمارى إلا عند القبول المماراة هى المناقشة والمحاجة إلا عند القبول بحيث يرجوا من كلامه قبولًا وفائدة أما مجرد المماراة فهذه لا خير فيها واستغراق الأوقات واستهلاكها لمجرد المماراة أو أن

يغلب أحد الطرفين الآخر فهذا مما لا خير فيه والمماراة تنفع إذا كان يرجوا أنه يفيد الآخر وينفعه ويكون هذا مقصده بها ولايسرع الجواب إلا عند الثبت إذا سئل لا يستعجل فى الإجابة إلا إذا نثبت وعرف من صحة إجابته أجاب وإلا امتنع عن الإجابة والعاقل لا يستحقر أحدًا لا ينظر إلى أحد باحتقار لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ومن استحقر العام هكذا فى نسخ الكتاب والمراد بالعامة عموم الناس ومن استحقر العام أذهب صيانته إذًا ليس من العقل أن يستحقر أحدًا يعنى ينظر بالازدراء والاحتقار وإذا ميزه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بشيء يحمد الله على فضله لكن يبتعد عن النظر للناس باستحقار وازدراء والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه لأنه مهتم بعيب نفسه أكثر من اهتمامه بعيوب الآخرين لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره إذا كانت عيوب نفسه خفيت عليه فمن باب أولى أن لا يرى محاسن الآخرين وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ولهذا قيل (كيف يتقى من لا يدرى ما يتقى) فإذا كان لا يعرف عيب نفسه كيف يتقى هذا العيب وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها يعنى لا يستفيد من محاسنهم إذا كان لا يعرف المحاسن التى فى الناس وما أنفع التجارب للمبتدئ فهو يحتاج إلى أن يقف على تجارب الناس الطيبة النافعة المفيدة حتى يستفيد منها نعم.

഻◈ഺ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري

ألــم تــر أن العقــل زيــن لأهلــه وأن كمـال العقـل طـول التجـارب
وقـد وعـظ الماضـي مـن الـدهر ذا ويــزداد في أيامــه بالتجــارب...

❍ **التعليق:**

هذان البيتان فى أهمية التجارب وحاجة الإنسان إليهما وأن كمال العقل بطول التجارب والنظر فيها سواء فى تجارب الماضيين أو ما يراه من خلال أيامه أو ما يمده الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ به من عمر كما قال ويزداد فى أيامه بالتجارب يستفيد من تجارب الماضين وهو أيضًا فى أيامه يزداد بالتجارب نعم.

ﮋ ◊ ﮊ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن الحكم ابن عبد الله قال كانت العرب تقول العقل التجارب والحزم سوء الظن.

❍ **التعليق:**

قال كانت العرب تقول العقل التجارب يعنى لا بد للعاقل أن يحتاج إلى التجارب فالتجارب تزيد عقل العاقل قوة وفهمًا وبصيرة ودراية والحزم سوء الظن وليس هذا على الإطلاق وإنما سوء الظن إذا كان فى مقامه ومحله الصحيح نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يكون المرء بالمصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب

والعاقل يكون حسن المأخذ في صغره صحيح الإعتبار في صباه حسن العفة عند إدراكه رضى الشمائل في شبابه ذا الرأي والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوة ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها لأن من جاوز الغاية في كل شئ صار الى النقص٠

ولا ينفع العقل إلا بالإستعمال كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ولا ينفع الرأي إلا بالإنتخال كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان٠

ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حتفه في أقرب الأشياء إليه٠

ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون

التعليق:

هذه كلها أمور ينبغى على العاقل أن يتنبه لها سواء فى مرحلة الصغر التى هى مرحلة التلقى حسن المأخذ والصبا صحة الإعتبار وحسن العفة عند إدراكه والشمائل الطيبة فى شبابه ولا يلزم أن تكون هذه الاشياء على الترتيب الذى ذكر بل هى خصال ينبغى أن يكون العاقل مستصحبًا لها لكنه يشير إليها باعتبار حاجة كل مرحلة أو ما ينبغى أن تتميز به كل مرحلة لا أن المرحلة تختص بذلك دون بقية المراحل قال ذا الرأي والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوة أى بدرجة لأن هذا أدعى للمزيد يعنى يجعل نفسه بقى عليه لم يصل لا يعتبر نفسه لم يعمل أصلًا ولا يعتبر نفسه وصل للدرجة التى يريد بل يعتبر نفسه دون الدرجة التى يريد فإذا اعتبر نفسه بهذه الصفة يرى نفسه دومًا بحاجة إلى مزيد ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها لأن من جاوز الغاية فى كل شىء صار إلى النقص يجعل لنفسه غاية

بحيث لا يتعداها ولا يمكن أن تضبط هذه إلا بحدود الشريعة وضوابطها وكل واستطاعته فيما يوفقه الله إليه من علم أو عمل قال ولا ينفع العقل إلا بالإستعمال العقل الذى هو الغريزى إلا بالإستعمال أى بالسماع والتفهم والتعقل والتبصر إعمال العقل فيما ينفع مثال يوضح ذلك قال كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة مثل النوبة يعنى لو كان مثلًا ثمة اغتراف ماء من بئر وجاءت نوبة الشخص وصلت نوبته ونوبته تنتهى هى فرصة الآن نوبتك يا فلان فماذا تفيده الفرصة إذا لم يكن عنده أعوان ما ذا تفيده الفرصة التى حددت له إذا لم يكن عنده أعوان فيقول كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ولا ينفع الرأى إلا بالإنتخال يعنى بالتجارب والضربة ونحو ذلك كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان لأن هذه أمور يحتاجها وهذا كله توضيح لما سبق العقل الغريزى والعقل المسموع وقوله ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حتفه فى أقرب الأشياء إليه وهذا يبين لنا حاجة العبد إلى العقل الذى يعمل به الفضائل والخيرات ويجانب به ما فيه هلاكه وعطبه ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون والمراد بهذه العبارة يأتى توضيح لها فى الصفحة التى تليها قال ومن العقل التثبت فى كل عمل قبل الدخول فيه والمراد بذلك النظر فى العواقب والمآلات انظروا فى عاقبة أمركم فمن العقل أن ينظر الإنسان فى العواقب قبل أن يقدم خاصة فى ماذا؟ فى الأمور المشتبهات مثل ما قال ابن مسعود ﵁: «إنه ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة» فإنك إن تكون تابعًا فى الخير خير لك من أن تكون رأسًا فى الشر إذًا من العقل معرفة الإنسان بالعواقب ونظره لعواقب الأمور والتبصر فى المآلات ثن بعد ذلك يبنى على هذا النظر إما أن يقدم أو يحجم نعم.

❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والواجب على العاقل أن يجتنب أشياء ثلاثة فإنها أسرع في إفساد العقل من النار في يبس العوسج الاستغراق في الضحك وكثرة التمني وسوء التثبت لأن العاقل لا يتكلف مالا يطيق ولا يسعى إلا لما يدرك ولا يعد الا بما يقدر عليه ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الغناء ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى عليه نفعه منه .

التعليق:

يقول هذه ثلاثة أشياء لابد للعاقل أن يجتنبها لأنها فى إفساد العقل أسرع من النار فى يبس العوسج والعوسج شجر إذا كان يابسًا النار تأكله بسرعة تأكله أكلًا سريعًا فهذه الثلاث أشياء أضر على العقل وإفسادًا له من النار فى يبس العوسج والثلاثة هى الإستغراق فى الضحك يعنى أن يكون كثير الضحك فهذا نقص فى الإنسان وكثرة التمنى يسبح فى بحور الأمانى بدون عمل والله يقول ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ [النساء: ١٢٣] يتكىء فى بيته على المخده ويقول أتمنى أن أكون من العلماء الكبار أو التجار المنفقين الباذلين وجالس يعيش فى أمانى ويتمنى ويتمنى ولا يعمل فهذه مهلكة للإنسان كثرة التمنى وسوء التثبت أيضًا هذا مهلكة للإنسان ينبغى للإنسان أن يكون متثبتًا فيما يأتى ويذر نعم.

༄◈༄

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ولمعرفته رفده ومحضره ولعدوه عدله وبره وللعامة بشره وتحيته ولا يستعين إلا بمن يحب أن يظفره بحاجته ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنما إلا أن يغلبه الاضطرار عليه ولا يدعي ما يحسن من العلم لأن فضائل الرجال ليست ما ادعوها ولكن ما نسبها الناس إليهم ولا يبالي ما فاته من حطام الدنيا مع ما رزق من الحظ في العقل ٠

❍ **التعليق:**

هذه صفات للعاقل وقوله لا يدعى ما يحسن من العلم لأن فضائل الرجال ليست ما أدعوها ولكن ما نسبها الناس إليهم إلا إذا كان ثمة مقام يحتاج إلى ذلك فى مسألة ما فمثلًا جاءت مسألة فى باب من أبواب العلم فقال أحد الحاضرين أنا عندى علم فى هذه المسألة قرأت فيها كثيرًا وتعلمت على فلان وحصلت أراد أن يطمئنوا للجواب فهذا لا بأس به إنى حفيظ عليم فإذا كان هذا المقصد فإنه لا بأس به أما مجرد الإدعاء لكسب الثناء والمدح فهذا لا ينبغى أن يكون نظر الإنسان منصرفًا إليه نعم.

◊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى   يكون كذى رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجى   يكون كذى نعل وليست له رجل...

❍ **التعليق:**

هذا فى بيان ما يتعلق بالعقل والمال يقول الشاعر :

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى   يكون كذى رجل وليست له نعل

وكنا عرفنا فيما سبق عقل الإنسان هو المال وهو المكسب الحقيقى والمربح الحقيقى قال ولا مال أفضل منه أى العقل فقوله يكون كذى رجل وليست له نعل أرى والله أعلم أنها ليست دقيقة فى التعبير عن الإنسان العاقل فالعاقل حتى وإن لم يكن عنده مال يمشى فى أموره ومصالحه على أحسن ما يكون وإن عدم المال بل أمر آخر عجب وهذا من فضل الله على الإنسان الفقير إن كان يعنى بذلك البذل والصدقات وغير ذلك فمن كان فقيرًا معدمًا وآتاه الله علمًا وعقلًا وقال لو كان عندى من المال مثل فلان أى الغنى لفعلت مثله يعنى تصدقت وأنفقت مثله قال النبى ﷺ «هما فى الأجر سواء» كما فى حديث أبى كبشة الأنمارى وهو صحيح يعنى يأتى هذا الفقير يوم القيامة ويجد فى ميزان حسناته بناء مساجد وطباعة كتب وحفر آبار أمور كثيرة جدًا ما قدمها لكنه قال صادقًا مع ربه فى نفسه لو كان عندى من المال مثل فلان لأنفقت مثله أتاه الله علم وعقل وعزم على هذه النية لو كان عنده مثل فلان من المال لأنفق مثل فلان قال هما فى الأجر سواء قال ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجى أى لم يك ذا عقل هذه هى المصيبة أما الأولى ليست مصيبة يكون كذى نعل وليست له رجل نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كفى بالعاقل فضلا وإن عدم المال بأن تصرف مساوى أعماله الى المحاسن فتجعل البلادة منه حلما والمكر عقلا والهذر بلاغة والحدة ذكاء والعى صمتا والعقوبة تأديبا والجرأة عزما والجبن تأنيا والإسراف جودا والإمساك تقديرا فلا تكاد ترى عاقلا إلا موقرا للرؤساء ناصحا للأقران مواتيًا للإخوان متحرزا من الأعداء غير حاسد للأصحاب ولا مخادع للأحباب ولا يتحرش بالأشرار ولا يبخل في الغنى ولا يشره في الفاقه ولا ينقاد للهوى ولا يجمح في الغضب ولا يمرح في الولاية ولا يتمنى مالا يجد ولا يكتنز إذا وجد ولا يدخل في دعوى ولا يشارك في مراء

ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا ولا يشكو الوجع إلا عند من يرجو عنده البرء ولا يمدح أحدا إلا بما فيه لأن من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية.

والعاقل يكرم على غير مال كالأسد يهاب وإن كان رابضا وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض

وكلام العاقل وان كان نزرا حظوة عظيمة كما أن مقارفة المأثم وإن كان نزرا مصيبة جليلة

ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه

وآفة العقل العجب وعلى العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فإن ذلك مما لا يخطئه على ممر الأيام.

ولا يجب للعاقل أن يحب أن يسمى به لأن من عرف بالدهاء حذر ومن عقل العاقل دفن عقله ما استطاع لأن البذر وان خفى في الأرض أياما فإنه لا بد ظاهر في أوانه وكذلك العاقل لا يخفى عقله وإن أخفى ذلك جهده.

وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل

التعليق:

(ولا يشره) من الشره (الفاقة) يعنى الفقر

(ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيًا) أى يرى للحجة التى يدلى بها نفع وفائدة وتكون فى موضعها

(ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية) يعنى وضع نفسه هدفًا للسخرية (وكلام العاقل وان كان نزرا) أى قليلًا (التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه» يعنى النظر فى العواقب والمآلات من حيث موافقته للشرع (وآفة العقل العجب وعلى العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فإن ذلك مما لا يخطئه على ممر الأيام) يعنى لا بد أن يبتلى بشىء من ذلك إما جار سوء أو عشير سوء أو جليس سوء فعليه أن يوطن نفسه على الصبر وليحذر من العجب وآفة العقل العجب أى عجب الإنسان إما بعلمه أو بعمله أو بماله والعجب فاحذره إن العجب مجترف...أعمال صاحبه فى سيله العرم (ولا يجب للعاقل أن يحب أن يسمى به لأن من عرف بالدهاء حذر) أى بالعقل لا يجب للعاقل أن يحب أن يسمى به كأن يقال له أنت العاقل وأنت كذا ما يحب ذلك لنفسه لأن من عرف بالدهاء حذر (ومن عقل العاقل دفن عقله ما استطاع) المراد بدفنه عدم التظاهر به وعدم مدح النفس به ونحو ذلك بل يخفيه وكما قال وإن خفى فى الأرض أيامًا فإنه لا بد ظاهر فى أوانه نعم.

☙◊❧

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني على بن محمد البسامي:

إن المكـــارم أبـــواب مصـــنفة فالعقــل أولهــا والصــمت ثانيهــا
والعلــم ثالثهــا والحلــم رابعهــا والجـود خامسـها والصـدق سـاديها
والصــبر ســابعها والشــكر ثامنهــا واللــين تاسـعها والبـر عاشـيها...

❍ **التعليق:**

قوله الصدق ساديها والبر عاشيها أى سادسها وعاشرها وهذا ترتيب لهذه المنازل لكنه ليس بملزم وإذا كان جىء به على وجه الإلزام فهذا تحكم بلا دليل لكن إذا كان مجرد العد لها وبيان أهميتها فلا بأس أما إذا كان المراد إنما يؤتى بكل واحدة بعد التى قبلها على الترتيب الذى ذكر فى الأبيات فهذا تحكم ليس عليه دليل وهذا مما نبه عليه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونبه عليه ابن القيم وغيرهما فى الكلام على منازل السائرين لأن بعض من يكتب فى منازل السائرين يكون عنده شىء من التحكم فى ترتيب المنازل بأن المنزلة الأولى هى كذا ثم كذا ثم كذا ولا ينتقل لمنزلة إلا بعد التى قبلها ولا يكون عنده دليل على ذلك نعم.

⁂

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الهجرى أبو حفص العابد بالأبلة حدثنا عبد الله بن حبيق الأنطاكى حدثنا موسى بن طريف قال شعيب بن حرب قال لي شعبة عقولنا قليلة فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل وإنى لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلا منه فأمقته

❍ **التعليق:**

نعم الإنسان قليل بعقله وإذا جلس مع رديء العقول وضعيف العقول ذهب هذا القليل الذى عنده فيحتاج الإنسان إلى مجالسة العقلاء والحكماء وأهل الفضل والنبل حتى يزداد تعقلًا وتبصرًا وفهمًا نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل وهو من أفضل ما وهب الله لعباده فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسه من هو بضدها قائم

والواجب على العاقل أن يكون حسن السمت طويل الصمت فإن ذلك من أخلاق الأنبياء كما أن سوء السمت وترك الصمت من شيم الأشقياء. والعاقل لا يطول أمله لأن من قوى أمله ضعف عمله ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله

والعاقل لا يقاتل من غير عدة ولا يخاصم بغير حجه ولا يصارع بغير قوة لأن بالعقل تحيا النفوس وتنور القلوب وتمضي الأمور وتعمر الدنيا

والعاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ويضيف مالم يسمع منها إلى ما قد سمع وما لم يصب منها إلى ما قد أصاب وما بقى من عمره بما فنى وما لم ينل منها بما قد أوتى ولا يتكل على المال وإن كان في تمام الحال لأن المال يحل ويرتحل والعقل يقيم ولا يبرح ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر كما أن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر.

والذي يزداد به العاقل من نماء عقله هو التقرب من أشكاله والتباعد من أضداده.

❍ **التعليق:**

هذا أمر يزيد العاقل عقلًا التقرب من أشكاله يعنى العقلاء أهل النهى والتباعد من أضداده أى أضداد العقل نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد الثعلبي حدثنا محمد بن أبى مالك الغزي قال سمعت أبي يقول جالسوا الألباء أصدقاء كانوا أو أعداء فإن العقول تلقح العقول

❍ **التعليق:**

إذا كانوا أعداء فليس فى المجالسة لهم غنيمة إلا إن كان مبتليًا بهذه المجالسة أما طلب المجالسة لهم ليست غنيمة للإنسان نعم.

✿◊✿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين إما تذكر الحالة

التي يحتاج العاقل الى الإنتباه لها أو الإفادة بالشيء الخطير الذي يحتاج الجاهل الى معرفتها.

❍ **التعليق:**

يعنى من يجالس العقلاء لا يخلوا من أحد أمرين إما يذكرونه بأمور نافعة ومفيدة يحتاج الإنتباه لها ليفعلها أو أمور خطيرة يحتاج أن يبتعد عنها وأن يجتنبها نعم.

✿◊✿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

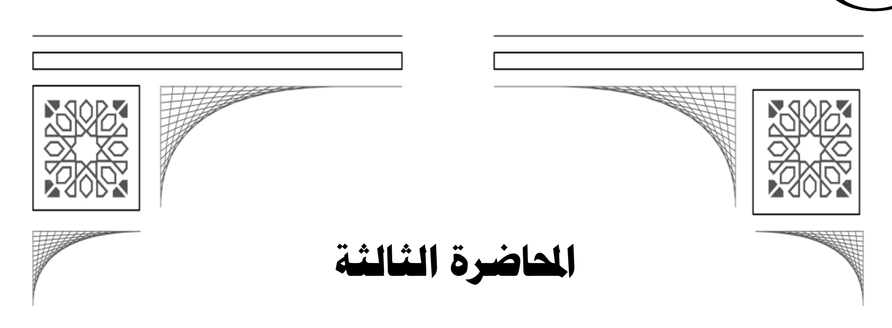
فقرب العاقل غنم لأشكاله وعبره لأضداده على الأحوال كلها ولا يجب لمن تسمى به أن يتدلل إلا على من يحتمل دلاله ويقبل إلا على من يحب إقباله ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر والأخر التثبت.

جعلنا الله ممن ركب فيه حسن وجود العقل فسلك بتمام النعم مسلك الخصال التي تقربه الى بارئه في دارى الأمد والأبد إنه الفعال لما يريد.

❍ **التعليق:**

(يتدلل) هذا ما نسميه الآن الميالة يعنى لا يمون على كل أحد إلا على من يحتمل دلالة أى على من يمون عليه يعنى له بتواصل ومعرفة ويطمئن إليه لا يجب لمن تسمى به أن يتدلل إلا على من يحتمل دلاله نعم.

﴿◊﴾



المحاضرة الثالثة

الحمد لله رب العالمين و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير بتستر حدثنا عمر بن شبة حدثنا مؤمل ابن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال قال رسول الله ﷺ ما كره الله منك شيئا فلا تفعله إذا خلوت

❍ **التعليق:**

هذا الباب هو الباب الثانى من أبواب هذا الكتاب قال **ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله** عزوجل والمراد بالسرائر القلوب أى إصلاح المرء لسره الذى هو باطنه وذلك بتقوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والنبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما ذكر التقوى أشار إلى صدره ثلاث مرات وقال التقوى ها هنا أى أن أصل التقوى ومنبعها هو القلب ولهذا فإن أهم ما ينبغى أن يعتنى به المسلم إصلاح باطنه وسره وقلبه وأعظم ما تصلح به القلوب تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وذلك بأن يعمر القلب بمعرفة الله والخوف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والخشية منه جل فى علاه حتى تقبل الجوارح وتنقاد كما

قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» فكان من أهم المهمات وأعظم المطالب أن يعنى المرء بإصلاح سره الذى هو قلبه بتقوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإذا استقام القلب بالتقوى تبعته الجوارح فلا يسنقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه والقلب إذا استقام بتقوى الله جَلَّ وَعَلَا تبعته الجوارح سدادًا وصلاحًا واستقامة وتقوى الله عزوجل هى وصية الله جل فى علا للأولين والآخرين من خلقه كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [النساء: ١٣١] وهى وصية النبى الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأمته وكان ﷺ إذا بعث سرية أوصاهم وأوصى أميرها بتقوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبمن معهم من المؤمنين خيرًا وهى وصية السلف الصالح فيما بينهم وهى وصية عظيمة ينبغى أن تصلح بها القلوب والسرائر وتقوى الله أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من سخط الله وعقابه وقاية تقيه ولذلك بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر ولهذا من أحسن ما عرفت به التقوى قول طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال «تقوى الله عمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله وترك معصية الله على نور من الله خيفة عذاب الله» أورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى صدر هذه الترجمة حديث أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ «ما كره الله منك شيئًا فلا تفعله إذا خلوت» أى تنبه يا عبد الله فكل أمر نهاك عنه ومنعك من فعله وكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فعله فلا تفعله فى الخلوات وهو حديث حسن ويروى بلفظ آخر «ما كرهت أن يراه الناس فلا تفعله إذا خلوت» والمعنى واحد فالشىء الذى يكرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا تفعله أمام الناس حتى لا تعاب ولا على فعله فلا تفعله فى الخلوات

إذا خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ... ولكن قل على رقيب

ولهذا اتفق العلماء رحمهم الله أن أعظم زاجر للعبد وأكبر رادع له هوعلمه

واستحضاره بأن الله يراه وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليم به ومطلع عليه وإذا ما حدثته نفسه يومًا بريبة وهو فى خلوة لا يراه أحد من الناس ليذكر نفسه بأن رب الناس رب العالمين مطلع عليه لا تخفى عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خافية ولا يكون من حال أولئك الذين قال الله عنهم ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء: ١٠٨] فيجب عليه أن يتق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وإذا خلا يومًا بأمر ما ودعته نفسه إلى معصية وقالت له لا أحد من الناس يراك فليذكرها بأن رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مطلع عليه قال رسول الله ﷺ «ما كره الله منك شيئًا فلا تفعله إذا خلوت» لماذا قال النبى عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ «فلا تفعله إذا خلوت» لأن نفس الإنسان ضعيفة وإذا كان فى مكان فحدثته نفسه بمعصية ثم التفت يمينًا وشمالًا فوجد أن أحدًا من الناس لا يراه ربما تجرأ وأقدم على المعصية لكونه لا أحد من الناس يراه.

أحد الأشخاص يحدث عن عبرة حصلت له: كان خاليًا فى غرفة وحدثته نفسه بمعصية من المعاصى التى كثرت فى هذا العصر وهى النظر المحرم من خلال الوسائل الحديثة مثل الانترنت وغيره فيغلق الباب ويطمئن أنه لا أحد من الناس يراه فينظر إلى أشياء لو كان حوله أحد من الناس ما نظر إليها وغفل عن رؤية رب العالمين له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول هذا الشخص وهو فى داخل الغرفة أنه سمع صوتًا عند بابها فتوقف وأغلق جهازه ودخله خوف ربما يكون أحد قد جاء ورآه فلما فتح الباب وجد هرة عند الباب فانظروا لهذا الحال والموقف الدنيء الذى لا ينبغى أن يكون عليه وذكر العبد لرؤية ربه جَلَّوَعَلَا وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مطلع عليه فهذا دواء القلب وعلاج أمراضها وأسقامها وهذا الأمر يحتاج من العبد إلى استذكار دائم لأن القلوب تغفل والنفوس يصيبها ما يصيبها فيحتاج العبد إلى استحضار دائم فكل ما حدثته نفسه بريبة أو بمعصية أو بأمر يكرهه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فليذكر نفسه

بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطلع عليه وعليه أن يستحى من الله ولا يجعله أهون الناظرين إليه بل عليه أن يتقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن يستحى منه كما قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «استحوا من الله حق الحياء» وأعظم الحياء هو الحياء من الله رب العالمين.

ذكر ابن عبدالله المزنى من أئمة السلف الأخيار أن له دعوة تؤثر عنه وتتناسب مع موضعنا هذا فكان يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإخوانه «زهدنا الله وإياكم زهد من أمكنه الحرام والذنوب فى الخلوات فعلم أن الله يراه فتركه» فترك الذنوب فى الخلوات خوفًا من الله مقام عظيم وقربة من أعظم القربات التى يتقرب بها العبد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا رياء فيها ولا سمعة ولا إرادة شيء من أمور الدنيا، تمكن من الذنب وأصبح مهيأ له وما تركه إلا من أجل الله.

ﮋ ◊ ﮊ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شعبا من المأمورات والمزجورات لا بد له من معرفتها واستعمالها في أوقاتها لمباينة العوام وأوباش الناس بها.

وإني ذاكر في هذا الكتاب إن الله قضى ذلك وشاءه خمسين شعبة من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ليكون الكتاب مشتملا على خمسين بابا بناء كل باب منها على سنة رسول الله ﷺ ثم نتكلم في عقيب كل سنة منها بحسب ما يمن الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله.

○ **التعليق:**

نبه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن هذا الكتاب عبارة عن أبواب من صفات أولى العقول والنهى وتنقسم إلى قسمين:

الأول: مأمورات وهى من صفات أولى النهى فيفعلونها ويحرصون عليها ويتصفون بها.

الثانى: منهيات يجتنبونها ويحذرون من الوقوع فيها.

❊

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله وإصلاح السريرة لأن من صلح جوانيه أصلح الله برانيه ومن فسد جوانيه أفسد الله برانيه.

○ **التعليق:**

نعم هذا تنبيه فى بداية حديثه عن التقوى بين أن من صفات أولى النهى والألباب لزوم تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإصلاح السريرة أى القلب بتقوى الله والخشية والخوف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأن من صلح جوانيه أصلح الله برانيه لأن من أصلح جوانيه أى داخله وسره وباطنه أصلح الله ظاهره فالبرانى هو الظاهر والجوانى هو الداخل ومن صلح جوانيه أى باطنه أصلح الله برانيه أى باطنه ومن فسد جوانيه أى باطنه أفسد الله برانيه وهذا بمعنى الحديث الذى تقدمت الإشارة إليه آنفًا «إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» روى ابن المبارك فى كتابه الزهد عن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال «إن لكل امرئ جوانيًا وبرانيًا فمن يصلح جوانيه يصلح الله برانيه ومن يفسد جوانيه يفسد الله برانيه».

❧ ◈ ☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا للناظرين قريب...

❍ **التعليق:**

هذه الأبيات الثلاث تنسب لأبى نواس وتنسب أيضًا فى بعض المصادر لغيره

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

أى تذكر فى خلوتك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطلع عليك وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تخفى عليه خافيه فتذكر إذا حدثتك نفسك يومًا أنك فى خلوة وأنه لا يراك أحد فقل بل على رقيب أى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطلع عليك.

ولا تحسبن الله يغفل ساعة وما الله بغافل فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يغفل ساعة بل هو مطلع يرى العباد جميعهم وأعمالهم كلها.

ولا أن ما يخفى عليه يغيب أى ما يحاول الإنسان أن يخفيه ويستخفى به فلا يغيب عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بل هو مطلع عليه ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء قال تعالى ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠] فالأمر سواء عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالأمور التى يستخفى الإنسان بها ويحاول أن يوقعها بالليل أو فى الظلمة أو فى الأماكن الخفية فهذه الأمور لا تخفى على الله وإن بحث الإنسان عن أوقات مظلمة أو أماكن خفية أو غير ذلك فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم الغيب والشهادة والسر والعلانية.

ألــم تــر أن اليــوم أســرع ذاهــب وأن غـــدا للنـــاظرين قريـــب

وهذا فيه تذكير للعبد بالإستعداد للقاء الله وأن يوم الغد قريب وكل آت قريب فعلى العبد أن يتذكر قيامه ووقوفه بين يديه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ومجازاة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له بأعماله فيقول له الدنيا ماضية ولقاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قريب فعلى العبد أن يتقى الله جَلَّوَعَلَا وأن يتجنب كل أمر يسخط الله.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدى حدثنا شعبة بن هبيرة حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة.

التعليق:

وذلك لأن طاعة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هى التجارة الرابحة وهى مهيأة للعبد فى كل وقت فعادة التجارات تحتاج إلى رأس مال وبضائع وحمل لها فى الأسواق إلى غير ذلك أما طاعة الله مهيأة لك فى كل وقت وهى تجارة رابحة ولا بد قال تعالى ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [الصف: ١٠] وتأتيك الأرباح تلو الأرباح فى الدنيا والآخرة من غير بضاعة.

❧◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم قطب الطاعات للمرء في الدنيا هو إصلاح السرائر وترك إفساد ضمائر

التعليق:

قطب الشيء هو ما عليه مداره مثل القطب للرحى فمدار الطاعات على إصلاح السرائر بمعنى أن القلب إذا أصلح صلحت الجوارح بالطاعات واستقامت بفعل العبادات فقطب الطاعات للمرء فى الدنيا هو إصلاح السرائر وترك إفساد الضمائر فإذا صلحت السرائر وسلمت من الفساد فإن الجوارح كلها تتبع القلب صلاحًا واستقامًا.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والواجب على العاقل الإهتمام بإصلاح سريرته والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره وحركته وسكونه لأن تكدر الأوقات وتنغص اللذات لا يكون إلا عند فساده، ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدى العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفية سريرته خيرا كان أو شرا لكان الواجب عليه قلة الإغضاء عن تعاهدها.

❍ **التعليق:**

قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الواجب على العاقل الإهتمام بإصلاح سريرته وقوله

[والقيام بحراسة قلبه] جملة مهمة جدًا فالقلب فعلًا يحتاج إلى حراسة من أجل أن يكون العبد مراعيًا لصيانته رعاية مستمرة لماذا؟ لأن القلب تهجم عليه واردات والواردات التى تهجم على القلب فى الغالب من جهة السمع والبصر وهذه الأمور تحدث فى القلب تغيرات فعلى العبد أن يقوم بحراسة القلب حتى يبقى نظيفًا لا تدخله شهوات تلوثه أو شبهات تفسده فيحرص على نقاء قلبه ونظافته ويسأل الله ذلك دائمًا [اللهم آت نفوسنا تقواها زكها أنت خير من زكاها] والأمور التى تدخل على القلب دواخل السوء يحرص العبد على الإبتعاد عنها حتى يسلم له قلبه أما أن يطلق لبصره وسمعه العنان فيسمع ما شاء وينظر إلى ما شاء وفى الوقت نفسه يريد أن يبقى القلب سالمًا فهيهات أن يكون.

ألقاه فى اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

فلا بد أن يصاب فيحتاج القلب إلى حراسه وصيانة من هذه الأمور والواردات التى تؤثر عليه فسادًا إما بشبهة أو شهوة [لأن تكر الأوقات وتنغص اللذات لا يكون إلا عند فساده] وهذه من العقوبات التى تكون للعبد فى الحياة الدنيا عندما يفسد القلب ولو لم يكن إصلاح السرائر سبب يؤدى العاقل إلى استعماله إلا

إظهار الله عليه كيفية سريرته كان خيرًا أو شرًا لكان الواجب عليه قلة الإعضاء عن تعاهده يعنى يقول لولم يكن فى هذا الباب إلا أن يذكر العبد أن هذه السريرة دومًا رب العالمين مطلع عليها عالم بكيفيتها خيرًا كانت أو شرًا لكان هذا الأمر كافيًا بأن يعمل العبد على المعالجة الدائمة المستمرة للسريرة.

❧◈☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش

يلبس الله في العلانية العبد ... الذي كان يخفى في السريره
حسنا كان أو قبيحا سيبدى ... كل ما كان ثم من كل سيرة
فاستح لله أن ترائى للناس ... فإن الرياء بئس الذخيرة

❍ **التعليق:**

قول عبد العزيز بن سليمان الأبرش

يلبس الله في العلانية العبد ... الذي كان يخفى في السريره

مثل قول

مهما يكن فى امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

أى يكشفها الله فيلبس الله فى العلانية العبد الذى كان يخفيه فى السريرة أى ما أخفى الإنسان من خصال واستخفى بها الناس سيلبسه الله علانية ويهتك ستره .. حسنًا كان أو قبيحًا سيبدى.. كل ما كان ثم من كل سيرة..

سيبدى كل ما فى الإنسان من سيرة سواء

كانت سيئة أو حسنة سيبدى حتى وإن كان يستخفى بها فأعمال الخير يستخفى بها كثير من الناس من صدقات من نفقات ثم تظهر وصاحبها لا يريدها أن تظهر وبعضها لا تظهر إلا بعد موته فكثير من الناس تظهر محاسن أعمالهم بعد موتهم فتظهر سيرتهم العطرة وأخبارهم العظيمة فالأعمال الحسنة يظهرها الله

له عزوجل نشرًا لذكره فى العالمين ودعاء له بالحسنى الخير وأيضًا تلك

الأمور التى يستخفى بها صاحب السوء يهتك الله فيها ستره [..**فاستح لله أن ترائى للناس .. فإن الرياء بئس الذخيرة.**]

فاحذر أن ترائى للناس فالرياء بئس الذخيرة التى تكون للعبد لكن أعمالك أخفيها واجعلها بينك وبين الله عزوجل وتفوز بهذه الأعمال الصحة وتكون سعادة لك فى الدنيا والآخرة.

❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن عطاء بن أبى رباح عن أبيه قال قال كعب والذي فلق البحر لبنى إسرائيل إنى لأجد في التوراة مكتوبا يا بن آدم اتق ربك وصل رحمك وبر والديك يمد لك في عمرك وييسرلك يسرك ويصرف عنك عسرك.

التعليق:

قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ﴾ [الطلاق: ٤]

وقال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥ ﴾ [الطلاق: ٥] فتقوى الله عزوجل فيها تيسير الأمور وجلب البركات والأرزاق فى الدنيا والآخرة وغفران الذنوب ورفعة الدرجات وعظم الأجور فمن اتق الله ووصل رحمه وبر والديه كان ذلك سببا للبركة فى عمره فيبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره كما جاء فى الحديث فهذا المعنى [يمد لك فى عمرك وييسر لك فى يسرك ويصرف عنك عسرك] جاء ما يدل عليه فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا خير من اخبار بنى إسرائيل أما المعنى فهو صحيح وتشهد نصوص الكتاب والسنة لمعناه.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن على الشقيقي حدثنا أبى حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار قال إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما يخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن وإن قلوب الأبرار تغلى بأعمال البر وإن قلوب الفجار تغلى بأعمال الفجور والله يرى همومكم فانظروا ما همومكم رحمكم الله.

○ **التعليق:**

إن القلب إذ لم يكن فيه حزن خرب وشبه لذلك بالبيت الذى لم يكن فيه سكان فعمارة البيت بوجود سكانه ومراد المصنف بالحزن هنا والله أعلم هو الألم على ما يقع فيه العبد من المعصية والندم والتقصير والتفريط فى جنب الله ولفظة الحزن كما نبه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما فى مدارج السالكين أن كلمة [حزن] لم تأت فى القرآن إلا فى موضع النهى والنفى أى النهى عن الحزن ونفيه والمراد بكلمة [حزن] فى هذا الأثر ألم قلبه وندمه والخوف من الله عند الوقوع فى الذنوب فإذ لم يكن القلب متصفًا بذلك يخرب وإذا كان فى القلب ألم وحزن على المعصية مباشرة ندم وتاب عن المعاصى والذنوب ويكون بذلك صلاح قلبه ثم قال

[وقلوب الأبرار تغلى بأعمال البر] أى تتحرك بأعمال البر فهو همها وكذلك الأعمال الصالحات فترى القلب ينشغل بها

[وإن قلوب الفجار تغلى بأعمال الفجور] أى تتفاعل أعمال الفجور والمعاصي والآثام فى داخله والعياذ بالله والله يرى كل هذه التفاعلات ويطلع عليها [فانظروا ما همومكم رحمكم الله] وتذكروا أن رب العالمين مطلع على هذه الهموم مما يستوجب العبد على أن يعمل على إصلاح همه وأن يجعل همه همًا واحدًا وهو الآخرة والفوز برضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادي :

وإذا أعلنـــت أمـــرا حســـنا فلـيكن أحســن منــه مــا تســر
فمســر الخيــر موســوم بـــه ومســر الشــر موســوم بشــر...

التعليق:

إذا أعلنت أى ذكرت أمرًا حسنًا أى عندك أعمال كثيرة تخفيها وتسرها وإذا أعلنت وأظهرت عملًا لمصلحة ما فليكن عندك من الأعمال الصالحة والطاعات ما تسرها وإذا خفى من أعمالك شيء فليكن من خفى من أعمالك أكثر من ذلك

فمسر الخير موسوم به ... ومسر الشر موسوم بشر ... أى أن الإنسان موسوم بما يخفيه من خير أو شر وإن كان قد استخفى به عن الناس إلا أن الله يظهره مثل ما مر معنا فيما تقدم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوى فيه الخير فيلقى الله في قلوب العباد حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا إلا الخير وإن الرجل ليتكلم بالكلام الخير لا ينوى فيه الخير فيلقى الله في قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا إلا الشر.

❍ **التعليق:**

هذه كلمة عظيمة جدًا للإمام إبراهيم بن يزيد النخعى رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوى فى الخير يعنى دعوة إلى الخير والفضائل ومن نيته فى داخله يريد الخير يريد للناس صلاحًا واستقامة ونجاة من غضب الله وسخطه وهذا معنى ما يقال إن الكلمة إذا خرجت من القلب وصلت إلى القلب لأن بعض الناس يتكلم بالكلمة الطيبة لكن لا يريد الخير يريد شهرة وسمعة وصيتًا أو غير ذلك من المقاصد فهذه لا تقع موقعها فى القلوب والكلمة التى تقع موقعها فى القلوب هى التى تنبع من القلب ويكون قلب صاحبها فعلًا يريد للناس الخير والنجاة والخلاص من الذنوب ويدعوا الله بينه وبين الله أن ينفع به وأن يخلص هؤلاء على يديه وأن ينجيهم من سخطه فيكون فى قلبه أمر عظيم جدًا تجاه هؤلاء الذين يلقى هذه الكلمة عليهم وفى قلبه رحمه للناس قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ثم يقول [إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوى فيه الخير فيلقى الله في قلوب العباد حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا إلا الخير] أراد فى أين؟ فى قلب ذلك المتكلم لا يطلعوا عليها لكن الله يلقى ذلك فى قلوب الناس أن هذا ما أراد بكلامه هذا إلا الخير فالسر الذى بينه وبين الله يوقعه الله فى قلوب الناس

[وإن الرجل ليتكلم بالكلام الخير لا ينوى فيه الخير فيلقى الله في قلوب الناس

حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا إلا الشر] أى يدعوا للإسلام ويرفع صوته ويخطب خطبة قوية وفى داخله يريد أن يقال فلان خطيب أو فلان كذا وهذا هو الذى يريده من صنيعه وليس خيرًا فهذا رياء و لا يقبل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من العمل ما كانت هذه صفته فقد يتكلم الرجل بكلام الخير لا ينوى فيه الخير [فيلقى الله في قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا إلا الشر] وعلى كل فهذه الكلمة تفيدنا من ناحية مهمة وهى أن من يوفقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للدعوة إلى الله وللخطابة ولتعليم الناس فيحرص فى سره بينه وبين الله جَلَّوَعَلَا على نفع إخوانه وهدايتهم أذكر أحد الأشخاص المعاصرين له نشاط فى الدعوة لغير المسلمين الفردية ويسلم على يديه يوميًا إثنان أو ثلاثة على حسب جهده يقول لى ذلك الرجل من فضل الله على أقوم ثلث الليل وأصلى لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ما كتب من صلاة وأمد يدى إلى الله ومما ادعوا الله به يارب أخرج من عبادك ما شئت على يدي من النار يارب أنقذ على يدى من النار يارب يارب فيقول ما يردنى ربى إذا أصبحت يعطينى اثنان أو ثلاثة أو أربعة ما يردنى هذه عبارة الشخص لى فهذا الصدق الذى يكون من العبد فى دعوته وفى باطنه وسره ورغبته فى صلاح الآخرين هو الذى يوقع الكلمة موقعها ولهذا قليل من العمل بالإخلاص والصدق مع الله والحرص على نفع الناس فيبارك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيه وينفع به نفعًا عظيمًا والأمر بيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا شريك له نعم.

<>◊<>

○ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

حدثنا عمر بن محمد الهمدانى قال حدثنا القطوانى قال حدثنا بن سيار قال: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال سمعت الحسن يقول إنكم وقوف ها هنا تنتظرون آجالكم وعند الموت تلقون الخبر فخذوا مما عندكم لما بعدكم.

○ **التعليق:**

هذه وصية الحسن البصرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول إنكم وقوف ها هنا أى فى الدنيا تنتظرون آجالكم كل واحد منكم ينتظر أجله وعند الموت تلقون الخبر أى خبر ما قدمتم فى الحياة الدنيا فخذوا مما عندكم أى فى الدنيا لما بعدكم أى فى الآخرة قال تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧] نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم الواجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لما بعده من التقوى والعمل الصالح بإصلاح السريرة ونفى الفساد عن خلل الطاعات عند إجابة القلب وإبائه فإذا كان صحة السبيل في إقباله موجودا أنفذه بأعضائه وإن كان عدم وجوده موجودا كبحه عنها لأن بصفاء القلب تصفو الأعضاء.

وأنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

وإن امرأ لم يصف لله قلبه لفى وحشة من كل نظرة ناظر
وإن امرأ لم يرتحل ببضاعة إلى داره الأخرى فليس بتاجر
وإن امرأ ابتاع دنيا بدينه لمنقلب منها بصفقة خاسر...

التعليق:

قال الواجب على العاقل أن يأخذ ما عنده أى فى الدنيا لما بعده أى فى الآخرة من التقوى لأن تقوى الله هى خير زاد تصل بالعبد إلى رضوان الله وكذلك العمل الصالح بإصلاح السريرة ونفى الفساد عن خلل الطاعات عند إجابة القلب وإبائه أى أن القلب له إقبال وإدبار له إقدام وإحجام فإن كان صحة السبيل فى إقباله موجودًا أنفذه بأعضائه وإن كان عدم وجوده موجودًا كبحه عنها لأن بصفاء القلب تصفوا ألأعضاء ثم ذكر هذا الأبيات

وإن امرأ لم يصف لله قلبه لفى وحشة من كل نظرة ناظر

أى يلق الله فى قلبه وحشة من كل نظرة ناظرإليه

وإن امرأ لم يرتحل ببضاعة إلى داره الأخرى فليس بتاجر

أى لم يرتحل ببضاعة من هذه الحياة الدنيا إلى الدار ألآخرة فليس بتاجر حتى وإن كان فى الدنيا من أصحاب الأموال الطائلة فليس بتاجر فالتاجر حقًا هو الذى

يرتحل من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة ببضاعة الطاعات وأنواع القربات إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإن امرأ ابتاع دنيا بدينه   لمنقلب منها بصفقة خاسر

أى من باع دنياه بأخراه فإنه ينقلب من هذه الدنيا وصفقته خاسرة

نعم.

۞

○ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفى ببغداد حدثنا أبو نصر التمار حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فأمره سيده أن يذبح شاة فذبح شاة فقال أئتنى بأطيب مضغتين في الشاة فأتاه باللسان والقلب ثم مكث أياما فقال اذبح شاة فذبح شاة فقال ائتنى بأخبث مضغتين في الشاة فألقى إليه اللسان والقلب فقال له سيده قلت لك حين ذبحت ائتنى بأطيب مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة أئتنى بأخبث مضغتين في الشاة فألقيت اللسان والقلب فقال إنه لا أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا.

○ التعليق:

هذا الخبر يرويه خالد الربعى قال كان لقمان وما بين خالد هذا ولقمان مسافات ومفاوز فالله أعلم بصحة هذا وثبوته عن لقمان لكن من حيث المعنى فالقلب واللسان لا أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا وذلك لأن تأثير القلب واللسان على الجوارح تأثيرًا عظيمًا بل الجوارح أيضًا تبع للقلوب وتبع للسان أما تبعيتها للقلب ففى الحديث الذى مر «إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» وأما تبعيتها للسان

أيضًا ففى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال «إذا أصبح ابن أدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا» ولهذا يقال: «**إن المرء بأصغريه**» **ما معناها؟**

الجواب: أصغريه أى لسانه وقلبه فالمرء بأصغريه بلسانه وقلبه لا بجسمه ورجليه وقدميه ويديه وبنيته فإن صلح اللسان والقلب صلح الإنسان وإن فسد اللسان والقلب فسد الإنسان ولهذا يحتاج العبد إلى عناية دقيقة بقلبه ولسانه وفى الدعاء المأثور يقول نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللهم إنى أسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا» فالمرء بهذين العضوين القلب واللسان إن صلحا صلحت الأعضاء كلها وإن فسدا فسدت الأعضاء كلها نعم.

๑ ♦ ๑

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني منصور بن محمد الكريزى :

ومـــا المـــرء إلا قلبـــه ولســـانه إذا حصـــلت أخبـــاره ومداخلـــه
إذا مـا رداء المـرء لـم يـك طـاهرا فهيهـات أن ينقيـه بالمـاء غاسـله
ومـا كـل مـن تخشـى ينالـك شـره ومـا كـل مـا أملتـه أنـت نائلـه...

التعليق:

هذا كلام صحيح وعظيم فى هذه الأبيات

وما المرء إلا قلبه ولسانه إذا حصلت أخباره ومداخله

أى ليس المرء باليدين والرجلين وغيرها من الأعضاء المرء بالقلب واللسان بمعنى أن القلب واللسان إذا استقاما استقامت هذه الأعضاء وإن فسدا فسدت جميع الأعضاء لأن جميع الأعضاء مع اللسان منزلتها التبعية أى تابعة للقلب صلاحًا وفسادًا إذا حصلت أخباره ومداخله

أى جمعت سيرته وأخباره ومداخله فالمرء يعتبر بقلبه ولسانه

إذا ما رداء المرء لم يك طاهرا فهيهات أن ينقيه بالماء غاسله

أى إذ لم يكن للقلب نقاء وذكاء وصلاح فالأمور والمظاهر الأخرى لا تفيد العبد ولا تنفعه وإن ما ينفع العبد نقاء قلبه ولسانه

وما كل من تخشى ينالك شره وما كل ما أملته أنت نائله

فليس كل ما تخشاه من الناس أو تخشى أن يؤذيك أو نحو ذلك ينالك شرًا منه وكذلك أيضًا ما كل ما أملته أنت نائله ما كل ما تؤمل من خيرات ومطامع أنت

نائلها فلن يصيبك إلا ما كتب الله لك ولن تنال إلا ما كتبه الله لك واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك بشيء إلا كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك قال تعالى ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٣٨] أى الله هو الكافى سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أى بيده العطاء والمنع والخطب والرفع والقبض والبسط والعز والذل نعم.

೫◊ଓ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أحمد بن عيسى بن السكين بواسط حدثنا عبد الحميد بن محمد بن مستام حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان المؤذن قال دخلت على عمر ابن عبد العزيز فسمعته يقول لا يتقى الله عبد حتى يجد طعم الذل.

❍ **التعليق:**

[واسط] بلدة بناها الحجاج بين البصرة والكوفة ولهذا تسمى [واسطٍ] وسبق التنبيه إلى أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى الكتاب له عناية بتسمية البلدان لأشياخه الذين يروى عنهم.

لا يتق الله عبد أى لا يبلغ عبد حقيقة التقوى حتى يجد طعم الذل أى الذل والإنكسار بين يدى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم العاقل يفتش قلبه في ورود الأوقات ويكبح نفسه عن جميع المزجورات ويأخذها بالقيام في أنواع المأمورات ولزوم الأنتباه عند ورود الفترة في الحالات ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائما حتى يوجد منه صحة التثبت في الأفعال.

○ **التعليق:**

هذا كلام جميل وهو نوع من أنواع المحاسبة للقلب وأن الإنسان يفتش قلبه فى ورود الأوقات بين وقت وآخر كل ما ورد عليه وقت يحاسب نفسه ويفتش عن قلبه وعلى إثر هذا التفتيش والنظر يكبح نفسه عن جميع المزجورات أى يمنعها ويأخذها بالقيام فى أنواع المأمورات ولزوم الإنتباه عند ورود الفترة فى الحالات والإنسان له فترة مثل ما سيأتى التنبيه عليه فالنفس لها صرة وفترة فإذا جاءت الفترة فما الذى عليه؟ قال لزوم الإنتباه عند ورود الفترة فى الحالات وإذا جاءت الفترة فأهم ما يكون الفرائض يمسكها وإذا جاء النشاط وزالت هذه الفترة عن القلب أو الإدبار عنه يقبل على ما تيسر له من النوافل والرغائب والمستحبات لكن فى الفترة ينتبه إنتباهًا عظيمًا ألا تضيع فرائض الإسلام وواجبات الدين لأن بعض الناس إذا أصابته فترة والعياذ بالله ترك فتجده يتخلى عن بعض الفرائض والصلوات ربما يرتكب أيضًا بعض المحرمات فيقول هذا امر لا بد من التنبه له عند الفترة ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائمًا به حتى يوجد منه صحة التثبت فى الأفعال هذه المعانى التى أشرنا إليها يقول لا يجدها القلب من نفسه إلا إذا كان عنده صحة التثبت فى الأفعال نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني على بن محمد البسامي :

وإذا بحثت عن التقى وجدته رجلا يصدق قوله بفعال
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فيداه بين مكارم ومعال
وعلى التقى اذا تراسخ في التقى تاجان تاج سكينة وجمال
وإذا تناسبت الرجال فما أرى نسبا يكون كصالح الأعمال

❍ **التعليق:**

هذه الأبيات فى بيان مكانة التقوى وأن الرجل التقى حقيقة هو من تصدق أفعاله أقواله وهذا معنى قول [يصدق قوله بفعال] فيقول ويفعل ليس كحال من قال الله عنهم ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] يصدق قوله بفعال:

وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فيداه بين مكارم ومعال

أى أن تقواه تثمر المكارم والمعالى والتسابق إلى الخيرات

وعلى التقى اذا تراسخ في التقى تاجان تاج سكينة وجمال
وإذا تناسبت الرجال فما أرى نسبا يكون كصالح الأعمال

أى كل يذكر أثره لنفسه أو مقامًا أو نحو ذلك إذا تناسبت الرجال والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٢] ﴿ ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢] أى بالأعمال الصالحة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا القطان بالرقة حدثنا عبد الله بن رومى البزاز عن أبيه قال قلما دخلت على إسحاق بن أبى ربعى الرافقى إلا وهو يتمثل بهذا البيت

خيـر مـن المـال والأيـام مقبلـة جيـب نقـى مـن الآثـام والـدنس

التعليق:

هذا البيت يتمثل به اسحاق بن أبى ربعى الرافقى كثيرًا وهو

خير من المال والأيام مقبلة جيب نقى من الآثام والدنس

ومعلوم أن الذى يجمع المال يحسب حساب الأيام المقبلة ومعتبر عنده إقبال الأيام وماذا سيكون له فى مستقبل أيامه من ألأموال فيقول [جيب نقى] والجيب موضع مدخل الرأس من الثوب والمراد بالجيب صاحبه [من الآثام والدنس] أى يكون جيب الإنسان نقى من الآثام والدنس بعيدًا عن المعاصى والذنوب وهذا خير للإنسان من الأموال نعم.

*****

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن عبدالله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أخبرنا الربيع عن الحسن قال أفضل العمل الورع والتفكر.

التعليق:

هذه كلمة للحسن البصرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال أفضل العمل الورع والتفكر والورع هو ترك ما يضرك فى الآخرة والتفكر أى التفكر فى آيات الله جَلَّ وَعَلَا تفكرًا يحيى القلوب ويقبل بها على طاعة الله ويكون له فيها الإعتبار والإتعاظ فالتفكر نافع وعظيم ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فى ذكر صفات أولى الألباب ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] نعم.

ﮎ ◊ ﮎ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ويمضى لسانه بلزوم التقوى لأن ذلك أول شعب العقل وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل على ما نذكرها في كتابنا هذا إن الله قضى ذلك وشاءه كأن قلبه شرح بسكاكين التقية ثم ملح بملح الخشيه ثم جفف برياح العظمة ثم أحيى بماء القربه فلا يوجد فيه إلا ما يرضى المولى جَلَّ وَعَلَا **ولا يبالى المرء إذا كان بهذا النعت أن يتضع عند الناس ومحال أن يكون ذلك أبدا.**

التعليق:

يقول إن قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل بلزوم الأوصاف التى أشار إليها وعددها فى هذا الكتاب كان قلبه شرح بسكاكين التقية بضم التاء أو التقية بتشديد التاء مع فتحها والمراد التقوى الذى هو الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم ملح بملح الخشية ثم جفف برياح العظمة ثم أحى بماء القربة أى التقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يوجد فيه إلا ما يرضى المولى جَلَّ وَعَلَا وهذا تفنن فى العبارة والمعنى بمعنى أن قلب العاقل هو الذى يعمر بالتقوى وخشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعظيمه جَلَّ وَعَلَا ومجاهدة النفس على التقرب إليه بفعل ما يرضيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت أحمد بن موسى المكى بواسط يقول وجد ت على خف عطاء السليمي مكتوبا وكان حائكا:

إلا إنمـا التقـوى هـى العـز والكـرم   وفخـرك بالـدنيا هـو الـذل والعـدم
ولـيس علـى عبـد تقـى نقيصـه   إذا صـحح التقـوى وإن حـاك أو

❍ **التعليق:**

هذان بيتان جميلان فى مكانة التقوى لكن مستغرب هنا قوله [وجدت على خف عطاء السليمى مكتوبًا] والخف ليس مكانًا لكتابة المعانى الجميلة ووجدت البيت فى بعض المصادر ينسٍب لأبى العتاهية فذكر الخف هنا كونه مكتوب عليه هذا الكلام أمر مستغرب قال:

ألا إنما التقوى هى العز والكرم   وفخرك بالدنيا هو الذل والعدم

وليس على عبد تقى نقيصه. إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

يعنى حتى وإن كان يعمل حائكًا أو خياطًا أو بزازًا أو حجامًا مادام متقيًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] نعم.

ﮧ ◈ ﮨ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن زنجويه القشيرى قال حدثنا عمرو بن على قال حدثنا طريف بن سعيد قال حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن علي بن حسين قال إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء دنا الرحيل فأعد زادا ٠

○ **التعليق:**

قال عن محمد بن على بن حسين قال إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء دنا الرحيل فأعد زادا والمعنى واضح لكن يحتاج إلى دليل كما قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [كل يستدل لقوله لا به إلا الله ورسوله] فالكلام مرسل ويحتاج إلى دليل فى سنة النبى الكريم ﷺ ودنوا الرحيل هذا أمر ينبه عليه من بلغ الأربعين أو لم يبلغها والإنسان إذا أمسى لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء صغيرًا كان أو كبيرًا نعم.

❀◇❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا انتسب الناس كان التقى ... بتقواه أفضل من ينتسب
ومن يتقى الله يكسب به ... من الحظ أفضل ما يكتسب
ومن يتخذ سببا للنجاة ... فإن تقى الله خير السبب

○ **التعليق:**

هذه أبيات فى فضل التقوى فى فضل مكانتها ومر معنا قريبًا نحو معناها نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعانى لابن عكراش :

ومهما يسر المرء يبد لربه وما ينسه الإنسان لا ينسى كاتبه
ومن كان غلابا بجهد ونجدة فذو الحظ في أمر المعيشة غالبه

❍ **التعليق:**

ومهما يسر المرء يبد لربه وما ينسه الإنسان لا ينسى كاتبه

اى مهما يكتم الإنسان فالله يعلم ومطلع عليه مهما أخفى الإنسان من أعماله وحاول أ، يخفيها فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مطلع لا تخفى عليه خافية ومهما ينسه الإنسان لا ينسى كاتبه أحصاه الله ونسوه فما ينساه الإنسان أحصاه الله عليه ومكتوب وسيجده فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

ومن كان غلابا بجهد ونجدة أى دومًا هذا شأنه

فذو الحظ في أمر المعيشة غالبه ذو الحظ أى ذو النصيب فى المعيشة غالب أحيانًا يكون بعض الناس له نشاط عظيم جدًا لكن لا يحصل شيئًا ما كتبه الله عزوجل له وبعض الناس يكون تحصيله دون ذلك بمراحل فيحصل شيئًا ما حصله ذاك الذى تعب تعبًا أضعافًا لتعب هذا الرجل فالإنسان ليس له فى الدنيا إلا ما قسم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني أبو بدر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك بحران :

يـا نفـس مـا هـو إلا صـبر أيـام　　　كـأن لـذاتها أضـغاث أحـلام

يـا نفس جـوزي عـن الـدنيا مبـادرة　　　وخـل عنهـا فـإن العـيش قـدامى...

❍ **التعليق:**

معنى [جوزى] أى كفى [قدامى] أى فى الآخرة

نعم.

٭ ◈ ٭

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصارى أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله أخبرنا سفيان عن معن قال قال عبد الله إن لهذه القلوب شهوة وإقبالا وإن لها فترة وإدبارا فخذوها عند شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها.

قال أبو حاتم الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود السبب الذي يورث القساوة له عليه لأن بصلاح الملك تصلح الجنود وبفساده تفسد الجنود فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنب أقربهما من هواه وتوخى أبعدهما عن الردى.

التعليق:

هذا أثر أورده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن سفيان عن معن هو ابن عبد لرحمن قال قال عبدالله وهو ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إن لهذه القلوب شهوة وإقبالًا هكذا بين يدينا لكن يظهر لى والله أعلم لكن الأمر يحتاج إلى مراجع مصادر التخريج [إن لهذه القلوب شرة وإقبالًا] مثل ما جاء فى الحديث الصحيح «لكل عمل شرة ولكل شرة فترة» والشرة هى النشاط بمعنى الإقبال والقلوب لها شرة وإقبالًا فمرة تقبل ومرة تدبر فخذوها عند شرتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها والمراد ب [دعوها] أى لا تلزموها بالرغائب والمستحبات أما الفرائض فماذا؟ لا بد من الاستمساك بها مثل ما جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال «إن لهذه القلوب إقبالًا وإدبارًا فإذا أقبلت القلوب فخذوها بالنوافل وإذا أدبرت فألزموها الفرائض» فالفرائض لا نفرط فيها ما فيها إقبال ولا إدبار أما النوافل إن قام بها العبد أثيب وإن لم يقم بها لم يعاقب أما الفرائض لا إذا تركها يعاقب ولهذا يحتاج العبد حتى وإن أدبرت نفسه أن يمسك فرائض الإسلام وأن يتجنب المحرمات لا يقول نفسى أدبرت حصل لى فتور ثم يترك الصلاة والواجبات أو يرتكب بعض المحرمات

ليس له أن يرتكب ذلك حتى فى فتور النفس يجب أن يذم نفسه بفعل الفرائض وترك المحرمات ثم قال أبو حاتم الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود السبب الذي يورث القساوة له عليه إذا جاء إدبار للقلب وحصل فى القلب شىء من القسوة فعلى العبد أن يفتش من أين جاءت هذه ويغلق المنافذ التى أدخلت على قلبه هذا الفتور أو أدخلت عليه هذه القسوة أحيانًا بعض الناس يكون فى نشاط وفى إقبال على الطاعة والعبادة وطلب العلم وكذا ثم يجد فتورًا ويفتش من أين جاء هذا الفتور كنت نشيطًا وجادًا ومقبلًا فيفتش يقول مثلًا سبحان الله منذ أن بدأت انظر إلى الإنترنت حصل لى هذا إذا هذا هو المنفذ وقبل ذلك ما كان أو منذ بدأت أمشى مع فلان فترت فينظر والإنسان يفتش من أين دخلت عليه هذه الدواخل ويغلق النوافذ التى تدخل عليه هذا الفتور والقسوة والإعراض لأن بصلاح الملك تصلح الجنود والملك هو القلب مثل ما قال أبو هريرة ﵁ «القلب ملك البدن فإذا صلح صلح البدن وإذا فسد فسد البدن» لأن بصلاح الملك تصلح الجنود وبفساده تفسد الجنود مع أن مقام القلب فى هذا الباب أعظم من هذا المثال ولهذا أذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية لما ذكر أثر أبو هريرة ﵁ وذكر حديث النبى ﷺ «ألا إن فى الجسد مضغة.........» قال وكلام النبى ﷺ أتم أو نحو هذا قال لأن الملك قد يطيب ويخيب بعض الجند والملك أيضًا قد يفسد ويصلح بعض الجند أما القلب إذا صلح فلا بد أن تصلح الجوارح كلها والقلب إذا فسد أيضًا تبعته الجوارح لأن الجوارح لا تتخلف عن مرادات القلوب ثم **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنب أقربهما من هواه وتوخى أبعدهما عن الردى أي إذا وجد قلبه مهتم بخصلتين أيهما يفعل فليحرص على تجنب الأقرب لهواه وليتوخى الأبعد عن الردى والهلاك نعم.

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول

وإذا تشـــاجر في فـــؤادك مـــرة　　أمـــران فاعمـــد للأعـــف ألأجمـــل
وإذا هممـــت بـــأمر ســـوء فتئـــد　　وإذا هممـــت بـــأمر خيـــر فافعـــل

❍ التعليق:

هذه نصيحة جميلة يقول:

وإذا تشاجر في فؤادك مرة　　أمران فاعمد للأعف ألأجمل

أى انظر للأعف والأطيب والأجمل والأقرب إلى مرضات الله والأبعد عن هوى النفس.

وإذا هممت بأمر سوء فتئد أى لا تستعجل مثل ما مر معنا فسوف إذا هممت بأمر سوء فسوف أجل لا تستعجل ولا تسارع ولا تبادر

وإذا هممت بأمر خير فافعل أى بادر عليه فأمور الخير بادر عليها وأمر الشر أجلها وسوف فيها واعمل الطرائق المناسبة التى تبعد نفسك عن الوقوع فيها نعم.

❀◊❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزرة السامى عن مسعر بن كدام عن عون بن عبد الله قال قال عمر بن الخطاب جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة ٠

❍ **التعليق:**

التوابين أى كثيرى التوبة والإنابة إلى الله جَلَّ وَعَلَا والخشية والخوف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا رقيق الفؤاد ولا شك أن له تأثير على من يجالسه لأن الصاحب ساحب كما يقال ومؤثر فى جليسه ولا بد وقد قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» نعم.

๑◊๑

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن جبله حدثنا محمد بن مروان حدثنا عطاء الأزرق قال قال رجل للحسن يا أبا سعيد كيف أنت وكيف حالك قال كيف حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت ولا يدري ما يصنع به.

التعليق:

كيف أنت وكيف حالك وهذا التنويع فى السؤال عن الحال موجود إلى الآن وأحيانًا يكون التنويع بخمس جمل وكلها مترادفة كيف الحال ايش الأخبار كيف أنت فتتنوع العبارات ويكون السائد عليها فى الغالب الرغبة فى السؤال والاطمئنان عن حال من يحب ولهذا ينوع فى سؤاله اطمئنانًا على حال من يسأله وهذا كلمات معبرة على ما فى قلبه من رغبة وحرص على المعرفة بحال من يسأله قال كيف أنت وحالك قال أبو سعيد كيف حال من أصبح وأمسي ينتظر الموت ولا يدرى ما يصنع به وسبحان الله مثل ما قال هو نفسه الحسن البصرى «المؤمن جمع بين إحسان ومخافة والمنافق جمع بين إساءة وأمن» فالمؤمن يحسن فى الطاعات والأعمال وفى الوقت نفسه خائف لا يدرى ما يفعل به فهذا حال المؤمن يحسن وهو خائف قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وجلة أى خائفة يقدمون ما يقدمون من طاعات وعبادات وأعمال صالحات وهم خائفون أى من أن ترد عليهم أعمالهم ولا تقبل منهم نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني منصور بن محمد الكريزى :

تتخيــر قرينــا مــن فعالــك إنمــا ... قـرين الفتـى في القبـر مـا كـان يفعـل
فإن كنت مشـغولا بشـيء فـلا تكـن ... بغيـر الـذي يرضـى بـه الله تشـغل
فـلا بـد بعـد القبـر مـن أن تعـده ... ليـوم ينـادى المـرء فيـه فيسـأل
فلن يصحب الإنسان من قبل موته ... ولا بعــده إلا الــذي كــان يعمــل
ألا إنمــا الإنســان ضــيف لأهلــه ... يقـيم قلـيلا بيـنهم ثـم يرحـل...

○ **التعليق:**

هذه موعظة مؤثرة عظيمة يبين فيها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن خير قرين للإنسان العمل وهذا القرين هو الذى يكون مع الإنسان فى قبره أما أهله وماله فلا كما قال النبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله» فالعمل هو قرين الإنسان فى القبر سواء كان العمل صالحًا أو فاسدًا

فيقول **تتخير قرينا من فعالك إنما** والمراد بالتخير هنا أى من الأعمال تخير الأعمال الصالحة والطاعات الزاكية التى يسرك أن تراها معك فى قبرك قرينة لك

قرين الفتى في القبر ما كان يفعل فلا يكون لك قرين فى القبر إلا أعمالك صالحة كانت أو سيئة

فإن كنت مشـغولا بشـيء فـلا تكـن ... بغيـر الـذي يرضـى بـه الله تشـغل

فلا تشغل نفسك إلا بالشيء الذى يرضى به الله فهذا نعم القرين لك فى قبرك

فلا بد بعد القبر من أن تعده ... ليوم ينادى المرء فيه فيسأل

أعد هذه الأعمال بعد القبر فهى تفيدك فتكون قرينة ومؤنسة لك فى قبرك وعدة لك بعد القبر عندما يسألك الله

فلن يصحب الإنسان من قبل موته ... ولا بعده إلا الذي كان يعمل

فهو الصاحب الذى ينفع الإنسان فى حياته وبعد موته

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا بينهم ثم يرحل

نعم.

℘◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا على بن سعيد العسكرى حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا إسماعيل بن زياد قال قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عبادان في بعض قدماته فأتيناه نسلم عليه فقال لنا صفوا للمنعم قلوبكم يكفكم المؤن عند همكم ثم قال لو خدمت مخلوقا فأطلت خدمته ألم يكن يرعى لخدمتك حرمة فكيف بمن ينعم عليك وأنت مسيء الى نفسك تتقلب في نعمه وتتعرض لغضبه هيهات هيهات هذه همة البطالين ليس لهذا خلقتم ولا بهذا أمرتم الكيس الكيس رحمكم الله وكان يفطر على ماء البحر.

التعليق:

[قدماته] أى بعض مرات مجيئه إلينا [صفوا للمنعم قلوبكم] أى الله الذى أنعم عليكم بأنواع النعم صفوا له قلوبكم أى لتكن قلوبكم نقية [يكفكم المؤن عند همكم] مثل ما جاء فى الحديث «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة» «احفظ الله يحفظك» فهذه وصية نقلها عبدالعزيز بن سليمان قال صفوا للمنعم قلوبكم يكفكم المؤن عند همكم مثل ما قال تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] **ثم قال لو خدمت مخلوقا فأطلت خدمته ألم يكن يرعى لخدمتك حرمة فكيف بمن ينعم عليك وأنت مسيء الى نفسك تتقلب في نعمه وتتعرض لغضبه هيهات هيهات هذه همة البطالين ليست** ليست همة أهل التقى والصلاح **ليس لهذا خلقتم ولا بهذا أمرتم** ما خلقكم الله لمثل هذا الحال ولا بهذا أمركم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكيس الكيس أى الفطنة الفطنة النباهة النباهة خذوا الأمور بفطنة ونباهة وحرص على ما ينفعكم فى دنياكم وأخراكم الكيس الكيس رحمكم الله وقوله (وكان يفطر على ماء البحر) لا أدرى ما وجه ذلك والنبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يستعذب له الماء فكان يفطر على ماء البحر وهو مالح وملوحته شديدة لاتطاق فما أدرى وجه هذا الكلام نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم لن تضفو القلوب من وجود الدرن فيها حتى تكون الهمم في الله هما واحدا فإذا كان كذلك كفي الهم في الهموم إلا الهم الذي يؤول متعقبه الى رضا الباري جل وعز بلزوم تقوى الله في الخلوة والملاء إذ هى أفضل راد العقلاء في داريهم وأجل مطية الحكماء في حاليهم وأنشدني محمد بن حسن بن حبيب الواسطى :

عليك بتقوى الله في كل أمره ... تجد غبه يوم الحساب المطول
ألا إن تقوى الله خير مغبة ... وأفضل زاد الظاعن المترحل

قال أبو حاتم قد ذكرت هذا الباب بكماله بالعلل والحكايات في كتاب محجة المبتدئين بما أرجو الغنية للناظر إذا ماتأملها فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب وحسبنا الله ونعم الوكيل

❍ **التعليق:**

قال أبو حاتم لن تضفو القلوب من وجود الدرن فيها حتى تكون الهمم في الله **هما واحدا** مثل ما جاء فى الحديث «من كان همه الآخرة كفاه الله أمر دنياه وأتته الدنيا وهى راغمة» كما جاء عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (متعقبه) أى عاقبته إلى رضا البارى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (داريهم) أى الدنيا (غبه) أى أثره وثمرته يوم القيامة يوم الحساب

ألا إن تقوى الله خير مغبة ... وأفضل زاد الظاعن المترحل

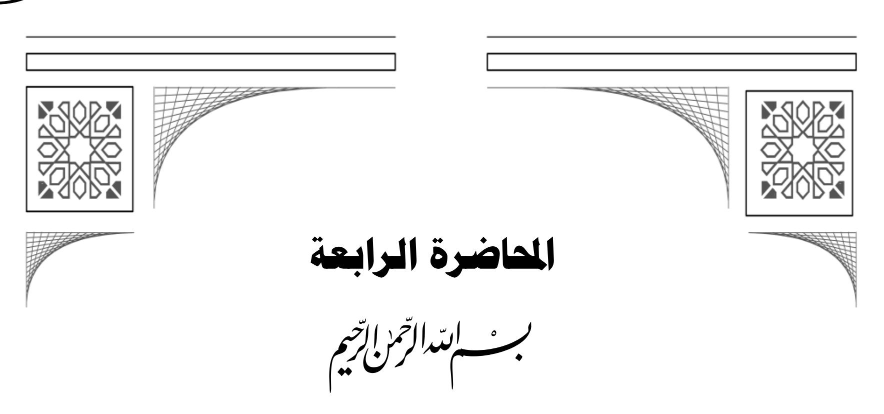
وهذا فيه قول الله تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧]

بعض الكتب المفقودة (للحافظ ابن حبان)

قال أبو حاتم قد ذكرت هذا الباب بكماله بالعلل والحكايات أى توسع كتاب محجة المبتدئين بما أرجو الغنية للناظر إذا ماتأملها فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب وحسبنا الله ونعم الوكيل وكتاب (محجة المبتدئين) مفقود وكتب كثيرة لهذا الإمام مفقودة ويحيل عليها وأذكر من إحالاته المشوقة عندما تكلم فى صحيحه (صحيح ابن حبان) عن شعب الإيمان بكلام نفيس جدًا وذكر جهدًا عظيمًا بذله وأخذ منه وقتًا طويلًا فى هذا الحديث وهو «الإيمان بضع وسبعون شعبه أعلاها قول لا إله إلا اله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» فذكر جهدًا عظيمًا بذله فى جمع شعب الإيمان وكيف أنه كان يقرأ القرآن آية آية فيستخرج هذه الشعب وكان ينظر فى كل طاعة وردت فى الكتاب قال فكان العدد أكثر من السبعين بكثير فأخذت أنظر فى القرآن مرة ثانية آية آية فاستخرج منها كل شعبة نص على أنه إيمان فكان العدد أقل من السبعين فاخذت أنظر فى السنن أتتبع الأحاديث حديثًا حديثًا استخرج كل حديث نص فيه على شعبة أنها من الإيمان فاجتمع لى عدد فجمعت ما بين ما اجتمع من الكتاب وما اجتمع من السنة وحذفت المكرر فكان عدة ذلك بضع وسبعين قال وأودعت ذلك كله فى كتابى (وصف الإيمان وشعبه) فأغنى عن ذكره هنا وهذا الكتاب الذى بذل فيه مجهودًا عظيما كبيرًا فى حديث واحد من أحاديثة مفقود وأحال إليه فى صحيحه حتى أن ابن حجر فى فتح البارى ذكر أنه لم يقف عليه فهو مفقود ليس فى هذا الوقت بل من وقت متقدم وكثير من كتبه فقدت فى وقت مبكر لأنه كان له مكتبة وأوقفها وفيها كتب نفيسة له وكتب جمعها لنفسه لأهل العلم واستنسخها وأودعها كلها فى مكتبته لكنه كان فى بلدة لم يكن فيها للكتب مكانة أو إهتمام فتلف أكثر هذه الكتب وفقدت وهى كتب ثمينة ونفيسة ومفيدة جمع فيها معانى عظيمة فالشاهد أن هذا الكتاب (حجة المبتدئين)

فيما أعرف من الكتب المفقودة هذا ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علمًا وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

۞



المحاضرة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر الحث على لزوم العلم والمداومه على طلبه

أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع قالا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش قال أتيت صفوان بن عسال ا لمرادى فقال ما جاء بك قلت جئت أنبط العلم قال فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من خارج يخرج من بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع.

❍ **التعليق:**

هذا الباب فى ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة **على طلبه** والمراد بالعلم هو العلم الشرعى المستمد من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسنة نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه ولقد تكاثرت النصوص والدلائل فى الحث على طلب العلم وترغيبه وبيان فضله وفضل أهل وطلابه والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقد هذا الباب لبيان فضل لزوم العلم وما جاء من نصوص فى الحث على طلب العلم والمداومة عليه وأول

ما أورده هذا الحديث عن زر بن حبيش رَحِمَهُٱللَّهُ قال أتيت صفوان بن عسال المرادى رَحِمَهُٱللَّهُ فقال ما جاء بك يعنى ما غرض هذا المجيء وهذه الزيارة قال جئت أنبط العلم يقال نبط الماء من البئر أى استخرجه منها ونزحه والمراد بقوله أنبط العلم أى جئت أستخرج العلم من صدور الرجال بالرحلة إليهم والجلوس لهم والملازمة عندهم فبهذه الطريقة ينبط العلم أى يستخرج العلم قال جئت أنبط العلم وفى رواية (أطلب العلم) أى أبتغي العلم يعنى

لم آت لغرض آخر وإنما جئت من أجل العلم وهذا فيه فضل الرحلة فى طلب العلم والملازمة لمجالس العلم وكم أن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يرحلون من أجل العلم بل منهم من يرحل من أجل حديث واحد وربما يرحل من أجل مسألة واحدة وربما استغرقت الرحلة فى هذا الزمان الشهر الكامل ولهذا فى تتمة هذا الحديث فى بعض مصادر تخريجه قال (جئت أسألك عن المسح على الخفين)

قال فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من خارج يخرج من بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع. وساق له هذا الحديث بشارة له والبشارة نافعة جدًا لطالب العلم وهى تشحذ همته وتقوى من نشاطه وتزيد من عزيمته وإقباله على طلب العلم فلما ذكر إنه رحل وأتى من أجل طلب العلم ساق له هذا الحديث بشارة له مبينًا من خلاله المكانة العظيمة للخروج والرحلة من أجل طلب العلم قال **من خارج يخرج من بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع** وهذا من فضائل طلب العلم والخروج لأجله أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم وهذا خبر صادق عن النبى الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولئن كان طالب العلم أو طلاب العلم لا يرون الملائكة تضع أجنحتها لهم إلا أن النبى ﷺ أخبر بذلك مثل ما أخبر «تحفهم الملائكة» وهذا خبر صادق وإن لم ير

الناس الملائكة تحف طلبة العلم إلا أنها فضيلة متحققة بخبر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهذا من ثمار الإيمان بالغيب وهو التصديق بما أخبر به رسول الله ﷺ مما هو غائب عن أعين الناس لا يرونه لكن يؤمنون بأنه حق ويصدقون بذلك تصديقًا لخبر الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهذا جزء من الإيمان بالغيب كما قال تعالى ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢-٣]

فهذا جاء بشارة لطالب العلم على أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحد الشراح لهذا الحديث فى بعض الكتب ذكر أن أحد الناس من أهل الضلال أراد أن يسخر بهذا الحديث وهذه الرواية الصادقة عن رسول الله ﷺ فجاء يومًا وصنع لنفسه حذاء وجعل فى أسفله المسامير وأخذ يمشى بجوار بعض طلبة العلم فقيل له ماذا تصنع قال أريد أن أطأ أجنحة الملائكة قال فشلت قدماه وهذه عقوبة معجلة فى الحياة الدنيا جزاء سخريته بأحاديث رسول الله ﷺ فالمؤمن يسمع هذه الأحاديث بالغبطة والسرور والفرح ويرى أن هذه منقبة وفضيلة ويكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها طالب العلم بأن الملائكة تضع أجنحتها له رضا بما يصنع أى بهذا الصنيع العظيم الذى يقوم به وهو طلب العلم، وطلب العلم باب من أبواب الجنة كما قال ﷺ «من سلك طريقًا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته أن يثنى بطلب العلم والمداومه عليه إذ لا وصول للمرء الى صفاء شيء من أسباب الدنيا إلا بصفاء العلم فيه وحكم العاقل أن لا يقصر في سلوك حالة توجب له بسط الملائكة أجنحتها رضا بصنيعه ذلك.

ولا يجب أن يكون متأملا في سعيه الدنو من السلاطين أو نوال الدنيا به فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا.

التعليق:

قال أبو حاتم الواجب على العاقل والكتاب روضة العقلاء وصفات أهل العقول والألباب **إذا فرغ من إصلاح سريرته** وهذا هو الباب الذى سبق ومضى وهو باب (التخلية) أى يخلى قلبه وسريرته من كل الأمراض والضغائن والسخائم حتى يكون القلب نقيًا ثم يثنى بطلب العلم وهو باب (التحلية) أى إدخال العلم الصحيح على القلب النظيف فأولًا ينقى سريرته ثم يدخل العلم الصحيح على قلبه وسريرته ثم يقول المصنف **إذ لا وصول للمرء الى صفاء شيء من أسباب الدنيا إلا بصفاء العلم** فلن يصفوا لك شىء من الحياة الدنيا إلا بالعلم به وبفضله وأسبابه وطريقة الوصول إليه إلى غير ذلك فالعلم هو الأساس وهو المبدأ فالعلم قبل القول والعمل ولهذا قدم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى أوائل أبواب هذا الكتاب لأن بالعلم يبدأ **وكيف يعمل من لا يدرى ما يعمل** وكيف يتقى من لا يدرى ما يتقى ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحكم العاقل أى الواجب عليه أن لا يقصر في سلوك حالة توجب له بسط الملائكة أجنحتها رضا بصنيعه ذلك أى كما جاء فى الحديث المتقدم ثم يحذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من فساد النية فى الطلب فلا يجعل نيته فى طلب

العلم الدنيا أو الحظوة عند السلاطين أ، غير ذلك بل يجعل طلبه للعلم ابتغاء وجه الله ويعينه على ذلك أن يعلم أن طلب العلم نفسه عبادة وقربة والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل قربة متقرب إلا إذا أخلصها لله ولم يبتغ بها إلا وجه الله نعم.

❀◊❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد الدمياطي حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال سمعت الفضيل بن عياض يقول ما أقبح بالعالم يؤتى الى منزله فيقال أين العالم فيقال عند الأمير أين العالم فيقال عند القاضي ما للعالم وما للقاضي وما للعالم وما للأمير ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه.

❍ **التعليق:**

هذا الأثر للفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من علماء التابعين وفقهائهم وعبادهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قال **ما أقبح بالعالم يؤتى الى منزله فيقال أين العالم فيقال عند الأمير أين العالم فيقال عند القاضي** أى أنه منصرف عن العلم وحقوقه وما يتطلبه إلى أبواب السلاطين وعند القاضى أى أنه منصرف للدنيا وقريب من كل ما يكثر دنياه منشغل عن العلم الذى حصله وعرف به بين الناس ثم قال **ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه** أى ينبغى أن يكون مقبلًا على العبادة معروفًا بها معتنيًا ببيوت الله تبارك فيشهد فيها جلوسًا وعناية وقراءة للعلم وتعليمه وتفقيه الناس فيه إلى غير ذلك نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال ياطلاب العلم لا تطلبوا العلم بسفاهة وطيش أطلبوه بسكينة ووقار وتؤدة.

التعليق:

هذا الأثر عن عامر بن شراحيل الشعبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من علماء التابعين يقول يا طلاب العلم وهذه نصيحة موجهة لطلاب العلم يقول **لا تطلبوا العلم بسفاهة وطيش أطلبوه بسكينة ووقار وتؤدة** والتؤدة هى الأناة وطالب العلم إن لم يتصف بهذه الصفات التى ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ السكينة والوقار والتؤدة فلا يمكن أن يحصل العلم التحصيل الذى ينفعه إلا إذا كان متصفًا بهذه الصفات الوقار والسكينة والتؤدة فلا يستعجل ولا يكون طائشًا وإنما يطلب العلم بالهدوء والأناة والحلم ولا يستعجل فمن ابتغى العلم جملة حرم منه جملة وإنما يتأنى مسألة تلو الأخرى فبعض الناس يأتى بطيش أول ما يطلب طلب العلم يبدأ بالجمع يجمع كل شيء تجده فى تفاعل مع نفسه يريد أن يحصل العلم كله فى لحظة أو فى شهر واحد أو شهرين ثم يتركه كله بينما إذا أخذه بالتؤده مسألة مسألة حديثًا حديثًا درسًا درسًا فيتروى ويتأنى ولا يستعجل النتائج فتأتى فيما بعد فعلى الله أمرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكنه يروض نفسه على الهدوء والتؤدة والأناة كثير من الناس أول ما يلتزم يعرف بفضل العلم وطلبه فيريد أن يجمع العلم كله فيأتى على نفسه بشىء ثقيل لا يطيقه فيمل ويترك ذلك كله بينما إذا أخذه بهذه الصفات التؤدة والوقار والسكينة وعدم الطيش يحصل بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مالا يحصله غيره نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبدالله بن زنجى البغدادي :

وفي العلم والإسلام للمرء وازع ... وفي ترك طاعات الفؤاد المتيم
بصائر رشد للفتى مستبينة ... وإخلاص صدق علمها بالتعلم

❍ **التعليق:**

هذان البيتان فيهما فضائل للعلم وتحصيله فالعلم فيه وازع يزع الإنسان عما لا ينبغى من الأوصاف والخصال والأعمال فهو يردع ويمنع

وفي ترك طاعات الفؤاد المتيم ... بصائر رشد للفتى مستبينة أى إجتناب الإنسان هوى نفسه وميولها فيه بصائر للعبد وهذا تنبيه فينبغى لمن طلب العلم أن يبتعد عن أهواء النفس وحظوظها فإذا ابتعد عنها ففى ذلك بصائر رشد للعبد مستبينة أى واضحة وظاهرة

وإخلاص صدق علمها بالتعلم أى إنما تنال بطلب العلم وتحصيله نعم.

ﮚ ◈ ﮛ

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا إبراهيم بن نصر حدثنا عبد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبى عيسى الخياط قال قال الشعبى إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان العقل والنسك فإن كان عاقلا ولم يك ناسكا قيل هذا أمر لا يناله إلا النساك فلم يطلبه وإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلم يطلبه قال الشعبي فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك.

❍ التعليق:

هذا أثر أورده عن الشعبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قال **إنما كان يطلب هذا العلم** أى فى الزمن والرعيل الأول من اجتمعت فيه خصلتان العقل والنسك أى عاقل وعابد والمراد بالنسك العبادة بمعنى أن يكون ذا عقل وعبادة فمن يكون يطلب العلم هو العاقل العابد **فإن كان عاقلا ولم يك ناسكا قيل هذا أمر لا يناله إلا النساك فلم يطلبه** أى انقطع عن طلبه **وإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلم يطلبه** فيحتاج أن يجتمع فيه هذان الأمران قال الشعبى متأسفًا على الحال فى زمانه وهو من علماء التابعين فلقد رهبت اليوم أى خشيت واليوم متى؟ أى فى زمان التابعين أى يطلبه **اليوم من ليس فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك** إذا كان يخشى من ذلك فى زمانه فكيف بهذا الزمان نعم.

❊ ◊ ❊

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم لما يناله من حطام هذه الدنيا لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره لأن المتبغي من الأشياء كلها نفعها لا نفسها والعلم ونفع العلم شيئان فمن أغضى عن نفعه لم ينتفع بنفسه وكان كالذي يأكل ولا يشبع والعلم له أول وآخر.

كما حدثنا أحمد بن على بن المثنى حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن اليمان قال سمعت سفيان يقول أول العلم الإنصات ثم الأستماع ثم الحفظ ثم العمل به ثم النشر.

❍ التعليق:

هذا كلام جميل جدًا **المتبغي من الأشياء كلها نفعها لا نفسها** ومن ذلكم العلم فالمبتغى من العلم نفعه ولهذا جاء الحديث «بالتعوذ من علم لا ينفع» وجاء الدعاء «اللهم انفعنا بما علمتنا» فإذا كان العلم الذى لا ينتفع به الإنسان صار حجة عليه وتتحق له المصلحة إذا انتفع بالعلم الذى حصله ولهذا جاء عن على بن أبى طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال «يهتف بالعلم العمل فإن أجابه وإلا ارتحل» والخطيب البغدادى رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتاب جميل فى هذا الباب سماه (**اقتضاء العلم العمل**) وذكر فيه فوائد ثمينة حول هذا المعنى قال **والعلم ونفع العلم شيئان فمن أغضى عن نفعه لم ينتفع بنفسه وكان كالذي يأكل ولا يشبع** ثم أورد هذا الأثر العظيم وهو عن سفيان بن عيينه قال **أول العلم الإنصات ثم الأستماع ثم الحفظ ثم العمل به ثم النش**ر فهذه أمور آثار وأمور ومراتب فى تحصيل العلم والتدرج فيه قال وأول ما يكون فى العلم الإنصات ثم الإستماع ثم الحفظ ثم العمل به ثم النشر له ووجدت أثرًا فى المعنى نفسه لكنه أتم من هذا عن ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ورواها عنه ابن عبد البر فى (**جامع بيان العلم وفضله**)

قال «أول العلم النية ثم الإستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر» قال أول العلم النية أى النية الصالحة فى طلب العلم فلا ينوى فى طلبه إلا وجه الله ولهذا تجد عدد من العلماء رحمهم الله صدروا كتبهم فى العلم بحديث: «إنما الأعمال بالنيات» فأول العلم النية أول ما يبدأ به الإنسان من أمر العلم النية الصالحة بأن يبتغى فى طلبه للعلم وجه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويعد هذا الطلب للعلم جملة من جمل قربه التى يتقرب بها إلى الله مثل ما يتقرب بالصلاة والصيام والحج فمجالس العلم وحفظه ومذاكرته من القرب والعبادات بل قال السلف رحمهم الله تعالى: «**أول ما تقرب به العبد إلى الله طلب العلم**» لأنه هو الأساس للعبادات كلها فلا تقوم عبادة أو لا تصح عبادة إلا إذا بنيت على علم صحيح ولهذا كان النبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول فى دعائه «اللهم إنى أسألك علمـًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملاً متقبلًا» فقدم العلم النافع لإنه الأساس الذى يميز به بين العمل الصالح وغير الصالح والرزق الطيب وغير الطيب ومن لا علم عنده لا يستطيع التمييز بين هذه الأشياء فأول ما يكون النية ثم الإستماع لمسائل العلم التى يلقيها العلماء

وفرق بين السماع والإستماع

فالإستماع فيه الإنصات والإصغاء وحضور القلب قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧] لأن بعض الناس يجلس فى مجالس العلم ويسمع لكنه لا يلقى سمعه فلا ينضبط عنده علم الأمر الثالث الفهم أى يفهم هذا العلم إن كان حديثًا أو مسألة أو حكمًا حتى يتضح المراد والمدلول ثم بعد ذلك ينتقل إلى حفظه حتى يثبت عنده العلم ويبقى ثم العمل أى يعمل بهذا العلم الذى حصله وحفظه وفهمه فيعمل به ثم بعد ذلك النشر أى إبلاغ الآخرين وإيصاله إليهم فهذه مراتب ستة عظيمة ذكرها الإمام ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وقد جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال «نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فحفظها فأداها كما سمعها» هذه هى المراتب نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الأبرش :

تعلـم فلـيس المـرء يولـد عالمـا　　　وليس اخو علم كمن هو جاهل..
وإن كبيـر القـوم لا علـم عنـده　　　صـغير *وإن التفـت* عليـه المحافـل

❍ **التعليق:**

قوله **وليس اخو علم كمن هو جاهل** أى ليس صاحب العلم الذى حصله كمن هو جاهل وضرب على ذلك مثالًا فقال كبير القوم إذا لم يكن عنده علم فهو صغير وإن التفت عليه المحافل فأخو العلم ليس كمن هو جاهل فصاحب العلم الذى وفقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لتحصيل العلم ليس شأنه كمن هو جاهل أى جاهل بهذا العلم ومما يبين ذلك أن أخو العلم ليس كمن هو جاهل أن أحدًا من الناس لا يرضى أن يوصف بأنه جاهل حتى وإن كان كذلك والعلم كل يحب أن يوصف به وإن لم يكن كذلك فيتمنى أن يكون موصوفًا به وإن لم يكن كذلك وهذا مما يبين لك ما ذكره الناظم ليس أخو علم كمن هو جاهل نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقانى حدثنا جرير عن برد بن سنان عن سليمان بن موسى قال قال أبو الدرداء لا تكون عالما حتى تكون متعلما ولا تكون بالعلم عالما حتى تكون به عاملا.

❍ **التعليق:**

هذه مراتب أو أمور يترتب بعضها على بعض لا تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا كما قال النبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فى الحديث الصحيح «إنما العلم بالتعلم» يقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا هذا معنى الحديث إنما العلم بالتعلم فلا لابد لتحصيل العلم من تعلم وصبر على طلبه قال ولا تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملًا أى حتى تعمل بالعلم لأن هذا هو مقصود العلم وتكثير العلوم ليس مقصوده وإنما مقصود العلم العمل بها وإلا كانت حجة على العبد ولهذا قال ولا تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملًا وهذا تنبيه أن العمل بالعلم من أسباب ثباته وبقاءه وبركته نعم.

❀ ◊ ❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به لأن من سعى فيه لغير ما وصفنا إزداد فخرا وتجبرا وللعمل تركا وتضييعا فيكون فساده في المتأسين به فيه أكثر من فساده في نفسه ويكون مثله كما قال الله تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥]

❍ **التعليق:**

هذه مصيبة نسأل الله أن يعافينا أجمعين

قال أبو حاتم العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به لأن من سعى فيه لغير ما وصفنا يعنى من سعى فى طلب العلم ليس قاصدًا العمل به فماذا يترتب على ذلك؟ قال ازداد فخرًا وتجبراً إذا اجتمعت علوم وعلوم كثيرة عنده وهو لا يعمل بها فيصبح مفتخرًا بين الناس متجبراً ويرى نفسه على الآخرين ويعجب بنفسه وهذه مهلكة عظيمة جدًا قال ازداد فخرًا وتجبراً وللعمل تركًا وتضييعًا ماذا يترتب على ذلك؟ فيكون فساده فى المتأسيين به فيه أكثر من فساده فى نفسه أضرب مثالًا فقط للتوضيح لو أن شخصًا اغترب من بلده سنة أو سنتين أو ثلاث وأهل البلد يسألون وين فلان وين راح قالوا يطلب العلم فى أى بلد فى البلد المبارك ما شاء الله والناس تغبطه ثم بعد هذه المدة المديدة إذا رجع إليهم ينظرون له على أنه شخص قدوة ينظرون أفعاله فعلًا فعلًا وتصرفاته تصرفًا تصرفا فإذا جاء على سبيل المثال أخذوا يفتقدونه فى صلاة الفجر وبر الوالدين وصلة الأرحام والأخلاق الفاضلة والمعاملات الكريمة وفى كذا وكذا من أمور العلم المعروفة أي أمر سيكون هذا الرجل ثم يفاجئون به متكلمًا أو خطيبًا أو يفتح درسًا فأى مصيبة سيجنيها على مجتمعه وبلده إذا كانت هذه حالته ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

فيكون فساده في المتأسين به فيه أكثر من فساده في نفسه لماذا؟ مثل ما عبر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى بعض كتبه أظنه **مدارج السالكين** قال يدعوا إلى الجنة بلسانه وإلى النار بفعاله لسانه يدعوا إلى الجنة وفعاله تدعوا إلى النار مثل أن يضيع الصلوات ويفرط فى الحقوق الواجبات مرتكب لأمور من المحرمات فأفعاله تدعوا إلى النار لأن الناس تنظر له على أنه قدوة لهم فهذا جانب مهم ينبه عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويكون مثله كما قال الله تعالى «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون» نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن عفان قال سمعت الفضيل بن عياض يقول في جهنم أرحية تطحن العلماء طحنا فقيل من هؤلاء قال قوم علموا فلم يعملوا.

○ **التعليق:**

نسأل الله العافية والسلامة قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى جهنم أرحية وهى جمع رحى وهى معروفة يوضع فيها الحب فتطحنه فيصبح طحينًا بدل أن كان حبًا تطحن العلماء طحنا فقيل من هؤلاء قال قوم علموا فلم يعملوا وهذا شاهد فى صحيح مسلم فى الحديث الذى قال فيه النبى ﷺ «يؤتى بالرجل فيلقى فى النار حتى تندلق أقتابه يعنى تخرج أمعاء بطنه فيطاف بها كما يطوف الحمار بالرحى فيقول أهل النار أى فلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال بلى ولكن كنت آمركم بالمعروف فلا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه» فيقول الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى جهنم أرحية تطحن العلماء طحنًا فقيل من هؤلاء قال قوم علموا فلم يعملوا ومقصود العلم العمل نعم.

❀❖❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عبد الله بن محمود السعدي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر ابن سليمان عن مالك بن دينار قال إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سره علمه وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخرا.

التعليق:

مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر أثر النية على الإنسان وأن من طلب العلم بنية صالحة وقصد طيب تعلم ليعمل ليعبد الله وتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإن علمه يكسره ويجعله متواضعًا مستكينًا ويظهر عليه الوقار والسكون والطمأنينة إلى غير ذلك من المعانى العظيمة الجميلة كسره علمه قال وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به للشهرة مثلًا أو للدنيا إلى غير ذلك من المقاصد والأغراض إذا طلبه لغير أن يعمل زاده علمه فخرًا مثل ما مر معنا أنه يفخر ويتجبر ويصاب بإعجابه بنفسه فيصبح علمه الذى لم يقصد به العمل مجلبة لهذه الأمراض إلى قلبه من فخر وعجب إلى غير ذلك من أمراض القلوب وأسقامها نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن عمر بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثنى سلمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبى جعفر الفراء قال قال الحسن من أحب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه ومن أردادعلما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا ولم يزدد من الله إلا بغضا.

التعليق:

هذا الأثر عن الحسن البصرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال من أحب الدنيا وسرته أى أقبلت نفسه على الدنيا وأحبتها وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لأنه أصبح مشغولًا بهذه الدنيا وهمته متجهة إليها ليس عنده همة فى الآخرة فيذهب خوف الآخرة من قلبه وهنا تأتى المصائب المتراكبة عندما يذهب خوف الآخرة من قلب الإنسان يبدأ الغش والخيانة والظلم والخديعة والكذب والفجور أمور كثيرة جدًا ينظر إلى الدنيا فتسره ويريد أن يحصلها كيفما اتفق ويذهب عن قلبه خوف الآخرة فيأتى الفساد العريض **ومن أردادعلما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا ولم يزدد من الله إلا بغضا** لأنه ليس مقصود العلم الإقبال على الدنيا والإكباب عليها فإذا حصل العلم وأقبل على الدنيا انحرف عن مقصود العلم ف **لم يزدد من الله إلا بعدا ولم يزدد من الله إلا بغضا** نعم.

❧◈☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الحدثى حدثني إسماعيل ابن الحارث حدثني محمد بن الحسن المديني حدثنا محمد بن العوام أن إبراهيم سمع صوت هاتف وهو يقول

يا طالب العلم باشر الورعا ... وباين النوم واهجر الشبعا
ما ضر عبدا صحت إرادته ... أجاع في الله يوما أو شبعا
ماضر عبدا صحت عزائمه ... أين من الأرض أينما صقعا
ما طمعت نفس عابد فنوى ... سؤال قوم إلا لهم خضعا
يا أيها الناس ما لعالمكم ... في ماء بحر الملوك قد كرعا
يا أيها الناس أنتم زرع ... يحصده الموت كلما طلعا...

التعليق:

فى هذه الأبيات تحذير لطالب العلم ووصية له بإصلاح إرادته ونيته وعزمه وألا يكون تحصيله للعلم من أجل المطامع الدنيوية قال محمد بن العوام أن إبراهيم سمع صوت هاتف والهاتف ما يسمع صوته ولا يرى شخصه ولعل تسمية الهواتف الموجودة الآن من هذا الباب لأنك تسمع صوت المتحدث ولا تراه فيسمى هاتف يقول القائل جاءنى هاتف لأنه يسمع صوت المتكلم ولا يرى شخصه وقد يكون الهاتف المشار إليه من صالح الجن أو فاسدهم أو هاتفًا من الملائكة إن صحت دعوى من ادعى ذلك وقد يكون شخصًا لا يراه أو فى مكان خفى عنه وهذا يكثر عند أهل الطرق الباطلة فيمكر بهم شياطين الإنس والجن ويختفون خلف جدار أو فى مغارة أو فى كذا ويقول تعالوا هنا تأتينا الهواتف ويكون واحد من أصحابهم فى داخل الكهف ويبدأ يحدثهم بأشياء أو تكون

شياطين أحيانًا تضل الناس عن سواء السبيل وقد تكون هذه الهواتف ذات معانى جيدة الله أعلم قد تكون من صالح الجن أو غير ذلك فالمهم أنه يقول سمعت صوت هاتف وهو يقول: يا طالب العلم باشر الورعا أى الزم الورع وكن ورعًا وحافظ عليه وكن من أهله

وباين النوم واهجر الشبعا أى قلل من النوم فليس المراد تركه بالكلية وإنما قلل من النوم واهجر الشبع أى لا تحرص على الشبع وملء البطن قال ﷺ

«ما ملأ آدمى وعاء شرًا من بطنه» فملء البطن مجلبة للأسقام والأمراض والخمول والكسل ولهذا قيل (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء) فالمعدة بيت الداء إذا كان الإنسان يملأها بأصناف المطاعم والمآكل فهذا مجلبة للأمراض والخمول والكسل فإذا كان الإنسان يريد تحصيل العلم فعليه أن يهجر الشبعا ... ماضر عبدا صحت إرادته.. أجاع فى الله يوما أو شبعا أى إذا صحت إرادته ما يضره لأنه منشغل بأمر آخر عظيم وهو تحصيل العلم والتزود منه فيأخذ من الطعام لقيمات يقمن صلبه وإن كان ولا بد فثلث كما جاء فى الحديث «فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»

ماضر عبدا صحت عزائمه أين من الأرض أينما صقعا

أى ذهب إذا كان صادق فى طلبه للعلم ما يضره فى أى مكان كان فى الدنيا لأن معه العلم الذى هو أنسه وسعادته وفلاحه أينما كان فى أرض الله ولهذا ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ماذا يصنع أعدائى بى جنتى فى صدرى فما ضر طالب العلم إن صحت عزائمه أين من الأرض أينما صقعا أينما ذهب من الأرض ما يضره لأن جنته فى صدره

ما طمعت نفس عابد فنوى سؤال قوم إلا لهم خضعا

هذا تحذير من هذه الحال وأن الإلتفات إلى الناس وسؤالهم يورث الذل

يا أيها الناس ما لعالمكم في ماء بحر الملوك قد كرعا

كرع فى الماء أى أخذه الماء وتناوله فمثل ما تقدم يذهب إلى الملوك فيجمع دنيا ويحصل أموالًا ونحو ذلك

يا أيها الناس أنتم زرع يحصده الموت كلما طلعا

حال الناس أنه زرع والموت يحصده فكلما طلع الزرع يحصده الموت مثل ما يحصد الفلاح زرعه أى أن الإنسان لا يبقى فى الحياة الدنيا بل مآله ومصيره إلى الموت نعم.

൭◊൫

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأحتياطي حدثنا يحيى بن اليمان العجلى عن سفيان الثورى قال العالم طبيب الدين والدرهم داء الدين فإذا اجتر الطبيب الداء الى نفسه فمتى يداوى غيره.

❍ **التعليق:**

يعنى إذا كان الطبيب نفسه مرضان ومبتلى فكيف يداوى غيره يقول العالم طبيب الدين فما معنى طبيب الدين؟ لأن الطب نوعان طب القلوب والأبدان فطب القلوب يحمله العلماء فيعملون على إصلاح القلوب بالإيمان والطاعة والإقبال على الله والنية الصالحة والبعد عن الغل والحقد والحسد وغير ذلك والدرهم داء الدين فإذا مالت النفس إلى الدرهم والدينار وانشغلت به وأصبح هو همها هذا داء الدين قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق: ٦-٧] فالدراهم والدنانير إن لم يوفق الله العبد ويسلمه تكون مهلكة له إلا إذا سلمه الله فتكون خير وبركة عليه ليس معنى هذا أن العالم لا يحصل الدرهم والدينار ولا يطلب من الدنيا ما يحتاج إليه فى مصالحه وشئونه وأمور أبنائه ومن الصحابة من كانوا تجارًا ومن العشرة المبشرين لكن الدنيا فى أيديهم وليست فى قلوبهم وسلوكهم وأعمالهم يدل على ذلك فيقول الدرهم داء الدين فإذا اجتر الطبيب الداء إلى نفسه أصبح همه الدرهم والدينار هذا هو المراد فمتى يداوى غيره لأنه إذا اجتر الداء إلى نفسه وأصبح همه الدرهم والدينار أصيب بالأسقام التى تصحب هذا المسلك فكيف يداوى غيره أو متى يداوى غيره؟ إذا كان مصابًا بهذا الداء نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني أحمد بن محمد الصنعاني أنشدنى محمد بن عبد الله العراقي :

عنوا يطلبون العلم في كل بلده ... شبابا فلما حصلوه وحشروا
وصح لهم إسناده وأصوله ... وصاروا شيوخا ضيعوه وأدبروا
ومالوا على الدنيا فهم يحلبونها ... بأخلافها مفتوحها لا يصرر
فيا علماء السوء أين عقولكم ... وأين الحديث المسند المتخير

التعليق:

يذم الناظم فى هذه الأبيات أناسًا عنوا بطلب العلم فى كل بلدة رحلوا هنا وهناك وأخذوا عن هذا وذاك فحصلوا علومًا وحفظوا متونًا فتفقهوا وأفنوا شبابهم فى ذلك فلما حصلوه وحشروا أى جمعوا من شيئًا كثيرًا وصح لهم إسناده وأصوله وصاروا شيوخًا يعنى عرفوا بذلك فضيعوا وأدبروا

ومالوا على الدنيا فهم يحلبونها ... بأخلافها مفتوحها لا يصرر

والأخلاف هى موضع الحليب أى حلمات ضرع الناقة أو بهيمة الأنعام فصاروا يحلبونها بأخلافها مفتوحها لا يصرر (لا يصرر) أى لا يوضع على الضرع الشملة وهى التى توضع على ضرع البهيمة فتمنع وليدها أن يرضع منها متى شاء وإنما تزال الشملة فى أوقات يسمح له فيها بالرضاع فحلبهم للدنيا مفتوحة لا تصرر بمعنى أن كل همهم واشتغالهم فى حلب الدنيا انصرفوا إليها فأصبح لا هم لهم فى العلم ومقصوده والدعوة إليه والعمل به فانصرفوا من ذلك إلى حلب الدنيا وقول

.... فهم يحلبونها ... بأخلافها مفتوحها لا يصرر

إشارة إلى أن هذا هو همهم وشغلهم الشاغل ولهذا وصفهم بقوله يا علماء السوء أين عقولكم وأين الحديث المسند المتخير الذى كنتم تحصلونه وتحفظونه وتعكفون على طلبه وآخر الأمر الإقبال على الدنيا وإكباب عليها وحلب لها نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا جعفر بن محمد الهمداني بصور حدثنا محمد بن عبد الله البعلبكي قال سمعت عمي محمد بن زيد قال كنت مع ابن المبارك ببغداد فرأى إسماعيل ابن عليه راكبا بغله على باب السلطان فأنشأ يقول

يـــا جاعـــل الـــدين لـــه بازيـــا ... يصـــطاد أمـــوال الســـلاطين
لا تبـــع الـــدين بـــدنيا كمـــا ... بفعـــل ضـــلال الرهـــابين
احتلـــت للـــدنيا ولـــذاتها ... بحيلـــة تـــذهب بالـــدين
وصـــرت مجنونـــا بهـــا بعـــدما ... كنـــت دواء للمجـــانين
تفكـــر النـــاس جميعـــا بـــأن ... زل حمـــار العلـــم في الطـــين

❍ **التعليق:**

قال محمد بن زيد كنت مع ابن المبارك فى بغداد فرأى إسماعيل بن علية راكبًا بغلة له على باب السلطان فأنشأ يقول يا جاعل الدين له بازيًا كأن يصطاد بالدين والعلم الذى حصله فيجعله بازيًا أى يصطاد به أموال السلاطين لا تبع الدين بدنيا كما بفعل ضلال الرهابين أى لا تكن مثل ضلال الرهابين فى ما يفعلونه

احتلـــت للـــدنيا ولـــذاتها ... بحيلـــة تـــذهب بالـــدين
وصـــرت مجنونـــا بهـــا بعـــدما ... كنـــت دواء للمجـــانين
تفكـــر النـــاس جميعـــا بـــأن ... زل حمـــار العلـــم في الطـــين

فى هذه الأبيات ذم فى إكبابه على الدنيا وإقباله على أبواب السلاطين وإنشغاله بهذا الأمر نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عبد العزيز بن الحسن البرذعي حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أحمد بن عبد الله التسترى قال لما ولى ابن عليه صدقات الإبل والغنم بالبصرة كتب إليه ابن المبارك كتابا وكتب في أسفله :

يـــا جاعـــل الـــدين لـــه بازيـــا يصـــطاد أمـــوال المســـاكين

احتلـــت للـــدنيا ولـــذاتها بحيلـــة تـــذهب بالـــدين

يـــا فاضـــح العلـــم ومـــن كـــان ذا لـــب ومـــن عـــاب للســـلاطين

أيـــن رواياتـــك في ســـردها عـــن ابـــن عـــون وابـــن ســـيرين

وزاد غيـــر أحمـــد بـــن عبـــد الله إن قلـــت أكرهـــت فمـــاذا كـــذا

زل حمـــار العلـــم في الطـــين ....

فلما قرأ ابن علية الكتاب بكى ثم كتب جوابه وكتب في أسفله :

أف لـــدنيا أبـــت تـــواتيني إلا بنقضـــي لهـــا عـــرى دينـــي

عينـــي لحينـــي تـــدير مقلتهـــا تطلـــب مـــا ســـرها لتردينـــي...

التعليق:

هذه الأبيات نفسها التى تقدمت قال لما ولى ابن علية وهو إسماعيل المتقدم ذكره صدقات الإبل والغنم بالبصرة كتب إليه ابن المبارك كتابًا وكتب فى أسفله هذه الأبيات فى ذم من جعل الدين له بازيًا يصطاد به الأموال ويحتال فى اصطيادها والتكثر منها فلما وصلت هذه الأبيات لابن علية بكى وتأثر من هذه الموعظة التى أرسلت إليه من ابن المبارك وقال

أف لدنيا أبت تواتينى إلا بنقضى لها عرى دينى



يعنى أبت أن تطيعنى وتنقاد لى إلا بنقضى لها عرى دينى

عينى لحينى تدير مقلتها تطلب ما سرها لتردينى

والحين هو الهلاك فحينى أى هلاكى وعينى تتطلع وكل ما حصلت طلبت أكثر والنهاية أنها توصلنى إلى هلاكى فأنا أتتبع مرادات عينى وحظوظها ومطامعها فى ما تراه وتشاهده فتطمع فيه من أمور الدنيا فأركض وراءها فعينى لحينى تدير مقلتها تطلب ما سرها لتردينى أى لتهلكنى تطلب ما سرها أى ما يدخل السرور عليها بتحصيله لتردينى أى لتهلكنى من الردى وهو الهلاك نعم.

꧁◈꧂

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد النرسي حدثنا وهيب عن أيوب عن أبى قلابة عن ابن مسعود قال عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أصحابه وإنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم الى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر أو يفتقر إلي ما عنده وعليكم بالعلم وإياكم والبدع وعليكم بالعتيق ٠

التعليق:

هذه وصية نافعة وعظيمة للصحابى الجليل ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال عليكم بالعلم قبل أن يقبض والعلم لا يقبض انتزاعًا من صدور الرجال وإنما يقبض بقبض العلماء فيقول عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أصحابه أى حملة العلم ثم قال وإنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم الى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم وهؤلاء مرت حالهم قبل قليل من يدعوا إلى كتاب الله بلسانه لكن فعاله خلاف ذلك قال وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدرى متى يفتقر أى يحتاج إليه فقد تكون فى يوم من أيامك بحضرة عالم تستطيع أن تحصل عنده علمًا لكن لا تنشط له ثم تفتقد هذا العالم وتحتاجه فى هذا العلم وتفتقر إلى هذا العلم ولكنك لا تجده كما كنت تجده فى زمانك السابق فقد تفتقر للعلم أنت يأتيك موقف أو أمر ما فتحتاج إلى العلم الشرعى فيه ثم قال أو يفتقر إلى ما عنده أى إلى ما عندك من علم ثم قال وعليكم بالعلم وإياكم والبدع وعليكم بالعتيق (العتيق) وهو الهدى الأول الذى كان عليه الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن زنجوية القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبه حدثنا فرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن القاسم قال سمعت مالكا يقول ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية

❍ **التعليق:**

هذان الأثران عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعن مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨] فرأس العلم خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم الخشية فمن كان عنده كثرة رواية وليس عنده خشية لله تعالى فليس من أهل العلم نعم.

﴿◊﴾

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل مجانبة ما يدنس علمه من أسباب هذه الدنيا مع القصد في لزوم العمل بما قدر عليه ولو استعمال خمسة أحاديث من كل مائتي حديث فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم فمن عجز عن العمل بما جمع من العلم فلا يجب أن يعجز عن حفظه.

❍ **التعليق:**

أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المؤلف لهذا الكتاب يقول **الواجب على العاقل مجانبة ما يدنس علمه** أى يبتعد عن كل أمر يدنس علمه من أسباب هذه الدنيا ثم قال مع القصد فى لزوم العمل بما قدر عليه فما المراد بهذا؟ ونظير هذا كما قال بعض السلف «إذا سمعت الحديث فاعمل به ولو مرة تكن من أهله» وهنا يقول مع القصد فى لزوم العمل بما قدر عليه ولو استعمال خمسة أحاديث من كل مائة حديث ما مراده بذلك؟ هل الأحاديث التى جاء فيها واجبات الدين أو ذكر المحرمات أو الأحاديث التى فيها الرغائب والمستحبات فما المراد؟ وقولهم «إذا سمعت الحديث فاعمل به ولو مرة تكن من أهله» أى من الأحاديث التى جاءت تحمل أمورًا مستحبة من فعلها أثيب ومن لم يفعلها لم يأثم أما فى الواجبات فلا يقال اعمل فيه ولو مرة أو يقال من كل مائتى حيث اعمل منها بخمس أحاديث وإنما هذا فى المستحبات فلا تقرأ أحاديث الفضائل ولا تعمل بها إطلاقًا اعمل ما استطعت خذ هذا وخذ هذا احرص على أن يكون لك حظ من العمل ولو قل لا أن يكون الإنسان راغب عن السنة وهدى النبى صلوات الله وسلامه عليه فقوله ولو استعمال خمسة أحاديث من كل مائتي حديث لأنه جاء فى الحديث فى الزكاة المفروضة «فى مئتى درهم خمسة دراهم» ومن هنا أخذ المعنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثل أن يكون عندك مئتى درهم تخرج خمسة دراهم فكل ما حصلت مئتى حديث اعمل

بخمسة أى من أحاديث الفضائل فقصده رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس العدد الذى هو خمسة وإنما قصده أن يكون لك همة فى العمل ولو شيئًا قليلًا أما أن يقرأ الإنسان أحاديث الفضائل والرغائب ولا يعمل بها فهذه مشكلة ثم قال **ولو استعمال خمسة أحاديث من كل مائتي حديث** فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ثم قال فمن عجز عن العمل بما جمع من العلم فلا يجب أن يعجز عن حفظه نعم.

ﮋ ◈ ﮊ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال سمعت محمد ابن بشير الخزاعي يقول :

أمـا لـو أعـى كـل مـا أسـمع — وأحفـظ مـن ذاك مـا أجمـع
ولـم أستفد غيـر مـا قـد جمعـت — لقيـل هـو العـالم المقنـع
ولكـن نفسـى الـى كـل شـيء — مـن العلـم تسـمعه تنـزع
وأحضـر بالجهـل في مجلسـي — وعلمـي في الكتـب مسـتودع
فـلا أنـا أحفـظ مـا قـد جمعـت — ولا أنـا مـن جمعـه أشـبع
ومـن يـك في علمـه هكـذا — يكـن دهـره القهقـرى يرجـع
إذا لـم تكـن حافظـا واعيـا — فجمعـك للكتـب لا ينفـع.

التعليق:

العالم المقنع هو الذى يعول على علمه

يذم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى هذه الأبيات من لا يعى ما يسمع ويجمع كتب العلم ويستكثر من الكتب ولكن لا يعتنى بقراءتها واستذكارها وفهم ما فيها وحفظ ما تيسر له من معانيها وإنما يستكثر من الكتب فيكون عنده كتب كثيرة يحصلها لكنه لا ينتفع بها فيقول معاتبًا من كانت هذه حالته

أمـا لـو أعـى كـل مـا أسـمع — وأحفـظ مـن ذاك مـا أجمـع
ولـم أستفد غيـر مـا قـد جمعـت — لقيـل هـو العـالم المقنـع

لو كنت أعى كل ما سمعته وحصلته لقيل هو العالم المقنع الذى يرجع إليه ولكن ما هى مصيبتى؟ قال

ولكــن نفســى الــى كــل شــيء   مـــن العلـــم تســـمعه تنـــزع

أى تتوق إليه فكل ما أسمع عن فن من الفنون أو مجال من المجالات نفسى تتوق إليه لكن ماذا يفعل؟

وأحضــر بالجهـــل في مجلســـي   وعلمـــي في الكتـــب مســـتودع

أى فى الكتب التى جمعتها ولكن لم انتفع بها

فــلا أنــا أحفــظ مــا قــد جمعــت   ولا أنـــا مـــن جمعـــه أشـــبع

فلا زلت أجمع الكتب كتابًا وراء الآخر واستكثر منها لكن ما انتفع بها

ومـــن يـــك في علمـــه هكـــذا   يكـــن دهـــره القهقـــرى يرجـــع

إذا كان حاله فقط جمع الكتب والإستكثار منها دون أن يستفيد وينتفع فلا يزال يرجع إلى الوراء

إذا لـــم تكـــن حافظـــا واعيـــا   فجمعـــك للكتـــب لا ينفـــع

نعم.

ﮩ ◈ ﮩ

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

جـــامع العلـــم تـــراه أبـــدا   غيـــر ذي حفـــظ ولكـــن ذا غلـــط
وتـــــراه حســـــن الخـــــط إذا   كتـــب الخـــط بصـــيرا بـــالنقط
فـــإذا فتشـــته عـــن علمـــه   قـــال علمـــي يـــا خليلـــي في السـفط
في كـــراريس جيـــاد أحكمـــت   وبخـــط أي خـــط أي خـــط
فـــإذا قلـــت لـــه هـــات إذًا   حـــك لحيتـــه جميعـــا وامـــتخط...

❍ التعليق:

هذا مثل الأبيات التى قبله فى تصوير حال من علمه فى الكتب التى جمعها لكنه ما وعاها ولا فهمها ولا حصل علمًا منها فجامع العلم أي جامع كتب العلم فى الكراريس والأوراق والدفاتر تراه أبدًا غير ذى حفظ ولكن ذا غلط يعنى عند تمحيص المسائل وبحثها معه يكون غير ذى حفظ ولكن ذا غلط

وتـــــراه حســـــن الخـــــط إذا   كتـــب الخـــط بصـــيرا بـــالنقط
فـــإذا فتشـــته عـــن علمـــه   قـــال علمـــي يـــا خليلـــي في السـفط

أى فى الكتب التى سطرها وكتبها

في كـــراريس جيـــاد أحكمـــت   وبخـــط أي خـــط أي خـــط

أى سطرتها فى الكتب المجموعة عندى بخطى الجميل المتقن مع العناية بالنقط والفواصل الخ لكن إن فتشته وقلت له أعطنا من العلم الذى عندك حك لحييه حميعًا وامتخط لأن ما عنده علم صدره ليس فيه شىء من العلم وإنما العلم فى تلك الكراريس والكتب والشيخ حافظ الحكمى رَحِمَهُ ٱللَّهُ له نظير هذه الأبيات

يذم فيها من كانت هذه حالته يقول

فى بيت الشيخ كتب قد شراها وجمعها ولكن ما قراها
وطابت نفسه منها بسلوى وإذا فتح المكان بأن يراها

إذا دخل المكتبة ينظر هذه كتب الفقه وهذه كتب الحديث وهذه ما شاء الله كتب التفسير عندى منها خمسين وعندى كذا وكان مسرورًا بالنظر إليها لكنه ما قرأها ما استفاد منها ولها تتمة هذه الأبيات فى ترجمة الشيخ تجدونها فكل هذه الأبيات تصور هذه الحال أقول فى زماننا المعاصر كثرت الكتب ففى الزمن السابق كان الحصول على الكتاب بمشقة ورأيتم كيف يصف الذى حصل الكتاب ؟ حصله كتابة بخط يده من منا عنده كتاب كتبه بيده؟ والذى يكتب الكتاب بيده فكتابته نوع من التحصيل تستبقى شيئًا عنده فهو إذا رأى كتابًا أعجبه كتب بخط أى خط أى خط أى يكتب بعناية وتدقيق فالكتابة فى نفسها نوع من التحصيل ومع ذلك ذم من كانت هذه حالته لكن فى زماننا هذا ما ثمت عند واحد منا كتابًا كتبه بيده ولا واحد فالكتب التى عنده تصله بالشراء أو بالإهداء جاهزة مكتوبة مخطوطة منقوطة إلى آخره ويأخذ الكتاب فينظر فى الغلاف وفى الفهرس فيطبق الكتاب ويضعه فى مكانه المناسب من المكتبة وربما هذا آخر عهده فى الكتاب أول ما يصل الكتاب ماشاء الله كتاب عظيم وجميل وينظر فى الفهرس ما أجمله الموضوعات جيدة نقرأها إن شاء الله وعند الشيخ كتب ما قرأها يضعها فى المكتبة وهو آخر عهده بها إلى أن يموت فقديما كان (يعانى) بالمبنى للمجهول من جمع الكتب وكتابتها والكتابة نفسها فيها نوع من التحصيل انظر إلى نفسك لو كتبت شيئًا يبقى فى ذهنك لكن إذا أخذت كتابًا جهازًا بغلافه الجميل واستلمته فمصيبتنا أكثر من مصيبة هؤلاء الذين يتحدث عنهم هؤلاء فهم يكتبون والكتابة تستبقى شيئًا من العلم لكن نحن ما نكتب نأخذ الكتاب جاهزًا مجلدًا مغلفًا

ونضعه فى مكانه المناسب من المكتبة ولا ندرى ما فيه ولا نستفيد فإذا كان هؤلاء يتحدثون عنهم بهذا الذم فكيف بحالنا نحن وسبحان الله لما قرأت هذه الأبيات الأولى وهى أبيات محمد بن بشير الخزاعى وأبيات محمد بن عبدالله المؤدب وأبيات الشيخ أسفت لحالى وحال أمثالى فالكتب كثيرة لكن أكثرها ما (قرأت) بالمبنى للمجهول والإنسان بحاجة إلى ما فيها من علم ومحتاج إلى ما فيها من فائدة وهى فى مكانها المناسب من المكتبة لكن انتفاع وتحصيل فلا وهذا الذى يتحدث عنه الأعلام فى مثل هذه الأبيات نعم.

❁

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الربالي حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال سمعت وهب بن منيه يقول من تعلم علما في حق وسنة لم يذهب الله بعقله أبدا

❍ **التعليق:**

هذا كلام عظيم لوهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول إن تعلم السنة والتفقه فى الدين من أسباب حفظ العقل أى حفظه وسلامته من الخرف لم يذهب الله بعقله أبدًا فيبقى عقله سليمًا إلى أن يموت فكثير من الناس إذا كبر فى السن يصبح معه شىء من الخرف ومنه قوله تعالى ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: ٧٠] فحفظ العلم والسنة والعناية بهما من أسباب حفظ العقل نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال كتب الي أبي وأنا بالكوفه أشتر الصحف واكتب العلم فإن المال يفنى والعلم يبقى

التعليق:

هذا حث على العناية بالكتب وجمعها قال اشتر الصف واكتب العلم فإن المال يفنى والعلم يبقى وهذا الإيراد لهذا الأثر فيه تنبيه على أن جمع الكتب أمر لا يحذر منه وإن ما ينهى عنه جمعها بدون فائدة وأما أثر **(محمد بن عبدالله المؤدب)**

وهو قبل الأثر الذى قبل هذا فيه النهى عن جمع الكتب بدون فائدة أما جمع الكتب فهذا يحث عليه فالإنسان يجمع كتبًا فى الفقه فى الحديث فى العقيدة إلى آخره يحرص على أن يستفد منها حتى ولو كان بعضها مراجع علمية له فى تدريسه فى شروحاته يرجع إليها مرة بعد أخرى يستفيد منها فهذا نافع له ومفيد أما يكون جمع الكتب مجرد استكثار دون أن يستفيد منها فهذا الذى ذم فيما سبق أما إذا كانت عنده فيستفيد منها ويراجعها ويطالعها ويحقق من خلالها ويبحث إلى آخره فهذا أمر لا يذم فينبغي التنبه لذلك قال اشتر الصف واكتب العلم فإن المال يفنى والعلم يبقى

نعم.

❀◈❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك قال كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحفية حكم فأوحى الله اليه إنك قد ملآت الأرض نفاقا وإن الله لم يتقبل شيئا من نفاقك

○ **التعليق:**

هذا كلام لا بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حكم فهو يكتب حكم لكن فى منأى عن العمل والحكم هى الكلام الجميل والصياغة الجميلة على قدر وحظ من اللغة والأدب ونحو ذلك فيصوغ كلمات جميلة تعجب الناس لكن لا حظ له من العمل ولا نصيب فيظهر الكلام الجميل ويبطن السوء والعياذ بالله **فأوحى الله اليه إنك قد ملآت الأرض نفاقا وإن الله لم يتقبل شيئا من نفاقك** وهذا فيه تنبيه إلى أن الإنسان لا يغتر بجميل عبارات من يتحدث مع ما لم يكن مع حديثه صلاح عمل واستقامة على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن يحافظ على واجبات الدين أما إذا كان مجرد تذويق للعبارات وتنميق للألفاظ مع فساد فى العمل فمثل هذا تقدم معنا أن له جناية على الناس عظيمة حتى أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد فى هذا السياق قوله تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥] نعم.

۞

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم افتناء المرء عمره بكثرة الأسفار ومباينة الأهل والأوطان في طلب العلم دون العمل به أو الحفظ له ليس من شيم العقلاء ولا من زي الألباء وإن من أجود ما يستعين المرء به على الحفظ الطبع الجيد مع الهمة واجتناب المعاصي

❍ التعليق:

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس من شيم العقلاء ولا من زى الألباء الإجتهاد فى طلب العلم والرحلة فى تحصيله مع عدم العناية بالعمل به فهذا ليس من شيم وصفات أولى الألباب فأصحاب العقول هم من يطلبون العلم لغرض العمل لأن مقصود العلم العمل فيطلبوه لأجل العمل به وليكونوا من أهله أما أن يستكثر منه ولا همة له فى العمل فهذا ليس من صفات العقلاء ولا من شيمهم ثم ذكر كلمة جميلة جدًا جاءت فى ثنايا السطور لكنها نافعة وجديرة بأن تبرز يقول **وإن من أجود ما يستعين المرء به على الحفظ الطبع الجيد مع الهمة واجتناب المعاصي** فكثيرًا ما يسأل عن هذا المعنى ما الذى يعين على ضبط العلم وحفظه فيقول الطبع الجيد مع الهمة واجتناب المعاصى الطبع الجيد وهذا فيه وصفاء الذهن ووقار الإنسان وسكينة وطمأنينته والهمة أى العالية فى الطلب يكوم ذا همة عالية فى طلب العلم وتحصيله والأمر الثالث اجتناب المعاصى والذنوب لأن العلم نور ونور الله لا يؤتى لعاصى نعم.

೫◊ಌ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الأبرش :

نعـم عـون الفتـى الطلـوب لعلـم أو لـبعض العقـول صـحة طبـع
فـإذا الطبـع فاتـه بطـل العلـم وصـار العنـاء في غيـر نفـع

سمعت إبراهيم بن نصر العنبري يقول سمعت علي بن خشرم يقول سمعت وكيعا يقول أستعينوا على الحفظ بترك المعصية

التعليق:

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن حفظ العلم يحتاج إلى الطبع الجيد واستشهد بهذا البيت للأبرش وكذلك يحتاج إلى ترك المعاصى واستشهد له بكلام وكيع استعينوا على الحفظ بترك المعاصى أى حفظ العلم باجتناب الذنوب والبعد عنها نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله لأن الأزدياد من العلم آثر عند العاقل من الذكر بالعلم والعلم زين في الرخاء ومنجاة في الشدة ومن تعلم إزداد كما أن من حلم ساد وفضل العلم في غير خير مهلكه كما أن كثرة الأدب في غير رضوان الله موبقه والعاقل لا يسعى في فنونه إلا بم هو أجدى عليه نفعا في الدارين معا وإذا رزق منه الحظ لا يبخل بالإفادة لأن أول بركة العلم الإفادة وما رأيت أحدا قط بخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه وكما لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم ينبع و بالذهب الأحمر ما لم يستخرج من معدنه ولا باللؤلؤ النفيس ما لم يخرج من بحره كذلك لا ينتفع بالعلم ما دام مكنونا لا ينشر ولا يفاد

❍ **التعليق:**

هذه معانى عظيمة جدًا ينبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى طالب العلم عليها الأمر الأول أنه ينبغى على طالب العلم أن يحرص على مراعاة الأولويات فى طلب العلم وهذا أشار إليه بقوله: ألا يطلب من العلم إلا أفضله وأيضًا فى جملة ما نبه عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن يحرص الطالب على نشر العلم إذا نفعه الله به ونشر العلم هو المرتبة السادسة فى ما مر معنا من كلام ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فيحرص على نشر العلم وألا يكون بخيلًا فى السخاء بالعلم الذى عنده بذلًا له وتعليمًا وتفقيهًا قال وإذا رزق منه الحظ لا يبخل بالإفادة لأن أول بركة العلم الإفادة وما رأيت أحدًا قط بخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه وذكر أمثلة على ذلك مثل الماء الساكن إذا لم ينزح من الأرض أو الذهب الأحمر إذا لم يستخرج أو اللؤلوا الذى لم يستخرج من البحر فكل هذا لا يستفاد منه إلا بالإستخراج فالعالم إذا لم يحرض على إفادة الآخرين فإن البركة المترتبة على بقاء علمه واستمراره والإنتفاع به تذهب إذا بخل بالعلم إضافة أنه إذا لم يبخل بالعلم وحرص على إفادة الناس زاد علمه يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفًا شددت نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أحمد بن مضر الرباطي حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح الفراء قال سمعت ابن المبارك يقول من بخل بالحديث يبتلى بإحدى ثلاث إما أن يموت فيذهب علمه أو ينسى أو يبتلى بالسلطان

❍ **التعليق:**

هذه ثلاثة أمور إذا بخل الإنسان بالعلم ابتلى بها إما أن يموت فيذهب بعلمه أو ينسى يبقى حيًا لكن ينسى العلم الذى حصله وزكاة العلم تعليمه فإذا لم يعلم العلم الذى حصله فإن العلم الذى عنده يذهب مع مرور الأيام قال إما أن يموت فيذهب علمه أو ينسى العلم الذى تعلمه أو يبتلى بالسلطان نعم.

❀❖❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أبو يعلى الموصلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان ابن موسى قال قال أبو الدرداء الناس عالم ومتعلم ولا خير فيما بين ذلك

❍ **التعليق:**

الناس عالم ومتعلم عالم ينفع الآخرين ومتعلم يحرص على التعلم ولا خير فيما بين ذلك نعم.

❀❖❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

أفـــد العلـــم ولا تبخـــل بـــه　　والـــى علمـــك علمـــا فاســـتفد
استفد ما استطعت من علـم وكـن　　عـــاملا بـــالعلم والنـــاس أفـــد
مـــن يفـــدهم يجـــزه الله بـــه　　وســـيغني الله عمـــن لـــم يفـــد
لـــيس مـــن نـــافس فيـــه عـــاجزا　　إنمـــا العـــاجز مـــن لا يجتهـــد

○ **التعليق:**

هذه أبيات عظيمة جدًا فى الحث على إفادة الناس بالعلم الذى حصله وأن لا يبخل بالعلم مع الحرص على الإزدياد منه والإستفادة منه ما استطاع من ذلك إلى ذلك سبيلًا وأن يكون عاملًا بالعلم وفى الوقت نفسه حريصًا على إفادة الآخرين به وأن من يفيدهم ويحرص على إفادتهم ونفعهم يجزه الله ويثبه على ذلك عظيم الثواب

وسيغنى الله عمن لم يفد أما الآخر الذى حفظ ولم يحرص على إفادة الآخرين يغنى الله عنه بمن هيأهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حملة للعلم ودعاة له حريصين على نشره وإفادة الناس به ليس من نافس فيه عاجزًا..إنما العاجر من لم يجتهد نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمه حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد ابن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال لأن يتعلم الرجل بابا من العلم فيعبد به ربه فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها الى آخرها له فوضعها في الآخرة

❍ **التعليق:**

يعنى من حصل بابًا من العلم فعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به خير من إنسان عنده الدنيا من أولها إلى أخرها فوضعها فى الآخرة تنبيهًا على فضل طلب العلم وأن من أعظم ما تقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به طلب العلم من أجل الإنتفاع به ونفع الآخرين فهذا من أعظم القرب وكما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ «العلم لا يعدله شىء إذا صلحت النية» وصلاح النية أن تنوى بالعلم رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك نعم.

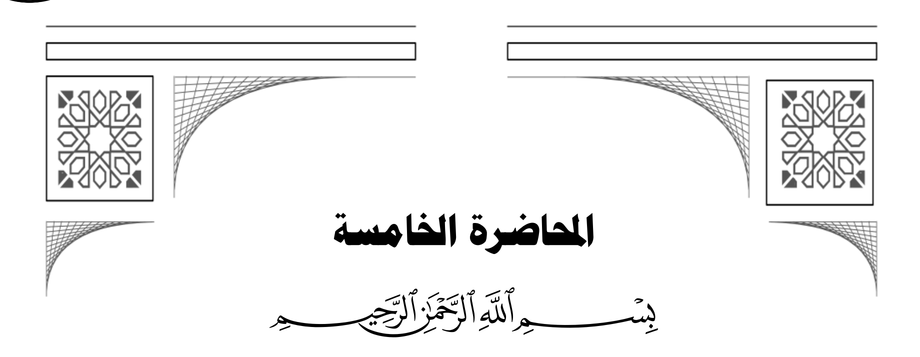
❧ ◈ ☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعللها في كتاب العالم والمتعلم بما أرجو أن يكون فيه غنيه لمن أراد الوقوف على معرفتها فأغنى ذلك عن التكرار فى هذا الكتاب إذ شرطنا فى هذا الكتاب الاختصار كراهية سلوك التطويل والإشارة الى قصد نفس التحصيل

❍ **التعليق:**

(العالم والمتعلم) من كتب هذا الإمام وهو مكثر من التصنيف والتأليف وكثير من كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفقودة مع جودة كتبه وتصنيفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا أن الكثير من كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفقودة فهو يعتذر عن الإختصار هنا لأنه بسط ذلك فى كتاب (العالم والمتعلم) ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمن علينا أجمعين بالعلم النافع والعمل الصالح وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة امرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التى فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير والموت لنا راحة من كل شر اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات اللهم اغفر لنا ذنبنا كله دقه وجله أوله وآخره سره وعلنه اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



المحاضرة الخامسة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلحي ببغداد حدثنا منصور بن ابي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريره رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فيلقل خيرا أو ليسكت

❍ **التعليق:**

هذا الباب فى ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان باب له أهمية العظيمة وذلك لأن اللسان خطير أمره عظيم ضرره وجناية اللسان تعود على جميع الأعضاء كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا مما يدل دلالة ظاهرة بينة أن ما يكون عليه اللسان من خير أو شر ينعكس على الأعضاء كلها فإذا استقام لسان المرء استقامت أعضاؤه وإذا فسد لسان المرء فسدت أعضاؤه لأن الأعضاء لها مع اللسان التبعية فى الخير والشر فأمر اللسان أمر خطير

وهو عضو صغير فى البدن لكن خطره عظيم وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مبينًا خطورة اللسان «وهل يكب الناس على وجوههم أوقال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» ولهذا فإن من صفات العقلاء وسمات الألباء حفظ اللسان وصيانة المنطق ولزوم الصمت إلا إذا تحقق أن الكلام الذى يقوله فيه خير ونفع وفائدة أما إذا كان الكلام مما لا خير فيه أو هو شر ظاهر أو أمر مشتبه فإن العاقل يمنع لسانه من كل ما كان من هذا القبيل فلا يتكلم إلا فى كلام خير وبين وواضح لا شبهة فيه ولا إشكال ولهذا صدر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذه الترجمة بحديث أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت وفى رواية أو ليصمت» وقول فليق خيرًا أو ليصمت فيه تنبيه إلى أهمية التفكر فيما سيقوله قبل أن يقوله لأنه متى يكون الإنسان بهذا المستوى فى حفظ اللسان (فليقل خيرًا أو ليصمت) لا يمكن أن يكون من أهل الصفة إلا بالنظر والتأمل فى الكلام قبل أن يخرج فإذا أراد أن يتكلم نظر فى كلامه هل هو خير أو شر أو مشتبه فلا يخرج عن هذه الحالات الثلاث فإذا كان خيرًا واضحًا فالنبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول (فليقل خيرًا) إذا تبين له أنه خير واضح فليقله ينفع الله به وإذا تبين له أن شر واضح فليمنع نفسه من الكلام ما هو شر والقسم الثالث المشتبه به يريد أن يقول كلامًا لكنه مشتبه عليه لا يدرى هل هو خير أو شر لا يدرى هل هو نفع أو ضر ففى هذا يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» ويقول «دع مالا يريبك إلى مالا يريبك» إذا اشتبه عليك الكلام هل هو خير أو شر فلا تستعجل بالكلام به حتى تتيقن من خيريته والكلمة إذ لم تخرج منك ولم تتكلم بها فأنت تملكها أما إذا تكلمت بها ملكتك وتحملت تبعتها وأصبح قولًا لك تحاسب عليه ولهذا فإن العاقل يزن كلامه قبل أن يتكلم به عملًا بهذا الحديث: «فليقل خيرًا أو ليصمت» ولا يمكن أن يكون من أهل هذه الصفة إلا بوزن الكلام من قبل

أن يتكلم به إذا أرادت الكلمة أن تخرج يمسكها وينظر هل هى خير أو شر أو مشتبهة عليه إن كانت خيرًا تكلم وإن كانت شرًا أحجم وألحقها بالموقف الصحيح من الكلام الذى هو شر وهو حجبه ومنعه وعدم التكلم فيه وإن كانت مشتبهة توقف فيها حتى يزول الإشتباه ولهذا عد العلماء رحمهم الله هذا الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت» من جوامع كلم النبى ﷺ فى باب الأخلاق والآداب بل عده العلماء من جملة بعض الأحاديث التى تعد على أصابع اليد الواحدة حيث يرجع إليه جميع أحاديث الأخلاق والآداب وهو أصل عظيم جدًا ومهم للغاية فى باب صيانة المرء لخلقه وأدبه «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت» ثم تأمل فى قوله (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) من دلالة ظاهرة على أن هذا العمل (فليقل خيرًا أو ليسكت) من مقتضيات الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر قال من كان يؤمن (بالله) لأنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ هو المقصود بالعمل والتقرب وقوله (اليوم الآخر) هذا دار الجزاء والحساب فمن قام فى قلبه إيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من جزاء وحساب ووقوف بين يدى الله فليق خيرًا أو ليسكت نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم الواجب على العاقل إذا ركب المطيتين اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم أن يبلغ مجهوده حينئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له إذ اللسان هو المورد للمرء موارد العطب والصمت يكسب المحبة والوقار ومن حفظ لسانه أراح نفسه والرجوع من الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام والصمت منام العقل والمنطق يقظته

التعليق:

قال أبو حاتم الواجب على العاقل إذا ركب المطيتين اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم يشير بالمطيتين إلى البابين السابقين الأول هو إصلاح السريرة بالتقوى والثانى الحث على العلم ولزومه فمن ركب هاتين المطيتين فليجتهد إجتهادًا عظيمًا فى حفظ لسانه وإصلاح السريرة ولزوم العلم بدل من المطيتين ثم قال **أن يبلغ مجهوده حينئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له** لأنه لا يسيقيم إيمان امرئ حتى يستقيم لسانه ثم قال **إذ اللسان هو المورد للمرء موارد العطب** كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وهل يكب الناس على وجوههم أوقال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» ثم قال **والصمت يكسب المحبة والوقار ومن حفظ لسانه أراح نفسه** انظر إلى هذا الكلام الجميل يقول **والرجوع من الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام** يعنى إن صمت لا تندم لكن إن تكلمت قد تندم ويصعب عليك الرجوع أما الرجوع من الصمت أمر لا يكلف بل لا يلحق الإنسان ندم فيه وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «من صمت نجا» قال والصمت منام العقل والمنطق يقظته يعنى يكون العقل بالصمت مرتاحًا لكن إن تكلم فالكلام يحتاج إلى يقظة

واحتراز وانتباه ومحاسبة النفس أما الصمت فهو منام العقل أى يكون صامتًا مرتاحًا لا يحتاج إلى جهد للعقل لأنه صمت لكن إذا أراد أن يتكلم فلا بد من يقظة للعقل وهذه الكلمة (الصمت منام العقل والمنطق يقظته) تروى عن سليمان بن عبدالملك كما جاء فى بعض المصادر ولا يتم حال إلا بحال نعم.

❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا عماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال إن من الحكم الصمت وقليل فاعله

التعليق:

عن لقمان أنه قال إن من الحكم الصمت وقليل فاعله فالصمت حكمة لكن قليل من الناس من يفعل هذه الحكمة ويوفق إليها وكثير منهم يسارع إلى الكلام فى أى موقف ويخوض فيما يعرف ومالا يعرف أكثر الناس هذه حالهم نعم.

❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

أقلل كلامك واستعذ من شره ... إن البلاء ببعضه مقرون
واحفظ لسانك واحتفظ من عيه ... حتى يكون كأنه مسجون
وكل فؤادك باللسان وقل له ... إن الكلام عليكما موزون
فزناه وليك محكما ذا قلة ... إن البلاغه في القليل تكون

○ **التعليق:**

هذا كلام جميل فى صيانة اللسان وحفظه والتقليل من الكلام وأن لا يتكلم الإنسان إلا بما يتحقق من خيره ونفعه وفائدته قال الناظم أقلل كلامك أى كن مقلًا فى الكلام ولا تكن مكثرًا منه اقلل كلامك واستعذ من شره أى أن اللسان فيه شر ولهذا جاء فى الحديث «اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى ولسانى» فاللسان فيه شر وشر اللسان عظيم جدًا فاقلل من الكلام وفى الوقت نفسه استعذ بالله من شر لسانك ومن الدعاء المأثور ما أشرت إليه «وأعوذ بك من شر لسانى» فليستعذ من شره أى شر اللسان وشر الكلام والمنطق إن البلاء ببعضه مقرون وهذا مثل ما جاء فى الحكمة (البلاء موكول بالمنطق) أى البلاء موكل بالمنطق وهذا معنى قول البلاء ببعضه مقرون وفى هذا المعنى يقول الشاعر

احفظ لسانك لا تقل فتبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

فليتجنب الإنسان اللسان وشره فإن البلاء موكل بالمنطق واحف لسانك أى من قول مالا يحل والكلام بما يحرم والخوض فى الإثم احفظ لسانك واحتفظ من غيه بالغين كما فى بعض النسخ وهو أظهر وأوضح واحتفظ من غيه أى غى اللسان

وهو انحرافه وميله وزيغه عن الصراط واحتفظ من غيه أى احترز وتجنب غى اللسان حتى يكون كأنه مسجون يعنى حتى يكون اللسان أشبه بالمسجون بحيث ما يفتح له هذا الباب إلا فى الشيء الواضح ولهذا كان ابن مسعود كما سيأتى فى آخر هذا الباب يقول «والله الذى لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شىء أحوج إلى طول سجن من اللسان» وهذا معنى قول الناظم يحتى يكون كأنه مسجون فيحبس إلا إذا تحقق من سلامة الكلام وصحته واستقامته أطلق وإلا يكون محبوسًا لإنه إن أطلق له العنان وأرخى له الذمام يتكلم بكل ما شاء ورط صاحبه وأورده الموارد

وكل فؤادك باللسان وقل له إن الكلام عليكما موزون

وفؤادك أى قلبك فكل ما تتكلم به ويخرج موزون عليكم أى محسوب ومكتوب يجعل فى الميزان يوم القيامة ويحاسب عليه الإنسان **فزناه وليك محكما ذا قلة** أى أيها القلب واللسان زنا الكلام قبل أن يخرج أى ضعاه فى الميزان واحسب للكلمة حسابها قبل أن تخرج وليكن الكلام الذى يخرج منك كلام محكم واضح فى استقامته وسلامته وفى الوقت نفسه ليكن قليلًا

إن البلاغه في القليل تكون وهذا معنى قولهم (البلاغة الإيجاز) ومعنى ما قيل

(خير الكلام ما قل ودل) فالبلاغة فى القليل تكون كلام قليل وموزون وزنه صاحبه وأحكمه ثم أخرجه فيكون كلامه له مكانته وقيمته واعتباره ولهذا بعض الناس إذا أريد أن يمدح يقولون فلان كلامه موزون لأنه يعهدونه تخرج منه كلمات قليلة ونافعة فلا يعهدون منه الثرثرة وكثرة الكلام وعدم المبالاة وإنما يعهدون من كلامًا موزونًا نعم

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال سمعت مالك بن أنس يقول كل شيء ينتفع بفضله إلا الكلام فإن فضله يضر

❍ **التعليق:**

كل شىء ينتفع بفضله يعنى بما زاد منه أى من الطعام واللباس وغيره له مجالات ينتفع بها إلا الكلام فإن فضله يضر وهذا تأكيد بما سبق وأن يكون الإنسان قليل الكلام وان يكون هذا القليل كلاماً محكماً نعم.

❁◈❁

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا القبطان قال حدثنا احمد بن أبى الحوارى قال حدثنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال قال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه «لاخير فى الحياة إلا لأحد رجلين منصت واع أو متكلم عالم»

❍ **التعليق:**

هذا كلام جميل وعظيم لأبى الدرداء رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ يقول «لا خير فى الحياة إلا لأحد رجلين منصت واع أو متكلم عالم» المنصت الواع يستفيد ولا تزال الفوائد تتزايد وتكثر عنده ويزداد تحصيله للعلم والخير والحكم منصت واع أو متكلم عالم أى يتكلم بعلم وبين هذين الرجلين هلكت الناس إما خائض فى الكلام بما يعرف وما لا يعرف ويترتب على ذلك من المضرة والإثم ما يترتب أو رجل لا ينتفع ولا يستفيد وتضيع حياته وأوقاته سبهللة بدون فائدة ولا انتفاع فمهلكة الناس بين هذين ولا خير فى الحياة إلا لأحد رجلين منصت واع أو متكلم عالم نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم ولا يعترض عليهم فيه لأن الكلام وإن كان في وقته حظوة جليلة فإن الصمت في وقته مرتبة عالية ومن جهل بالصمت عي بالمنطق والإنسان إما هو صورة ممثلة أو صالة مهملة لولا اللسان والله جل وعز رفع جارحة اللسان على سائر الجوارح فليس منها شيء أعظم اجرا منه إذا أطاع ولا أعظم ذنبا منه إذا جنى

التعليق:

هذه كلمة لأبى حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصنف هذا الكتاب يقول الواجب على العاقل ألا يغالب الناس على كلامهم ولا يعترض عليهم فيه لأن بعض الناس شغله الشاغل مغالبة الناس على كلامهم ومشاغلتهم فيه ويتفقد عيوب الناس وهو عن عيوب نفسه غافل يقول لأن الكلام وإن كان في وقته حظوة جليلة يعنى لما يتكلم الإنسان وقت الكلام فالكلام له حظوة يوافق شهوة فى نفس ربما يتكلم وهو معجب فى كلامه يقول وإن كان للكلام حظوة فإن الصمت فى وقته مرتبة عالية لكن قليل من يوفق للصمت الذى هو حكمة ومن جهل بالصمت أى رمى بالجهل لكونه صامت لم يتكلم عى بالمنطق فمن جهل بالصمت عى بالمنطق يعنى إذا أسرف فى الكلام ترتب على إسرافه فى الكلام من المضرة مالا يحمد عاقبته وهذا فيه تنبيه بأن كثرة الكلام فيما يعرف وما لا يعرف هذا يعد عى وجهلًا وإن كان كلامًا كثيرًا يعد دربًا من دروب الجهل ولهذا بعض الناس ربما يتكلم ساعة كاملة ويكون كلامه كله جهل لا نفع فيه ولا فائدة كلام منمق ومذوق إلى آخره لكنه درب من دروب الجهل لا نفع فيه ولهذا يذكر أن أحدهم وكان كثير الكلام تكلم يومًا وأكثر وكان فى المجلس رجل أعرابى على الفطرة فقال هذا المتكلم الذى

أكثر من الكلام ملتفتًا إلى الأعرابى قال أتعرف ما العى؟ قال الأعرابى نعم قال وما هو؟ قال ما كنت فيه منذ اليوم هذا هو العى يعنى ثرثرة وكلام ولا فائدة فيه فإذا كان الإنسان يجهل بالصمت عى بالكلام يعنى ينسب بكثرة الكلام الذى لا نفع فيه ولا فائدة ينسب إلى الجهل ومن جهل بالصمت عى بالمنطق والإنسان إنما هو صورة ممثلة أو ضالة مهملة لولا اللسان فهو الذى يعبر به وهو مغراف القلوب وترجمان الفؤاد فالإنسان بمنطقه بكلامه ليس بهيكله يقولون (المرء بأصغريه) أى بأصغر عضوين فيه اللسان والقلب فالمرء ليس بهيكله بيديه أو برجليه أو بوجهه أو بجسمه الضخم فالمرء بأصغريه أى أصغر عضوين فيه القلب واللسان وهذا معنى قوله إنما هو صورة ممثلة أو ضالة مهملة لولا اللسان والله عزوجل رفع درجة اللسان على سائر الجوارح ثم يقول **فليس منها شيء أعظم اجرا منه إذا أطاع ولا أعظم ذنبا منه إذا جنى نعم.**



❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

لئن كان يجني اللوم ما أنت قائل ولم يك منه النفع فالصمت أيسر
فلا تبد قولا من لسانك لم يرض مواقعه من قبل ذاك التفكر

❍ **التعليق:**

هذان البيتان فى خطورة اللسان وأهمية الصمت وأن الصمت أيسر من التكلم وأسلم للعبد يقول **لئن كان يجني اللوم ما أنت قائل** يعنى إذا كان كلامك يثمر اللوم والعتب عليك لأنك تكلمت وأصبحت متحملًا تبعة كلامك فيجنى عليك اللوم ولهذا يقال هو قال فلان قال هو الذى تكلم بكذا وكما يقال (يداك أوكت وفوك نطق) يعنى أنت الذى تكلمت وأنت الذى تتحمل التبعة لما تقول فإذا كان ثم يقول **ولم يك منه النفع فالصمت أيسر** فأيسر يعنى لا عتاب ولا ملامة

فلا تبد قولا من لسانك لم يرض مواقعه من قبل ذاك التفكر

أى لا تخرج كلامًا من لسانك إلا إذا تفكرت ونظرت فيه وفى سلامته وأنه لا شر فيه ولا ضرر نعم.

❊

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هرون بن محمد البكار قال سمعت أبا مسهر ينشد هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلام قبيحا   كل قول يشينه الإكثار

❍ التعليق:

وهذا فيه الدعوى إلى التقليل من الكلام والبعد من الثرثرة وكثرة الكلام لأن ذلك قبيح بالمرء نعم.

❊

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثني محمد بن داود بن سليمان الرملى حدثنا المسيب بن واضح قال سمعت ابن المبارك يقول :

تعاهد لسانك إن اللسان   سريع الى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد   يدل الرجال على عقله

❍ التعليق:

يقول ابن المبارك تعاهد لسانك أى فى محاسبته ووزن الكلام الذى تقوله قبل أن تقوله إن اللسان سريع إلى المرء فى قتله أى أن اللسان يورد المرء إلى المهالك والمعاطب وهذا اللسان بريد الفؤاد أى ترجمان القلب ومغرفة الصدور يدل الرجال على عقولهم أى يدل على مدى العقل فإذا تكلم الرجل عرف مستوى عقله فينبغى على الإنسان أن يحرص على أن لا يتكلم إلا بالكلام القليل الذى فيه الخير والفائدة وما سوى ذلك يتجنبه لأن فى ذلك هلكة العبد نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيقي أنبأنا إبراهيم بن الأشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول شيئان يقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الأكل

❍ **التعليق:**

كثرة الكلام وكثرة الأكل يجلبان القسوة للقلب فإذا كان الإنسان ثرثارًا مكثرًا للكلام ولا يزنه فهذا الكلام يقسى قلبه ومما يدخل فى قسوة القلب كثرة الضحك وكذلك كثرة الأكل تجلب الخمول والوهن والإرتخاء للبدن وهى أيضًا من أسباب قسوة القلب وفتورة عن الطاعات نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو يعلي حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال سمعت يحيى بن اليمان يقول قال سفيان الثوري أول العبادة الصمت ثم طلب العلم ثم العمل به ثم حفظه ثم نشره

التعليق:

هذه كلمة لسفيان الثورى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومر لها نظير عن سفيان بن عيينه وعن ابن المبارك فيما سبق وهى مراتب يتدرج فيها الإنسان ويترقى فى أبواب الخير قال **أول العبادة الصمت ثم طلب العلم ثم العمل به ثم حفظه ثم نشره** وهذه مراتب مر نظير لها نعم.

❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العتبي عن علي بن جرير عن أبيه قال قال الأحنف بن قيس الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه

التعليق:

هذه أربع فوائد للصمت ذكرها الأحنف بن قيس يجنيها العبد من خلال الصمت نعم.

❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم الواجب على العاقل أن يلزم الصمت الى أن يلزمه التكلم فما أكثر من ندم إذا نطق وأقل من يندم إذا سكت وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مطلق وفؤاد مطبق

التعليق:

يقول أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم قال **فما أكثر من ندم إذا نطق وأقل من يندم إذا سكت وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مطلق وفؤاد مطبق**

واللسان المطلق هو الثرثار المكثر من الكلام وعرفنا أن اللسان يحتاج إلى طول سجن واللسان المطلق مفتوح له المجال يتكلم بما شاء بدون حساب وفؤاد مطبق أى مغلق من الخير فإذا كان الفؤاد مطبق واللسان مطلق فهذا هو البلاء العظيم والشر المستطير نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ويضع كل خصلة منها في موضعها هو أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وناطق يرد به الجواب وحاكم يفصل به الخطاب وشافع تدرك به الحاجات وواصف تعرف به الأشياء وحاصد تذهب الضغينه ونازع يجذب المودة ومسل يذكي القلوب ومعز ترد به الأحزان

التعليق:

هذه أمور وخصال للسان يجب أن تعرف و ليست على وجه الحصر لكنها من أهم الخصال والأمور التى تتحقق باللسان نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول :

إن كـــان يعجبـــك الســـكوت فإنـــه ... قـــد كـــان يعجـــب قلبـــك الأخيـــارا
ولـــئن نـــدمت علـــى ســـكوت مـــرة ... فلقـــد نـــدمت علـــى الكـــلام مـــرارا
إن الســـكوت ســـلامة ولربمـــا ... زرع الكـــلام عـــداوة وضـــرارا
وإذا تقـــرب خاســـر مـــن خاســـر ... زادا بـــذاك خســـارة وتبـــارا

التعليق:

ولقد أحسن الذي يقول ... إن كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يعجب قلبك الأخيارا أي إن وفقك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومالت نفسك لملازمة الصمت والسكون إلا مما فيه فائدة ونفع فإن كان هذا يعجبك فمن نعمة الله عليك لأنه كان يعجب الأخيار من قبلك فأنت في هذا سالك مسلك الأخيار ناهج منهجهم **ولئن ندمت على سكوت مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا** إن كان حصل مني ندم على السكون مرة واحدًا فقد حصل مني ندم كثير ومتكرر مرات عديدة على الكلام إن السكون سلامة كما جاء في الحديث «من صمت نجا»

إن السكوت سلامة ولربما ... زرع الكلام عداوة وضرارا

فالكلام قد يزرع شرورًا وفتن

وإذا تقرب خاسر من خاسر ... زادا بذاك خسارة وتبارًا

زاد خسارة وتبارًا أي هلاكًا نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمي حدثنا العلاء ابن سعيد الكندي حدثني أبو حية قال كنت أماشي إسماعيل بن سهل وكان أحد الحكماء فقال لي ألا أخبرك ببيت شعر خير لك من عشرة آلاف درهم قال نعم قال أيما أحب إليك نفسك أو عشرة آلاف درهم قال قلت نفسي فأنشىء يقول

أخفض الصوت إن نطقت بليل ... والتفت بالنهار قبل المقال

التعليق:

هذا البيت وهذه التقدمة من هذا الحكيم فى بيان أهميته وهوبيت فى باب الحيطة والإحتراس وينبغى على الإنسان أن يحتاط ويحترس متى تكلم فى ليل أو نهار كما أشار إلى ذلك الناظم فى هذا البيت فإن كان متكلمًا بليل فليخفض الصوت والناس يقولون الكلام فى الليل يسرى حيث هدوء الأصوات وسكون الكون يصل إلى مسافات بعيدة وقد تسمع صوت أشخاص يتكلمون على مسافات بعيدة بليل ولا تسمع صوتًا بمثل هذه المسافة فى النهار ثم قال والتفت بالنهار قبل المقال يعنى قبل أن تتكلم احترس وانظر إلى من يسمعك وكيف كلامك وأثره لكن الإحتراس المطلوب فى الكلام من المسلم ليس هو هذا بل الإحتراس المطلوب منه قوله تعالى ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠] وهذا ما يفيد لا إلى التفات عند التكلم يمينًا أو يسارًا حتى لا يسمعنى أحد ولا إلى خفض صوت فى الليل فالذى يفيد الإنسان مراقبته لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فى كلامه الذى يقوله فى الليل أو النهار لكن الشاعر هنا له مقصد فيما يتعلق بتبعة الكلام وأضراره وتحمل مسؤوليته لدى الناس ولهذا يروى له تتمة قال

اخفض الصوت إذا نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال

ليس فى القول رجعة حين يبدوا بقبيح يكون أو بجمال

فإذا خرجت الكلمة من الإنسان لا يستطيع أن يرجع فيها ويكون محاسبًا عليها ومتحملًا لتبعتها لكن يبقى الأمر كما أشرت أنه يجب على العبد أن يراقب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأن يذكر فى ليله ونهاره وفى كل أوقاته أن رب العالمين يسمع كلامه ويسمع جميع الأصوات سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فلو تكلم العالمين كلهم فى لحظة واحدة لسمع أصواتهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت من الأصوات سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نعم.

৯০◊ଓ৪

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يكون ناطقا كعيي وعالما كجاهل وساكتا كناطق لأن الكلام لا بد له من الجواب والجواب لو جعل له جواب لم يكن للقول نهاية وخرج المرء الى ما ليس له غاية والمتكلم لا يسلم من أن ينسب إليه الصلف والتكلف والصامت لا يليق به إلا الوقار وحسن الصمت.

التعليق:

الواجب على العاقل أن يكون ناطقا كعيي والعيى هو الجاهل بمعنى أن لا يكون مكثرًا من الكلام بل يكون مقل فى حدود الحاجة حتى إن من يسمعه يقول ما عنده شيء يقوله وهو عنده لكنه لا يتكلم إلا فى حدود الحاجة والفائدة هذا معنى قوله كن ناطقًا كعيى أى لا تقل كل شىء وإنما تكلم الكلام المختصر المفيد حتى إن من يسمع يظن أن ما عنده شيء وهو إنما أراد التقليل من الكلام ويكون فيه فائدة وقد قيل فى كلام السلف رحمهم الله أنه قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة وعالمًا كجاهل على المعنى نفسه وساكتًا كناطق لأن الكلام لا بد له من جواب والجواب لو جعل له جواب لم يكن للقول نهاية يعنى لو تابع الإنسان الكلام وتسلسله استمر فى فيه بل لا بد من ضبطه ووزنه وأن يكون فى حدود الحاجة نعم.

؏◈؏

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول :

حتـــف امـــرىء لســـانه ... في جـــده أو لعبـــه
بـــين اللهـــا مقتلـــه ... ركـــب في مركبـــه

التعليق:

وجدت أن هذه الأبيات فى بعض المصادر تنسب لأبى محمد اليزيدى ولها تتمة تنظر فى كتاب (الموشى) لأبى الطيب الوشاء فى الحكم والآداب وفيه فوائد ثمينة جدًا وحجمه ليس بالكبير يقول **حتف امرىء لسانه =في جده أو لعبه** والحتف أى هلاك المرء لسانه فى جده ولعبه **بين اللها مقتله** واللها هى اللحمة الحمراء التى فى سقف الحلق فيقول بين اللها مقتله أى مقتل الإنسان فى لسانه مثل ما قيل (مقتل المرء بين لحييه وفكيه)

ثم يقول **ركب في مركبه** فإذا كان الإنسان لايبالى بالكلام فمقتله فى لسانه وكم من أناس أوردتهم كلمات قالوها فى المعاطب والمهالك فى الدنيا والآخرة حتى أن النبى ﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالًا يهوى بها فى النار سبعين خريفًا» نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال قال عمر بن الخطاب يا أحنف من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه

التعليق:

هذه وصية عظيمة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالها للأحنف بن قيس وللأحنف بن قيس كلمة عظيمة مرت معنا فيها الحكمة فى فوائد الصمت قال «الصمت أمان من تحريف اللفظ..............» إلى آخر كلامه انظر إلى هذه الموعظة التى سمعها الأحنف بن قيس وأثرها أيضًا فى الأحنف فى مثل كلمة التى سمعناها عنه منذ قليل قال يا أحنف **من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه** وفى بعض الروايات لهذا الأثر فالنار أولى به فهذه أمور يترتب بعضها على بعض فكثرة الكلام تسبب كثرة السقط يعنى الزلل والخطأ وكثرة الزلل والخطأ فى الكلام تؤدى إلى قلة الحياء وقلة الحياء تؤدى إلى قلة الورع وقلة الورع تسبب موت القلب نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الأبرش :

مـا ذل ذو صـمت ومـا مـن مكثـر ... إلا يـزل ومـا يعـاب صـموت
إن كـان منطـق نـاطق مـن فضـة ... فالصـمت در زانـه اليـاقوت

التعليق:

هذا أيضًا كلام عظيم فى أن الصمت لا يندم عليه الإنسان ولا يسبب ذلة ولا مهانة للإنسان أما الكلام والإكثار منه فإنه يسبب المهانة والمذلة ويتحمل تبعات كلامه وفى الحكم (لوكان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب) صاغه الناظم فى هذا البيت **إن كان منطق ناطق من فضة ... فالصمت در زانه الياقوت** نعم.

൭◊൫

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا ابن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح قال سمعت علي بن بكار يقول جعل الله لكل شيء بابين وجعل للسان أربعة الشفتين مصراعين والأسنان مصراعين

❍ **التعليق:**

فالمراد بهذا التأكيد على صيانة اللسان فإذا كانت الأشياء لها بابين فاللسان له أربعة أبواب فالبابين الأولين الشفتين والبابين الآخرين الأسنان ولا يخرج الكلام إلا بفتح بابين الأسنان وبابين الشفتين ولا يخرج الكلام إلا بفتح الأربعة أبواب بابين من الأعلى وبابين من الأسفل والشيء الذى له أبواب عديدة فهذا يدل على أهميته وخطورته والمراد بهذا كله أهمية حفظ اللسان وصيانته فهذه الأبواب العديدة التى تميز بها لها ما تقتضيه وهو أن يحفظ هذا اللسان ويصان وأن يحبس فى هذه الأبواب فلا يخرج إلا ما فيه نفع وفائدة نعم.

❧❖☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا نصر بن علي الجهضمي أنبأنا محمد بن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد أن شابا كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب ويحسن الاستماع ثم ينصرف من قبل أن يتكلم ففطن له عمر فقال له إنك تحضر مجلسنا وتحسن الأستماع ثم تنصرف من قبل أن تتكلم فقال الشاب اني أحضر فأتوقى وأتنقى وأصمت فأسلم

التعليق:

هذا شاب آتاه الله الحكمة ووفقه فى شبابه يقول إنى أحضر فأتوقى وأتنقى أتوقى بالسكوت من الخطأ والزلل وأتنقى أى من الكلام أطيبه وأنفعه فأستفيد وانتفع وأصمت فأسلم نعم.

٭ ◊ ٭

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول لأنه إذا قال ربما ندم وإن لم يقل لم يندم وهو على رد ما لم يقل أقدر منه على رد ما قال والكلمة إذا تكلم بها ملكته وإن لم يتكلم بها ملكها والعجب ممن يتكلم بالكلمة إن هي رفعت ربما ضرته وإن لم ترفع لم تضره كيف لا يصمت ورب كلمة سلبت نعمة

○ **التعليق:**

هذا كلام عظيم جدًا لأبى حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه كيف يكون هذا الإنصاف؟ يعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد فالإنصاف أن يكون ما يسمع أكثر مما يقول لأن الأذن اثنان والفم واحد فإذا أنصف أذنيه من فمه فالإنصاف يقتضى أن يكون ما يسمعه أقل مما يقوله لأنه إذا قال ربما ندم وإن لم يقل لم يندم فالسكوت ليس فيه ندم فى الغالب أما الكلام فكثيرًا ما يندم الإنسان على الكلمة التى تخرج منه فالكلمة إن لم تخرج ملكها الإنسان وإن خرجت ملكته نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي قال أنشدني رجل من ربيعة :

لعمـرك مـا شـيء علمـت مكانـه أحـق بسـجن مـن لسـان مـذلل
علـى فيـك ممـا لـيس يعنيـك شـأنه بقفـل وثيـق مـا أسـتطعت فأقفـل
فـرب كـلام قـد جـرى مـن ممـازح فسـاق إليـه سـهم حتـف معجـل
وللصـمت خيـر مـن كـلام بمـأثم فكن صامتا تسلم وإن قلـت فاعـدل

التعليق:

هذه وصية عظيمة فى صيانة اللسان وحفظه وأنه بحاجة إلى طول سجن كما سيأتى فى الأثر المروى عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

لعمرك ما شيء علمت مكانه أحق بسجن من لسان مذلل

أى أن اللسان بحاجة إلى طول سجن

على فيك مما ليس يعنيك شأنه بقفل وثيق ما أستطعت فأقفل

يقول فاقفل على فيك وذلك لأن الجار والمجرور (على فيك) متعلق بآخر البيت فى قوله فاقفل **على فيك مما ليس يعنيك شأنه** =**بقفل وثيق ما أستطعت** أى اجتهد أن تضع على فيك قفل بحيث تمنع اللسان من الكلام إلا فى الأمر الذى يعنيك أما الذى لا يعنيك ولا فائدة فيه وفيه مضرة فضع على لسانك قفلًا فلا تخرجه وكذلك كل كلام كان من هذا القبيل

فرب كلام قد جرى من ممازح فساق إليه سهم حتف معجل.

يعنى كلمة لا يلقى لها بال أو قالها مازحًا فتجر له هلاكًا معجلًا وضررًا عظيمًا

وللصمت خير من كلام بمأثم   فكن صامتا تسلم وإن قلت فاعدل

وهذه وصية عظيمة جدًا جمعتها هذه الأبيات نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو يعلي حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان ابن موسى قال قال أبو الدرداء كفى بك ظالما أن لا تزال مخاصما وكفى بك آثما أن لا تزال مماريا وكفى بك كاذبا أن لا تزال محدثا إلا حديثا في ذات الله جَلَّ وَعَلَا.

التعليق:

هذا تحذير من الخصومات واللجج والمماراة وكثرة الكلام إلا إذا كان فى ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكناني حدثنا كثير ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبي سعيد عن كعب قال العافية عشرة أجزاء تسعة منها في السكوت

❍ **التعليق:**

وهذه الكلمة لكعب فيها أهمية السكوت وأن العافية والسلامة فيه فالعافية التى هى السلامة عشرة أجزاء تسعة منها فى السكوت نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدوريقي حدثنا يحيى القطان عن شعبة قال من الناس من عقله بفنائه ومنهم من عقله معه ومنهم من لا عقل له فأما الذي عقله معه فالذي يبصر ما يخرج منه قبل أن يتكلم وأما الذى عقله بفنائه فالذي يبصر ما يخرج بعد أن يتكلم ومنهم من لا عقل له فحدثت به عبد الرحمن بن مهدي بعد ما رجعنا من عند يحيى فقال هذه صفتنا يعني الذي عقله بفنائه وأستحسن الكلام وقال لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة لعله سمعه من غيره

التعليق:

هذا كلام عظيم جدًا فى أحوال الناس من حيث العقل عند التكلم فيقول الناس على ثلاثة أقسام منهم من عقله بفنائه أى بساحته قريب منه ومنهم من عقله معه ومنهم من لا عقل له قال أما الذى عقله معه فهو الذى يبصر ما يخرج منه قبل أن يتكلم هذا عقله معه لا يتكلم بكلمة حتى يتبصر فيها ويتأمل وينظر فى عاقبتها وأما الذى عقله بفنائه فهو يبصر ما يخرج منه بعد أن يتكلم لأن عقله قريب منه بفنائه فإذا خرجت الكلمة انتبه لها ولخطورتها ولهذا يرجع ويندم ويتأسف إلى آخره القسم الآخر لا عقل له وهو الذى يتكلم ولا يبالى يقول حدثت عبدالرحمن بن مهدى بعد ما رجعنا من عند يحيى بن القطان فقال هذه صفتنا يعنى الذى عقله بفنائه واستحسن الكلام أى أعجبه جدًا وقال هذا الكلام لا يمكن أن يكون من كلام شعبة لأنه متين وقوى ما أظنه من شعبة لعله سمعه من احد فهو كلام قوى ومتين فى تقسيم الناس من حيث العقل عند التكلم نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني البغدادي محمد بن عبدالله بن زنجي :

أنـــت مـــن الصـــمت آمـــن الزلـــل ومـــن كثيـــر الكـــلام في وجـــل
لا تقـــل القـــول ثـــم تتبعـــه ياليـــت مـــا كنـــت قلـــت لـــم أقـــل

❍ **التعليق:**

يقول الناظم إذا كنت صامتًا كان عندك الآمان من الزلل وسلامة منه لأن الصمت عافية وسلامة والعافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت فأنت فى عافية إذا كنت ملازمًا للصمت آمن الزلل وإذا كنت كثير الكلام فأنت فى وجل وخوف من تبعة الكلام فلا تقل القول ثم تتبعه ياليت ما كنت قلت لم أقل وهذا حال كثير من الناس يتكلم يتكلم ثم يضرب يد على يد يا ليتنى ما قلت هذه الكلمة والله إنى ندمت إنى متأسف استعجلت فيقول لا تقل القول ثم تتبعه ياليت ما كنت قلت لم أقل فبدلًا من أن تندم بعد الكلام زن الكلام قبل أن يخرج أسلم لك وتتحقق عافيتك نعم.

❧◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت العباس بن الوليد بن مزيد يقول سمعت أبي يقول سمعت الأوزاعي يقول ما بلى أحد في دينه ببلاء أضر عليه من طلاقة لسانه

التعليق:

هذا واضح فطلاقة اللسان والثرثرة وكثرة الكلام من أعظم البلاء نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول سمعت أبا أحمد بن أبي قديد يقول سمعت العباس بن عبد العظيم يقول سمعت عارما يقول سمعت خالد بن الحارث يقول السكوت زين للعاقل وستر للجاهل

التعليق:

السكوت زين للعاقل أى جمال له وستر للجاهل ولهذا يقال (الصمت صون للسان وستر للعى) أى الجهل نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لو لم يكن في الصمت خصلة تحمد إلا تزين

العاقل وتشين الجاهل به لكان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمت ما وجد إليه سبيلا ومن أحب السلامه من الآثام فليقل ما يقبل منه وليقل مما لا يقبل منه لأنه لا يجترىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لا يليق بهم من ذلك ما حدثنا به محمد بن الحسين بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن على حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال قلت للحكم مالك لا تكتب عن زاذان قال كان كثير الكلام

التعليق:

وليقل مما لا يقبل منه أى من الإقلال وعدم الإكثار مما لا يقبل منه

(الفائق) هو الذى فاق أقرانه بحسن كلمه وضبطه ووزنه ومراعاته للحاجة والمصلحة

(المائق) هو الأحمق الثرثار الذى لا يبالى بالكلام ومن ذلك **عن سعيد قال قلت للحكم مالك لا تكتب عن زاذان قال كان كثير الكلام** نعم.

۞

❍ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

لسان العاقل يكون وراء قلبه فإذا أراد القول رجع الى القلب فإن كان له قال وإلا فلا والجاهل قلبه في طرف لسانه ما أتى على لسانه تكلم به وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه واللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء وإذا فسد فكذلك أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن رجل قال أني لأكذب الكذبة فأعرفها في عملي

أنبأنا أبو عوانه يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن الوليد بن مسلم قال قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله

قال أبوحاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والعاقل لا يبتديء الكلام إلا أن يسأل ولا يقول إلا لمن يقبل ولا يجيب إذا شوتم ولا يجازي إذا أسمع لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسنا فإن السكوت عند القبيح أحسن منه

❍ **التعليق:**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ لسان العاقل يكون وراء قلبه فإذا أراد القول رجع إلى القلب وهذا مر معنا نظير له فيما سبق أين هو؟ يقول لسان العاقل يكون وراء قلبه فإن أراد القول رجع إلى القلب فإن كان له قال وإلا فلا يعنى إن كان له قاله وإن كان عليه لم يقله أين مر علينا؟ طيب واصل نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

الصـــمت عنـــد القبـــيح تســـمعه صـــاحب صـــدق لكـــل مصـــطحب
فـآثر الصـمت مـا أسـتطعت فقـد يـؤثر قـول الحكـيم في الكتـب
لـو كـان بعـض الكـلام مـن ورق لكـان جـل السـكوت مـن ذهـب

التعليق:

هذا فيه أهمية الصمت يقول

الصـــمت عنـــد القبـــيح تســـمعه صـــاحب صـــدق لكـــل مصـــطحب
فـآثر الصـمت مـا أسـتطعت فقـد يـؤثر قـول الحكـيم في الكتـب
لـو كـان بعـض الكـلام مـن ورق لكـان جـل السـكوت مـن ذهـب

والمراد (بقول الحكيم)

لـو كـان بعـض الكـلام مـن ورق لكـان جـل السـكوت مـن ذهـب

نعم.

✿◊✿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فصاله عن المغيرة بن مسلم الهجيمي عن أسير ابن جابر قال ما رضعت عنزا قط ولو قلت لا أرضعها خفت أن يصير بي البلاء الى أن أرضعها إن البلاء موكل بالقول

❍ **التعليق:**

والرضاع أن يضع فمه عند حلمة العنز يمص منها الحليب **ما رضعت عنزا قط ولو قلت لا أرضعها خفت أن يصير بي البلاء الى أن أرضعها إن البلاء موكل بالقول** وهذا مثال جميل لهذه المقولة (إن البلاء موكل بالقول) ولهذا ينبغى على الإنسان أن يحترس من منطقه ويتجنب مثل هذا الكلام لأن البلاء موكل بالمنطق أى مقرون بمنطق الإنسان نعم.

﴾◊﴿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني الكريزي :

استر العي ما أستطعت بصمت ... إن في الصمت راحة للصموت
واجعل الصمت إن عييت جوابا ... رب قول جوابه في السكوت

التعليق:

استر العى ما استطعت بصمت العى هو الجهل **إن في الصمت راحة للصموت** فالصمت عافية أى سلامة للصموت أى للصامت الذى لا يتكلم **واجعل الصمت إن عييت جوابا** إن عييت أى إن عجزت عن الجواب فاجعل الصمت جوابًا رب قول جوابه فى السكوت نعم.

٭٭٭

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنبأنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا سفيان عن يزيد بن حيان عن عنبس بن عقبه قال سمعت ابن مسعود يقول والله الذي لا إله غيره ما شيء أحق بطول سجن من اللسان

التعليق:

هذا قسم من هذا الصحابى الجليل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالله الذى لا إله إلا هو أن ما شىء أحق بطول سجن من اللسان أى يحتاج إلى سجن طويل وألا يتكلم الإنسان إلا بالنفع المحقق كما مر معنا فى الحديث الذى صدر به المصنف الترجمة قال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها في الأوقات وإن من أعظم الخلل المفسد لصحة السرائر والمذهب لصلاح الضمائر الإكثار من الكلام وإن أبيح له كثرة النطق ولا سبيل للمرء الى رعاية الصمت إلا بترك ما أبيح له من النطق

التعليق:

وهذا كلام جميل النطق مباح فالكلام المباح مباح لكن التقليل من المباح حرز للإنسان من الزلل فيما لا يباح والدخول فيما لا يعنى الإنسان ولهذا قال **ولا سبيل للمرء الى رعاية الصمت إلا بترك ما أبيح له من النطق** نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن سفيان عن نسير بن ذعلوق عن إبراهيم التيمي أخبرني من صحب الربيع بن خيثم عشرين عاما فلم يسمع منه كلمة تعاب

❍ **التعليق:**

الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى سيرته عطرة فى أدبه وخلقه وتواضعه وجمال أخلاقه وجميل آدابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من يقرأ سيرته يقف على أمور عجب فى جمال السيرة وجمال الخلق ومن ذلكم ما ذكر هنا **أخبرني من صحب الربيع بن خيثم عشرين عاما فلم يسمع منه كلمة تعاب** وبعض الناس فى اليوم الواحد يسمع منه عشرين كلمة تعاب أو أكثر وهذا عشرين عام صحبه يقول لم أسمع منه كلمة تعاب نعم.

❧◈❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الجنيدي عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن أبي طعمه عن رجل من الحي قال أتيت الربيع بن خيثم بنعي الحسين وقالوا اليوم يتكلم مقاله فتأوه ومد بها صوته ثم قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون

التعليق:

كان معروفًا بقلة الكلام ولا يخرج منه الكلام إلا إذا كان موزونًا ولهذا لاحظوا فى هذا الموقف قالوا اليوم يتكلم مقالة ولذلك لأن قتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أمر عظيم جدًا وقتل مظلومًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال فتأوه ومد بها صوته وفى بعض الروايات لهذا الأثر قال قتلوه ومد بها صوته **ثم قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون** ولم يزد على قراءته لهذه الآية فله مواقف عجيبة فى هدوءه وقلته من الكلام ولا يتكلم إلا بكلام عظيم جدًا وهنا اكتفى بذكر هذه الآية وأتى بها فى موضعها المناسب استدلالًا واستشهادًا بها وكان فى هذا الرجل حلم عظيم وأناة وتؤدة وصبر وبعد عن العضب ومن الكلمات التى أعجبتنى كثيرًا فى ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهى فى سير أعلام النبلاء أنه كان لا يغضب وإذا غضب من شخص قال بارك الله فيك «**هذا الأثر لعبدالرحمن بن عون وليس للربيع بن خثيم**»

ويذكر عنه فى سيرته أنه كان عنده ناقة أو فرس يحبه جدًا فأرسله مع أحد العبيد الرقيق عنده لحاجة فكأن الناقة أو الفرس تلدم فضربه هذا العبد على وجهه ضربة أضرت بعينه فجىء به وقيل له إن فلان خادمك فعل كذا وكذا واندلقت عين الفرس وكان يحبه حبًا عظيمًا قالوا اليوم يقول مقالته يعرفونه فى هدوءه وأنه لا

يغضب وهذا الخادم ضرب فرسه على وجهه حتى أعمى عينه فجيء به والخادم موجود قال وعلى الوجه أشهدكم أنى أعتقته لوجه الله فكان فيه احتمال وصبر عجيب جدًا والذى يريد أن يقرأ فى الإحتمال والصبر فليقرأ فى سيرة هذا الرجل فسيرته عجيبة وجميلة فى هذا الباب وفى الأثر الذى سبق أن إبراهيم التيمى يقول أخبرنى من صحب الربيع بن خثيم عشرين عامًا فلم يسمع منه كلمة تعاب ومن كلماته الجميلة قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ذكر الله خير لكم من ذكر الرجال» وأيضًا من كلماته الجميلة فيما ذكره الذهبى فى ترجمته فى سير أعلام النبلاء قال «ذكر الناس داء وذكر الله دواء» والداء هو المرض والدواء أى هو الشفاء للقلوب قال الذهبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا إى والله العجب منا يعنى كيف ندع الدواء ونقبل على الداء نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعي قال بينما أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشي وحدها على بعير لها فقلت يا أمة الجبار من تطلبين فقالت من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له قال فعلمت أنها قد أضلت أصحابها فقلت لها كأنك قد أضللت أصحابك قالت ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فقلت لها يا هذه من أين أنت قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله فعلمت أنها مقدسيه فقلت لها كيف لا تتكلمين فقالت ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فقال بعض أصحابي ينبغي أن تكون هذه من الخوارج فقالت ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فبينما نحن نماشيها إذ رفعت لنا قباب وخيم فقالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال فلم أفطن لقولها فقلت ما تقولين فقالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال فلم أفطن لقولها فقلت ما تقولين فقالت وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام قلت بمن أصوت وبمن أدعو فقالت يا يحيى خذ الكتاب بقوة يا زكريا إنا نبشرك يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض قال فإذا نحن بثلاثة أخوة كاللآلىء فقالوا أمنا ورب الكعبة أضللناها منذ ثلاث فقالت الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور فأومأت الى أحدهم فقالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فقلت إنها أمرتهم أن يرودونا فجاؤا بخبز وكعك

فقلت لا حاجة لنا في ذلك فقلت للفتية من هذه منكم قالوا هذه أمنا ما تكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة الكذب فدنوت منها فقلت يا أمة الله أوصني فقالت لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى فعلمت أنها شيعية فانصرفت

التعليق:

هذه المرأة التى قيل عنها ما تكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة

الكذب يعنى أن المصنف لو لم يذكره هذه القصة لكان أولى لأمور:

أولًا: من حيث الإسناد الغلابى بفتح الغين واللام قال عنه المصنف يروى عن المجاهيل وقال عنه الدارقطنى متهم بالوضع ولو صح الإسناد لهذه المرأة بالأسانيد الصحاح ففعلها غير صحيح لأن النبى ﷺ قال «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد» أى مردود عليه وكون أنها تتكلم بالقرآن أربعين سنة فهذا عمل ليس من شرع الله ولو كان هذا العمل من شرع الله لسبق إليه النبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسبق إليه الصحابة رضوان الله عليهم وهم السباقون لكل خير فما أوثر عن أحد من الصحابة أنه انقطع عن الكلام أربعة أيام فضلًا عن أربعين يومًا لا يتكلم فيها إلا بالقرآن ولو كان هذا الفعل خيرًا لدل وأرشد إليه ﷺ ولحث عليه فهذالا العمل ليس مشروعًا والنبى ﷺ لا يزال يسأل الناس ويسألونه ويخاطبهم ويخاطبونه فما ذكر فى سيرته أو سيرة أو أصحابه أو سيرة التابعين وأهل العلم والفضل ما ذكر فى سيرة واحد منهم أنه لا يتكلم بالقرآن مخافة الكذب وكانوا أخوف الناس من الكذب وأشدهم حذرًا منه وما تكلموا فى كلامهم بالقرآن والتعبد لله بما لم يشرع من طرائق الجهلاء فهم يصطنعون من الطرائق فى التعبد لله بما لم يشرعه والأصل فى هذا الباب الحديث «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد» نعم.

❊

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات في كتاب حفظ اللسان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب

○ **التعليق:**

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكثر من التصنيف فتجد فى الأبواب المتنوعة كل باب له فيه مصنف لكن عرفنا أن أكثر مصنفاته فقدت رَحِمَهُ ٱللَّهُ نعم

٭٭٭

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيح له من النطق لئلا يقع في المزجورات فيكون حتفه فيما يخرج منه لأن الكلام إذا كثر منه أورث صاحبه التلذذ بضد الطاعات فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يجدي عليه نفعه في الآخرة كان وجود الإمساك عن السوء أولى به

○ **التعليق:**

المزجورات أى المنهيات

٭٭٭

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

ولـن يهلـك الإنسـان إلا إذا أتـى ... مـن الأمـر مـا لـم يرضـه نصحاؤه

وأقلـل إذا مـا قلـت قـولا فإنـه ... إذا قـل قـول المـرء قـل خطـاؤه

التعليق:

نعم إذا قل قول المرء قلت أخطاؤه

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى ... من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه

ولهذا يحتاج المرء إلى أصدقاء نصحاء والكلام الذى لا يقره النصحاء الأخيار يتجنبه وإن كان يعجب الأشرار البطالين نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن ابي زياد القطواني حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المعلي بن زياد قال قال مؤرق العجلى أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين ولست بتارك طلبه قال وما هو يا أبا المعتمر قال الصمت عما لا يعنيني

التعليق:

يقول أمر أطلبه منذ عشر سنين وأنا أبحث عنه فكروا ما هو هذا الأمر؟ فالذى يقدر فى أذهان الكثير من الناس متع دنيوية من أشياء ومصالح انظر ماذا كان يطلب ويجتهد فى تحصيله منذ عشر سنين وهو يجاهد نفسه على أن يحصله يقول ولست بتارك طلبه أى لست آيسًا وما زلت حريصًا على تحصيله وكان هذا الأمر هو الصمت عما لا يعنينى فى مثل هذا تكون الهمم العالية والرفيعة لا يزال تحصل منه فلتات ويقول لست آيسًا وحريصًا على أن أصل لهذه المرتبة وهو الصمت عما لا يعنينى وهذا عشر سنين انظر إلى ماذا يريد وانظر إلى حال كثير منا منذ سنوات ما الذى يطلبه وهذا دال على تفاوت الناس فى هممهم نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا إبراهيم بن نصر العنبري حدثنا على بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم ابن رستم قال سمعت خارجة يقول صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئا. والله أعلم.

❍ **التعليق:**

عبدالله بن عون صاحبنا منذ قليل ذكرتموه أم نسيتموه راجعوا سيرته فى سير أعلام النبلاء سيرة عجيبة جدًا فى أخلاقه وآدابه وتواضعه ومر معنا سير الربيع بن خثيم وهى سيرة عطرة وجميلة جدًا وفيها معانى عظيمة سبحان الله يقول خارجة بن مصعب **صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئا** فى ترجمة الربيع مر معنا عشرين عامًا لم يسمع منه كلمة تعاب وهنا خارجة بن مصعب يقول **صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة** وفى بعض الروايات أربع وعشرين سنة **فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئا** وفى بعض الروايات كتبت عليه خطيئة هذا المراد بقوله (شيئًا) أى خطيئة وبهذا الأثر ختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الترجمة وهذا تنبيه من المصنف بأن قراءة سير هؤلاء الأعلام نافعة جدًا لطالب العلم فى أدبهم وأخلاقهم ولزومهم للصمت وقلة الكلام إلا فيما يعنى فقراءة هذه السير العظيمة نافعة جدًا للعبد فى تهذيب نفسه ونأديبها بالآداب الفاضلة والتحلى بالسيرة العطرة لهؤلاء ألحقنا الله وإياكم بالصالحين من عباده وهدانا أجمعين لسديد الأقوال وصالح الأعمال وأصلح لنا شأننا كله إنه سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.



المحاضرة السادسة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرني أحمد بن محمد بن حبيب الجنيدي قال حدثنا حميد بن زنجوية حدثنا محاضر بن المورع حدثنا الأعمش عن شقيق قال قال عبد الل بن مسعود قال رسول الله ﷺ عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي الى الفجور وإن الفجور يهدي الى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا

❍ **التعليق:**

هذا الباب وهو الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب بمثابة الفرع الذى قبله لأن الباب الذى قبله وهو فى صيانة اللسان وحفظه ومن حفظ اللسان وصيانته أن يلازم المرء الصدق ويجانب الكذب وقد جاء فى هذا نصوص كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وقد صدر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الترجمة بهذا الحديث العظيم حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال

عليكم بالصدق ثم قال وإياكم والكذب فالحديث فيه ترغيب وترهيب ترغيب بالصدق وبيان لفضيلته وعظم آثاره المباركة على العبد وترهيب من الكذب وبيان عواقبه الوخيمة على العبد قال عليكم بالصدق أى ألزموه وحافظوا عليه وكونوا من أهله كما قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩]

عليكم بالصدق أى الزموا هذه الخصلة العظيمة من خصال الإيمان وأوصاف المؤمنين وكونوا من أهلها المتصفين بها فإن الصدق يهدى إلى البر ومعنى يهدى إلى البر أى يهدى إلى كل فضيلة فالصدق مفتاح الخيرات وباب أنواع البركات والفضائل وهذا مستفاد من قول نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «فإن الصدق يهدى إلى البر»

والبر جماع الخير فهى كلمة تجمع الخير كله وهذا فيه أن عائدة الصدق على صاحبه عظيمة وأثره عليه مبارك فهو باب يفتح لصاحبه الخيرات على مصراعيها وأبوابها المتعددة ومجالاتها المتنوعة «فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»

لاحظ الآن ترتيب هذه الثمرات أولًا ذكر الثمرة الدنيوية ثم ذكر الثمرة الأخروية أما الدنيوية ففى قوله إن الصدق يهدى إلى البر أى أن ملازمة العبد فى هذه الحياة الدنيا بالصدق يثمر ثمرات لا حد لها من فتح أبواب الخيرات للعبد واما فى الآخرة فإنه يهدى إلى الجنة فهو سبيل وسبب لدخولها قال (وإن الرجل ليصدق وفى بعض الروايات ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا)

والصديقية رتبة عظيمة وعلية من رتب الدين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا قال وإياكم والكذب أى أحذروه وجانبوه وابتعدوا عنه ولا تكونوا من أهله فإن الكذب يهدى إلى الفجور أى يجر صاحبه إلى الفجور والفجور المعاصى بانواعها والسيئات

بمختلف أصنافها فالكذب بوابة تجر صاحبها إلى الرذائل وأنواع الفساد

وإن الفجور يهدى إلى النار فذكر أولًا الأثر الدنيوى ثم ذكر الأثر الأخروى قال «وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» أى لا يزال يكذب كذبة تلو الاخرى حتى يكتب عند الله كذابًا فهذا حديث عظيم صدر به رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذه الترجمة نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن الله جَلَّ وَعَلَا **فضل اللسان على سائر الجوارح ورفع درجته وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده فلا يجب للعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب بل يجب عليه المداومة على رعايته بلزوم الصدق وما يعود عليه نفعه في داريه لأن اللسان يقتضي ما عود إن صدقا فصدقا وإن كذبا فكذبا**

التعليق:

هذا كلام متين فى التحذير من الكذب ببيان أولًا شرف هذه الجارحة وهى اللسان وخطورتها فى نفس الوقت **قال أبو حاتم** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **إن الله** جَلَّ وَعَلَا **فضل اللسان على سائر الجوارح ورفع درجته وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده** لأن أفضل وأجل كلمة نطق بها الإنسان هى كلمة التوحيد على الإطلاق لا إله إلا الله وكفى اللسان شرفًا بأن أنطقه الله بهذه الكلمة التى هى أشرف الكلمات ثم انظر كلامه الجميل يقول فلا يجب أى لا يليق **بالعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب** والله هذه الكلمة من درر الكتاب ونفائسة العظيمة وكلمة جديرة بأن تبرز وتنشر كيف يليق بإنسان أن يحرك هذه الآلة التى خلقت للنطق بتوحيد الله بأشرف الكلمات وأجلها على الإطلاق لا إله إلا الله أن يعودها على الكذب بل يجب عليه المداومة على رعايته بلزوم الصدق لأن اللسان شرفه الله بالنطق هذا لسان المؤمن المسلم شرفه الله بكلمة النطق بالتوحيد فلا يدنسها بالكذب ولا يلوثها به ثم قال **بل يجب عليه المداومة على رعايته بلزوم الصدق وما يعود عليه نفعه في داريه** أى الدنيا والآخرة لأن الإنسان يقتضى ماعود إن صدقًا فصدقًا وإن كذبًا فكذب أى بحسب ما يعوده صاحبه وهذا اللسان كما يقال خلق للكلام فإن لم يعوده صاحبه الكلام فى الخير وذكر الله والنافع المفيد وإلا اشتغل بكلام باطل وثرثرة محرمة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول :

عـود لسـانك قـول الخيـر تحـظ بـه ... إن اللســـان لمـــا عـــودت معتـــاد
موكـــل بتقاضـــي مـــا ســـننت لـــه ... فـاختر لنفسـك وانظـر كيـف ترتـاد

التعليق:

هذان البيتان فيهما أن اللسان يكون بحسب ما يعوده عليه صاحبه إن عوده على الصدق اعتاده وارتاده وصار صفة له وشاهد هذا مر معنا فى الحديث «لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا» وإن عوده الكذب والعياذ بالله صار الكذب صفة له «لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» يقول

عـود لسـانك قـول الخيـر تحـظ بـه ... إن اللســـان لمـــا عـــودت معتـــاد
موكـــل بتقاضـــي مـــا ســـننت لـــه ... فـاختر لنفسـك وانظـر كيـف ترتـاد

فلسانك يعتاد على ما تسنه له وعلى ما تعوده عليه ومن أعظم الدعوات فى هذا الباب ما جاء فى حديث شداد «اللهم إنى أسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا» نعم.

✿◈✿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادي حدثنا الهيثم بن خارجه حدثنا الهيثم بن عمران قال سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول كان عبد الملك بن مراون يأمرني أن أجنب بنيه السمن وكان يأمرني أن لا أطعم طعاما حتى يخرجوا الى البراز وكان يقول علم بنى الصدق كما تعلمهم القرآن وجنبهم الكذب وإن فيه كذا وكذا يعني القتل

التعليق:

(أن لا أطعم طعامًا) و فى رواية (أن لا أطعمهم طعامًا)

كان الناس قديمًا لا سيما من كان مشغولًا بولاية أومهام كبيرة لا يتهيأ له متابعة أولاده وبنيه فكانوا يأتون لهم بالمؤدبين ويختار لبنيه من المؤدبين الأمناء النصحاء بحيث ينشىء أبناءه على الفضائل والآداب ويوصيه بأبنائه مثل ما يقال يضع له النقاط المهمة يقول له أريد كذا وكذا فعبدالملك بن مروان أتى بمؤدب لإبنه وهو إسماعيل بن عبيد الله قال يأمرنى أن أجنب بنيه السمن وهذا فيه أن ينتبه المؤدب مع الأبناء فى الطعام والغداء بحيث لا يكثرون من الأكل فيصابون بالسمن وهو مرض وثقل للبدن ووهاء له وضعف ثم قال **وكان يأمرني أن لا أطعم طعاما حتى يخرجوا الى البراز** ولا سيما فى الصباح أى حتى يقضى كل واحد منهما حاجته بحيث تخرج الفضلات من البدن ولهذا ينصح فى الصباح الباكر بالرياضة والمشى والحركة بعدم النوم ويشرب الماء فمثل هذه الأمورتخرج الفضلات ويكاد الصباح الباكر أن يكون أهم وقت لإخراج الفضلات وتيسير خروج الفضلات مالا يتيسر فى غيره فيعتنى بذلك بحيث يتحرك ويمشى فيخرج الفضلات ثم بعد ذلك يطعم ومما ينهى عنه

وهذا ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى الطب النبوى من كتابه زاد المعاد

أنهم ينهون عن النوم فى الصباح الباكر ولا سيما إن لم يتبرز يقول النوم فى الصباح الباكر قبل أن يتبرز مضرة على البدن وهذه معانى عندما يربى عليها الإبن أحفظ لصحته والشريعة جاءت بحفظ الصحة والبدن لأن البدن إذا كان صحيحًا قويًا كان أنشط فى العلم والعبادة والطاعة وأعمال الخير بخلاف البدن إذا ترهل وضعف وبدأت الأمراض تنتابه بسبب ضعف الصحة لكثرة المأكولات مثلًا وقلة الحركة فهذا جانب كانوا يعتنون به وفى زماننا هذا انفتحت على أبناءنا الصغار أبواب فى باب الغذاء خطيرة جدًا على الأبناء وأصبح السيطرة على الأبناء فى كثير من البيوتات من الأمور المعضلات وأصبح الأبناء يأكلون ما يعلم أنه ضرر بحت لا نفع فيه من مشروبات غازية ومن مصنوعات مضرة تعتمد بالدرجة الأولى على جمال المذاق أما الأمور الأخرى ففيها مضرة عظيمة على البدن ثم تجد بعض الصغار يستفتح صباحه الباكر بمشروب غازلى على فكوك الريك أو بأشياء من هذه الفشافيش وما شاكلها إذا من مهمة الأب وولى الأمر والمؤدب وأيضًا فى المدارس ولهذا فيه خطوات جيدة فى المدارس والجانب التعليمى منع وجود هذه الغازيات لأن ما يستجلب الصغير هو المذاق والطعم أما أمور الفائدة والمضرة فهذا بعيد عن تفكيره إلا إن وجد له مرب ناصح ينبهه مرة تلو الأخرى حتى يتنبه ويحذر فعلى كل من الأب والأم أن يعتنوا بالابن من هذا الجانب لأن صحة بدنه لها أثر عظيم عليه فى علمه وعبادته وامور أخرى كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف» وهذا يتناول بعمومه قوة البدن فى صحته وعافيته مع طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإن كان المراد قوة الإيمان ثم قال وكان يقول علم بنى الصدق إذا تعليم الصدق من أهم أولويات تربية الأبناء وسبحان الله إذا نشأ الإبن صادقًا انفتحت أبواب البر له مثل ما قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

«والصدق يهدى إلى البر» وإذا نشأ على الكذب والعياذ بالله انفتحت أبواب الفجور ومن اخطر ما يكون جناية على الأبناء إدخالهم فى الكذب ولهذا ينهى الأب والأم أن يقول للطفل تعال أعطيك الحلوى وليس فى يده شىء وهذا يفعلها بعضهم من باب المداعبة للطفل يريد أن يمسكه ويلعب معه والطفل يهرب فهذا من تربية الأولاد على الكذب إذًا فتعليم الصدق من أهم أولويات تربية الأبناء ولهذا قال: (علم بنى الصدق كما تعلمهم القرآن) أى دربهم عليه وعودهم إياه وشجعهم عليه واذكر لهم فضله فالأبناء فى حاجة لذلك (وجنبهم الكذب) أى حذرهم منه تحذيرًا شديدًا وبين له خطأه وإن كان فيه كذا وكذا يعنى القتل أى قل لهم مهما كانت الأمور اجتنبوا الكذب حتى ولو كان القتل فالصدق منجاة والكذب مهواة نعم



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الأبرش

الكــذب مرديــك وإن لــم تخــف ... والصـدق منجيـك علـى كـل حـال
فــانطق بمــا شــئت تجــد غبــه ... لـــم تبـــتخس وزنـــه مثقـــال

التعليق:

هذا مصداق لما سبق أن الكذب مهلكة لصاحبة ومردى وليس فيه نجاة فالكذب مرديك أى مهلكك وعاقبته الهلاك وإن لم تخف إى وإن لم يحصل لك أمر مخوف

الكذب مرديك وإن لم تخف ... والصدق منجيك على كل حال ولهذا يقال (الصدق منجاة) وقد قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على إثر خبر الثلاثة الذين خلفوا وتاب الله عليهم فى قصة تبوك قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ [التوبة: ١١٩] **فانطق بما شئت تجد غبه** أى عاقبته فإن صدقًا ترى العاقبة الحميدة وإن كذبًا ترى العاقبة الوخيمة **لم تبتخس وزنه مثقال** أى لا تبتخس مثقال ذرة من عملك فالصدق والكذب كل ذلك داخل فى عمل العبد وهو مما يوزن يوم القيامة قال تعالى ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] نعم.

٭٭٭

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو يعلي حدثنا أبو خيثمه حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم ابن حيان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال إن أبا بكر قام فينا عام أول فقال إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة بعد اليقين ألا إن الصدق والبر في الجنة ألا وإن الكذب والفجور في النار

التعليق:

هذا أثر عظيم عن أبى بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يرويه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال إن أبا بكر قام فينا عام أول يعنى العام الماضى فقال **إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة بعد اليقين** فالمعافاة عطية عظيمة ومنة كبيرة يمن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها على من شاء من عباده ولهذا جاء فى الحديث أن العباس عم النبى ﷺ أتى مرة إلى النبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «فقال علمنى دعاء أدعوا الله به فقال سل الله العافية فكأنه تقالها وجاءه مرة أخرى فقال علمنى دعاء ادعوا الله به قال يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية فى الدنيا والآخرة» فمن أوتى العافية فقد أوتى الخير كله فهى السلامة والوقاية من الشرور والآفات والفتن والمحن وهى عطية عظيمة جدًا فلم يؤتى أحد بعد اليقين أفضل من المعافاة واليقين هو الدين فدين الله قيامه على اليقين قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ [الحجرات: ١٥]

أى أيقنوا ولم يشكوا قال ألا إن الصدق والبر فى الجنة ألا وإن الكذب والفجور فى النار وهذا بمعنى الحديث المتقدم حديث ابن مسعود نعم.

❁

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني طيسلة بن على البهدلي قال كنت مع ابن عمر رَضِّىَٱللَّهُعَنْهُ يوما في أصول الأراك يوم عرفة وبين يديه رجل من أهل العراق فقال له الرجل يا ابن عمر ما المنافق قال المنافق ويحك الذي إذا حدث كذب وإذا وعد لم ينجز واذا أؤتمن لم يؤد

❍ **التعليق:**

هذا أثر أورده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ابن عمر رَضِّىَٱللَّهُعَنْهُ سئل ما المنافق قال المنافق ويحك وكلمة ويحك تقال زجرًا للرجل الذى أوشك أن يقع فى هلكة قال **الذي إذا حدث كذب وإذا وعد لم ينجز واذا اؤتمن لم يؤد** وهذه أوصاف المنافقين كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان»

فقوله إذا وعد أخلف بمعنى إذا وعد لم ينجز

وقوله إذا أؤتمن خان بمعنى إذا أؤتمن لم يؤد أى لم يؤد الأمانة التى اؤتمن عليها فجمع رَضِّىَٱللَّهُعَنْهُ هذه الخصال الثلاثة فى وصف المنافق وهذا النفاق العملى لإن النفاق نفاقان عملى واعتقادى وهو كفر اكبر ناقل من الملة وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر ونفاق عملى وفيه أيضًا إظهار وإبطان فيظهر الصدق وفى الباطن كاذب يظهر الوفاء وفى الباطن خائن يظهر الأداء وفى الباطن غير مؤتمن فيظهر مالا يبطن فإذا كان هذا الإظهار فى حدود الأمور العملية فهو نفاق عملى وإذا كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر فهذا الكفر الأكبر الناقل من الملة وأهله يوم القيامة فى الدرك الأسفل من النار والشاهد من الحديث «إذا حدث كذب» نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول سمعت محمد بن خلف بن أبي الأزهر يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول ما من مضغة أحب الى الله من لسان صدوق وما من مضغة أبغض الى الله من لسان كذوب

○ **التعليق:**

هذا اللسان إما أن يكون لسانًا صدوقًا فيكون بذلك شريفًا فاضلًا وما من مضغة أحب إلى الله من لسان صدوق أو يكون والعياذ بالله لسانًا كذوبًا فيزول عنه شرفه ويكون مدنسًا بالكذب والعياذ بالله وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كل شيء يستعار ليتجمل به سهل وجوده خلا اللسان فإنه لا ينبىء الا عما عود والصدق ينجى والكذب يردى ومن غلب لسانه أمره قومه ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئا يصدق به ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه

التعليق:

نعم لا يكذب عليه إلا من هانت عليه نفسه أما من شرفت نفسه عنده وعرف قدرها فإنه لا يكذب لأن الكذب دنس ودناءة فلا يكذب إلا من هانت عليه نفسه فهو لا يعرق قيمتها وشرفها وفضلها فعندما تهون نفس الإنسان عليه يدنسها بالكذب ولا يبالى أما من شرفت نفسه عنده ولم تهن عليه فإنه لا يكذب واللسان بحسب ما عود عليه فإنه لا ينبىء إلا على ما عود ولهذا فعلى الإنسان أن يعود نفسه على الصدق دائمًا فى كل المواقف وبإستمرار دون تردد فيدرب نفسه لأن بعض المواقف تأتى محك للإنسان فتمتحنه فمن يتحرى الصدق يصبح عادة له لا يحيد عنها ومن لا يتحرى الصدق تأتيه مواقف كثيرة فى حياته فينجرف لسانه مع الكذب المردى والعياذ بالله نعم.

🙞◊🙜

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجوية بنسا حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظى قال إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه

❍ **التعليق:**

نعم هذا شاهد لقوله ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه واورد هذا الأثر عن محمد بن كعب القرضى **قال إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه** فإذا كان لم يدرك شرف نفسه ومكانتها وفضيلتها يكذب أما من أدرك شرف نفسه وفضيلتها فإنه سيكون من أبعد ما يكون عن الكذب نعم.

❧◊❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

كـذبت ومـن يكـذب فـإن جـزاءه إذا مـا أتـى بالصـدق أن لا يصـدقا
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذابا وإن كان صادقا
ومـن آفـة الكـذاب نسـيان كذبـه وتلقـاه ذا فقـه اذا كـان حاذقـا

التعليق:

فى هذه الأبيات كلام جميل جدًا فى التحذير من الكذب وبيان خطورته يقول رافع بن أشرس «كان يقال من عقوبة الكذاب أن يرد صدقه» فالناس إذا عرفوا شخصًا بالكذب وعهدوا عليه الكذب واختبروه فى الكذب ثم جاءهم فى موقف ما وهو صادق وأخذ يحلف تجد النفوس ماذا؟ منقبضة وشاكة وغير متقبلة وتجد يلتفت بعضهم إلى بعض يقول لا أترك هذا كذاب ومعروف بالكذب فمن عقوبة الكذاب المعجلة رد صدقه يأتى وهو صادق ويحلف ولا يقبل والآخر يأتى الذى عوهد بالصدق ولا يحتاج إلى أن يحلف وإنما يقول حصل كذا مباشرة فالناس تتقبل كلامه ولا تتردد فى قبول كلامه فمن عقوبة الكذاب رد صدقه ويقول ياجماعة والله أنا صادق ويحلف لهم فلا يقبلون لماذا؟ لأنه جنى على نفسه بالكذب تلو الكذب حتى عرف بالكذب فتكون عقوبته رد صدقه عليه هذا المعنى يقوله الناظم هنا

كذبت ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يصدقا

أى أن عقوبته رد صدقه يقول

كذبت ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق

يعنى إذا جاء يوم بخبر صادق أن لا يصدق يرد صدقه وهذا معنى قولهم من عقوبة الكذاب رد صدقه

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل　　　لدى الناس كذابا وإن كان صادقا

هذه عقوبة له لم يزل عند الناس كاذبًا وإن كان صادقًا فى الخبر الذى قاله لأنه عهدوه بالكذب ثم ذكر هذا الكلام الجميل قال

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه　　　ولهذا قديمًا كانوا يقولون

(إن كنت كذوبًا فكن ذكورًا) فمن عقوبة الكذاب نسيان كذبه ولهذا تجد الكذاب مثلًا يأتى فى مجلس ويقول حصل كذا وفعلنا كذا إلى آخر كذب مركب ثم بعد شهر يلتقون به فيكون نسى الكذب الذى كذبه لأنه جاء فى المجلس كعادته يكذب فيسألونه عن الخبر الأول فيأتى به بطريقة أخرى مباينة معكوسة نسى الكذب الذى ركبه أولًا فيقولون من آفة الكذاب نسيان كذبه فيفتضح ولهذا يقولون: (إن كنت كذوبًا فكن ذكورًا) أى اذكر كذبك حتى ما تفتضح لكن الكذاب كذبه تمضية فى مواقف ومجالس معينة لأنه أصلًا ليس مستعد فيحفظ الكذب المتوالى وإنما يتخلص من مواقف معينة فإذا سئل بعد شهر أو بعد أسبوع يختلف الكلام تمامًا ثم قال الناظم

وتلقاه ذا فقه إذا كان حاذقًا

يعنى هذا بخلاف الكذاب الذى يختلق الأمور أى تلقاه ذا فقه وحاذقًا فى الأمور التى تستدعى الإنتباه والإهتمام فتجد الإنسان يذكرها ولا ينساها أما مثل هذه الأشياء التى يصطنعها الكذاب ويفتعلها فى المواقف المعينة فتراه ينساها ويختلف كلامه من وقت إلى آخر نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لو لم يكن للكذب من الشين إلا إنزاله صاحبه بحيث ان صدق لم يصدق لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسيا فإذا كان كذلك كان كالمنادى على نفسه بالخزي في كل لحظة وطرفة

التعليق:

الشين هو القبح وهذا مثل الشرح فى الأبيات المتقدمة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول سمعت نصر بن علي الجهضمي يقول إن الله أعاننا على الكذابين بالنسيان

التعليق:

نسيان من؟ نسيان الكذابين يكذب ثم ينسى فيفتضح ويقول أعاننا الله على الكذابين بالنسيان ولهذا قيل (إن كنت كذوبًا فكن ذكورًا) نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا مـــا المـــرء أخطـــأه ثـــلاث فبعـــه ولـــو بكـــف مـــن رمـــاد
ســـلامة صـــدره والصـــدق منـــه وكتمـــان الســـرائر في الفـــؤاد

○ **التعليق:**

هذان البيتان فيمن يصلح تخيره من الرفقاء ومن ينبغى أن يحذر منه فإذا اجتمعت فى الرفيق سلامة الصدر وحفظ السر فهذا لا يفرط فيه وأما إذا أخطأه واحد من هذه الثلاث فلا يحرص الإنسان على مصاحبته ولا مجالسته نعم.

❧◇❧

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزرة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال الزهري لو رأيت طاووسا لعلمت أنه لا يكذب

○ **التعليق:**

طاووس من أئمة أهل العلم ومن علماء التابعين ومكانته فى الإمامة والفقه معروفة فيقول لو رأيت طاووسًا لعلمت أنه لا يكذب فى سمته ووقاره وهدوءه وديانته وعبادته نعم.

❧◇❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اللسان سبع عقور ان ضبطه صاحبه سلم وإن خلى عنه عقره وبفمه يفتضح الكذوب فالعاقل لايشتغل بالخوض فيما لا يعلم فيتهم فيما يعلم لأن رأس الذنوب الكذب وهو يبدي الفضائح ويكتم المحاسن ولا يجب على المرء إذا سمع شيئا يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزرى برأيه وأفسد صدقه

التعليق:

قوله اللسان سبع عقور فالسبع العقور معروف بالإفتراس والهجوم والسرعة والإندفاع فاللسان سبع عقور إن ضبطه صاحبه سلم وإلا عقره أى أهلكه ولهذ يحتاج الإنسان أن يكون دائمًا محافظًا على سجن لسانه ومنعه من التحدث إلا ما علم أنه خيرًا ويعود لسانه على ذلك مثل ما مر معنا فى الترجمة السابقة نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال حسب المؤمن من الكذب أن يحدث بكل ما سمع

التعليق:

هذا الأثر عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال حسب المؤمن من الكذب أن يحدث بكل ما سمع**، ولفظ المؤمن هنا يظهر لى أنها غير مستقيمة لأنى وجدت هذا الأثر رواه أبو شيبة فى مصنفه من طريق سفيان الثورى بالإسناد نفسه بلفظ «حسب امرىء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع» نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته**

○ **التعليق:**

هذا رواه أبو داوود في الزهد من قول ثوبان مولى رسول الله ﷺ فيروى عن عيسى بن مريم ويروى من قول ثوبان وهو كلام عظيم طوبى أي الجنة أو الثواب العظيم لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

وإذا الأمـــــور تزاوجـــــت ... فالصــــدق أكرمهـــا نتاجـــا

الصـــدق يعقـــد فـــوق رأس ... حليفـــه بالصـــدق تاجـــا

والصـــدق يقـــدح زنـــده ... في كـــل ناحيـــة ســـراجا

○ **التعليق:**

هذه من ثمار الصدق وآثاره العظيمة أن الامور لو تزاوجت بحيث ينتج عن ذلك الثمار والمنافع فالصدق أكثرها أو أكرمها نتاجًا فنتاج الصدق لا حد له وهو يعقد فوق رأس حليفه أي صاحبه بالصدق تاجًا أي تاج الوقار والجمال والحسن

والصدق يقدح زنده ... في كل ناحية سراجا...

فالصدق ضياء لصاحبه ونور له في كل طريق يسلكه نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا القطان بالرقه حدثنا نوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن منصور عن ربعي قالوا من ذكرت يا أبا سفيان قال ذكرت ربعيا وتدرون من كان ربعي كان رجلا من أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط فسعى به ساع الى الحجاج فقال هاهنا رجل من أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط وأنه يكذب لك اليوم فإنك ضربت على أبنيه البيعة فعصيا وهما في البيت وكان عقوبة الحجاج للعاصي ضرب السيف قال فدعاه فإذا شيخ منحن فقال له أنت ربعي قال نعم قال ما فعل ابناك قال ها هما ذان في البيت قال فحمله وكساه وأوصى به خيرا

❍ **التعليق:**

(قال ها هما ذان فى البيت) يعنى لم يخف لهم ولم يكذب ما قال لا أدرى على عادته التى ألفها واعتادها الصدق الدائم فى كل موقف وفى كل حال فكان صدقه الدائم منجاة له فالصدق منجاة ولهذا يقال «عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك» والشواهد على ذلك كثيرة جدًا ومنها هذا القصة نعم.

ꙮ◈ꙮ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابي حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي عن أبيه قال كان عمر بن الخطاب بمنى فعطش فانتهى الى عجوز فاستسقاها ماء فقالت ما عندنا فقال لبنا فقالت ما عندنا فبدرت جارية فقالت لها تكذبين وما تستحين ثم قالت لعمر هذا السقاء فيه لبن فسأل عمر عن الجارية فإذا أبوها ثقفي فخطبها على عاصم بن عمر فزوجها منه فولد له منها أم عاصم فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمة الله عليه

○ **التعليق:**

الغلابى بفتح الغين واللام واللام مشددة ومر معنا الغلابى تذكرونه مر معنا فى الخبر المنكر فى قصة المرأة التى لا تتحدث إلا بالقرآن وقلنا من رواية الغلابى وأن ابن حبان صاحب هذا الكتاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قال يروى عن المجاهيل والدار قطنى قال متهم بالوضع فخبر مثله لا يحتج به ولا يعتمد هذه القصة تبين أن الكذب مهلكة لصاحبه والصدق منجاة وخير وبركة لصاحبه لكن الإسناد فى ذلك الرجل لا يثبت وتروى أيضًا من طرق أخرى وفيها قصة مماثلة أن المرأة كانت تمزج اللبن بالماء فتغشه وكانت الجارية التى عندها تنهاها عن ذلك وتقول لها أما تعلمين أن عمر قال أين نحن وأين عمر يعنى ما يدرى عنا شيئًا وكان يعس فى الليل وسمعها وأيضًا جاءت فى هذه القصة أسانيد فيها كلام نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الصدق يرفع المرء في الدارين كما أن الكذب يهوى به في الحالين ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قبل كذبه وصار صدقا عند من يسمعه لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب والعي في بعض الأوقات خير من النطق لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعي خير منه

التعليق:

هذا فيه الحث على الصدق لكن قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قبل كذبه** هذا غير مستقيم وصار صدقًا عند من يسمعه لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده فى رياضة لسانه أى على الصدق والحث عليه لا يعتبر فى هذا المعنى ولا يلتفت إليه أصلًا نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى:

تحدث بصدق إن تحدثت وليكن لكل حديث من حديثك حين
فما القول إلا كالثياب فبعضها عليك وبعض في التخوت مصون

○ **التعليق:**

يقول تحدث بالصدق هذا حث على المحافظة على الصدق ولزومه ثم يقول إن تحدثت أى إن تحدثت تحدث بالصدق وليكن لكل حديث من حديثك حين هذا مثل ما يقولون (لكل مقام مقال)فليكن لكل حديث من حديثك حين أى كل حين وكل وقت تحدث فيه بالحديث المناسب مع ذلك المكان الذى أنت فيه

فما القول إلا كالثياب فبعضها عليك وبعض في التخوت مصون...

والتخوت هى المواضع التى تحفظ فيها الثياب نعم.

﴾◊﴿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كم من حسيب كريم كان ذا شرف   قد شانه الكذب وسط الحي
وآخر كان صعلوكا فشرفه   صدق الحديث وقول جانب الفندا
فصار هذا شريفا فوق صاحبه   وصار هذا وضيعا تحته أبدا

التعليق:

فى هذه الأبيات أن الكذب يردى صاحبه ويقلل من شأنه ومكانته ويضع من منزلته حتى وإن كان شريفًا رفيعًا فإن الكذب يقلل من شأن الإنسان ومكانته وبالمقابل فالصدق يرفع الإنسان ولو كان صعلوكًا أى لا يئبه به وليس له مكانة فى النفوس فصدقه يرفعه عند الناس ويعلى من شأنه ف

صار هذا شريفا فوق صاحبه   وصار هذا وضيعا تحته أبدا

أى رفع هذا صدقه ووضع هذا كذبه نعم.

***

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب قال قال عمر لا يجد عبد حقيقه الإيمان حتى يدع المراء وهو محق ويدع الكذب في المزاح ويرى أنه لو شاء لغلب

❍ **التعليق:**

قال عمر لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء والمراء هو الجدل والخصومات واللجج ويدع الكذب فى المزاح وهو يرى أنه لو شاء لغلب فيدع الكذب فى المزاح يعنى بعض الناس يستهين بالكذب ويقول نمزح وقد قال النبى ﷺ «ويل له ويل له ويل له الذى يكذب ليضحك الناس» نعم.

❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا ابن سعيد القزاز حدثني يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا على بن بكار عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال عن عبد الله بن عمرو قال ذر ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك واخزن لسانك كما تخزن دراهمك

❍ **التعليق:**

هذه وصية جامعة وفيها خزن اللسان أى حبسه ومنعه من التحدث إلا مما تحقق المرء من خيريته وسلامته كما مر معنا فى الحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن المنذر بن سعيد الهروي :

القول كاللبن المحلوب ليس له ... رد وكيف يرد الحالب اللبن
في ضرعه وكذاك القول ليس له ... في الجوف رد قبيحا كان أو حسنا

التعليق:

يوضح فى هذه الأبيات أن الكلمة إذا خرجت من الإنسان سواء كانت حسنة أو قبيحة فإنها تملك الإنسان ويتحمل تبعتها وإذا خرجت ما يستطيع أن يردها وتحمل تبعتها وأصبح مسئولًا عن كلمته وفى عداد ما يحاسب عليه خيرًا أو شرًا فيقول انظر المثال الجميل

القول كاللبن المحلوب ليس له ... رد وكيف يرد الحالب اللبن

والقول الكلام فلو أن حالبًا حلب اللبن من ضرع بهيمة الأنعام فخرج الحليب هل يستطيع أن يرده فى الضرع يقول ما نحتاجه هل له سبيل أن يرده فى الضرع؟ لا يمكن فيقول القول كاللبن إذا خرج اللبن من الضرع ما فيه مجال أن يرد إلى الضرع وكذاك القول أى لا يستطيع أن يرد الكلام إلى جوفه

.... ليس له ... في الجوف رد قبيحا كان أو حسنا

ما نستفيده من هذا أن الإنسان قبل أن تخرج الكلمة ينظر فيها لأنها إن خرجت سمعت ولا مجال لردها نعم.

❊

○ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل ترك الإغضاء عن تعهد اللسان لأن من كثر لسانه كثر سقطه والسقط ربما تعدى غيره فيهلكه في ورطة لا حيلة له في التخلص منها لأن اللسان لا يندمل جرحه ولا يلتئم ما قطع به وكلم القول إذا وصل الى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة ومن الناس من لا يكرم إلا للسانه ولا يهان إلا به فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به

○ التعليق:

سبحان الله هذا كلام جميل يقول اللسان لا يندمل جرحه أى لا يبرأ جرحه ولا يلتئم ما قطع به و **وكلم القول إذا وصل الى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة** ولهذا يقولون (كلم اللسان أنكى من كلم السنان) والسنان هو السيف فكلم القول إذا وصل إلى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة فأحيانًا مثلًا يكون لشخص مع آخر محبة وقدر ومنزلة ثم يسمع من أخيه كلمة جارحة إما تهمة سيئة أو ظن فاسد أو تعدى عليه أو غير ذلك فهذه الكلمة تجرح الإنسان وتؤلمه وتجد الإنسان فى نفسه أحيانًا يريد أن يتخلص من أثر هذه الكلمة الجارحة أو المؤلمة ويستبقى الصفاء فيجد أنها ما تبرأ بسرعة ولا يزال يذكرها فتؤلمه وتعود عليه مرة وأخرى وكيف يقول فى كذا؟ فالكلم أو الجرح الذى يكون باللسان مؤلم جدًا ولا يندمل بسرعة ولهذا من الواجب على الإنسان مع إخوانه ومحبيه ومع أصدقائه أنه إذا جاءت فى لسانه كلمة جارحة فى موقف معين لا يلقيها لأنها إن خرجت وجرحت فإندمال الجرح هذا صعب ويحتاج إلى وقت فمن الخير للإنسان أن يمسك الكلام وليس بحاجة أن يجرح إخوانه أو أن يجرح هذا أو ذاك بكلمات تؤلمهم ويعرف أنها تؤلمهم وتجرحهم إذًا لا حاجة إليها وإذا أراد زوالها واندمالها فهذا صعب

ثم يقول **إذا وصل الى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة** يحتال الإنسان على نفسه ويحاول ويذكر المحاسن والأمور إلى آخره حتى يزول هذا الأمر وعساه أن يزول أيضًا ثم يقول **ومن الناس من لا يكرم إلا للسانه ولا يهان إلا به فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به** نعم.

ꕥ◈ꕥ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عبد الله بن محمد الأنماطي الهمداني حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبد الله بن الحسين العقيلي حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا شبيب بن شيبه قال سمعت ابن سيرين يقول الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف

❍ **التعليق:**

هذه كلمة جميلة لابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف وظريف أى نجيب وحاذق أوسع من أن يكذب فيه كأنه يقول فى هذه الكلمة (المعاريض مندوحة عن الكذب) فالكلام أو سع من أن يكذب فيه حتى إذا الجيء الإنسان إلى مواقف معينة فالكلام واسع جدًا فيستطيع أن يأتى بلفظة يعرض فيها ويتخلص من الموقف فكما ورد فى المعاريض مندوحة عن الكذب فالكلام أو سع من أن يكذب فيه ويذكرون لذلك أمثلة فى باب المعاريض يعنى مثلًا سئل شخص عن شخص قال هل رأيت فلان؟ قال لا والله ما رأيته (ما رأيته) تحتمل أى ما رأيته بعينى أو ما ضربته فى رئته يقول فالكلام أوسع من الكذب فيه يعنى لا يكذب الإنسان إذا جاءه موقف ألجأه واضطر لا يكذب وإنما يورى وفى التورية والتعريض مندوحة للإنسان عن الكذب هذا معنى قوله الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة

أنبأنا الفضيل بن الحباب الجمحي حدثنا القعنبي عن شعبة عن منصور عن ربعي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت

التعليق:

هذا الباب فى الحث على الحياء والتحذير من ضده وهو القحة وهى انعدام الحياء يقال وقح الرجل فهو وقح أى قل حياؤه وذهب ولهذا بعض الناس يكون عنده قحة والعياذ بالله فيصنع ما شاء من الخسائس والرذائل لأنه لا حياء عنده وصدر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الترجمة بهذا الحديث وما تقدم كله يصدر فيه الترجمة بحديث جامع فى الباب فصدره بحديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» أى أن هذا الكلام مأثور من كلام النبوة الأولى وهذا يفيد بأن الأنبياء تواترت كلمتهم أجمع على النصح والترتيب والحث على الحياء فالحياء خلق نبيل دعا إليه جميع الأنبياء **مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت** وقوله إذ لم تستح فاصنع ماشئت تحتمل أن المراد الزجر ومن هذا قوله تعالى ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ ﴾ [فصلت: ٤٠] إذ لم تستح فاصنع ماشئت أى أن الله مطلع عليك ويحاسبك ويجازيك على ما قدمت وفعلت من أعمال هى من قلة الحياء ومن القحة إذ لم تستح فاصنع ماشئت تحتمل معنى آخر أى إذا كان الإنسان قليل الحياء أو عديم الحياء أو فاقدًا له صنع من الخسائس والرذائل ما شاء لأنه لا يبالى

ولهذا اعتاد الناس أن الشخص الذى يعهدونه فى ارتكاب الرذائل والخسائس إلى آخره وأرادوا وصفه يقولون ماذا؟ ما عنده حياء قليل الحياء عديم الحياء لا يستحى هذه عبارات الناس لأنه إذا فقد الحياء أصبح يصنع ما يصنع من ذنوب ولا يبالى قال إذ لم تستح فاصنع ما شئت نعم.

﴿◊﴾

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل وبذر الخير وتركه أصل الجهل وبذر الشر والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ومن لم ينصف الناس منه حياؤه لم ينصفه منهم قحته

○ **التعليق:**

قوله الحياء أصل العقل وبذر الخير وتركه أصل الجهل هذا كلام جميل لأن الحياء خلق جميل يكون فى قلب المسلم فيدعوا إلى الفضائل وينهى عن الرذائل فالحياء أصل العقل وبذر الخير ومنهاة عن الرذائل والشرور والفساد ولهذا إذا فقد الحياء وجدت الرذائل ووجد الشر والفساد نعم.

✿◈✿

○ **قال المصف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول :

وليس بمنسوب الى العلم والنهى — فتـى لا تـرى فيـه خلائـق أربـع
فواحـدة تقـوى الإلـه التـي بهـا — ينال جسيم الخير والفضل أجمع
وثانيـة صـدق الحيـاء فإنـه — طبـاع عليـه ذو المـرؤة يطبـع
وثالثـة حلـم إذا الجهـل أطلعـت — إليـه خبايـا مـن فجـور تسـرع
ورابعـة جـود بملـك يمينـه — إذا نابـه الحـق الـذي لـيس يـدفع

○ **التعليق:**

فى هذه الأبيات خصال أربع وأن من كان منسوبًا إلى العلم والنهى أى إلى العقل ولا ترى فيه هذه الخلائق الأربع فليس من أهل العلم ولا من أهل النهى إلا

إذا كان متصفًا بها وهى تقوى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصدق الحياء والحلم والجود والكرم نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي

إذا قـل مـاء الوجـه قـل حيـاؤه — ولا خيـر في وجـه إذا قـل مـاؤه
حيـاءك فاحفظـه عليـك فإنمـا — يـدل علـى وجـه الكـريم حيـاؤه

○ **التعليق:**

هذا بيان مكانة الحياء وأن الحياء حفظ لماء وجه الإنسان

وإذا قل ماء الوجه قل حياؤه — ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

...إذًا فماذا يصنع؟ قال حياءك فاحفظه و(حياءك) مفعول مقدم

حياءك فاحفظه عليك فإنما — يدل على وجه الكريم حياؤه

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أبو خليفه حدثنا ابن كثير حدثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق عن ابى الأحوص عن عبد الله قال الأم شيء في المؤمن الفحش

○ **التعليق:**

الأم أى أشد ما يكون لؤمًا فى المؤمن الفحش والفحش منشأه ذهاب الحياء وقلته نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحياء أسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال والحياء حيا آن أحدهما استحياء العبد من الله جَلَّوَعَلَا **عند الإهتمام بمباشرة ما خطر عليه والثاني استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معا والحيا آن جميعا محمودان إلا أن أحدهما فرض والآخر فضل فلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه فرض ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل**

○ **التعليق:**

هذا تعريف للحياء من أبى حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول **الحياء أسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال** والحياء خصلة موضعها القلب وكما فى الحديث «الحياء شعبة من شعب الإيمان» والحياء فى القلب يثمر هذا الذى أشار إليه مجانبة المكروه من الخصال لأن الإنسان إذا تحلى بالحياء أثمر تحليه بالحياء تجنب المكروه من الخصال والتحلى بالفاضل منها ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الحياء حياءان الأول الحياء من رب العالمين وهو أعظم الحياء شأنًا وأرفعه مكانًا وفى الترمذى والمسند وغيرهما من حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال «استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحى والحمد لله قال الحياء من الله أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وأن تذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا» فالحياء من الله جَلَّوَعَلَا ليست كلمة يقولها المرء فمن السهل على الإنسان أن يقول أنا استحى من الله لكن الحياء من الله هو ذاك الحياء التى تظهر على العبد آثاره أن تحفظ الرأس انظر الحياء يستلزم حفظ الرأس وما حوى حفظ السمع والبصر واللسان وكذلك حفظ الشعر يدخل فى الحياء من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما عدد سنن الفطرة ذكر منها «إعفاء اللحية وقص الشارب»

فالحياء من الله يتناول هذا كله فيحفظ الإنسان سمعه وبصره ولسانه وأيضًا يحفظ البطن من أن يدخل فيه الحرام أو شرب الحرام أو ممارسة الحرام والرذائل والفواحش المحرمات هذا كله داخل فى حفظ البطن وأن يذكر الموت والبلى يذكر أنه سينتقل من هذه الحياة الدنيا ويفارقها وهذا من أعظم الأمور التى تعين العبد على الحياء والتخلق به فالحياء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو أعظم الحياء شأنًا وأجله مكانة والنوع الثانى من الحياء هو الحياء من المخلوقين استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل ونبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الحياء من الله فرض والحياء من المخلوقين فضل إلا فى الأمور التى حرمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قول أو فعل أو نحو ذلك نعم.

❀ ◈ ❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن خلف التيمي قال أنشدني رجل من خزاعه :

إذا لـم تخـش عاقبـة الليـالي ... ولـم تسـتحي فاصـنع مـا تشـاء
فـلا والله مـا في العـيش خيـر ... ولا الـدنيا إذا ذهـب الحيـاء
يعـيش المـرء مـا اسـتحيا بخيـر ... ويبقـى العـود مـا بقـي اللحـاء

التعليق:

هذا كلام جميل فى الحث على الحياء وأن من علم الحياء فإنه لا يبالى فى صنع ما يصنع من الآثام ثم يقول **فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء** أى خير فى الدنيا وأي طعم وأى جمال فيها إذا ذهب الحياء وعدم والعياذ بالله من الإنسان ثم يضرب مثال جميل جدًا لتوضيح هذا المعنى يقول يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء ويراد (بالعود) جذع الشجرة ويراد (باللحاء) الغطاء الذى يغطى جذع الشجرة فنزع اللحاء من جذع الشجرة موهن ومضعف لها ومجلبة للأمراض ولهذا يبقى لحاء الشجرة صائن وحافظ لها والحياء يصون الإنسان ويحفظه مثل ما يحفظ اللحاء عود الشجر فيبقى العود ما بقى اللحاء كما أن لحاء الشجرة يصونها من السقم والمرض والتلف فالحياء أيضًا يصون الإنسان صاحبه وهذا هو وجه الشبه نعم.

❦◊❦

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا اسحاق بن ابراهيم القاضي حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري أن أبا بكر الصديق قال يوما وهو يخطب أيها الناس استحيوا من الله فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ أريد الغائط إلا وأنا مقنع رأسي حياء من الله

○ **التعليق:**

(عقيل) بضم العين

هذه موعظة وخطبة للصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خير أمة محمد ﷺ قال أيها الناس استحيوا من الله ومر معنا الحديث فى الترمذى أن النبى ﷺ قال «استحيوا من الله حق الحياء» فأوصى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالحياء فقال استحيوا من الله فباب الحياء من الله عزوجل باب عظيم وواسع فى حفظ الطاعات والفرائض والعناية بالنوافل والبعد عن المكروهات ونحو ذلك وهذا يكون بحسب حال المرء فى صديقيته وإيمانه وعبادته ومعرفته بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وليست أمورًا تفتعل أو تصطنع وإنما خلق عظيم يملأ القلب ويعمره ويثمر مثل هذه الثمار التى أشار إليها الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول **ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ أريد الغائط إلا وأنا مقنع رأسي حياء من الله** والغائط أى قضاء الحاجة وجاء فى بعض روايات هذا الخبر وأغطى عورتى حياء من الله وهذا مبنى على ما جاء فى الحديث «والله أحق أن تستحى منه من الناس» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكن هذه أمور لا تصطنع أو تفتعل أو تتكلف إنما هى أمور ناشئة عن فعل الحياء الذى يعمر القلب معرفة بالله واستحياء منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحياء من الإيمان والمؤمن في الجنة والبذاء من الجفاء والجافي في النار إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه

فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوما وتواتر الشر منه موجودا لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها

التعليق:

هذا كلام جميل وعظيم جدًا فى بيان ثمرة الحياء وأثره المبارك يقول الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها فهو الحائل الذى يمنع الإنسان ويحول بينه وبين المزجورات أى المنهيات كلها فبقوة الحياء فى العبد يضعف إرتكابه إياها فكل ما كان حياء العبد قويًا ضعف إرتكابه للمنهيات وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها مثل ما جاء فى الحديث «إذ لم تستح فاصنع ما شئت» نعم.

﴿◊﴾

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول :

ورب قبيحــــة مـــا حـــال بينـــي   وبــــين ركوبهــــا إلا الحيــــاء
فكـــان هـــو الـــدواء لهـــا ولكـــن   إذا ذهـــب الحيـــاء فـــلا دواء

❍ **التعليق:**

هذا فيه المعنى السابق يقول

ورب قبيحة ما حال بيني   وبين ركوبها إلا الحياء

يعنى لم يمنعنى من ركوبها إلا الحياء الذى أكرمنى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به فكان هو الدواء لها أى الدواء الذى أسلم به من تلك الذنوب والمعاصى هو الحياء ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء أى إذا ذهب الحياء عن الإنسان فلا دواء له لأنه سيغشى من المحرمات ما يغشى ويرتكب منها ما يرتكب ولا يبالى لإن الحياء الذى هو الدواء ذهب عنه نعم.

❧◈☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن افلح عن زيد بن ثابت قال من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله

التعليق:

من لا يستحى من الناس لا يستحى من الله إذا كان لا يستحى من الناس فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطلع عليه فمن لا يستحى من الناس لا يستحى من الله لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطلع عليه ويراه نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يعود نفسه لزوم الحياء من الناس وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة ومجانبتها الخلال المذمومة كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللوم معا في المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين المخلوقين وإذا قوى حياؤه قوى كرمه وضعف لؤمه وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه وضعف كرمه

التعليق:

هذا كله فى بيان مكانة الحياء وعظيم بركته على العبد وأنه سبب للفوز قال **كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار** لعلها الفوز بالجنة والنجاة من النار نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني على بن محمد البسامي:

إذا رزق الفتى وجها وقاحا تقلب في الأمور كما يشاء
ولم يك للدواء ولا لشيء يعالجه به فيه غناء
فما لك في معاتبة الذي لا حياء لوجهه إلا العناء

❍ **التعليق:**

يقول هذا الشاعر أن وجه الفتى إذا كان وقحًا أى ليس فيه حياء تقلب فى الأمور كما يشاء فيفعل من المعاصى والآثام ما شاء ولا يبالى ما عنده حياء «إذ لم تستح فاصنع ما شئت»

ولم يك للدواء ولا لشيء يعالجه به فيه عناء

أى ما ينفع فيه علاج ولا يفيد فيه طب لأنه لا حياء عنده إذا عدم الحياء وجدت الشرور

فما لك في معاتبة الذي لا حياء لوجهه إلا العناء

فمعاتبة من لا حياء عنده عناء بدون فائدة لأن الحياء إذا عدم لم يبالى الإنسان بما ارتكبه من آثام وبما يفعله من معاصى وتعديات نعم.

❊❊❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساويه ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت ومن مقت أوذى ومن أوذى حزن ومن حزن فقد عقله ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له ولا دواء لمن لا حياء له ولا حياء لمن لا وفاء له ولا وفاء لمن لا إخاء له ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب

❍ **التعليق:**

نعم كما جاء فى الحديث «إذ لم تستح فاصنع ما شئت» هذا الكلام بين فيه آثار الحياء وثماره العظيمة وأيضًا الآثار التى تترتب على انعدام الحياء ووجود القحة فى الإنسان نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع
إذا كنت تأتي المرء تعظم حقه ويجهل منك الحق فالصرم أوسع

○ **التعليق:**

يقول هذا الشاعر إذا لم تصن عرضًا أى لم تعتن بصيانته ولم تخش خالقًا أى ليس فى قلبك خشية ومخافة من الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا تستحى من المخلوقين لا تصون عرضًا ولا تخشى الله ولا تستحى من المخلوقين فما شئت فاصنع يعنى إذا انعدمت هذه الأمور فكل هذه الرذائل ستوجد فى الإنسان ثم يقول إذا كنت تأتى المرء تعظم حقه تأتى الإنسان وأنت تعظم حقه وتعرف قدره ومكانته ويجهل منك الحق أنت تأتيه وتعرف قدره وتعظم حقه وتقدره وتحترمه وهو فى المقابل يجهل منك الحق فماذا تصنع؟

قال فالصرم أوسع (الصرم) يعنى تجنب من كانت هذه حالته

(أوسع) يعنى أسلم نعم.

❀◇❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

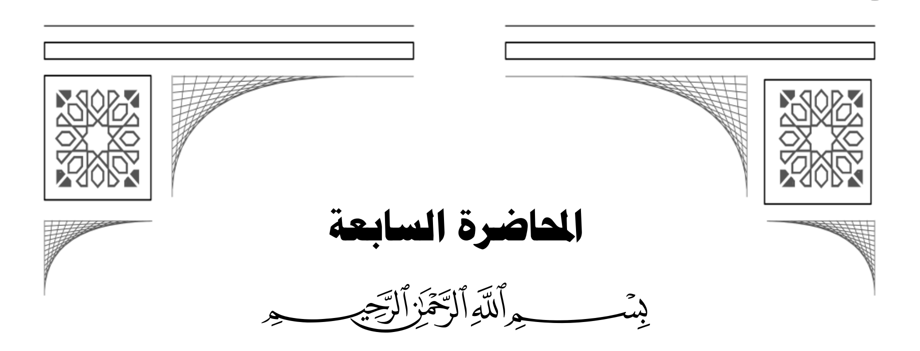
أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عبد الله بن مسعود الثعلبي باليمن حدثنا أحمد بن زيد بن السكن الجندي عن سفيان بن عيينه قال قال يحيى بن جعدة إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسبه

التعليق:

قال **إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسبه** وهذا فيه تنبيه على أن من كانت هذه حاله لم ينشأ نشأة أصول وتربية وأدب ورعاية له وأخلاقه وتأديب على الفضائل وتحذير من الرذائل وإنما هذه الأمور فيها شك من حال من كان كذلك على أن بعض الناس مثلًا ينشأ فى بيوتات فضل وخير لكنه يبتلى برفقة أشرار وصحبة فاسدين فيذهب منه الحياء وينعدم فيخرج الميت من الحى ويخرج الحى من الميت فقد يكون هذا وقد يكون هذا ونسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذى من علينا بسماع هذه المعانى أن يوفقنا للعمل بها وأن يصلح لنا شأننا كله وأن يهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا هو وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو وأن يعيذنا أجمعين من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء وأن يزيننا بزينة الإيمان وأن يجعلنا هداة مهتدين اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التى فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير والموت راحة لنا من كل شر اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من

عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❀◊❀



المحاضرة السابعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر

أنبأنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريره قال قال رسول الله ﷺ ما نقصت صدقة من مال ولا زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله

❍ **التعليق:**

هذا الباب ذكر الحث على الزوم التواضع ومجانبة الكبر يجمع بين أمرين حث على فضيلة التواضع ذلك الخلق العظيم الرفيع الذى لا يزيد صاحبه إلا رفعة وعلوًا وتحذير من الكبر ذلك الخق الذميم الذى لا يزيد صاحبه إلا ضعة ومهانة وصدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذه الترجمة بهذا الحديث حديث أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال «**ما نقصت صدقة من مال ولا زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله**» وهذا الحديث جمع فيه النبى ﷺ الحث على ثلاث خصال عظيمة

وهى الصدقة والعفو والتواضع ونبه فى هذه الخصال إلى ما يتبادر فى أذهان كثير من الناس أن الصدقة تنقص المال وأن عفو الإنسان نوع من الذل وأن تواضعه نقص فى حقه وقدره ومكانه ورفعته فيقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما نقصت صدقه من مال أى ما يبذله المسلم من صدقة واجبة أو مستحبة لا تنقص المال بل هى سبب لبركة المال ونماءه ولهذا سميت الزكاة زكاة من النماء الذى هو الزيادة والبركة يقول ولا زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا أى أن العفو عمن أساء إليك أو اعتدى عليك لا يزيدك إلا عزًا ويتبادر إلى أذهان كثير من الناس أن ترك الإنتقام ممن ظلم أو أساء نوع من الذل ولهذا يقولون فلان ذليل أو نحو ذلك ما يأخذ بثارة فيقول نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا» وانتقام الإنسان ممن ظلمه هذا عز فى الظاهر يورث فى الباطن ذلًا أما العفو فهو عكس ذلك ذل فى الظاهر ولكنه لا يزيد الإنسان فى باطنه إلا رفعة كما قال نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا» قال «ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله» وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة والتواضع هو التطامن وعدم رؤية الإنسان لنفسه عجبه بها بل يحسن ويقدم الأعمال الجميلة والطيبة ولا يرى فى نفسه إلا التقصير بل لا يرى فى نفسه شيئًا لا يزال ينظر إلى نفسه نظر المقصر نظر العبد الضعيف لا نظر المتعالى أو المترفع على الناس أو المعجب بحاله قال «ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله» وتنبه لقوله فى الحديث «لله» تنبيه على أن التواضع إن لم يكن قائمًا على الإخلاص لله ﷻ لا يدخل فى صالح عمل العبد لأن الإنسان قد يتواضع لأهداف دنيوية أو لأغراض دنيئة مثلًا فلا يدخل فى الفعة هنا لأن الرفعة هنا إنما تكون فى تواضع العبد لله أى تقربًا له وطلبًا لرضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيدخل حينئذ تواضعه فى صالح عمله وليس من عمل الإنسان شيء يدخل فى صالح عمله مهما جمل إلا إذا أخلصه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن ذلكم الأخلاق ويقوم المسلم بالأخلاق الفاضلة على أنها قربة من القرب

يتقرب بها إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يرجوا أجرها وثوابها عند الله أما غير المسلم عندما يأتى بالأخلاق الجميلة التى ربما يكون فى بعضها أفضل من بعض المسلمين من حيث ظاهر العمل إلا أن هذه الأخلاق ليست قربة لله ولهذا لا تنفعه عند الله ولا يلقى عليها ثوابًا يوم لقاء الله وقليل من الأخلاق عند المسلم تفيده فائدة عظيمة عند الله وكثير من الأخلاق عند الكافر لا تنفعه شيئًا عند الله لأن ما قام فيه من كفر بالله مبطل لعمله كله وفى هذا حديث عائشة فى صحيح مسلم «عندما سألت النبى ﷺ عن ابن جدعان قالت كان يكرم الضيف ويعين اليتيم وذكر شيئًا من خصاله أينفعه عند الله؟ قال لا لأنه لم يقل يومًا قط رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين» أى أن هذه الأعمال لم يقم بها ليرجوا بها شيئًا عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويوم يلقاه جل فى علاه فقوله «وما تواضع أحد لله» تنبيه على أن الأعمال ومن ذلكم الأخلاق فلا بد فيها من الإخلاص حتى تكون من جملة أعمال العبد وقربه التى يلقى عليها الثواب يوم يلقى الله جَلَّوَعَلَا نعم.

๛◊๛

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمد إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لمكان الواجب عليه أن لا يتزيا بغيره

○ **التعليق:**

هذا مستفاد من الحديث «ولا تواضع أحد لله إلا رفعه» يقول لو لم يكن فى التواضع خصلة تحمد إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة كما دل على ذلكم الحديث لكفى بذلك دليلًا على عظم مكانة التواضع وأن الواجب على المسلم أن لا يتزيا بغيره أى لا يجعل له زيًا والزى هو اللباس أن لا يتزيا بغيره أى لا يجعل له لباس وزينة غير التواضع وهذا فيه أن الأخلاف الفاضلة زينة وجمال لصاحبها وإذا كان من الناس من لا همة فى التجمل إلا باللباس الظاهر فإن التجمل بالأخلاق الفاضلة أعظم أثرًا وأكبر فائدة ومنفعة قال تعالى «ولباس التقوى ذلك خير» نعم

৩০◊৫৪

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والتواضع تواضعان أحدهما محمود والآخر مذموم والتواضع المحمود ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم والتواضع المذموم هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كلها

التعليق:

هنا يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن التواضع منه ما يحمد ومنه ما يذم أما الذى يحمد فهو ترك التطاول على عباد الله والإذراء بهم بل ينظر إلى نفسه بعين التقصير والتفريط ولا يتطاول على عباد الله ولا يعجب بنفسه فهذا تواضع محمود قال والتواضع المذموم هو تواضع المرء لذى دنيا رغبة فلا دنياه فإذا كان بين يدى صاحب دنيا إما إمرة أو تجارة أو رئاسة أو غير ذلك يظهر أمامه بالمظهر بالمتواضع وهو لا يريد إلا دنياه من خلال تواضعه بين يديه فهذا تواضع مذموم وإهانة للنفس وإذلال لها بخلاف التواضع الذي يكون خلقًا للعبد يتقرب به يتقرب به إلى ربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ومولاه نعم.

ﮋ ◊ ﮊ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن بكير بن عبد الله عن عبيد الله بن عدي أن عمر بن الخطاب قال إن الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس كبير وإذا تكبر العبد وعدا طوره وهصه الله الى الأرض وقال اخسأ أخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس صغير

○ **التعليق:**

هذا أثر عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال إن الرجل إذا توضع لله وانظر أيضًا التأكيد على التواضع وهو أن يقع من العبد قربة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا هو التواضع الذى يورث الرفعة كما تقدم فى الحديث «من تواضع لله رفعه» فيقول إن الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكمته بفتح الحاء والكاف والميم والتاء رفع الله أى قدره وشأنه ومكانته ومنزلته رفع الله حكمته والحكمة هى (أسفل الوجه) وقال انتعش نعشك الله أى ارتفع لك الرفعة والعلو كما فى الحديث الذى تقدم «إلا رفعه الله» لأن التواضع لله لا يزيد العبد إلا رفعة فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس كبير فالمتواضع فى نفسه لا يرى نفسه شيئًا من جميل تخلقه بالتواضع لكن هو كبير فى أعين الناس ويرونه شخصًا عظيمًا رفيع الخلق جميل الأدب له مكانة عظيمة فى نفوسهم قال وإذا تكبر العبد (وعدا طوره) أى تجاوز حده وقدره وأخذ يظهر بين الناس بالكبر والعلو والرفعة على الناس والعجب بالنفس ونحو ذلك وهاصه الله إلى الأرض قال أبو عبيد يعنى كسره ودقه أذله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا جزاء من جنس العمل تكبر على عباد الله فأذله «وأهانه ومن يهن الله فما له من مكرم» وقال إخسأ أخسأك الله أى أذلك الله فهو فى نفسه كبير فالمتكبر يرى فى نفسه أنه كبير معجبًا بنفسه

مصابًا بالتيه والعلو والتكبر يرى نفسه أنه لا أحد أكبر منه من الناس فهو كبير فى نفسه وفى أعين الناس صغير فالناس لا يرونه بهذا النظر الذى ينظره إلى نفسه بل يقولون هذا متكبر نعم.

❁

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التواضع يرفع المرء قدرا ويعظم له خطرا ويزيده نبلا والتواضع لله جل وعز على ضربين أحدهما تواضع العبد لربه عندما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله ولا راء له عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذي يتفضل عليه بذلك وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العجب عن الطاعات والتواضع الآخر هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المآثم حتى لا يرى أحدا من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات

○ **التعليق:**

يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن التواضع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ضربين أى على نوعين الأول تواضع العبد لربه عندما يأتى من الطاعات فى صلاته وعباده وصيامه إلى غير ذلك من طاعاته فيأتى بها غير معجب بفعله ولا ممتن على ربه بعبادته بل يستشعر أن هذه العبادة بأنها من الله وفضل عليه فلا يعجب بنفسه يأتى بالطاعات ويحرص على تتميمها وتكميلها غير معجب بفعله ولا راء له غير ناظر لعمله نظرة الإعجاب عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية أى فى تواضعه وانكساره وذله بين يدى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا أن يكون المولى جَلَّ وَعَلَا هو الذى يتفضل عليه هذا نظره أن هذه

الأعمال وهذه الطاعات لم تحصل إلا بمنة الله وفضله قال تعالى «ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلًا من الله ونعمة» قال هذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العجب عن الطاعات أى الدافع الذى يدفع نفس العجب بمعنى أنه يطرد العجب ويبعده عن الإنسان أى نظر هذا الذى يطرد العجب شهود المنة النظر الذى يطرد العجب عن الإنسان شهود المنة مثل ما قال قبل قليل هو الذى يتفضل عليك فكل ما قام بطاعة من الطاعات لا تصاب نفسه بالعجب بطاعته وعبادته بل يشهد منة الله عليه بالتوفيق لفعل هذه الطاعة فبدلًا من أن تشغل نفسه بالعجب يشغلها بالحمد أى حمد المنعم ويقول لولا فضل الله على لما قمت بهذه الطاعة مثل ما كان الصحابة رضوان الله عليهم يقولون فى رجزهم «لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا» أى أن هذا كله منة الله وفضله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ علينا فشهود المنة أعظم طارد للعجب انظر مثال ذلك قال تعالى «ولولا إذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله» يدخل الإنسان جنته مثلًا أو يدخل حديقة له أو بيتًا جميلًا اجتهد فى تنميقه وصنعه وترتيبه ثم ينظر إلى البيت إو إلى الحديقة أو غير ذلك نظرة العجب ويبدأ العجب يدخل عليه فيقول ماشاء الله لا قوة إلا بالله هذا طارد للعجب لأنه يشهد منة الله عليه ما شاء الله لا قوة إلا بالله هذا شهود للمنة أى هذا فضل الله ولم يكن إلا بمشيئة الله لولا أن الله من وقوانى وأعاننى ما كانت لى هذه الحديقة ولا هذا البيت ولا امتلكت هذه السيارة إلى آخره فيشهد المنة فبدلًا من أن ينظر لنفسه نظرة العجب حتى بعضهم يرتقى به الحال إلى أن يقول أنا حقيق به وأنا جدير به وهذا بعرق جبينى وهذا بحذقى وشطارتى وجدارتى ومهارتى إلى آخره فينسى فضل الله عليه فإذا قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فهذا أعظم مما يكون فى طرد العجب «ولولا إذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله» فإذا يقول إلا أن يكون المولى جَلَّوَعَلَا هو الذى يتفضل عليه وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس

العجب عن الطاعات هو الذى يطرد العجب أى شهود المنة هو أعظم ما يكون طاردًا ودافعًا ومبعدًا للعجب عن قلب المرء قال والتواضع الآخر هو إزدراء المرء نفسه واستحقاره إياها **عند ذكره ما قارف من المآثم حتى لا يرى أحدا من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات** الأول فى جانب فعل الطاعة والأمر الآخر فى جانب المعصية والوقوع فى الإثم وإذا وفق لتجنب مأثم من المآثم أو معصية من المعاصى عليه أن يشهد نعمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه وفضله وفى الوقت نفسه يشهد مشهد التقصير وهذه معانى جليلة ومهمة فى طرد العجب لأن العجب يحتاج إلى أمور يستجلبها المرء إلى قلبه حتى يبعد العجب عن نفسه وألمح إليه المصنف من هذه الأمور شهود المنة كما تقدم ومن هذه الأمور شهود التقصير فإذا نظرت النفس إلى عمل من الأعمال وأعجبت به وبدأ يدخل إليها العجب يقول لنفسه لا تعالى انظرى أين أنت فى الأمور الفلانية ويبدأ يذكرها بجوانب التقصير فإذا ذكرها بالتقصير ابتعد عنها بالعجب أما إذا أصبح النظر مقصورًا على هذا العمل المعين الجميل الذى أعجب بنفسه أنه فعله وركز ذهنه عليه دخله العجب لكن إذا نقل النظر إلى جوانب أخرى جانب التقصير والتفريط وأننى مقصر فى كذا ومفرط فى كذا ولم أعمل كذا إلى آخره هذا أيضًا يطرد العجب أيضًا شهود الذنب الذى وقع فيه وأنه إنسان مذنب فشهود هذه المعانى تحدث فيه أمور اخرى من التعبد مثل الحمد عندما يشهد المنة والتوبة عندما يشهد الذنب وهكذا ينتفع العبد بمثل هذا النظر الجميل فى استصلاح نفسه وطرد العجب عن قلبه نعم.

✿◈✿

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد حدثنا يحيى بن معين حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال قال أبي يا بنى لو لم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم

○ **التعليق:**

قال بكر بن عبدالله المزنى وهو من أجلة علماء السلف رحمهم الله يقول لو لم أحضر الموسم يعنى موسم الحج لولم أكن مع الناس فى عرفه ولو لم أشهد الحج معهم لرجوت أن يغفر لهم من إزراءه بنفسه وشهوده التقصير وهذه حال السلف يكملون العمل ويتممونه وفى الوقت نفسه يشهد التقصير من نفسه والتفريط قال تعالى «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون» يقدمون ما يقدمون من طاعات وهم خائفون أن لاتقبل منهم قال الحسن البصرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ

«إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة أى مخافة رد العمل وعدم وقبوله والمنافق جمع بين إساءة وأمن» ومن هذا الباب قول عبدالله بن أبى مليكة «أدركت أكثر من ثلاثين صحابيًا كلهم يخاف النفاق على نفسه» فصلاح فى العمل وفى الوقت نفسه خوف من رد العمل وعدم قبوله وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

«لو أعلم أنه تقبلت منى سجدة واحدة خير لى من الدنيا وما فيها» فهذا كله من شهود التقصير والإزراء بالنفس والإعتراف بالتقصير مع ما يحصل منهم من الإجتهاد والمجاهدة للنفس فى تتميم العمل وتكميله نعم.

﴾◊﴿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عبد الرحمن بن بحر بن معاذ البزاز حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن سميع حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريج عن مجاهد في قوله وكانوا لنا خاشعين قال متواضعين

التعليق:

هذا معنى ذكره بعض السلف وهو مجاهد فى معنى الآية «وكانوا لنا خاشعين» قال متواضعين فالخاشعين أى المتواضعين لله وهذا من معانى الخشوع نعم.

୭◊൸

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل يلزم مجانبة التكبر لما فيه من الخصال المذمومه

إحداها أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ويرى لها على غيرها الفضل

والثانية ازدراءه بالعالم لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم وكفى بالمستحقر لمن أكرمه الله بالإيمان طغيانا

والثالثة منازعة الله جَلَّ وَعَلَا **في صفاته إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله** جَلَّ وَعَلَا **فمن نازعه إحداهما ألقاه في النار إلا أن يتفضل عليه بعفوه**

التعليق:

هذه ثلاث خصال تكون فى المتكبر يقول **العاقل يلزم مجانبة التكبر لما فيه من الخصال المذمومه** فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث خصال مذمومة فى التكبر وكلها شنيعة وأشنعها ثالثها فالأمر الأول العجب فلا يتكبر إلا عن عجب بنفسه والعجب مذموم والأمر الثانى الإحتقار للناس لأنه لا يتكبر إلا إذا ازدرى الآخرين وانتقصهم ورأى رفعته عليهم وكفى باحتقار اهل اللإيمان طغيانًا وتعديًا وتجاوزًا والأمر الثالث منازعة الله فى صفته كما جاء فى الحديث القدسى: «العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعتى واحدًا منهما عذبته» فهذا من أشنع ما يكون فيما يلزم أو ما يترتب على التكبر وهو منازعة الله فى صفته إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله ثم يقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فمن نازعه أحدهما ألقاه فى النار أى كما جاء فى الحديث نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول :

التيــه مفســدة للــدين منقصــة — للعقــل مهتكــة للعــرض فانتبــه
لا تشــرهن فــإن الــذل في الشــره — والعز في الحلم لا في البطش والسفه

❍ **التعليق:**

هذا فيه التحذير من الكبر والتعالى قال التيه وهو التعالى والغرور والعجب بالنفس

التيه مفسدة للدين منقصة — للعقل مهتكة للعرض فانتبه

كل هذا يترتب على التيه وأنه مفسدة مفسدة للدين منقصة للعقا مهتكة للعرض هذه ثلاثة أمور كلها تترتب على التيه الذى هو الغرور والعجب يترتب على أنه مفسدة لدين صاحبة ومنقصة لعقله ومهتكة لعرضه لأنه يهتك عرض نفسه بكبره وغروره ولهذا لا يزال الناس يذمونه بماذا؟ بكبره يقولون فلان مغرور ومتكبر ومعجب بنفسه إلى آخر وفى الحديث يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» لدينه أى بينه وبين الله وعرضه أى بينه وبين الناس هذا فيمن اتقى الشبهات فكيف بمن لم يتق المحرمات الواضحات لا شك أنه مهتكة للعرض إضافة إلى ما فيه من مفسدة للدين

لا تشرهن فإن الذل في الشره — والعز في الحلم لا في البطش والسفه...

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول سمعت أبا داود السنجي يقول سمعت الأصمعي يقول سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول الشريف إذا تقرأ تواضع والدنيء إذا تقرأ تكبر

○ **التعليق:**

يقول **يحيى بن خالد البرمكي** الشريف إذا تقرأ تواضع أى إذا حصل عبادة ونسكًا وتعلمًا وتفقهًا وغير ذلك من معانى فإنه يتواضع لا يزيده تحصيله لذلك إلا تواضعًا والدنىء من كان صاحب طبع دنىء إذا تقرأ تكبر أى تعالى على الناس وأعجب بنفسه نعم.

꧁◊꧂

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يمتنع من التواضع أحد والتواضع يكسب السلامة ويورث الألفة ويرفع الحقد ويذهب الصد وثمرة التواضع المحبة كما أن ثمرة القناعة الراحة وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مذرة وآخره يعود جيفة قذرة وهو بينهما يحمل العذرة

التعليق:

هذا ذم للتكبر وبيان مكانة التواضع فيقول كيف لا يتواضع من خلق من نطفة مذرة وآخره يعود جيفة قذرة وهو بينهما يحمل العذرة والعذرة هى الغائط فعلى ما يتكبر وهذه حاله إن نظر إلى أوله فهو نطفة مذرة من ماء مهين ومن يمنى هذا أصله نطفة وبدايته نطفة ونهايته جيفة عندما يوضع فى القبر وتأكله الديدان هذه نهايته وآخره يعود جيفة قذرة وهو بينهما أى فى هذه الحياة الدنيا يحمل العذرة أى القذر فى بطنه فى جوفه فعلى ما يتكبر وهذه حاله وهذا فيه تنبيه على أن الإنسان يحتاج أن يعمل فى نفسه بعض النظر لأمور تذهب عن ذهنه فإن ذهبت عن ذهنه تكبر وإن نظر إليها زال عنه تكبره هذه معانى مهمة جدًا وفعلًا يحتاج العبد النظر إليها أ، يحدث فى نفسه نظرًا إليها حتى ينطرد عنه تكبره وغروره وتيهه ونحو ذلك نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت أبا يعلي يقول سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول سمعت ابن عيينه يقول لو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لا نعرف

❍ **التعليق:**

نعم لأن الخيار ما يظهروا أنفسهم وإنما عبادته وعمله خفية بينه وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لخرج خيار من لا نعرف لماذا؟ لأن أهل الصلاح والإستقامة أعمالهم خفاء بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أما الذى يتظاهر ويقدم الأعمال مظهرًا لها فلو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لا نعرف نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا   فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فإن كنت في عز وخير ومنعة   فكم مات من قوم هم منك أمنع

التعليق:

هذه أبيات جميلة فى الحث على التواضع والتحذير من ضده قال ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعًا انظر إلى النظر الذى يدعوا إلى إحداثه فى النفس حتى يبقى الإنسان على التواضع **فكم تحتها قوم هم منك أرفع** الأرض الذى يمشى عليها الإنسان ثم يحدث فى نفسه شيء من التكبر عليه أن يتذكر أن الأرض تحتها أناس أرفع قدرًا منه وأعلى مكانة منه وهم تحت الأرض فعلى ما يتكبر **فإن كنت في عز وخير ومنعة** أى كل هذه الامور مجتمعة فيك **فكم مات من قوم هم منك أمنع** أى أكثر منعة وعزًا منك فعلى ما تتكبر هذا كله تنبيه إلى أن نظر الإنسان إلى مثل هذه المعانى وإحداثها فى نفسه هو من أنفع ما يكون فى أرض الكبر والعجب عن نفسه نعم.

❧

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدنا أبو عروبة أو ابن قتيبة أنشدنا المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط

وكفـى بملـتمس التواضـع رفعـه　　　وكفـى بملـتمس العلـو سـفالا

○ **التعليق:**

أى الذى يلتمس العلو لا يزيد إلتماسه العلو إلا سفالًا أى ضعة ومهانة وملتمس التواضع لا يزيده تواضعه إلا علوًا ورفعة نعم.

✿◊✿

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا ابن خزيمة حدثنا محمد بن هشام المروزي حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه قال حج الحسين بن علي عشر حجج ماشيا ونجبه تقاد الى جنبه

○ **التعليق:**

نجبه أى نوقه الجميلة النجيبة تقاد إلى جنبه وحجه راكبًا لا يتنافى مع التواضع أى ليس من لازم التواضع أن لا يحج الإنسان إلا ماشيًا يحج راكبًا وهو على تواضعه ولهذا لا يكون التواضع مرتبطًا بالركوب أو المشى لأنه قد يمشى الإنسان وهو متكبر على قدمه وقد يكون راكبًا على مركوب جميل وهو متواضع لا يرى نفسه فالأمر ليس مرتبطًا بالمشى أو بالركوب وإنما التواضع والكبر خلق فى الإنسان لا يرتبط بذلك نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أفضل الناس من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وانصف عن قوة ولا يترك المرء المتواضع إلا عند استحكام التكبر فلا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله وما رأيت أحد تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه

التعليق:

تواضع الإنسان عن رفعة وزهده عن قدرة وإنصافه عن قوة هذا أفضل ما يكون لأن ذلك فى محك الإمتحان والإبتلاء فمن كان كذلك فلا شك أنه أفضل من غيره نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن أبي على الخلادي :

ودع التيه والعبوس على الناس ... فإن العبوس رأس الحماقة
كلما شئت أن تعادى عاديت ... صديقا وقد تغر الصداقة

التعليق:

هذا تحذير من التيه لأنه يورث العبوس أى يلقى الناس بوجه عابس لأنه يرى نفسه أعلى منهم فيعبس فى وجوههم لا يلقاهم بالوجه الطليق وذلك لعجبه بنفسه وتيهه فيقول **فإن العبوس رأس الحماقة** فعبوس الإنسان فى وجوه الآخرين هذا ضرب من ضروب الحماقة **كلما شئت أن تعادى عاديت ... صديقا وقد تغر الصداقة** نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما استجلبت البغضة بمثل التكبر ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع ومن استطال على الاخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ولا يجب لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء ولا تكاد ترى تائها إلا وضيعا

التعليق:

لا يطمع فى حسن الثناء لأن ثناء الناس وذمهم عند الصادق سواء لأنه غير ملتفت أصلًا إلى ذلك نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنا منه تواضع له وقال سبقني الى الإسلام وإذا رأى من هو أصغر سنا تواضع له وقال سبقته بالذنوب وإذا رأى من هو مثله عده أخا فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ولا يجب استحقار أحد لأن العود المنبوذ ربما انتفع به فحك الرجل به أذنه

○ **التعليق:**

هذه أمور إذا أوجدها الإنسان فى نفسه أحدثت له التواضع يعنى إن دعته نفسه إلى التكبر على شخص أكبر منه سنًا فليق لنفسى هذا سبقنى إلى الإسلام وإذا دعته نفسه إلى التكبر على شخص أصغر منه سنًا فليقل سبقته بالتقصير والتفريط والذنوب وهكذا يوجد فى نفسه المعانى التى تطرد عنه التيه والعجب والتكبر على الناس

نعم.



❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول دخل رجل الحمام وزيد بن أبي حبيب فيه وكان أسود فقال له يا أسود قم فاغسل رأسي قال فقام فشد عليه إزاره فغسل رأسه ودلك جسده فلما فرغ قال له الرجل كثر الله في السودان مثلك قال أحببت أن يكثر من يخدمك

❍ **التعليق:**

السودان نسبة إلى البشرة السوداء يعنى ما قابله إلا بهذا الخلق الذى يرجى من مثله أن يؤدب هذا الرجل لأنه إذا خرج وعرف أن هذا فلان الفاضل النبيل الى مكانته كذا وكذا فيستحى من نفسه وربما كانت هذه نوع من التربية والتأديب له حيث إنه ما عرف قدر من هو أرفع منه مكانة ومنزلة فهذا نوع من التأديب وهو أيضًا لا ينشأ إلا عن تواضع من الإنسان نعم.

❧◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن زنجوية القشيري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله المدينى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال لو بغى جبل على جبل لدك الله الباغي منهما

التعليق:

فكيف بالإنسان الذى عنده عقل وهو مكلف والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ حذر من البغى ونهى عنه أشد النهى فلو بغى جبل على جبل لدك الله الباغى منهما نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا نصر بن علي حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال ما نسيت شيئا قط ثم قال لغلامه ناولني نعلي قال نعلك في رجلك

التعليق:

أى هذا الإنسان لا ينظر إلى نفسه بالذكاء والفطنة وأنا ذكى لا أنسى لا فقتادة يقول ما نسيت شيئًا قط يعنى يذكر ذاكرته وحافظته القوية يقول ما نسيت شيئًا قط يعنى يذكر الأشياء وفى نفس اللحظة ابتلى فقال لغلامه ناولنى نعلى قال نعلك فى رجلك وهو يقول قبل قليل ما نسيت شيئًا قط فأنساه الله نعله التى فى رجله يبحث عنها وهى فى رجله وأيضًا لها نظير نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عبد الله بن محمد بن عمر أنبأنا عل بن خشرم قال سمعت الفضل بن موسى يقول كان مالك ينسى فقال لقهرمانه اشتر لي غلاما وسمه باسم خفيف حتى لا أنساه قال فاشترى له غلاما وأدخله عليه فقال اشتريت لك هذا الغلام وسميته باسم خفيف قال ما سميته قال فرقد قال فنظر الى الغلام وقال اجلس يا واقد

○ **التعليق:**

(القهرمان) هو الوكيل على ماله

قال اجلس يا واقد وهو طلب اسم خفيف حتى لا ينساه فقال اخترت له اسم خفيف قال ماسميته؟ قال فرقد قال اجلس ياواقد يعنى نسى فى نفس اللحظة نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر استحباب التحبب الى الناس من غير مقارفة المأثم

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ببغداد حدثنا يحيى بن معين حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن عمرو الأودى عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال يحرم على النار كل هين لين قريب سهل

التعليق:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ذكر استحباب التحبب الى الناس من غير مقارفة المأثم** والتحبب إلى الناس أى التودد إليهم ويذكر فى تراجم بعض العلماء الأعلام يقولون كان حسن التودد فالتحبب إلى الناس بالتودد والتلطف معهم وبالمعاملة الكريمة وطلاقة الوجه وأن يكون هينًا لينًا سمحًا سهلًا فهذا من الأخلاق الفاضلة العظيم التى دعت إليها شريعة الإسلام لكن لا يكون هذا التحبب فيه مأثم أو معصية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولهذا استثنى المصنف فقال استحباب التحبب إلى الناس من غير مقارفة المأثم لأن التحبب إلى الناس مع مقارفة المأثم هذا مأثم بحد ذاته وصدر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الترجمة بحديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال «**يحرم على النار كل هين لين قريب سهل**»

هذه صفات أربعة ذكر فيها النبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن من اجتمعت فيه هذه الصفات فإنه يحرم على النار والمراد من كان مسلمًا مؤمنًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذه صفاته هين من الهون وهو السكينة والوقار كما قال تعالى ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣] ولين أى لين الجانب يلين بيد إخوانه فى لطفه ورفقه وكريم معشره وقريب أى إلى

الناس وذلك لجمال أخلاقه فهو قريب إلى الناس لما يتمتع به من أخلاق فاضلة وآداب جميلة وسهل أى سهل الخلق كريم الشمائل فمن كان فيه هذه الخصال فإن النار تحرم عليه كما اخبر بذلك النبى ﷺ وهذا فيه عظم حث على التحلى بالأخلاق الفاضلة فإنها حجاب لصاحبها من النار مع التوحيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبدون التوحيد لا تنفع وأيَضًا سبب للفوز بالجنة كما سئل نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن أكثر أو أعظم ما يدخل به الناس الجنة «قال تقوى الله وحسن الخلق» نعم.

﴿◊﴾

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يتحبب الى الناس بلزوم حسن الخلق وترك سوء الخلق لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها

○ **التعليق:**

الأخلاق الفاسدة تفسد الأمور الصالحة مثل ما ذكر مثال لو صب خل على عسل أفسده فالأخلاق السيئة رديئة للإنسان ومفسدة له ومبعدة له عن محبة الناس له ومعرفتهم بقدره فمضرة الخلق السيئة على العبد مضرة عظيمة جدًا بينما الخلق الفاضل الكريم السمح الطيب يترتب عليه من الآثار والمنافع ما لا حد له وعد فى الدنيا والآخرة نعم.

❧◈☙

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني البغدادي :

خـــالق النـــاس بخلـــق حســـن   لا تكـــن كلبـــا علـــى النـــاس يهـــر
والقهـــم منـــك ببشـــر ثـــم صـــن   عـــنهم عرضـــك عـــن كـــل قـــذر

○ **التعليق:**

يهر أى ينبح يعنى الق الناس بشر يعنى وجه طليق ليس بوجه عابس ثم صن عنهم عرضك بتجنب الأمور ا التى فعل الإنسان لها مهتكة لعرضه.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا حامد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا سريج بن يونس حدثنا سفيان عن ابراهيم عن ميسرة عن طاووس قال سمعت ابن عباس يقول أن الرحم تقطع وأن النعم تكفر ولم أر مثل تقارب القلوب

التعليق:

إن الرحم تقطع يعنى يحصل فيها القطيعة والنعم تكفرأى يوجد من يكفر النعمة قال ولم أر مثل تقارب القلوب أى المحبة فى الله والتقارب تقارب النفوس وتآلفها فى طاعة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الخلادي حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا ابراهيم بن الأشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول إذا خالطت فخالط حسن الخلق فإنه لا يدعو إلا الى خير وصاحبه منه في راحة ولا تخالط سيء الخلق فإنه لا يدعو إلا الى شر وصاحبه منه في عناء ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب الي من ان يصحبني قاريء سيء الخلق إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه

التعليق:

هذه كلمة جميلة للفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من علماء التابعين الأجلاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فى الحث على مخالطة أهل الأخلاق الفاضلة والتحذير من مخالطة أهل الأخلاق السيئة وأن أهل الأخلاق الفاضلة لا يدعون إلا إلى الخير وصاحبهم فى راحة لأنه مأمون جانبهم أخلاقهم الفاضلة تمنعهم من آذاه أو الإضرار به أو التعدى عليه أما صاحب الخلق السيء فإنه إن دعا فلا يدعوا إلا إلى شر وصاحبه منه فى عناء ولا يأمن بوائقه فإذا من كانت هذه حاله فلا يأمن فى صحبته نعم.

೫◈೩

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن المهاجر المعدل أنشدني محمد بن ابراهيم اليعمري :

حافظ على الخلق الجميل وفز به ... ما بالجميل وبالقبيح خفاء
إن ضاق مالك عن صديقك فألقه ... بالبشر منك إذا يحين لقاء

❍ **التعليق:**

هذا حث على التحلى بالأخلاق الجميلة الفاضلة وأيضًا حث على أمر الآخرين بها أن يتحلى فى نفسه بالأخلاق وأن يأمر الأخرين بها **ما بالجميل وبالقبيح خفاء** أى هى معروفة فالأخلاق الفاضلة معروفة و الأخلاق القبيحة أيضًا معروفة لا تخفى **إن ضاق مالك عن صديقك** أى ما تيسر لك مساعدته فى أمر ما فلا أقل من أن تلقاه بالبشر منك إذا يحين لقاءه أى إذا حصل لقاءه تلقاه بالبشر لأن بعض الناس يتعامل مع صديقه مثلًا بالمعاملة الطيبة ثم إذا احتاج صديقه منه تغير حتى فى تعامله معه وتسوء أخلاقه فهذا ليس من الخلق إذا احتاج فإن كان ذا قدرة على مساعدته ومعاونته وإلا لا أقل من أن تلقاه بالبشر والكلام الطيب أعانك الله يسر الله أمرك قضى حاجتك ونحو ذلك نعم.

❧ ◈ ❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسين بن اسحاق الأصبهاني حدثنا يحيى بن حكيم المقومي حدثنا الخليل بن عبد العزيز قال سمعت حماد بن سلمة يقول الصوم في البستان من الثقل

التعليق:

هذا الأثر عن حماد أورده ابن مفلح فى الآداب الشرعية وقال كذا قال وليس هو على ظاهره بل يختلف بحسب الحال والبستان معروف فيه الخضرة والفاكهة والطعام فقال الصوم فى البستان من الثقل نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حسن الخلق بذر اكتساب المحبة كما أن سوء الخلق بذر استجلاب البغضة ومن حسن خلقه صان عرضه ومن ساء خلقه هتك عرضه لأن سوء الخلق يورث الضغائن والضغائن إذا تمكنت في القلوب أورثت العداوة والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها الى النار إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفو

التعليق:

الخلق الفاضل بذر اكتساب المحبة يعنى كل ما يتحلى الإنسان بالأخلاق الفاضلة فهو يضع بذور المحبة له فى قلوب الناس وعلى الضد سيء الخلق يضع بذور استجلاب بغضة الناس له وعداوتهم له نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن الزهري قال وهل ينتفع من السيء الخلق بشيء

التعليق:

أى لا خير فى مصاحبته ومرافقته لأنه لا ينتفع منه بشيء أخلاقه السيئة حجبت تحصيل الخير والفائدة من جهته نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهل لا تزال ... وجوههم تدعو اليه
طوبى لمن جرت الأمور ... الصالحات على يديه
مالم يضق خلق الفتى ... فالأرض واسعة عليه

التعليق:

هذا كلام جميل جدًا فى التحلى بالأخلاق وفضل أهل الأخلاق ومكانتهم قال

للخير أهل لا تزال ... وجوههم تدعو اليه
طوبى لمن جرت الأمور ... الصالحات على يديه
مالم يضق خلق الفتى ... فالأرض واسعة عليه

لكن إذا ضاق خلقه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وإذا اتسع الخلق فإنه فى راحة وطمأنينه وتكون الأرض واسعة عليه حتى لو كان فى مكان يقدر أنه ضيق فمع سعى خلقه فى راحة عظيمة نعم.

ﮋ ◊ ﮊ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أبو يعلي حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا مهدي بن ميمون عن موسى بن عبيد عن ميمون بن مهران قال التودد الى الناس نصف العقل وحسن المسألة نصف العلم واقتصادك في معيشتك يلقي عنك نصف المؤونه

○ **التعليق:**

هذا كلام جميل لميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول التودد إلى الناس نصف العقل والتودد إلى الناس أى فى غير مأثم بأن يلقاهم بالبشر يعاملهم معاملة كريمة يتلطف يرفق بهم يحترم الكبير ويرحم الصغير ويعين المحتاج إلى غير ذلك هذا نصف العقل فالتودد إلى الناس نصف العقل وحسن المسألة نصف العلم أن يحسن الإنسان السؤال واقتصادك فى معيشتك يلقى عنك نصف المؤونة يعنى نصف التكلفة التى تنفقها على نفسك إذا اقتصدت فى المعيشة نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التحبب الى الناس أسهل ما يكون وجها وأظهر ما يكون بشرا وأقصد ما يكون أمرا وأرفق ما يكون نهيا وأحسن ما يكون خلقا وألين ما يكون كنفا وأوسع ما يكون يداً وأدفع ما يكون أذى وأعظم ما يكون احتمالا فإذا كان المرء بهذا النعت لا يحزن من يحبه ولا يفرح من يحسده لأن من جعل رضاه تبعا لرضا الناس وعاشرهم من حيث هم استحق الكمال بالسؤدد

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أعاشـــر معشـــري في كـــل أمـــر ... بأحســـن مـــا أريـــت ومـــا رأيـــت

واجتنـــب المقـــابح حيـــث كانـــت ... واتـــرك مـــا هويـــت ومـــا فريـــت

التعليق:

ما فريت أى عزمت عليه اجتنب المقابح حيث كانت واترك ما هويت أى ما تهواه نفسى من مقابح وما عزمت عليه من المقابح التى اجتنبها واتركها للسلامة منها وسوء عاقبتها وأعاشر معشر فى كل أمر بأحسن ما رأيت هو ما رأيت يعنى أعامله بأحسن ما يكون من المعاملة والخلق الفاضلة الذى أحب أيضًا أن أعامل به نعم.

❀◈❀

○ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حاجة المرء الى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه والسبب الداعى إلى ضد محبتهم له هو التضايق في الأخلاق وسوء الخلق لأن من ضاق خلقه سئمه أهله وجيرانه واستثقله إخوانه فحينئذ تمنوا الخلاص منه ودعوا بالهلاك عليه

○ التعليق:

هذا تنبيه من المصنف وهو يتكلم عن حسن التودد وأثره العظيم والتجمل بالأخلاق الفاضلة وكيف أنها تثمر الثمار العظيمة فدخل من هذا الموضع إلى ذم سوء الخلق وكيف أن سيء الخلق يجنى على نفسه بأن يصبح ثقيلًا على الناس معدودًا فى الثقلاء لا يطيقون مجالسته وإذا جاء بمجلس ملوا منه وضجروا من وجوده وتمنوا أن لا يرونه وإذا عرفوا أنه سيأتى أو سيقدم تضايقوا وتضجروا فسيء الخلق يصبح هذه حاله معدود فى الثقلاء وسوء الخلق لأن من ضاق خلقه سئمه أهله وجيرانه فكيف بالناس الآخرين واستثقله إخوانه عدوه ثقيلًا فحينئذ تمنوا الخلاص منه ودعوا بالهلاك عليه ما يريدونه ولا يطيقونه والثقلى النفوس تنفر منهم حتى لو كان من الإخوان أو الأقارب أو الجيران والثقلى بسوء أخلاقهم وسوء تصرفاتهم فنفوس الناس تستثقلهم ولا تطيق ملاقاتهم ومن هنا دخل فى ذكر بعض النقول فى ذم الثقلى من الناس نعم.

⁂

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائي يقول سمعت أبا الحسن الزهاوي يقول سمعت يزيد بن هارون يقول :

فقدت ثقال الناس في كل بلدة   فيارب لا تغفر لكل ثقيل

التعليق:

أورد المصنف هذا البيت ليزيد بن هارون يقول فقدت تقال الناس فى كل بلدة يعنى لا أطيق رؤيتهم أو مشاهدتهم أو الجلوس معهم ثم يقول فيارب لا تغفر لكل ثقيل وهذا الكلام لا يصلح وإذا أردنا أن نعرف عدم صلاحية مثل هذا الكلام انظروا إلى كلام الصحابة كلام أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندنا فى الكتاب صـ٥٩ فى السطر الخامس من أسفل عن ابراهيم بن بكير قال كان أبو هريرة إذا استثقل جليسًا له قال اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه فى عافية لكن ما يقول الله لا يغفر للثقيل أو لا يدخله فى رحمته فما يصلح هذا الكلام وإذا كان يضجره جلوسه يقول مثل هذا الدعاء الجميل اللهم اغفر لى وله وأرحنا منه فى عافية الله يغفر و يعفو عنه ويصلحه وشأنه لكن عسى الله أن يريحنا منه ما نراه ولا يجلس عندنا مثل هذا لا بأس به إذا كان ثقيل ويؤذيه ويضجره وينكد عليه مجلسه ما يدعوا عليه الله لا يغفر له الله لا ي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يدخله كذا وغير ذلك من العقوبات فهذا ما يصلح بل يفعل أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما تقدم فهذه دعوة جميلة نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا محمد بن عبد الله بن إسماعيل قال سمعت عمرو بن الحارث يقول تسخين العين النظر الى من تكره

○ **التعليق:**

تسخين العين يعنى أن تصاب العين بالسخونة وهى ضد قرة العين فتسخين العين أى إيجاعها وإيلامها وإدخال الحزن والألم عليها وتسخين العين النظر إلى من تكره ومن ذلك النظر إلى الثقلى من سيء الأخلاق نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **الأستثقال من الناس يكون سببه شيئين أحدهما مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم لأن من تعدى حرمات الله أبغضه الله ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ثم يوضع له البغض في الأرض فلا يكاد يراه أحد إلا استثقله وأبغضه**

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الخصال ما يكرهه الناس منه فإذا كان كذلك استحق الإستثقال منهم

التعليق:

اكتساب الإنسان الإستثقال من الناس أى أن يستثقله الناس له سببان الأول مقارفة المرء الذنوب فى ارتكابه للمعاصى فإن ارتكاب المر للمعاصى والذنوب يعاقبه الله على ذلك بأن يجعل فى قلوب اهل الإيمان بغضًا له وكراهية له فيصبح ثقيلًا **مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم لأن من تعدى حرمات الله أبغضه الله ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ثم يوضع له البغض في الأرض**

فلا يكاد يراه أحد إلا استثقله وأبغضه هذا السبب الأول والسبب الآخر هو استعمال المرء من الخصال ما يكرهه الناس منه فإذا كان كذلك استحق الأستثقال منهم يعنى يقابلهم بالأخلاق السيئة بالتعاملات الغليظة والإساءة إليهم أو بالمزاح الذى فيه الإذراء بهم والتهكم إلى آخره فيصبح فى نفوس الناس ثقيلًا يكرهون رؤيته ومشاهدته والجلوس معه نعم.

❧ ◈ ❧

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

ليتني كنت ساعة ملك الموت ... فأفنى الثقال حتى يبيدوا
ولو أني وأنت في جنة الخلد ... لقت الخروج منها أريد
لدخول الجحيم أهون من ... جنة خلد أراك فيها ترود

❍ **التعليق:**

ليتني كنت ساعة ملك الموت ... فأفنى الثقال حتى يبيدوا

أى حتى لا يبقى منهم أحد ولو أنى وأنت يخاطب ثقيلًا من الثقلاء

ولو أني وأنت في جنة الخلد ... لقت الخروج منها أريد

لدخول الجحيم أهون من ... جنة خلد أراك فيها ترود

أى أراك فيها تتحرك وتتنقل هذا الكلام باطل ولا يصلح أن يقال ومثل هذا الكلام يقوله الشعراء الذين هم فى كل واد يهيمون ويقولون كلام ما يصلح فيقول من شدة ضجره وضيقه من بعض الثقلاء ربما تكلم بمثل هذا الكلام الباطل ولو قدر أن إنسانًا يستثقل شخصًا وفى قلبه عليه حقد أو غل أو غير ذلك وأكرمهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأن جمعهم فى الجنة فكل الأمور التى يتحدث عنها الشاعر تنتهى فلا وجود لها فى الجنة وهذا لا يعرف حقيقة ما يكون فى الجنة حتى يقول هذا الكلام هذه كلها تنتهى لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف: ٤٣] فهذا أمور لا يبقى لها شىء فى الجنة فمثل هذا الكلام يقوله من لا يدرك ماذا سيكون فى الجنة ومن لا يدرك ما هى العقوبة التى فى النار هذا الذى يقول لدخول الجحيم أهون لا يدرك العقوبة التى فى النار ما هى حتى يقول مثل

هذا الكلام لكن ربما أن هذا الشاعر قال هذا الكلام على ما يعبر الآن ضغط نفسى من وجود أحد الثقلى عنده أزعجه كثيرًا وآلمه كثيرًا فأصاب به ضغط نفسى وقام يتكلم بهذا الكلام دون تفهم للمعانى الشرعية والحقائق الدينية لكن على كل حال هذا الكلام لا يصلح وهو كلام باطل ولا يليق أن يقال نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عمر بن حفص البزاز بجند سابور حدثنا اسحق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال كان نقش خاتم ابيك يعني أبا مسهر أبرمت فقم قال فكان إذا جلس اليه الرجل فتثاقل حرك خاتمه وقال أقرأ نقش خاتمي وكان إذا قرأ قام

❍ **التعليق:**

كأن هذا الخبر والتصرف من أبى مسهر يأتى بعد الأبيات يأتى رد على التصرف فالأمر لا يحتاج إلى التفاعل الشديد كان نقش خاتم أبو مسهر أبرمت فقم فإذا كان عند رجل ثقيل وأزعجه حرك له الخاتم وقرأ الكلمة أبرمت وارتاح منه أما لو أنى ملك كما فى أثر الكريزى المتقدم آنفًا وكذا وكذا فهذا كله كلام لا يصح والأمور تعالج بالحكمة والرفق انظر بكل هدوء خاتم فى اليد ونقشه أبرمت فقم ويريه الخاتم حتى يعرف أنه مل منه ومن جلوسه فما يحتاج الأمر مثل التفاعل هذا الذى يقوله صاحب الأبيات المتقدمة نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا موسى بن رباح قال سمعت مخلدا أبا أبي عاصم يقول إذا أبغضت الرجل أبغضت شقي الذي يليه

❍ **التعليق:**

إذا أبغضت الرجل أى الرجل الذى يجلس إلى جنبى من شده بغضى وكراهيتى له أشعر أنى أبغض الجانب من جسمى الذى يليه من شدة بغضى له لكن هذا يقال على سبيل المبالغة فى إظهار الكراهية والبغض للثقلاء نعم.

❧◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت محمد بن السرى البغدادي يقول سمعت أبا بكر المروذي يقول سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء فقال سألت عنهم بشرا الحافي فقال النظر اليهم سخنة العين قلت لأحمد من الثقلاء قال أهل البدع

التعليق:

قال النظر إليهم سخنة العين وهى ضد قرة العين أى يجلب للعينين الأذى والألم والحزن والغم قال قلت لأحمد من الثقلاء قال أهل البدع والبدعة توجد البغضة والتنافر ولهذا قال بعض العلماء فى قوله ﷺ «ولا تباغضوا» أى تجنبوا البدع لأن وجود البدع وجود البغضة كما أن السنة تجمع فالبدعة تفرق وتوجد البغضة فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسر الثقلاء هنا التفسير الخاص بإستثقال الناس لمخالفتهم الشرع وهذا أعظم ما يكون فى باب استثقال الناس عندما يكون مخالفًا للشرع مرتكبًا للبدعة فيكون ثقيلًا لذلك نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الذي قاله أحمد بن حنبل رحمة الله عليه هو استثقال الخاص إذا عرف أحدهم من بعض الناس ثلما في السنة أبغضه على بدعته فأما العام فلا يكادون يعادون ويوالون إلا على المحبوب من

الخصال والمكروه من الفعال ألا ترى المقنع الكندي حيث يقول لبعض من صحبه :

ألا يا مركب المقت الذي أرسى فلا يبرح

ويا من سكرات الموت من طلعته أروح

لقد صورت في فكري فلا أدري لما تصلح

فلا تصلح ان تهجى ولا تصلح أن تمدح

بلى تصلح أن تقتل أو تصلب او تذبح...

التعليق:

يقول أبو حاتم استثقال الناس فيه عام وخاص والخاص هو استثقال الشخص لبدعته التى أرتكبها وأما الإستثقال العام فيكون للمكروه الموجود فى الإنسان من سوء معاملة وفظاظة أخلاقه إلى غير ذلك من الأمور أما العام فلا يكادون يعادون ويوالون إلا على المحبوب من الخصال والمكروه من الفعال يعنى ليس استثقال شخص لآخر وهو العام الموجب للبغض والمولاة والمعاداة يعنى قد لا يكون نفسه ارتاحت له ويكون فى نفسه صالحًا مستقيمًا مثلًا أو يكون استثقله لموقف معين فهذه لا توجب ولاء أو براء وحب وبغض نعم النفس قد تستثقله لكن ليس هذا بموجب للولاء والبراء والمحبة والبغض أما البدعة فلا أمرها يختلف نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت أحمد بن محمد البلخي الذهبي يقول قال محمد بن أبي الورد قال يحيى ابن ماسويه النظر الى الثقيل حمى تعتري بين الجلدين

التعليق:

أى حمى تصيب بدن الإنسان ومضرة عليه فى نظر الثقلى نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول سمعت سلمة بن شبيب يقول سمعت أبا أسامة يقول أئتوني بمستمل خفيف على الفؤاد وإياي والثقلاء وإياي والثقلاء

التعليق:

مستمل أى كاتب أمليه ويكتب عنى لكن اختاروا لى شخصًا خفيف على الفؤاد وجنبونى الثقلاء نعم.

﴿◊﴾

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبي طالب حدثنا ابراهيم ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال سمعت رجلا من أهل البادية يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشى علي

❍ **التعليق:**

يروى ابن سيرين عن أحد أهل البادية فيقول نظرت إلى ثقيل مرة فغشى على أى بسبب نظرى إليه نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني المنتصر بن بلال :

وأنــت علــى مودتنــا حــريص ... ولكــن لا تخــف علــى الفــؤاد
وأثقــل مــن رحــا بــزر علينــا ... كأنــك مــن بقايــا قــوم عــاد

❍ **التعليق:**

هذا يذم بعض الثقلاء يقول وأنت على مودتنا حريص ولكن لا تخف على الفؤاد يعنى يراه ثقيلًا على فؤاده ولا يحتمله مع حرصه على مودتهم ويصف ثقله فيقول وأثقل من رحا بزر علينا أثقل علينا من رحا البزر (رحا البزر) يضرب بها المثل فى شدة الثقل لأن الرحا هى ما يطحن بها فإذا طحن فيها الحب اليابس فطحنه مريح لأنه يابس فيطحن بسرعة لكن إذا وضع فيها بذور ليست يابسه فتحتاج إلى جهد قوى جدًا وثقل فى الطحن فيضرب بها المثل فى شدة الثقل فيقول وأثقل من رحا بزر علينا فالرحا فى نفسها ثقيلة عبارة عن حجر ثقيل وإذا كان الموضوع فيها بذر فهذا يكون أشد فى الثقل **كأنك من بقايا قوم عاد** ... نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا ابراهيم بن نصر بن عنبر حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا أبو سهل عن ابراهيم بن بكير قال كان أبو هريره إذا استثقل جليسا له قال اللهم أغفر لنا وله وأرحنا منه في عافيه

❍ **التعليق:**

هذا زبدة الكلام فكل ما سبق من معانى ومواقف معينة وأشياء بعضها لا يصلح لكن هذا من أثمن ما يكون فى هذا الباب وهو التعامل مع الثقلاء أى تعامل أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان **إذا استثقل جليسا له قال اللهم أغفر لنا وله وأرحنا منه في عافيه** فهذا تعامل لطيف وفيه دعاء لهذا الشخص بالمغفرة وأيضًا طلب للراحة منه والعافية والسلام نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل مجانبة الخصال التي تورثه استثقال الناس إياه وملازمة الخصال التي تؤديه الى محبتهم إياه

ومن أعظم ما يتوسل به الى الناس ويستجلب به محبتهم البذل لهم مما يملك المرء من حطام هذه الدنيا واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى

❍ **التعليق:**

أى يبذل لهم ما تيسر من حطام الدنيا وإذا حصل له أذى من أحدهم يحتمل الأذى ويدفع بالحسنى نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلو أن المرء صحبه طائفتان إحداهما تحبه والأخرى تبغضه فأحسن الى التي تبغضه وأساء الى التي تحبه ثم أصابته نكبة فاحتاج اليهما لكان أسرعهما الى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه وأسرعهما إلى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه

التعليق:

لإن الإحسان إلى الناس ومعاونتهم يستميل قلوبهم و الإحسان إلى البهيمة فيه استمالتها ومثل الكلب وغيره فكيف بالإحسان إلى البشر نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأن الكلب إذا شبع قوى وإذا قوي أمل وإذا أمل تبع المأمول وإذا جاع ضعف وإذا ضعف أيس وإذا أيس ولى عن المتبوع فمن عدم المال فليبسط وجهه للناس فإن ذلك يقوم مقام بذل المعروف إذ هو أحد طرفيه

التعليق:

هذا كلام جميل يقول إن كان يتيسر له ويساعدهم بالمال من حطام الدنيا فهذا مما تستجلب به القلوب وتستمال إن كان ليس عنده مال فليستجلب قلوبهم بأن يبسط وجهه للناس يلقاهم بطلاقة الوجه والإبتسامة والمعاملة الكريمة قال فإن ذلك يقوم مقام بذل المعروف إذ هو أحد طرفيه لماذا؟ لأن الخلق له طرفان: الأول بذل المعروف والثانى بسط الوجه كما سيأتى فى الأثر عن ابن المبارك نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المازني قال سئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف

التعليق:

يعنى أن حسن الخلق له طرفان الأول بسط الوجه والثاني بذل المعروف نعم.

﴿◊﴾

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد بن القاسم الأسدى عن طلحة بن عمرو قال خرج غلام لنا بقمامة الدار أو بكناسة الدار عريان وسعيد بن جبير على الباب فقال يا خبيث ارفع إزارك

أنبأنا محمد بن إبراهيم البذوري بالبصرة حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي حدثنا سفيان بن عيينه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال إذا لقي المسلم أخاه فصافحه وكشر في وجهه تحاتت ذنوبه كما تحات العذق من النخلة فقال

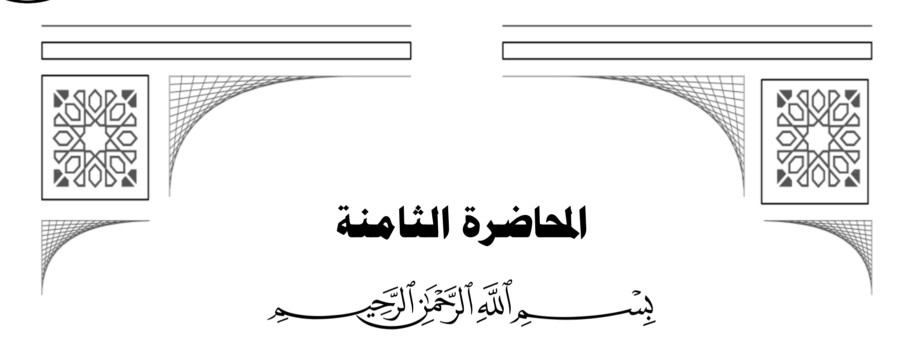
رجل لمجاهد يا أبا الحجاج إن هذا من العمل اليسير فقال مجاهد «هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» أفيسير هذا

❍ **التعليق:**

(كشر) أى ابتسم (العذق) هو القنو الذى يكون فيه الرطب وهذا ختم جميل لهذا الباب بهذا الأثر عن مجاهد فعندما تقرأ هذه الآثار والتودد إلى الناس تنظر إليها نظريًا على أنها أمر يسير جدًا لكن كواقع تطبيقى وعملى تمارسه فى حياتك فهذا ليس بيسير إلا على من يسره الله له فكلام مجاهد عظيم جدًا فعندما قال الرجل إن هذا من العمل اليسير إذا لقى المسلم أخاه وصافحه وكشر فى وجهه تحاتت ذنوبه قال هذا عمل يسير لكن من هذا الذى يلقى إخوانه بهذه الطريقة من الذى لا يعامل إخوانه إلا بالأخلاق الفاضلة والآداب العلية قال هذا يسير فأورد له الآية وفيها قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ [الأنفال: ٦٣] أى هذه منة إلهية لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بين قلوبهم فهذا فيه أن هذه الأخلاق وهائب مثل ما قال وأظنه مطرف بن الشخير أو طاووس

أحدهما قال «إن هذه الأخلاق وهائب وإن الله إذا أحب عبده وهبه منها» فهى هبة ومنة يسير على من يسره الله عليه قال أفيسير هذا أى هذا الأمر ليس بيسير لو أنفقت ما فى الأرض ما ألفت بينهم أفيسير هذا لا يسير إلا ما يسره «الله اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا وأنت تجعل الحزن إذا ما شئت سهلًا» والدعاء الآخر «اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف عنى سيئها إلا أنت»

ونسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذى من علينا بسماع هذه المعانى أن يوفقنا للعمل بها وأن يصلح لنا شأننا كله وأن يهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا هو وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو وأن يعيذنا أجمعين من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء وأن يزيننا بزينة الإيمان وأن يجعلنا هداة مهتدين اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التى فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير والموت راحة لنا من كل شر اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسمعانا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين



المحاضرة الثامنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر استحباب لزوم المداراة وترك المداهنة مع الناس

أنبأنا محمد بن قتيبة اللخمى بعسقلان وعمر بن سعيد بن سنان الطائي بمنبج قالا حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم مداراة الناس صدقة

❍ **التعليق:**

هذا الباب ذكر استحباب لزوم المداراة وترك المداهنة مع الناس عقده ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لبيان الفرق بين المداراة والمداهنة وبيان أن المداراة من الأخلاق التى يترتب عليها منافع وفوائد ومصالح ولا مضرة فيها وأما المداهنة فإنها سيئة والفرق بين المداراة والمداهنة

المداراة: هى أن يبذل المرء شيئًا من دنياه فى سبيل الحفاظ على دينه.

والمداهنة: عكس ذلك يتنازل عن دينه فى سبيل تحصيل شىء من دنياه

فالمداراة يحصل بها خير ومنافع ومصالح وفوائد وأما المداهنة يترتب عليها

شرور ومضار والمداراة من خصال الإيمان والمداهنة من خصال النفاق وكل من المداراة والمداهنة تلطف مع الإنسان أو المخاطب لكن يختلف كل منهما باختلاف الباعث على هذا الأمر والدافع إليه فإذا كان هذا التلطف والمسايسة للمخاطب من أجل حفظ الدين والخلق والأدب فهذه مداراة أما إن كان هذا التلطف والمسايسة فيها إضاعة للدين والخلق واتباع للأهواء والشهوات فهذه مداهنة فكل منهما يختلف عن الآخر باختلاف الباعث ولهذا قيل المداراة تلطف لإستخراج حق أو رد باطل والمداهنة عكسها

تلطف لإقرار باطل و رد حق أورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى صدر هذه الترجمة هذا الحديث عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «مداراة الناس صدقة» والحديث فى سنده كلام ابن واضح والمسيب وشيخه يوسف بن أسباط كل منهم فيه كلام وضعف فى الحديث فالإسناد غير ثابت لكن من كون المداراة أنها صدقة إذا عرفنا حقيقة المداراة وأنها حق فاضل يترتب عليه مصالح ومنافع فإنها صدقة من حيث قول النبى ﷺ «الكلمة الطيبة صدقة» وهذا ثابت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإذا كانت المداراة كلمات طيبات يقولها الإنسان ويتلطف بها ويترفق من أجل المصالح الدينية والمكاسب ومن حيث باب الأخلاق والفضائل ونحو ذلك فلا شك أنها صدقة من الصدقات كما يدل لذلك حديث «الكلمة الطيبة صدقة» نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع اليه في العشرة من غير مقارفة المداهنة إذ المداراة من المدارى صدقة له والمداهنة من المداهن تكون خطيئة عليه

❍ **التعليق:**

هذا تقرير لما سبق بيانه وبيان الفرق بين المداراة والمداهنة ويأتى المزيد من التفصيل نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والفصل بين المداراة والمداهنة هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت الذي هو به مقيم بلزوم المداراة من غير ثلم في الدين من جهة من الجهات

❍ **التعليق:**

من غير ثلم فى الدين من جهة من الجهات يعنى يتلطف ويترفق ويسايس لتحصيل المصالح إما استجلاب خير أو حقوق أو مصالح أو دفع شرور ومضار ولهذا المداراة ليس فيها ثلم للدين نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمتى ما تخلق المرء بخلق شابه بعض ما كره الله منه في تخلقه فهذا هو المداهنة لا المداراة

❍ **التعليق:**

هذا هو الفرق فالمداهنة تلطف وتصنع يشوبه بعض ما كرهه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يتصنع بالأخلاق والمعاملة الجيدة ويتلطف بالكلام ليرد حقًا أو ليقر باطلًا أو ليدعوا غيره إلى هوى أو نحو ذلك فهذه مداهنة من خصال النفاق وليست من خصال الإيمان نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأن العاقل يجتنب المداهنة لأن عاقبتها تصير الى قل

❍ **التعليق:**

نعم العاقل يجتنب المداهنة لأن عاقبتها تصير إلى قل يعنى إلى هوان وذل فالمداهن لا يترتب على مداهنته خير بل يترتب عليه قل وهو الذل والهوان نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويلازم المداراة لأنها تدعو الى صلاح أحواله ومن لم يدار الناس ملوه

التعليق:

من لم يدار الناس ملوه أي وقع في نفوسهم ملل منه نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما أنشدني على بن محمد البسامي :

دار من الناس ملالاتهم   من لم يدار الناس ملوه
ومكرم الناس حبيب لهم   من أكرم الناس أحبوه

التعليق:

هذا البيتان فيهما تقرير المعنى المتقدم وأن مداراة الناس فيها دفع للملل والمداراة هى معاملة الناس بالأخلاق الفاضلة بالآداب الكاملة باحتمالهم والصبر عليهم من أجل أن يكسبهم فى فضائل وأخلاق فمثلًا شخص ظالم فيداريه ببعض الكلمات الطيبة والألفاظ الجميلة حتى يستخرج منه المظلمة التى عنده ويردها إلى المظوم أو شخص مثلًا فى معصية فيداريه ويلاطفه ويسايسه بالكلمات الطيبة حتى يصل به إلى الرجوع إلى الحق والهدى فالمداراة خصلة يترتب عليها مصالح من حيث تحقق الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة والمصالح العظيمة بخلاف المداهنة فيترتب عليها شرور ومفاسد عظيمة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن أحمد بن ابي عون المرياني حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج

التعليق:

أى لا يجد الإنسان من معاشرته بدًا أى مفرًا أى أن بعض الناس لا يجد مفرًا من معاشرته لآخر فمعاشرته أصبحت أمر لازم إما الإرتباط فى مصلحة من المصالح أو جيرة أو قرابة أو غير ذلك فالحكمة تقتضى أن يعاشره بالمعروف وأن يدفع أخلاقه بالتى هى أحسن قال تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فقال **ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا** لأنه إن لم يعاشره بالمعروف وقع الشقاق والخلاف وربما التعدى والظلم ثم قال **حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج** بالفرج إما بصلاح حال ذلك الرجل واستقامته وزوال السلوك السىء عنه وتوبته أو بالمخرج أى بالإنتقال عنه أو البعد عن هذا المكان الذى هو فيه أو نحو ذلك نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل السابح في الماء الجاري ومن ذهب الى عشرة الناس من حيث هو كدر على نفسه عيشه ولم تصف له مودته لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون مأثما فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة والبشر قد ركب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة فكما يشق عليك ترك ما جبلت عليه فكذلك يشق على غيرك مجانبة مثله فليس الى صفو ودادهم سبيل إلا بمعاشرتهم من حيث هم والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات

التعليق:

كل هذا كلمات جميلة تدور حول معنى المداراة أولًا انظر إلى هذا المثل الجميل قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ المداراة تكون بأن يدارى الناس مداراة الرجل السابح فى الماء الجارى فالسباحة فى الماء الجارى تختلف عن السباحة فى الماء الراكد والإنسان عند سباحته فى الماء الجارى يحتاج إلى أن يسايس الماء ويعرف كيف يتجه وما الجهة المناسبة التى يمكن أن يسبح إليها بحيث لا يمكن للماء أن يدفعه وهذا المثل دقيق فى وصف المداراة لأن أخلاق الناس تأتى خلقًا تلو الآخر مثل الماء الجارى الذى يواجه الإنسان فيحتاج إلى معاملة معاملة جيدة حتى يسبح بارتياح ويسير إلى الجهة التى يريدها بارتياح فأيضًا هذه الأخلاق التى تهجم على الإنسان من هنا وهناك يحتاج الإنسان أن يسايس فى الأمور حتى الآن الماء الجارى قد يكون حاملًا لخشبة تطفح عليه وربما أنه لوقابلها أضرت به فيحتاج أن يبتعد عنها إذا السباحة فى الماء الجارى يحتاج إلى شىء من المهارة وأنا أصف لكم ولا أعرف السباحه لكن المثل واضح من حيث أن الأمر يحتاج إلى مسايسة ومعالجة أيضًا هذا الباب باب الأخلاق كأنك تواجه أمواجًا من أخلاق الناس فهم

ليسوا على خلق واحد كما سيأتى وطباع متباينة هذا غليظ وهذا شديد وهذا عنيف وهذا عسير والله عزوجل قال ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال العلماء «العفو هو ما سمحت به طبائع الناس» فطبائع الناس مختلفة حتى أولادك وإخوانك وجيرانك ولا يمكن أن تجدهم على خلق واحد ومن ظن أنه سيجد الناس من أقاربه وغيرهم على خلق واحد جميل يعجبه فهذا غير حاصل إذا فى ملاقاتك للناس سايس الجميع بما يتناسب مع خلق وطبيعة كل منهم حتى تسلم من جهة وأيضًا تتحق المصالح التى تطمح إليها من بر وصلة وإحسان وزيادة محبة وأخوة أو غير ذلك فكل هذه المصالح تتحقق مداراة الناس بالتلطف والرفق والمعاملة الحسنة والكريمة انظر إلى كلامه حيث يقول والبشر قد ركب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة فإذا يحتاج مع هؤلاء التعامل بالمداراة حتى يتحقق الخير وانظر أيضًا إلى كلامه فى آخره يقول فليس **الى صفو ودادهم سبيل إلا بمعاشرتهم من حيث هم** ما معنى من حيث هم؟ كل على طبيعته وخلقه فلا تظن أنك ستجدهم على خلق رجل واحد وأدب عال لا بل على طبائهم من حيث هم هذا خلق جميل فتحمد له خلقه وهذا خلق ردىء فتصبر على خلقه وتسايسه ولا سيما من ليس لك من معاشرته بد إما زوجه أو ولد أو جار أو غير ذلك فالإنسان يحتاج إلى هذا الأمر حتى تتحقق له المصالح والخيرات وتندفع الشرور والمضرات نعم.

ﮔ ◈ ﮓ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني الأبرش :

قالـت وهـزت رأسـها وتضـاحكت … علـى الـود نجفـى أم علـى العهـد
فقلــت فلــم أفعــل فقالــت تريــده … فقلـت فلـم أفعـل فقالـت سـتفعل

❍ **التعليق:**

قالت وهزت رأسها وتضاحكت … على الود نجفى أم على العهد نوصل

ما الذى سيحصل لى هل هو جفاء أو وصل على الود الذى بيننا نجفى أى يحصل جفاء أو على العهد نوصل أى يتحقق الوصل فقلت أى أجابها فلم أفعل يعنى لم يحصل منى جفاء حتى يقع مثل هذا السؤال فقلت تريده أى هل سيحصل ذلك منك فقلت فلم أفعل فقالت ستفعل فالشاهد أن المعنى محاذرة الجفاء مما يتوقع منه أو يخشى منه الجفاء وهذا مثل ما تقدم لا يكون إلا بالملاينة والمسايسة والمداراة نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا حزم قال سمعت حبيب ابن الشهيد يقول سمعت الحسن الصري يقول يا ابن آدم أصحب الناس بأي خلق شئت يصحبوك عليه

التعليق:

هذه كلمة عظيمة جدًا وأثرها عظيم على من يوفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العمل بها يقول يا ابن آدم اصحب الناس بأى خلق شئت يصحبوك عليه فالإنسان الذى يرتقى بنفسه إلى الأخلاق الفاضلة فى تعامل الناس واحترامهم وتقديرهم والصبر على آذاهم إلى آخر ذلك وفى نهاية المطاف يجعل الجميع بخلقه مضطرين إلى أن يتأدبوا معه ويحسنوا فى معاملته حتى الغليظ منهم وانظر إلى هذا المعنى فى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «ادفع بالتى هى أحسن فإذا الى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم» فمن يعامل الناس بالأخلاق العالية الرفيعة والخلق الكامل يصبر عليهم المرة والإثنتين والثلاث وفى نهاية المطاف يضطرهم جميعًا إلى أن يتأدبوا معه بالمقابل الشخص السيء الذى يسى إلى الناس ويؤذيهم فتجده يضطر الناس إلى أن يعاملوه بجنس معاملته إلا من يسلمه الله فيبقى محافظًا على التعامل الكريم فى أهلك الظروف وأشدها وقليل من الناس من يوفق لذلك ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٥] وهذه درجة عالية فى الأخلاق ليس كل أحد يوفق إليها نعم.

ꕥ◈ꕥ

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

تجنـى علـى بمـا قـد جنـى ويغلـظ في القـول إن لنـت لـه
ويسـبق بالعـذل لـي ظالمـا كـأن الصـواب لـه لا ليـه
كمـا قـال في مثـل عـالم خـذ اللـص بالـذنب لا تغفلـه

❍ التعليق:

يقول هذا الشاعر متحدثًا عن شخص بينه وبينه شيء من الجفوة يقول تجنى على بما قد جنى يعنى بما جناه هو نفسه مثلًا إدعانى ظالمًا وهو الظالم إدعانى سيئًا وهو السيء تجنى على بما قد جنى أى يصفنى بخلق هو الذى جناه ولست أنا الذى جنيته .. **ويغلظ في القول إن لنت له** إن جئته باللين والكلمة الطيبة يغلظ لى القول ولا يحترم هذا اللين الذى أعامله به **ويسبق بالعذل لي ظالما** يسبق بالعدل أى اللوم يعنى يكون هو الظالم وهو الذى يسبق باللوم والمعاتبة **كأن الصواب له لا ليه** كأنه هو المصيب يعنى هو الظالم ويسبق بالمعاتبة واللوم والشكاية

كما قال في مثل عالم خذ اللص بالذنب لا تغفله

طبعًا هو مثل مشهور لكن الشاعر حوله حتى يستقيم سياق النظم وإلا المثل يقول خذ اللص قبل أن يأخذك بالحيطة والحذر ودفعه فيقول لا أجد مخلصًا إلا هذا لأنه يظلم ويسبق باللوم والعدل ويرمى الجناية التى فعلها على لكن يقول كما قيل فى المثل **خذ اللص بالذنب لا تغفله** أى خذه قبل أن يأخذك نعم.

﴿ ◈ ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يدرك ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بدا وإن دفعه الوقت الى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها واستقباح أشياء كان يستحسنها ما لم يكن مأثما فإن ذلك من المداراة وما أكثر من دارى فلم يسلم فكيف توجد السلامة لمن لا يداري

التعليق:

هذا شرح للمداراة وأن المداراة ليست مطلوبة كذا فى كل التعامل لكن المداراة أولًا التماس رضا الناس جميعًا مما لا يدرك لكن يقصد العاقل أى بالمداراة رضا من لا يجد من معاشرته بدًا يعنى مضطر إلى معاشرته وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها يداريه حتى لوا ستحسن بعض العادات التى لا يرتضيها أصلًا وهى عادات ليس فيها مأثم أى تحريم أو كراهية الشرع لها أو استقباح أشياء كان يستحسنها فلا بأس بذلك ما لم يكن مأثمًا أما إذا كان مأثمًا فإنه لا يحل قال **فإن ذلك من المداراة وما أكثر من دارى فلم يسلم** أيضًا مع المداراة قد لا يسلم الإنسان يدارى وقد لا يسلم فكيف توجد سلامة من لا يدارى فالأمر أشد نعم.

❧◈☙

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

يـــاذا الـــذي أصـــبح لا والـــد ... لـــه علـــى الأرض ولا والـــده
قـــد مـــات مـــن قبلهمـــا آدم ... فـــأي نفـــس بعـــده خالـــدة
إن جئـــت أرضـــا أهلهـــا كلهـــم ... عـــور فغمـــض عينـــك الواحـــدة

○ **التعليق:**

المعنى المراد فى البيت الأخير **إن جئت أرضا أهلها كلهم ... عور فغمض عينك الواحدة** فالمقصد إن جئت إلى قوم لديهم أخلاق سيئة ومعاملات وأنت ليس لك بد من وقفة معهم أو حديث فانظر إليهم بعين واحدة من حيث أنك تغضى الطرف عن هذه الأخلاق السيئة أو الجفوة أو الغلظة التى عندهم أو غير ذلك فى سبيل المصلحة أو المنفعة التى ترجوا أن تقدمها أو تحققها فمثلًا أقارب لك ليس لك بد من صلتهم وهم يجفونك أو يغلظون فى التعامل معك غض الطرف عن جفوتهم وعن معاملتهم وانظر إليهم بالعين الأخرى على أنهم أقاربك وذوى رحم وصلتهم فيها أجر عند الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فبهذه الطريقة تتحقق المصلحة وتدرأ المفسدة بإذن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ نعم.

❧◇☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أبو يعلى حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا معاذ بن سعد الأعور قال كنت جالسا عند عطاء بن أبي رباح فحدث رجل بحديث فعرض رجل من القوم في حديثه قال فغضب وقال ما هذه الطباع إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به فأريه كأني لا أحسن منه شيئا

❍ **التعليق:**

هذا خلق عظيم جدًا والعلماء ينصون عليه فى كتب الآداب يقول **إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به فأريه كأني لا أحسن منه شيئا** أحيانًا مثلًا يأتيك زميل لك بفائدة جميلة أعجبته سر بها ويريد أن يتحفك بها ويقدمها لك هدية فمن الأدب إن كنت تعرف هذه الفائدة معرفة جيدة أن لا تظهر له ذلك وقليل من يفعل هذا وإذا انتهى تقول له جزاك الله خيرًا والله هذه فائدة ثمينة أتحفتنا بها فهذا مفيد أولًا فيه إدخال سرور على قلبه وفيه تشجيع له أن يأتيك بالفائدة والآخرى ويفيد الآخرين وتعينه على القراءة والمطالعة والبحث حتى يفيدك ويفيد الأخرين فيترتب عليه فوائد عظيمة جدًا أما إذا قلت له هذا شيء معروف وإذا كنت الآن جئتنى بالفائدة فأنا أعرفها قبل عشرين سنة أأنت نائم؟ وآتى إلينا وكأنك عالم تريد أن تفيدنا ورافع لرأسك فهذا أسلوب بعض الناس فى التعامل مع من يفيدهم فالأدب أن تظهر له أنك لا تعرفها وهذا فيه فوائد عظيمة ذكرها العلماء رحمهم الله ومنهم الشيخ السعدى رحمة الله عليه فى أحد كتبه أخذ يعدد فوائد لهذه الطريقة منها بعض الذى أشرت إليه وحدثنى ابن الشيخ واسمه محمد يقول كنت صغيرًا أخرج مع الوالد من المسجد فيقابلنا شخص عند الباب فيسلم على الوالد والناس تحب الشيخ وتنقل له الأخبار يقول فيقابلنا شخص حصل كذا وكذا فينقل له خبر

ما بالتفصيل والشيخ يقف ويستمع له حتى ينتهى يقول نودعه وبعدها بقليل وإذا بشخص آخر يقابلنا فيروى الخبر نفسه للشيخ والشيخ يستمع له وكأنه لم يسمع الخبر من قبل ويشكره عليه حتى يقول لى ابنه الشيخ محمد أريد أن أمسك أصابع يدى وأدفع الرجل وأقول هذا نعرفه من شخص قبلك يقول والوالد بكل هدوء يستمع له حتى ينتهى فهذا من الخلق يقول كنت جالسًا عند عطاء فحدث رجل بحديث فعرض رجل من القوم فى حديثه فغضب عطاء وقال ماهذه الطباع إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به فأريه كأنى لا أحسن منه شيئًا أحيانًا بعض الناس فى مثل هذا الموقف تجد الشخص يسوق مثلًا حديث وفى أثناء سوقه للحديث يكمل له بعض الكلمات إشعارًا له بأنه يعرف الحديث والطريقة التى يرشد إليها أهل العلم وينصون عليها فى كتب الآداب أن تستمع له استماع كامل وكأنك لا تعرفه وإذا انتهى تشكره وتقول له جزاك الله خيرًا وهذه من الفوائد والمنافع مالا حد له

نعم.

﴾◊﴿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن محمد الصيداوي حدثنا حماد بن اسحق عن المدائنى قال قال معاوية لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت قيل وكيف قال لأنهم إن مدوها خليتها وإن خلو مددتها

التعليق:

هذا الأثر عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فى قوله لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت هذا يضرب المثل يقول شعرة معاوية فى الحكمة والمسايسة واللطف فى التعامل مع الناس يقول شعرة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والمراد بالشعرة اللطف والترفق مع الناس والتعامل الجيد معهم يقول لأنهم إن مدوها خليتها وإن خلو مددتها وبهذه الطريقة ما تنقطع لكن لو أن الكل شد من جهة انقطعت الشعرة والمقصد أن الصلة والرابطة تنقطع فليس المراد شعرة حقيقية وإنما المراد بالشعرة الصلة واللحمة والرابطة ما تنقطع بهذه المسايسة والملاطفة والملاينة نعم.

❀ ◊ ❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه وترك التوقع لما يأتون من المحبوب كان إلى تكدير عيشة أقرب منه إلى صفائه وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء ومن لم يدار صديق السوء كما يداري صديق الصدق ليس بحازم

التعليق:

المقصود من هذا الكلام أن من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء بالمداراة لما يأتون من المكروه وترك التوقع لما يأتون من المحبوب فمثلًا شخص ما يعامل الناس بالإكرام والمعاملة الجيدة والمساعدة والمعاونة إلى آخره فإذا لم يكن عنده التحلى بهذا الخلق الذى يشير إليه لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه وترك التوقع لما يأتون من المحبوب يعنى أنت الآن عاملتهم بهذه المعاملة تتوقع أنك لو احتجتهم فى موقف ما سيعاملونك بالشىء المحبوب ولن يعاملوك بالمكروه وربما لا تحصل ذلك من كثير من الناس فإذًا عوض نفسك على الإغضاء عما يأتون من المكروه يعنى تحسن إليه ويسىء إليك يعاملك بمعاملة ليست جيدة أحيانًا أبناء الإنسان والطرائق كما عرفنا مختلفة فأحيانًا تكون معاملة ما يحب أن تكون مثلًا من أبنائه له لكن هذه أشياء متوقعه والناس طبائع والأخلاق متابينة فليتوقع ذلك وليستعد للتعامل مع هذا الموقف بالمعاملة الجيدة أما من لم يكن كذلك فإنه يتكدر عيشه وتتحول المعاملة الطيبة إلى عداء وشحناء وغير ذلك أما من يوفق لهذا الخلق فإنه بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحتوى مثل هذه المواقف ويعامل الناس كلهم بحسب الخلق أو الطبع الذى هو عليه نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول:

تجنب صديق السوء واصرم حباله وإن لم تجد عنه محيصا فداره
وأحبب حبيب الصدق واحذر تنل منه صفو الود ما لم تماره

التعليق:

صديق السوء اصرم حباله يعنى اقطع الصلة به تسلم لكن إذا كان لا بد من صحبته لأمر أو شيء أو موقف ما فداره عامله بالمداراة وأما الصديق الكريم الطيب فهذا أحببه واحرص على مجالسته ومصاحبته واحذر المماراة معه لأنها تفسد الود وتستجلب العداوة وتذهب الصفاء نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا إبراهيم الحوراني حدثنا أبو مسهر حدثنا سهل بن هاشم عن إبراهيم بن أدهم قال قال أبو الدرداء لأم الدرداء إذا غضبت فرضيني وإذا غضبت رضيتك فإذا لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق

❍ **التعليق:**

هذه وصية جميلة جدًا فى التعامل بين الزوجين ولا بد من واقف يغضب فيها الزوج ومواقف يغضب فيها الزوجة فإذا كانوا بهذه الصفة كانوا أبقى للمودة يقول إذا غضبت فرضينى اعملى على رضاى والإنسان فى حال الغضب يحتاج إلى شخص يرضيه لا أن يزيده غضبًا وإذا غضبت رضيتك أى عملت على استجلاب رضاكى وإزالة الغضب عنك قال فإن لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق أآ فى تعاملنا وهذه حقيقة كلمة جميلة ومن الجميل أن تشاع فى البيوتات بين الزوجين حتى يجتهد الكل فى آداء هذا الأمر حتى تبقى المودة أما إذا غضب لم تزده زوجته إلا غضبًا وبالمقابل فهذا أسرع للإنفصال وليس أبقى للمودة وحسن العشرة نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل إذا دفعه الوقت إلى صحبة من لا يثق بصداقته أو صداقة من لا يثق بأخوته فرأى من أحدهما زلة فرفضه لزلته بقي وحيدا لا يجد من يعاشر فريدا لا يجد من يخادن بل يغضي على الأخ الصادق زلاته ولا يناقش الصديق السيء على عثراته لأن المناقشة تلزمه في تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه في فرعه

التعليق:

المقصود من هذا أن الإنسان بمجرد ما يرى من صديق أو زميل زلة أو خطأ افترق عنه وقطع صحبته لن يبقى له أصحاب لأن الزلة والزلتين والخطأ والخطأين هذا واقع وحاصل فلا بد من الصبر والمداراة والإحتمال وبهذه الطريقة وبهذه الطريقة يستبقى الإنسان الأصحاب والرفقاء نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن أنواع المداراة ما حدثني به الحسن بن سفيان حدثنا عبد الله بن أحمد ابن شبويه حدثنا الحسن بن واقع حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال كانت لرجل جارية فوطئها سرا فقال لأهله إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة فاغتسلوا فاغتسل هو واغتسل أهله قال إبن شوذب وكانت مريم تغتسل في كل ليلة

التعليق:

المراد بهذه الطريقة أن يطلب من الجميع الإغتسال حتى لا يشعر به وهذا نوع من المداراة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

أغمض عيني عن صديقي كأنني ... لديه بما يأتي من القبح جاهل
وما بي جهل غير أن خليقتي ... تطيق احتمال الكره فيما أحاول
متى ما يربنى مفصل فقطعته ... بقيت ومالي في نهوضي مفاصل
ولكن أداريه فإن صح سرنى ... فإن هو أعيا كان فيه تحامل

التعليق:

هذه أبيات جميلة جدًا فى المداراة يقول أغمض عينى عن صديقى أى فى زلاته وأخطائه وهفواته أغمض عيني عن صديقي كأنني ... لديه بما يأتي من القبح جاهل كأننى ما علمت أو ما شعرت أو دريت بالذى وقع كأننى جاهل هو على علم تام بخطئه ومدرك لكنه يمرر الأمر كأنه ما شعر أو ما علم يقول كأننى لديه بما يأتى من القبح جاهل وما بى جهل أنا على علم بالأمر وما بى جهل غير أن خليقتى أى الخلق الذى أكرمنى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به تطيق احتمال الكره فيما أحاول يعنى عندما أحاول تحمل مثل هذه المواقف أطيق التحمل والصبر عليها وهذا نظير قول الشاعر

ليس الغبى بسيد فى قومه ... لكن سيد قومه المتغابى

يقول متى ما يربنى مفصل أى عندما يصاب مفصل من بدنى بألم أو و جع أو إصابة أو نحو ذلك فقطعته فما الذى سيحصل؟ بقيت ومالى فى نهوضى مفاصل انتهت مفاصلى ولا أستطيع النهوض والقيام ولكن أداريه فإن صح وسلم وعوفى سرنى فإن هو أعيا كان فيه تحامل نعم.

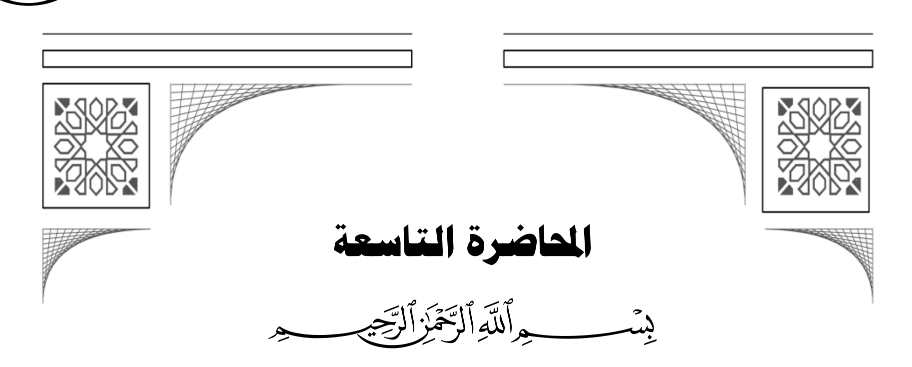
❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن أبي على الخلادي حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال قال على لا تعامل بالخديعة فإنها خلق اللئام وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة وساعده على كل حال وزل معه حيث زال

❍ **التعليق:**

هذا فيه التحذير من التعامل بالمكر والخديعة وأنها خلق اللئام وحث على التعامل مع الإخوان والرفقاء بالنصيحة وهى إرادة الخير للغير وأن تحب لهم ما تحبه لنفسك وأن تأتى لهم بالشيء الذى تحب أن يؤتى إليك نعم.

❧◈☙



المحاضرة التاسعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر استحباب إفشاء السلام وإظهار البشر والتبسم

أنبأنا محمد بن صالح الطبري حدثنا الفضل بن سهل الأعرج حدثنا محمد ابن جعفر المدائني حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مر بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب

○ **التعليق:**

هذا الباب فى الحث على إفشاء السلام وإظهار البشر والتبسم والسلام هو تحية أهل الإيمان وداعى الإيخاء والمحبة بين أهل الإسلام وهو تحية المؤمنين يوم القيامة فى جنات النعيم قال تعالى ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣] وهى التحية التى تتلقاهم بها ملائكة الرحمن جَلَّوَعَلَا عند دخولهم الجنان قال تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ

خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣] وهى تحية آدم وذريته وهى تحية مباركة طيبة قال تعالى: ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور: ٦١] هكذا وصفها الله فهى تحية مباركة وطيبة مباركة أى عظيمة البركة وطيبة من الطيب وفى ذلك عظم شأن هذه التحية وعظم مكانتها وتعدد آثارها المباركة وفوائدها العظيمة على أمة الإسلام ولهذا يستحب إفشاء السلام كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «أفشوا السلام بينكم» وإفشاء السلام يكون بشيوعه بين أمة الإسلام فى كل مرة يلتقون فيها جماعات أو أفراد يلقى بعضهم بعضًا بهذه التحية المباركة تحية الإسلام ومن نعمة الله عزوجل على أمة الإسلام فى هذه التحية المباركة أن فيها هذا الاسم العظيم من أسماء الله (السلام) وهو اسم من أسماء الله الحسنى دال على التنزيه فهو من أسماء التنزيه أى تنزيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن النقائص والعيوب وأن يماثله أحد من خلقه فى شىء من صفاته فهو جَلَّ وَعَلَا السلام فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فكل ذلك سالم لا نقص فيه ولا عيب وأسماء الله كلها حسنى وصفاته كلها كاملة عليا له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأسماء الحسنى والصفات العلى جل فى علاه فهذا السلام فيه إفشاء هذا الإسم كما سيأتى فى الحديث الذى ساقه المصنف مع إفشاء السلام إظهار البشر والتبسم بأن يكون إلقاء السلام مصحوبًا بطلاقة الوجه وجمال المحيا والإبتسامة المشرقة الطيبة لا أن يلقاه بوجه عابس أو بجبين مقطب وإنما يلقاه بالبشر والإبتسامة والوجه الطليق ملقيًا هذه التحية المباركة تحية الإسلام ولقد أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ «إن السلام اسم من أسماء الله» وهذا الاسم ثابت فى القرآن قال تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ [الحشر: ٢٣] فهو اسم ثابت لله جَلَّ وَعَلَا وهو من الأسماء الدالة على التنزيه كما تقدم لأن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ باعتبار دلالاتها أنواع ومن هذه الأنواع أسماء دالة

على التنزيه مثل السلام والقدوس والسبوح ونحو هذه الأسماء فكلها أسماء تنزيه وتقديس لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال وضعه الله فى الأرض أى جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الإسم بين أمة الإسلام يفشونه بينهم كل مرة يلتقون فيها وضعه الله فى الأرض فأفشوه بينكم قال فإن الرجل المسلم إذا مر بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيرهم إياهم بالسلام وهذا فيه فضل من يبدأ غيره بالسلام لأن له عليه فردًا أو جماعة فضل درجة فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب أي ملائكة الرحمن فهو على خير ومثوبة وأجر فى كل أحواله سواء رد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ممن ألقاه عليهم أو لم يرد والشاهد من هذا الحديث فضل إفشاء السلام وما يترتب على إفشاءه من أجر عظيم وثواب جزيل نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام لأن من سلم على عشرة كان له عتق رقبه والسلام مما يذهب إفشاؤه بالمكتن من الشحناء وما في الخلد من البغضاء ويقطع الهجران ويصافي الإخوان والباديء بالسلام بين حسنتين إحداهما تفضيل الله عز و جل إياه على المسلم عليه بفضل درجه لتذكيره إياهم بالسلام وبين رد الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد

التعليق:

الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام والمراد (بالعام) عموم المسلمين من يعرف منهم ومن لا يعرف ولا يقصر السلام على المعرفة وإنما يلقى على عموم المسلمين من عرفه منهم ومن لا يعرفه قال لأن من سلم على عشرة كان له عتق رقبة وهذا الفضل فى السلام على عشرة لم أقف على دليل خاص يدل على ذلك قال والسلام مما يذهب إفشاؤه بالمكتن من الشحناء أى أن إفشاء السلام يذهب الشحناء ويطفى جمرتها فى القلوب ويطفىء لهيب البغضاء فى القلوب لأن السلام يترتب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُة كما جاء فى الحديث الصحيح عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال «أفشوا السلام تسلموا» ومما يسلم منه بالسلام الشحناء التى تكون فى القلوب والسلام دعوة مباركة دعوة للمسلم عليه بالسلامة والرحمة والبركة فهى دعوة مباركة من ثمارها وآثارها العظيمة أنها تذهب الشحناء وتحقق السلامة بين المسلمين قال يذهب إفشاؤه بالمكتن من الشحناء وما فى الخلد من البغضاء والخلد أى خلد الإنسان وقلبه وضميره ويقطع الهجران ويصافى الإخوان هذا تعداد منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض فوائد السلام ثم نبه على الفائدة التى مرت معنا فى الحديث أن البادئ بالسلام بين حسنتين الأولى أن يفضل من ألقى عليهم السلام بدرجة إن هم ردوا عليه وإن لم يردوا عليه يفوز بحسنة رد الملائكة عليه نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير قال قال زبيد اليامي إن أجود الناس من أعطى مالا لا يريد جزاءه وإن أحسن الناس عفوا من عفا بعد قدرة وإن أفضل الناس من وصل من قطعه وإن أبخل الناس من بخل بالسلام

○ **التعليق:**

هذه كلمات جميلة قال زبيد اليامى إن أجود الناس من أعطى مالًا لا يريد جزاءه أى من الناس قال تعالى ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ [الإنسان: ٩] فأجود الناس من يعطى العطاء لا يريد من الناس مقابلًا عليه لا ثناء ولا غيره وإنما يريد على ذلك الأجر والمثوبة عند الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وأحسن الناس عفوًا من عفا بعد قدرة لأن من عفا عن عجز قد يكون عفوه لأنه عاجز على أن ينتقم أو أن يأخذ حقه فيعفوا لعجزه فاكمل ما يكون العفو عندما يكون عن قدرة وأفضل الناس من وصل من قطعه وفى الحديث «ليس الواصل بالمكافىء وإنما الواصل من إذا قطعه قرابته وصلهم» فهذا أفضل ما يكون فى باب الوصل وصل الإنسان لمن قطعه من قرابته وأبخل الناس من بخل السلام لأن عوائده عظيمة وثوابه جزيل ولا يكلف الإنسان شيئًا فبخله فيه من أشد البخل

نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو خليفه حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر العبسي قال حدثنا عمار بن ياسر قال ثلاث من جمعهن جمع الإيمان الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم

التعليق:

هذا الأثر عن عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه أن الإيمان شعب وذكر ثلاثًا من شعبه الإنفاق من الإقتار يعنى قلة ذات اليد والإنصاف من نفسك أى إنصافك الآخرين من نفسك وبذل السلام للعالم وهذا هو موضع الشاهد فهذه الخصال الثلاثة كلها من خصال الإيمان وشعبه وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جمعهن جمع الإيمان فيه تنبيه على أن الإيمان يزيد بزيادة شعبه كما أنه ينقص بنقص شعبه كما يدل على ذلك قوله ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبه أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان»

نعم.



○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على المسلم إذا لقى أخاه المسلم أن يسلم عليه متبسما إليه فإن من فعل ذلك تحات عنهما خطاياهما كما تحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقد استحق المحبة من الناس أعطاهم بشر وجهه

○ **التعليق:**

هذا فيه فضل أن يلقى المسلم أخاه بالسلام متبسمًا وأيضًا فى المصافحة فقد ورد فيها حديث نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أخبرني محمد بن المهاجر المعدل حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبري حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا إسماعيل بن حماد عن سعير بن الخمس قال قيل له ما أبشك قال إنه يقوم على برخيص

○ **التعليق:**

هذه كلمة جميلة لسعير بن الخمس قيل له ما أبشك يعنى دائمًا نراك بشوش ما رأيناك يومًا معبسًا أو مقطبًا فقال إنه يقوم على برخص ما يكلفنى مال رخيض ما أحتاج أن أدفع أموال أو أشترى ومر معنا أبخل الناس من بخل بالسلام فالسلام لا يكلف شيئًا إلا كلمة يقولها المرء بلسانه والبشاشة لا تكلف لأنها طلاقة فى الوجه والبر شىء هين وجه طليق وكلام لين وتجد الكثير منا بخيل بالشيء الذى لا يكلفه نعم.

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الأبرش :

أخو البشر محبوب على حسن ... ولن يعدم البغضاء من كان عابسا
ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للمرء حارسا

❍ التعليق:

أخو البشر أى صاحب البشر من يلقى الناس دائمًا بوجه طليق وذى بشر فإنه محبوب على حسن بشره أى تحبه الناس وقلوب الناس وتميل إليه أما العابس وهو ضد من وجهه وجه بشر لن يعدم البغضاء أى أن عبوسه يكسبه البغضاء من الناس قال ويسرع بخل المرء فى هتك عرضه والبخل من أسباب هتك عرض الإنسان لأن الناس سيذمونه على بخله فبخله فيه هتك لعرضه ولم أر مثل الجود للمرء حارسًا أى حارسًا لعرض الإنسان ومكانته وفضيلته نعم.

٨٠◊٥٣

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

البشاشه إدام العلماء وسجية الحكماء لأن البشر يطفيء نار المعاندة ويحرق هيجان المباغضة وفيه تحصين من الباغي ومنجاة من الساعي ومن بش للناس وجها لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك

❍ **التعليق:**

هذا كلام جميل من أبى حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى الثناء على البشاشة وآثارها العظيمة وقوله البشاشة إدام العلماء لأنه جمال يزين به كالطعام الشهى الذى يقدمه العالم للناس وهو طعام القلوب العلم النافع الذى ينفع الناس ويفيدهم وهذه البشاشة عندما تجتمع مع العلم تكون مثل الإدام فكما أن الإدام يجمل الطعام ويحسن من مذاقه وطعمه فإن البشاشة أيضًا لها أثرها ووقعها فى إلقاء العلم والإفادة للمتعلمين وسجية الحكماء أى أهل الحكمة من سجاياهم أى خصالهم البشر ثم عدد شيئًا من فوائده قال لأن البشر يطفىء نار المعاداة ويحرق هيجان المباغضة إذا كان ثمة مباغضة أو عداء فإن اللقاء بالبشر يطفىء هذه العداوة ومنجاة من الساعى بالشر والله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤] فلو أن شخصًا مثلًا فى موقف ما اشتد عليك سواء كنت مخطئ فيه أو غير مخطئ وكثيرًا ما يحصل ذلك وخاصة فى زحمة الناس فى الأعمال وغيرها فإذا ابتسمت له ولقيته بوجه بشوش وقلت له المعذرة سامحنى أنا مخطئ فى حقك حتى ولو لم تكن أنت المخطئ انتهى كل شىء وانطفأت جمرة الغضب التى بدأت تتقد فيه ففائدته لا حد لها وهو لا يكلف شيئًا مثل ما تقدم قال إنما يقوم على برخص قال ومن بش للناس وجهًا لم يكن عندهم بدون البازل لمهم ما يملك بل إن وقع البشاشة أحيانًا فى بعض المواقع أكثر من وقع دفع المال لأثرها على النفوس وراحتها للصدور نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا ابراهيم بن محمد العبادي حدثنا سويد عن علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال أخبرت أنه مكتوب في الحكمة يا بني ليكن وجهك بسطا ولتكن كلمتك طيبة تكن أحب إلى الناس من أن تعطيهم العطاء

التعليق:

هذا أثر ساقه شاهدًا لما سبق أن من بش للناس وجهًا لم يكن عندهم بدون البازل لهم ما يملك أى أعظم وأحب إلى الناس من الذى يعطيهم العطاء أى المالى نعم.

❀◇❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الخلادي أنشدنا أحمد بن بكر بن خالد اليزيدي لسعيد بن عبيد الطائي

الق بالبشر من لقيت من الناس ... جميعا ولاقهم بالطلاقة

تجن منهم حنى ثمار فخذها ... طيبا طعمه لذيذ المذاقه

التعليق:

هذان البيتان فيهما فضل لقاء الناس بالبشر وطلاقة الوجه ويترتب على ذلك جنى الثمار العظيمة طيب طعمها ولذيذ مذاقها نعم.

❀◇❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حكام بن سلم عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك فأما من تلقاه يبشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا أكثر الله في القراء ضرب هذا

❍ **التعليق:**

يذكر فى هذا الأثر أنه قال يعجبنى من القراء كل سهل طلق مضحاك والمراد بمضحاك أى مبتسم يلقى إخوانه بالإبتسامة سهل وطلق أى طلق الوجه فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس وإضافة إلى عبوسه يمن عليك بعمله أنا الذى قلت لك كذا وأنا الذى صنعت لك كذا إلى آخره يمن عليك بعمله قال فلا كثر الله فى القراء ضرب هذا أى من كان على شاكلته هذا نعم.

๏◈๏

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان طاعة من الطاعات إذا رأى من قصر في سلوك قصده أن يعبس عليه بعمله وجهه بل يظهر البشر والبشاشة له فلعله في سابق علم الله أن يرجع إلى صحة الأوبة الى قصده مع ما يجب عليه من الحمد لله والشكر له على ما وفقه لخدمته وحرم غيره مثله

التعليق:

هذا تنبيه مهم يقول أن الملاقاة بالبشر والبشاشة ليست فقط لمن تحب ومن يصافونك الوداد ويعاملونك المعاملة الجيدة بل من كان فى سلوكه معك تقصير أيضًا القه بالبشر لماذا؟ يقول إذا رأى من قصر فى سلوك قصده ليس له أن يعبس عليه فى وجهه بل يظهر البشاشة لماذا؟ قال فلعله فى سابق علم الله أن يرجع إلى صحة الأوبة يعنى ليس من الشرط أن هذا المقصر يستمر تقصيره بل ربما بشاشتك تكون معونة له على ماذا؟ على الرجوع عن الخطأ وعدم الإستمرار فى التقصير وهذا تنبيه فى غاية الأهمية لأن البشاشة كما أنها تكون بين الأوداء والأصفياء أيضًا تكون مع من هو مقصر معك وبشاشتك له تعتبر معونة منك له على التخلص من أخلاقه السيئة وصفاته المذمومة نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن أبى على الخلادي أخبرني محمد بن موسى السمري أن حماد ابن إسحاق أنشدهم:

فتـى مثـل صـفو المـاء أمـا لقـاؤه ... فبشـــر وأمـــا وعـــده فجميـــل
يســرك مفتــرا ويشــرق وجهــه ... إذا اعتــل مــذموم الفعــال بخيــل
عيـى عـن الفحشــاء أمـا لســانه ... فعـــف وأمـــا طرفـــه فكليـــل

❍ **التعليق:**

هذه كلها ثناء على الفتى الموصوف بهذه الصفات وما يتعلق بهذه الصفات فى الترجمة لقاؤه فبشر يعنى يلقى إخوانه بوجه طليق ليس فيه عبوس ولا تقطيب أو نحو ذلك وإنما يلقى إخوانه بطلاقة الوجه نعم.

ﮋ ◈ ﮊ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

لـن تسـتتم جمـيلا أنـت فاعلـه   إلا وأنـت طليـق الوجـه بهلـول
ما أوسط الخير فابسط راحتيك بـه   وكـن كأنـك دون الشـر مغلـول

التعليق:

لن تستتم جميلا أنت فاعله =إلا وأنت طليق الوجه بهلول وبهلول قيل فى معانيها أمور عديدة ومنها الذى يتعلق بهذا السياق الضحوك من الناس يقول ما أوسط الخير فابسط راحتيك به أى إذا من الله عليك بالخير وصارت أمورك متيسرة فابسط راحتيك به وكن كأنك دون الشر مغلول يعنى بامتناعك وكف يدك عن الشر كأن يدك مغلولة عن الشر أما فى الخير فيدك مبسوطه نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا الدارمى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم

التعليق:

من حسن الخلق أن يحدث صاحبه بما يتبسم ومر معنا فى هذا الباب ذكر للفوائد العظيمة والآثار المباركة لهذا الخلق العظيم نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر ما أبيح من المزاح للمرء وما كره له منه

أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا هدبه بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ كان له خادم يقال له أنجشه وكان حسن الصوت فقال النبي ﷺ يا أنجشه لا تكسر القوارير قال قتادة يعني ضعفة النساء

○ **التعليق:**

هذه الترجمة ذكر ما أبيح من المزاح للمرء وما كره له منه فيها أن المزاح وهو المداعبة والمؤانسة بالألفاظ أو الأفعال أو نحو ذلك منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم وسيأتى تفصيل ذلك من خلال ما ساقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى تحت هذه الترجمة ولهذا قال ما أبيح من المزاح للمرء وما كره له منه لأن فيه محمود ومذموم على المرء أن يتجنبه وصدر الترجمة بحديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ كان له خادم يقال له أنجشه وكان حسن الصوت فقال النبى ﷺ يا أنجشة لا تكسر القوارير وأنجشة كان الصوت وكان يحدو للإبل والحداء للإبل بالصوت الجميل يفيدها جدًا لأنها ترتاح فتسرع فى المشى وكثيرًا ما يحتاج إلى الحداء فى السفر حتى تنشط الإبل وترتاح بسماع الصوت فتسرع فى سيرها والحداء يكون للإبل والحادى يحدو بصوته الجميل فتنشط الإبل وتتحرك وكان على الإبل نساء والمرأة ضعيفة ولهذا قال قتادة ضعفت النساء فالمرأة ضعيفة فإذا أسرعت الإبل بسرعة شديدة وهى تحمل على ظهورها النساء قال النبى ﷺ يا أنجشة لا تكسر القوارير فالمرأة لا تحتمل سرعة الإبل مثل احتمال الرجل قد تتعب وربما تسقط من شدة سرعة الإبل فقال النبى ﷺ يا أنجشة لا تكسر القوارير وهذا هو المراد فالنبى لم يمنعه

من الحداء من أصله لكن لما حصل الحداء الذى ترتب عليه إسراع شديد قال له النبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يا أنجشة لا تكسر القوارير والشاهد من الحديث أن النبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهاه عن الحداء الذى ترتب عليه هذا الإسراع الشديد من الإبل بهذا الأسلوب اللطيف الذى فيه شيء من المداعبة قال لا تكسر القوارير يقصد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالقوارير ضعفت النساء

ﮋ◊ﮊ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح وترك التعبس

❍ **التعليق:**

هذه من الأمور التى تتعلق بالمزاح المحمود وهو الذى ليس فيه كذب ولا إساءة للأخرين والمراد منه إستمالة القلوب فهذا مباح ومحمود إذا أتى بكلمات فيها دعابة ومؤانسة يريد أن يستميل بها قلب أخيه ومرافقه ومصاحبه دون أن يمس أو يجرح أو يسيء إلى أحد أو يكذب فى حديثه فإذا كان المزاح بهذه الطريقة وبهذا الحدود فإنه محمود ويترتب عليه فوائد منها هذا المعنى الذى أشار إليه المصنف وهو استمالة القلوب نعم.

ﮋ◊ﮊ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمزاح على ضربين فمزاح محمود ومزاح مذموم فأما المزاح المحمود فهو الذي لا يشوبه ما كره الله عز و جل ولا يكون بإثم ولا قطيعه رحم

وأما المزاح المذموم فالذي يثير العداوة ويذهب البهاء ويقطع الصداقه ويجرئ الدنيء عليه ويحقد الشريف به

○ **التعليق:**

قال والمزاح على ضربين فمزاح محمود ومزاح مذموم ومن أراد أن يمزح ينبغى أن يفرق بين ما يحمد من المزاح وبين ما يذم فأما ما يحمد فيفعله ولا حرج وأما ما يذم فإنه يجب عليه أن يتجنبه لما يترتب عليه من آثار وعواقب وخيمة قال أما المزاح المحمود فهو الذى لا يشوبه ما كره الله ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم وهذه قاعدة جامعة ونافعة فى ضابط المزاح المحمود لا يشوبه ما كره الله أى لا يجوز للإنسان أن يمزح بما يكرهه الله من غيبة أو نميمة أو سخرية بالناس أو استهزاء بالآخرين أو كذب ويل له ويل له ويل له الذى يكذب ليضحك الناس فيجب أن يكون المزاح مصونًا من كل أمر يكرهه الله ونهى عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن فعله ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم أى خير فى مزاح يترتب عليه إثمًا أو يترتب عليه قطيعة رحم وعداوة وبغضاء فهذا النوع من المزاح يجب أن يجتنب قال وأما المزاح المذموم فالذى يثير العداوة ويذهب البهاء ويقطع الصداقة ويجرئ الدنيء ويحقد الشريف فمثل هذا النوع من المزاح الذى يترتب عليه هذه الآثار السيئة الواجب على الإنسان أن يجتنبه نعم.

❖

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقى حدثنا أبو موسى الأنصاري حدثنا بكر بن سليم قال سمعت ربيعة يقول إياكم والمزاح فإنه يفسد المودة ويغل الصدر

التعليق:

قوله إياكم والمزاح إما أن يكون المراد به إثم أو قطيعة رحم أو يشوبه أمر كرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو أن يراد به الإكثار من المزاح أما أصل المزاح فلا بأس به إذا كان لا يشوبه ما كرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإن فيه استمالة القلوب وفيه الفائدة والنفع نعم.

୭◈ଓ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفيض بن الخضر التميمي حدثنا عبد الله ابن حبيق قال كان يقال لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الوضيع فيجتريء عليك

التعليق:

وهذا يوضح الكلام الذى مر عند ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ويجرىء الدنىء عليه ويحقد الشريف به فالشريف إذا كان الشخص أعلى من غيره مكانه وليس بينه وبينه صلة أو إرتباط أو نحو ذلك ثم يمازحه فقد يكون ممازحته له سبب لحقده عليه هذا إذا كان قد مازح من هو أعلى منه وإذا مازح وضيعًا فقد يتجرأ هذا الوضيع عليه إذا مازح سفيهًا أو جاهلًا قد يمازحه بكلمة جميلة لا إثم فها فيقابله ذاك الوضيع بممازحة بكلمة شنيعة وألفاظ بذيئة أو نحو ذلك فيجرؤه على نفسه فهذا من الضوابط التى ينبغى أن تراعى فى المزاح ولو يتأمل طالب العلم فى عرض ابن أبى حاتم يجد من خلال هذا العرض ذكر ضوابط لما يذم من المزاح ومما لا يذم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني محمد بن عبد الله الأنصاري

أكرم جليسك لا تمازح بالأذى … إن المزاح ترى به الأضغان
كم من مزاح جذ حبل قرينه … فتجذمت من أجله الأقران

❍ **التعليق:**

يقول أكرم جليسك لا تمازح بالأذى يعنى من المزاح ما هو مزاح لكنه أذى للمازح يؤذيه ويتجرأ عليه ومن المزاح ما هو مداعبة ليس فيها أذى فليحذر الإنسان من أن يمازح أخاه بشيء يؤذيه كأن يمازحه بانتقاص له فى مشيته ف طريقة حديثه أو تكلمه أو نحو ذلك هذا فيه مضرة عظيمة مثل ما قال المزاح ترى به الأضغان أى يوجد الأَضغان ويستجلبها كم من مزاح جذ حبل قرينه أى قطعه فتجذمت من أجله الأقران تقطعت الصلة ووجدت العداوة والأضغان بسبب مثل هذا المزاح نعم.

❊

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المزاح في غير طاعة الله مسلبة للبهاء مقطعه للصداقة يورث الضغن وينبت الغل

وإنما سمى المزاح مزاحا لأنه زاح عن الحق وكم من افتراق بين أخوين وهجران بين متآلفين كان أول ذلك المزاح

○ **التعليق:**

هذا يحمل على المزاح الذى فيه أذى للناس واعتداء عليهم ونيل من أعراضهم فيه إثم أو أمر يكرهه الله أو استغراق للمزح ونحو ذلك.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسين القرشي حدثنا الأسود بن عامر عن أبي إسرائيل عن الحكم قال كان يقال لاتمار صديقك ولا تمازحه فإن مجاهدا كان له صديق فمازحه فأعرض كل واحد منهما عن صاحبه فما زاده عن السلام حتى مات

○ **التعليق:**

مجاهد من أئمة التابعين يقول الحكم كان يقال لا تمار صديقك ولا تمازحه فالمماراة هى المجادلة والخصومة والمزاح معروف والذى ينهى عنه هو الذى فيه الأذى للمازح أو أمر يكرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا مجلبة للعداوات وضرب هذا المثال أنه كان صديقًا لمجاهد فمازحه فأعرض كل واحد منهما عن صاحبه فما زاده على السلام حتى مات أى بقيت بينهم هذه الفجوة بسبب هذا المزاح فبقيت الفجوة إلى أن مات نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإن من المزاح ما يكون سببا لتهييج المراء والواجب على العاقل اجتنابه لأن المراء مذموم في الأحوال كلها ولا يخلو المماري من أن يفوته أحد رجلين في المراء إما رجل هو أعلم منه فكيف يجادل من هو دونه في العلم أو يكون ذلك أعلم منه فكيف يماري من هو أعلم منه

التعليق:

يقول إن المزاح يجر إلى المراء والمراء مذموم ويجلب العداوات يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يخلو الممارى من أن يفوته أحد رجلين أى ممن يماريهم إما أن يكون أعلم منه أو أجهل منه فكيف يمارى من هو دونه وكيف يمارى من هو أعلم منه يعنى مقام من هو أعلم منه أن يستفيد من علمه لا أن يماريه ومقام من هو دونه أن يفيده باللطف والطريقة المناسبة الجميلة أما المماراة فإنها مجلبة للعدوات وهى مذمومة فى هذا وهذا

﴿﴾◊﴿﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد سمعت حفص بن عمر البزار يقول سمعت إسحاق بن الضيف يقول سمعت جعفر بن عون يقول سمعت مسعر بن كدام يقول لابنه كدام:

إني نحلتك ياكدام نصيحتي فاسمع مقال أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما لمجاور جارا ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق

التعليق:

هذه وصية ثمينة من أب لإبنه يقول إنى نحلتك يا كدام نصيحتى نحلتك أى صفيت وأخلصت لك النصيحة وقدمتها لك فاقبلها واستمع لها واستفد منها فاسمع مقال أب عليك شفيق وهذا الأسلوب فى وعظ الأبناء مهم جدًا فى استمالة قلوب الابن عندما يخبر الأب ابنه فيما قام فى قلبه من شفقة عليه وأبوه إذا أراد أن يقدم له نصيحة يقول يا بنى أنا والدك وشفيق عليك والله أحب لك الخير أخشى عليك من هذا المضرة والله ما أردت لك بهذه النصيحة إلا الفائدة والخير هذه تستميل قلب الإبن ولها أثرها ووقعها ولهذا قال فاسمع مقال أب عليك شفيق فالأبوة لها مقتضياتها من العطف والحنان والرحمة وغير ذلك والشفقة من الأب لها أثرها العظيم ولا يكتفى الأب عند مناصحته لإبنه بما يعلمه من والده من أبوه هو يعرف أنه والده ويعرف أن فيه شفقة عليه لكن عند النصيحة يحتاج الإبن إلى استمالة قلبه بمثل هذه الكلمات يا بنى أنا والدك والله ما أريد لك إلا الخير إلى غير ذلك من الكلمات التى تستميل القلب وتهيء نفس الإبن لحسن الإستفادة قال أما المزاحة والمراء فدعهما أنصحك يا بنى أن تتجنب المزاح والمراء فدعهما خلقان

لا أرضاهما للصديق لا أرضاهما لمن أحب من الأصدقاء والأبناء والإخوان إنى بلوتهما أى اختبرت هذين الخلقين فلم أحمدهما لم أجد فيهما محمدة فلم أحمدهما لمجاور جارًا ولا لرفيق لا أرضاها ولا أحمدها لجار مع جاره ولا لرفيق مع رفيقه

والجهل يزري بالفتى في قومه   وعروقه في الناس أي عروق

أى أن آثار الجهل على الجاهل فى نفسه وفى مجتمعه سيئة جدًا فيحذر ابنه من الجهل ويقول إنه يزرى بالفتى فى قومه نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المراء أخو الشنآن كما أن المناقشة أخت العداوة والمراء قليل نفعه كثير شره ومنه يكون السباب ومن السباب يكون القتال ومن القتال يكون هراقة الدم وما مارى أحد أحدا إلا وقد غير المراء قلبيهما

❍ **التعليق:**

الشنآن هو العداوة والمراء يورث العداوة ولهذا قال المراء أخو الشنآن والمناقشة أخت العداوة لأنها تستجلب العداوة نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أحسن الذي يقول :

وإيــاك مــن حلــو المــزاح ومــره　　ومــن أن يــراك النــاس فيــه مماريــا
وإن مــراء المــرء يخلــق وجهــه　　وإن مــزاح المــرء يبــدي التشــانيا
دعــاه مــزاح أو مــراء الــى التــي　　بهــا صــار مقلــى الإخــاء وقاليــا

❍ **التعليق:**

هذا يحذر من المزاح والمراء ويذكر ما يترتب على المراء على أنه يخلق الوجه وأن المزاح يبدى التشانيا أى الشنآن والعداوة والغضاء ثم يحث على ترك هذين الخلقين المزاح والمراء لما يترتب عليهما من إيجاد البغضاء والعداوة بين الإخوان والأصفياء والأًصدقاء نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرني محمد بن المنذر حدثني كثير بن عبد الله التميمي حدثني إسماعيل بن محمد الطلحي حدثنا أبو الأخفش الكناني أنه قال لابن له :

أبنـــي لا تـــك ماحييـــت مماريـــا ودع الســـــفاهه إنهـــا لا تنفـــع
لا تحملــــــن ضـــــغينة لقرابــــــة إن الضـــــغينه للقرابـــــة تقطـــع
لا تحســـبن الحلـــم منـــك مذلـــة إن الحلـــيم هـــو الأعـــز الأمنـــع

التعليق:

هذا فيه معنى ما سبق من النهى عن المراء والضغينة فى القلوب وختم الأبيات بالحث على الحلم وقال لا تحسبن الحلم منك مذلة ... إن الحليم هو الأعز الأمنع وهذا شاهده قد مر معنا فى الحديث «ما زاد الله بعبد عفوًا إلا عزًا» نعم.

ꕥ ◈ ꕥ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن ابراهيم الخالدي الهروى حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال سمعت أبى عن الأوزاعي قال قال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته

○ **التعليق:**

إذا اجتمع فى الرجل هذه الصفات الثلاث لجوج من اللجج وهو رفع الصوت فى الخصومة مماريًا من المماراة معجبًا برأيه أى بفكره وقوله وكلامه فقد تمت خسارته وكثير من الناس خسارته تمت وهو لا يشعر يحسب أنه يحسن صنعًا فى مماراته وخصومه ومجادلته نعم.

❁

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المزاح إذا كان فيه إثم فهو يسود الوجه ويدمي القلب ويورث البغضاء ويحيى الضغينه وإذا كان من غير معصية يسلى الهم ويوقع الخلة ويحيى النفوس ويذهب الحشمة فالواجب على العاقل أن يستعمل من المزاح ما ينسب بفعله إلى الحلاوة ولا ينوي به أذى أحد ولا سرور أحد بمساءة أحد

○ **التعليق:**

هذا كلام جميل فى التفرقة بين ما يحمد من المزاح وما يذم وذكر على ما يترتب على المذاح المذموم من آثار وعواقب وخيمة وما يترتب أيضًا على المزاح المحمود من آثار وفوائد نافعة وقوله ويذهب الحشمة أى الكلفة بين الإخوان فبعض المداعبة الخفيفة تذهب الكلفة بين الإخوان نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عبد الله بن محمد بن هاجك عابد كان بهراة حدثنا أحمد بن عبد الله ابن حكيم الفرياناني قرية من قرى مرو حدثنا سهل بن يحيى عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم قال لا يمازحك إلا من يحبك

التعليق:

قوله لا يمازحك من يحبك فالمراد بالممازحة هنا الممازحة المحمودة غير المذمومة وهى اليسير منها ويقصد بها استمالة القلب ولا يمازحك بهذا إلا من يحبك أما النوع الآخر من المازحة وهو الذى فيه أذى وغيبة وإساءة للأخرين أو إساءة للممازح نفسه فهذا لا يفعله من يحب الإنسان والذى يقصد بالمزاح هنا المزاح الذى يكون فى حدود الشرع ليس فيه مخالفة له نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا الصلت بن مسعود حدثني ابن عيينة قال أظنني سمعته من داود بن شابور عن محمد ابن المنكدر قال قالت لي أمي وأنا غلام لا تمازح الغلمان فتهون عليهم أو يجترئوا عليك

❍ **التعليق:**

وذلك لأن الغلمان لاسيما الذين فيهم سفه وجهل إذا مازحهم الإنسان جرأهم على نفسه وإذا تجرؤا عليه فليس عندهم إلا السفه فالمراد من ممازحة الغلمان أى الذين فيهم سفه وجرأة أو فساد أو نحو ذلك من هذه المعانى فمثلًا إلى هذه الأم الحكيمة فى وصيتها لإبنها قال لا تمازح الغلمان فتهون عليهم أو يتجرؤا عليك إذا كانت تعلم الأم أن المكان الذى يذهب إليه ابنها من مدرسة أو غيرها فيه بعض السفاء من الغلمان وقالت لا تمازحهم لماذا؟ لأنه إن مازح هؤلاء السفهاء تجرؤا عليه وتسلطوا عليه كأنه بممازحته لهم فتح بابًا لهم عليه يتجرؤن به فمن الخير له أنه إذا كان يعلم من هؤلاء الغلمان فسادًا أو شر أو نحو ذلك أن لا يمازحهم لماذا؟ لأنه إن مازحهم فتح بهذه الممازحة باب شر عليه من هؤلاء الغلمان نعم.

❁◈❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا عمرو حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة حدثنا دويد بن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار قال قال عمر بن الخطاب من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به

التعليق:

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من كثر ضحكه قلت هيبته أى تزول الهيبة وتضعف ومن مزح استخف به أى الناس يتخفون به ولا تكون له تلك الهيبة والمكانة ومن أكثر من شىء عرف به ولهذا بعض الناس يكثر من المزاح فيعرف بذلك فتجدهم يقولون عليه فلان مهرج ما عنده إلا المزح فى كل وقته لماذا؟ لأنه أكثر من ذلك فمن أكثر من شىء عرف به ولهذا ينبغى أن المزاح ليس مقصودًا لذاته فيكثر منه وإنما المزاح أشبه ما يكون مثلًا بالملح فى الطعام أى يؤنس القلب ويدخل شىء من السرور ولا يكون فيه شىء محرم أو إيذاء للآخرين بل يقصد استمالة القلب بدعابة أو دعابتين أما أن يكثر من المزاح ولا يبالى دون ضوابط أو قيود فإنه يعرف به ويكون مذمة له ومنقصة عند الناس ولا سيما العقلاء منهم نعم.

❀◊❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن مبشر بن إسماعيل عن راشد بن أبي قبال قال استسقى سعيد بن جبير فأتيته بسويق محلى فقال يا راشد شكر أزد ست شيرين

❍ **التعليق:**

عن راشد بن أبى قبال قال استسقى سعيد بن جبير أى طلب أن نسقيه أن نأتى بشيء يشربه فأتيته بسويق محلى والسويق يصنع من الدقيق ويحلى مثلا بالعسل ويجم الفؤاد كما ورد فى الحديث «ويعطى للمريض ويجم الفؤاد» فأتيته بسويق محلى فقال يا راشد ناداه بإسمه هذا من اللطف الخطاب فقال يا راشد شكر أزد ست شيرين

(شكر) أى سكر (أزد ست شيرين) أى من يد حلوه سكر من يد حلوه وهى كلمة فارسية و(أز) هذا حرف من دست واليد(شيرين) حلوه

٭٭٭

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من مازح رجلا من غير جنسه هان عليه واجترأ عليه وإن كان المزاح حقا لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مسلكه ولا يظهر إلا عند أهله على أني أكره استعمال المزاح بحضرة العام كما أكره تركه عند حضور الأشكال

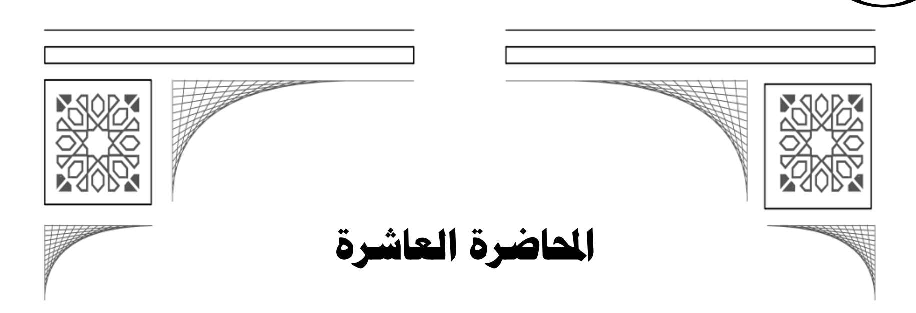
ولقد أخبرنا كامل بن مكرم حدثنا ربيعة بن الحارث الجبلاني حدثنا عبد الله ابن عبد الجبار الخبايري قال قال أبو عبد الرحمن الأعرج كان ابراهيم بن أدهم يحدثنا ويضاحكنا وإذا رأى غيرنا قال هذا جاسوس

التعليق:

قال أبو حاتم من مازح رجلًا من غير جنسه هان عليه واجترأ عليه وهذا المعنى سبق أن مرت الإشارة إليه وإن كان المزاح حقًا لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مسلكه ولا يظهر إلا عند أهله على أنى أكره استعمال المزاح بحضرة العوام كما أكره تركه عند حضور الأشكال وهو الأقران والزملاء والأصحاب أكره تركه بل أحب أن أداعبهم بعض الدعابة قال وأكرهه عند العوام لأنه يجرىء العوام وهذا الكلام ليس على إطلاقه إذا كان المزاح لطيف فى حدود استمالة العامى وتقريبه للخير وتحبيبه لأهله دون أن يكون فى هذا المزاح إساءة أو مخالفة أو شيء يكرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا لا بأس به أما إذا كان يعلم أن هذا يجرؤهم وأن عندهم سلاطة لسان وإساءة للآخرين وأن ممازحة أمثال هؤلاء يجرؤهم عليه فإنه يتجنب ذلك ثم ختم الباب بهذا الأثر أن أبى عبدالرحمن الأعرج قال كان إبراهيم بن أدهم يحدثنا ويضاحكنا وإذا رأى غيرنا قال هذا جاسوس ومراده بذلك أن هذا ليس منا فمثلًا إذا رآنا نمزح لم ينقل عنا إلا هذه الصورة عند الناس والإخوان الذين بينهم رفق ومحبة إذا خلا بعضهم ببعض يكون بينهم المباسطة والمؤانسة

شىء لا يفعلونه أمام الناس فمراده بهذا جاسوس أى لو استمرينا فى المزاح لنقل هذه الصورة الخاصة إلى الآخرين ومن المعلوم أن الرفقة يكون بينهم من المؤانسة والمباسطة حال خلوتهم ببعض ما لا يفعلونه بحضرة الناس فقوله هذا جاسوس أى ليس من أشكالنا ورفقتنا وربما ينقل للناس هذه الصورة الخاصة بنا وبجلستنا نعم.

๑◊๑



المحاضرة العاشرة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر استحباب الإعتزال من الناس عاما

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم ببيت المقدس حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال الجهاد في سبيل الله قال ثم ماذا قال رجل في شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره

التعليق:

فهذا في الباب في ذكر استحباب الإعتزال من الناس عامًا والمراد بالإعتزال ترك خلطة الناس والمباعدة من مصاحبتهم ومجالستهم ومؤنساتهم والغرض من هذه العزلة حفظ الدين وصيانته وإنما تكون هذه العزلة فيما يخشى على الإنسان فيه من فساد دينه والضرر عليه وكذلك تكون العزلة وهى أيضًا داخلة في هذا الباب باب صيانة الدين والعمل على حفظه تجنب المخالطة للناس فيما يباح من الفضول ونحو ذلك وفيما لا ينفع وهذا مستحب أما ترك مخالطة الناس فيما هو إثم وحرام وما فيه مخالفة لشرع الله فهذه واجبه كمجانبة أهل الفسوق والفجور وأهل البدع والضلالات والغرض من ذلك صيانة الدين والعمل على حفظه ورعايته وينبغى التنبه في هذا المقام أن العزلة إن أخذت بغير المأخذ الشرعى

وبدون النظر إلى المقصد الشرعى ربما جرت صاحبها إلى نوع من البدعة والمفارقة لجماعات المسلمين وهذا يجر إلى ما وراءه من ضلالات ومخالفات ولهذا باب العزلة باب ينبغى أن يأخذه المرء بالمأخذ الشرعى نظرًا إلى مقاصد الشريعة وغاياتها الحميدة المباركة وعملًا على تحقيق المصالح ولهذا مما يؤثر في هذا الباب أن أحد الناس سأل أحد السلف عن العزلة أراد أن يعتزل الناس فاستشار أحد أهل العلم قال له كلمة عجيبة مباركة قال «تفقه أولًا» ولا شك أن العزلة إن لم تكن عن تفقه ومعرفة بدين الله ربما تجر الإنسان إلى شىء من الإنحراف قال تفقه ثم اعتزل أما إذا اعتزل الناس بلا فقه فاعتزاله هذا يحدث عنده من حيث يشعر أو لا يشعر أنواع من البدع ومن ذلكم المباينة والمفارقة لجماعة المسلمين وربما ترك الجمع والجماعات وهذا كله من الإثم وليس من الطاعات في شىء ولهذا بعض العلماء أفرد باب العزلة بالتصنيف والغرض منه حفظ الدين ويكون في حدود مقصد الشريعة وفى ضوء ضوابطها العظيمة وهذه الترجمة استحباب الإعتزال من الناس عامًا أى عموم الناس ولهذا سيأتى في الترجمة التى تلى هذه الترجمة استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص ومراده هناك بالخاص أى من في صحبته منفعه من أهل العلم والفضل والديانة والنبل فهؤلاء صحبتهم فيها خير للإنسان ومنفعه له قال تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ [الكهف: ٢٨] فمثل هؤلاء صحبتهم غنيمة ومربح للإنسان إذا هذه الترجمة التى بين أيدينا هى في اعتزال الناس عمومًا أما في الحرام فهذا واجب إذا كانوا أهل وفسوق وضلالات وبدع ونحو ذلك إلا إذا قصد بمخالطتهم وهو من أهل العلم استصلاحهم ونصحهم وتحذيرهم فهذا باب آخر فيه نفعه العظيم وثماره الجليلة بل ربما يتأكد هذا في حق من هو من أهل العلم والبصيرة بدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الترجمة بحديث أبى سعيد

الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قيل يا رسول الله أى العمل أفضل قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال رجل في شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره والمراد بالشعب هو المكان الفسيح بين جبلين وجاء في بعض الأحاديث في هذا الباب أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قال رجل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويدع الناس إلا من الخير» انظر الآن لما تتأمل في الأحاديث ليست عزلة تامة وانقطاع تام عن الناس لأن الرجل يقيم الصلاة ومن إقامة الصلاة أداءها جماعة قال تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] وذكر يؤتى الزكاة وهذا يدل على أنه مال وتجارة ليزكى أما شخص يذهب في شعب من الشعاب ولا مال له وينقطع عن جماعة المسلمين وشهود الجماعات ويظن أنه يعمل بهذا الحديث فهيهات ولهذا ينبغى أن يتأمل إلى ما سبقت الإشارة إليه أن يتفقه ثم يعتزل أما إذا اعتزل بدون تفقه فهذا يجر من كان كذلك إلى ضروب من البدع ومن المخالفات نعم.

❊

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس عاما مع توقي مخالطتهم إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خصلة تحمد إلا السلامة من مقارفة المأثم لكان حقيقا بالمرء أن لا يكدر وجود السلامة بلزوم السبب المؤدي إلى المناقشة

❍ التعليق:

يحمل هذا الكلام على المعنى الذى سبق أى اعتزال عموم الناس من أجل أن يحفظ نفسه ولا سيما إذا كثر فى بلده الفساد والإنحراف وأبواب الشهوات وخشى على نفسه الفتنة فى دينه ففى مثل هذا يكون الإعتزال لحفظ الدين انظر إلى قوله لو لم يكن فيه خصلة تحمد إلا السلامة من مقارفة المأثم وهذا من أعظم ما يكون مقصدًا فى العزلة حفظًا لدين المرء ولهذا يقول طاووس من علماء التابعين «نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه سمعه وبصره» ويسار إلى هذا عند كثرة أبواب الفتن والشهوات ويخشى على نفسه الفتنة فيكون خروجه فى حدود المصالح الشرعية والدنيوية التى لا بد منها وأما أماكن الفتن والفساد والشر فإنه لا يجعلها طريقًا له فضلًا على أن يقصدها ويمكث فيها والغرض من هذا كله كما تقدم صيانة الدين والعمل على حفظه نعم.

❊❖❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله أخبرنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب قال خذوا بحظكم من العزلة

❍ **التعليق:**

خذوا بحظكم أى بنصيبكم من العزلة أى ليكن لكم نصيب وحظ منها لأن العزلة ولا سيما مع وجود من يثير الشر والشهوات وكذلك خلطة السوء وقرناء السوء مما يجر المرء إلى نوع من الإنحراف أو الفساد فينبغى عليه فى هذه الحال أن يأخذ حظًا ونصيبًا من العزلة يصون به دينه ولهذا يؤثر عن عمر نفسه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال «فى العزلة راحة من خليط السوء» إذًا لا بد من رعاية التوازن فى هذا الأمر إذا وجد قرين الخير ورفيق الصلاح ومن يعين على الطاعة فأمثال هؤلاء ليس من المناسب أن يعتزل مجالستهم لأن صحبتهم غنيمة ومجالستهم مربح وفائدة لكن إذا لم يكن حول الإنسان إلا خلطاء سوء فمن الخير للإنسان أن يعتزل مثل هؤلاء صيانة لدينه إن كان من أهل العلم والتدين وجالسهم بنية استصلاحهم مع الأمن على نفسه من أن يجروه إلى ما هم عليه من فساد فهذا باب آخر وهو مخالطة الناس مع الصبر على آذاهم استصلاحًا لهم ونصحًا وعمل على هدايتهم وصلاحهم نعم.

❧◈☙

❍ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

أنبأنا عمرو بن سعيد بن سنان الطائي حدثنا حامد بن يحيى البلخي قال سمعت سفيان بن عيينه يقول رأيت الثوري في المنام فقلت له أوصني فقال أقل معرفة الناس أقل معرفة الناس أقل معرفة الناس

❍ **التعليق:**

قوله أقل معرفة الناس المراد به عمومًا ممن لا ينتفع الإنسان بمصاحبتهم وممن يخشى أن يتضرر بمصاحبتهم أو ممن ليس عندهم إلا الفضول أو نحو ذلك فهؤلاء يطلب من المرء أن يقل من معرفتهم والتعرف عليهم والخلطة بهم أما الأخيار فلا يحرص عليهم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» أى أن هذا باب تفقه يتفقه المرء فى الخلان والرفقاء فإن كانوا أخيارًا حرص على صحبتهم ومرافقتهم وإن كانوا أشرارًا تجنب مرافقتهم ومجالستهم نعم.

൬◊൫

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا المروذي قال سمعت أحمد بن حنبل يقول رأيت ابن السماك يكتب إلى أخ له أن استطعت أن لا تكون لغير الله عبدا ما وجدت من العبودية بدا فافعل

التعليق:

يقصد أن لا تذل نفسك لأى أحد من الناس واجعل ذلك كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وربما أن الخلطة فى بعض أبوابها ولا سيما إن كان الإنسان به نوع حاجة إلى من يخالط رب أوجد عنده شيء من الذل أو الإنكسار أو نحو ذلك فهذا يوصى أن يكون المسلم عنده عزة وأن لا يذل نفسه لأحد وأن يجعل ذله كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم



❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام في رعاية حقوقهم والتصبر على ورود الأذى منهم ما وجد الى ترك الدخول فيه سبيلا لأنه إذا حسم عن نفسه ترك الإختلاط بالعالم والمخالطة بهم تمكن من صفاء القلب وعدم تكدر الأوقات في الطاعات

❍ **التعليق:**

وهذا يحمل على من ليسوا من ذوى الحقوق لأنه مطلوب من المسلم أن يرعى حقوق ذوى الحقوق حتى وإن كان عندهم مثلًا إخلال أو نقص فى الديانة على سبيل المثال حق الوالدين أو الأقارب أو نحو ذلك فقوله العاقل لا يستعبد نفسه أى لا يذل نفسه لأمثاله بالقيام فى رعاية حقوقهم (لأمثاله) هذا قيد أى من الزملاء والرفقاء أو من يجالس فلا يذل نفسه فى رعاية حقوقهم والتصبر على ورود الأذى منهم فتخرج مسألة ذوى الحقوق من الأهل والأقارب أو غير ذلك مما جاءت الشريعة ببيان حقوق هؤلاء التى يجب على المرء أن يقوم برعايتها وأيضًا فيما يتعلق بالأصحاب وقضية الرعاية لحقوقهم والتصبر على ورود الأذى منهم فهذا فيه تفصيل إن كانوا من أهل الديانة والفضل فلا يسلم المرء من خطئهم ويصبر عليهم ويحتمل شيء من الأذى الذى قد يحصل مرة أو مرتين أو نحو ذلك فى سبيل المغنم الذى يجده من مصاحبة أمثال هؤلاء من علم نافع وخلق وفاضل أو نحو ذلك فالمسألة هنا فيها تفصيل أما عامة الناس ممن ليس هناك انتفاع بمجالستهم أى الإنتفاع الدينى والخلقى فإن رعاية حقوق هؤلاء والصبر على آذاهم إذلال للنفس وتعريضها للمهانة مع امثال هؤلاء من غير طائل بل مما قد يكون فيه مضرة على الإنسان نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد استعمل العزلة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معا

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد بن سليمان الدمياطي حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال سمعت ابن المبارك يقول عاد فضيل داود الطائي فأغلق داود الباب وجلس فضيل خارج الباب يبكي وداود داخل البيت يبكي

أنبأنا الحسين بن محمد السنجي حدثنا علي بن المنذر حدثنا الحسن بن مالك قال سمعت بكر محمد العابد يقول قال لي داود الطائي يا بكر استوحش من الناس كما تستوحش من السبع

أنبأنا محمد بن أحمد بن الفرج البغدادي بالأبلة حدثنا إبراهيم بن حماد بن زياد حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال رؤى إلى جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابض فقيل له يا أبا يحيى ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك قال هذا خير من جليس السوء

هذا الذي ذهب اليه داود الطائي وضرباؤه من القراء من لزوم الاعتزال من الخاص كما يلزمهم ذلك من العام أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة وإيثار ضد الخلطة على المعاشرة فإن المرء متى ما لم يأخذ نفسه بترك ما أبيح له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حظر عليه

التعليق:

هنا يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن جماعة من المتقدمين ذهبوا إلى عتزال العام والخاص وعرفنا أن اعتزال العام أى عموم الناس ممن ليس فى مصاحبتهم أو مجالستهم منفعة بل ربما فيها مضرة وعرفنا ما فى ذلك من فائدة لمن اعتزلهم وحذر من مجالستهم لكن ما ذكره من بعض الأمثلة من اعتزال الخاص وهو اعتزال أهل الفضل والعلم والنبل وذكر شيئًا من الأمثلة على ذلك وقال فى تمامة هذا الذى ذهب إليه داود الطائى وضرباؤه من القراء من لزوم الإعتزال من

الخاص كما يلزمهم ذلك من العام أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبرعلى الوحدة لكن هل هذه الرياضة للأنفس مشروعة؟ لأن باب الإعتزال لا بد أن يقيد بضوابط الشريعة وإذا لم يقيد بضوابط الشريعة ربما جر الإنسان إلى شيء من المخالفة وقد مر معنا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٨] وأحاديث كثيرة ونصوص عديدة جاءت فى المؤاخاة وعظيم أثرها وعظيم النفع للجليس الصالح وما جاء فى الشريعة من حث عليه وترغيب فيه وذكر لما يعود من فوائد ومنافع وآثار وسيأتى فى الترجمة اللاحقة عند المصنف بسط لشيء من هذا المعنى فهذه العزلة للخاص وإن نقل عن بعض المتقدمين فعل ذلك فإن الأمر كما قيل «كل يستدل لقوله لا به إلا الله ورسوله» ومثل هذه العزلة للخاص لا منفعة بل هى مضرة حتى وإن عللت بأن المقصود بها هو التصبر على الوحدة فالوحدة خير من جليس السوء لكن خير من الوحدة ماذا؟ جلساء الخير ورفقاء الصلاح ينتفع بمجالستهم خلقًا وعلمًا وهديًا ونصحًا إلى غير ذلك حتى وإن كان الغرض رياضة النفس على التصبر على الوحدة وإذا تصبر على الوحدة ماذا يجنى بابتعاده عن خلطاء الخير ورفقاء الصلاح من أهل الفضل والعلم والنبل وإيثار ضد الخلطة على المعاشرة فإن المرء متى مالم يأخذ نفسه بترك ما أبيح له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حذر عليه وهذا أيضا تعليل لا يكفى فيما ذكر لكن الإنسان يتجنب خلطاء الشر رفقاء السوء من يخشى عليه من مصاحبتهم ومرافقتهم من أيضًا هم خوضهم إنما هو فى المباح أو نحو ذلك أما مخالطة أهل العلم والخير والديانة والعبادة والخلق فهذا ليس مما يحمد بل مما يذم هنا أورد بعض النقول وهذه أيضا تحتاج أولًا إلى مثلا تمحيص من حيث الأسناد هل هى تصح أو لا تصح لأن بعض الآثار أيضا تكون أسانيد وليست صحيحة أو تكون معلولة فتحتاج أولًا إلى

نظر من حيث الأسانيد أما من حيث المعنى فعرفنا أن الشريعة إنما جاءت بخلاف ذلك وهنا يقول مثلًا سمعت بن المبارك يقول عاد فضيل داود الطائى فضيل بن عياض من هو فى فضله وإمامته وعلمه عاد فضيل داود الطائى فأغلق داود الباب أغلق دونه الباب يعنى لم يأذن له بالدخول وجلس فضيل خارج البيت يبكى وداود داخل البيت يبكى أنا أستبعد ثبوت مثل ذلك وربما لو أن أحدًا تأمل فى الأسانيد ربما يجد فيها مالم تيسر لى نظر فيها لكن مثل هذا يستبعد ثبوته وقوله أيضا النقل الذى عن داود الطائى يا أبا بكر استوحش من الناس كما تستوحش من السباع إن كان الإستيحاش من الناس أهل الشر والفساد هذا مطلوب وإن كان الإستيحاش من الناس أى خاصتهم فهذا مذموم وربما من دخل فى شىء من طرائق التصوف يقع منه مثل هذا وهو بلا ريب مما لا يحمد عليه المرء لما فيه من مضره ولكونه لا فائدة فيه وكذلك هذا الخبر رؤيا إلى جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابط ثقيل له يا أبا يحيى ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك قال هذا خير من جليس السوء ولا شك أن جليس السوء لا خير فى مجالسته وكذلك إجلاس الكلب إلى جنبه فهذا مما لا خير فيه ولقد جاءت الشريعة بالنهى عن اقتناء الكلاب كما جاء فى الحديث «من اقتنى كلبًا إلا كلب ماشيه أو كلب صيد نقص من أجره كل يوم قيراط قيل وما القيراط قال مثل الجبل» فعلى كل حال مثل هذه الآثار أوردها وذكر أن الغرض منها يحمل على رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة وتكون بتجنب المخالطة الخاصة وهم أهل العلم والفضل لا تحمد نعم.

❊

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما السبب الذي يوجب الاعتزال عن العالم كافة فهو ما عرفتهم به من وجود دفن الخير ونشر الشر يدفنون الحسنة ويظهرون السيئة فإن كان المرء عالما بدعوه وإن كان جاهلا عيروه وإن كان فوقهم حسدوه وإن كان دونهم حقروه وإن نطق قالوا مهذار وإن سكت قالوا عيى وإن قدر قالوا مقتر وإن سمح قالوا مبذر

○ **التعليق:**

يعنى لا يسلم مهما كان من ألسنتهم وهؤلاء هم المراد بالعامة عامة الناس ممن إن وجدوا خيرًا فى الإنسان دفنوه إن وجدوا فيه خيرا دفنوه أى لا يذكرون الخير الذى فى الإنسان وإن وجدوا شرا نشروه وأشاعوه يدفنون الحسنة ويظهرون السيئة ثم دائما هم فى ذم للإنسان على أى حالة من أحواله مثل ما شرح وبين بذكر هذه الأمثلة فمثل هؤلاء ليس من وراء صحبتهم طائل ولا منفعة بل فيها مضرة على الإنسان فتجنب أمثال هؤلاء من الخير ولا شك للإنسان نعم.

❧◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالنادم في العواقب المحطوط عن المراتب من اغتر بقوم هذا نعتهم وغره ناس هذه صفتهم

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرني أحمد بن محمد بن بكر الأبناوي عن داود بن رشيد قال حدثني إبراهيم بن شماس قال قال لي الأكاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرو يا إبراهيم صحبت الناس خمسين سنة فلم أجد أحدا ستر لي عورة ولا وصلني إذا قطعته ولا أمنته إذا غضب فالأشتغال بهؤلاء حمق كثير

التعليق:

يقول فالنادم في العواقب المحطوط عن المراتب من اغتر بقوم هذا نعتهم وغره ناس هذه صفتهم فهذا لا شك أنه يندم فى عاقبة الأمر ويكون المرافقة لهؤلاء حط من رتبته وإنزال من مكانته وله الأثر السيء عليه فهذا كله تأكيد على أن مثل هؤلاء لا يحرص المرء على مصاحبتهم ومرافقتهم وهذا الأثر الذى يرويه قال حدثني إبراهيم بن شماس قال قال لي الأكاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرو يا إبراهيم صحبت الناس خمسين سنة فلم أجد أحدا ستر لي عورة ولا وصلني إذا قطعته ولا أمنته إذا غضب فالأشتغال بهؤلاء حمق كثير فهؤلاء أى من كانت هذه صفتهم وليس كل الناس كذلك أى لا يزال فى الناس من هم من أهل الخير والفضل وستراً للعورة وصلة للرحم وعند الغضب يحسنون التعامل لا يزال فى الناس خير وربما أنه يتحدث عن غالب من خالطهم من الناس وعلى كل مثل هذا إنما يستعمل فى خلطة عامة الناس ممن لا تؤمن غائلتهم ممن لا يعرفون بالخلق والفضل والأدب إلى غير ذلك أما الخاصة وهم من فى رفقتهم خير للناس فإن هؤلاء صحبتهم غنيمة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن المهاجر المعدل لعلي بن حجر السعدي :

زمانــك ذا زمــان دخــول بيــت وحفــظ للســان وخفــض صــوت
فقــد مرجــت عهــود النــاس إلا أقلهــم فبــادر قبــل فـــوت
فمــا يبقــى علــى الأيــام شــيء ومــا خلــق امــرؤ إلا لمــوت

التعليق:

يذكر المصنف فى هذه الأبيات كثرة الشر والفساد وخلطاء السوء وأن من الخير للناس هو حفظ اللسان ولزوم البيت وتجنب الخلطة لكنه يستثنى وهذا الإستثناء باق ولا يزال فى الناس أهل للخير فهؤلاء وإن كانوا قلة فالإنسان لا يتجنب خلطتهم ومصاحبتهم بل إن وجدهم فهم غنيمة ومصاحبتهم مربح للإنسان ومغنم

فقد مرجت عهود الناس إلا...أقلهم فبادر قبل فوت يعنى على اغتنام صحبة أمثال هؤلاء ثم قال فما يبقى على الأيام شيء ... وما خلق امرؤ إلا لموت فالإنسان مصيره إلى الموت فليغنم حياته فى الخير وفى مرافقة أهل الخير والفضل أما من سوى ذلك من الخلطاء فإنه يحذر منهم أشد الحذر نعم.

٭◊٭

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا يعقوب بن إسحاق القاضي حدثنا بن يحيى قال وفيما قرأت على نافع عن مالك بن أنس أنه بلغه عن أبي ذر قال كان الناس ورقا لا شوك فيه فهم اليوم شوك لا ورق فيه

التعليق:

الله المستعان هذا فى ذاك الزمان إن صح يقول كان الناس ورقا لا شوك فيه فهم اليوم شوك لا ورق فيه ومع ذلك فالخير باق ولا يزال فى الناس بقايا خير والإنسان لا ييأس من وجود الأفاضل والأخيار ورفقاء الخير لا يزال لهم وجودهم ومن سأل الله عزوجل المعونة على لقيا هؤلاء غنم ولهذا أذكر ما فاتنى الآن اسمه أن أحدًا من السلف أدرك زمن الصحابة يقول قدمت المدينة فسألت الله أن يرقنى رفقاء خير أو كلام هذا معناه فقال وفقت بأبى هريرة فالإنسان يسأل الله ويرجوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يوفقه لرفقاء الخير ويتحرى وإذا ظفر بهم يحرص على لزوم الخلق والأدب معهم والمعاملة الكريمة فصحبتهم غنيمة للمرء أى غنيمة وأما رفقاء الشر فإنه يحرص على المباعدة منهم إيثارًا للسلامة نعم.

ﮋ ◈ ﮊ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن أبي علي الخلادي حدثنا جنيد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان ابن أبي شيخ قال كان القحذمى ينشد كثيرا :

ذهب الحسن والجمال من الناس   ومات الذين كانوا ملاحا
وبقى الأسمجون من كل صنف   إن في الموت من أولئك راحا

○ **التعليق:**

مع ذلك نقول لا يزال الخير باق والنبى ﷺ قال «لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة» الخير باق وأهلهم له وجود والله لا يزال يغرس فى الناس غرسًا يقومون على دينه ونصح عباده والمرء لا يعدم أهل الخير ما حرص وسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المعونة والتوفيق نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل يعلم أن البشر مجبولون على أخلاق متباينه وشيم مختلفة فكل واحد يحب اتباع مساعدته وترك مباعدته فمتى رام من أخيه ضد ما وطن نفسه عليه قلاه وإذا تبين له منه خلاف ما أضمر عليه قلبه مله ومن الملال يكون الاستثقال ومن الاستثقال يكون البغض ومن البغض تهيج العداوة فالإشتغال هذا بمن نعته للعاقل حمق

التعليق:

يقول أبو حاتم البشر مجبولون على أخلاق متباينه فالناس معادن وأخلاق متفاوته وإذا كانوا كذلك يقول العاقل يعلم أن البشر مجبولون على أخلاق متباينه وشيم مختلفة فكل واحد يحب اتباع مساعدته وترك مباعدته فمتى رام من أخيه ضد ما وطن نفسه عليه قلاه أى مقته وكرهه وإذا تبين له منه خلاف ما أضمره عليه قلبه مله ثم بعد ذلك قال ومن الملال يكون الإستثقال ومن الإستثقال يكون البغض إلى آخره لكن إذا عرف المرء أن الناس طبائع وليسوا على معدن واحد وطريقة واحدة فليعمل فيهم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ومما ذكر فى معنى الآية العفو ما سمحت به طباع الناس يعنى لا تنتظر من الناس خلقًا واحدًا جميلًا يعاملونك به خاصة من ليس لك بد من مصاحبتهم من أهل أو ولد أو جار أو قريب أو نحو ذلك ليسوا على معدن واحد وإذا كنت تريد أن يكونوا جميعًا على خلق ومستوى واحد فى الخلق العالى فى التعامل معك فلن تجد وسترى نفسك فى وقت سريع فى بغض للناس ومعاداة واستثقال إلى غير ذلك لكن إذا أخذت من الناس العفو من كانت أخلاقه جميلة حمدتها وشكرته عليها ومن كانت دون ذلك دفعت بالتى هى أحسن واحتملت منه خلقه وكنت أيضًا معونة له للإرتقاء بأخلاقه ليستفيد منك لأن بعض الناس إذا

جالس ممن هو دونه فى الخلق ربما استثقل ذلك فنزل إلى الدنىء من الخلق بينما الأصل أن يكون الإنسان مرتقيًا باخلاقه لينهض بالأخرين وقد قال سبحانه ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤] نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن النباجي حيث يقول

أرفــض النـــاس وكــل مشـــغله قــد بخــل النــاس بمثــل خردلــه
لا تسأل الناس وسل من أنت له

التعليق:

وسل من أنت له أى سل رب العالمين وليكن التجاءك وسؤالك وطلبك من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ولا تذل نفسك إلى الناس ولو بمثل الخردلة نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني ابن ابي علي قال أنشدني محمد بن أبى يعقوب العبدي :

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته ... وقرت به عيناي بدلت آخرا
وذلك أني لا أصاحب صاحبا ... من الناس إلا خانني وتغيرا

التعليق:

على كل هو يعبر عما رأى لكن لا يزال فى الناس من هم أهل خير ويحفظون للصاحب صحبته وللرفيق حقه وقد يبتلى الإنسان بشيء من ذلك أو ببعض الرفقاء الذين هذا وصفهم وعلى الإنسان أن يوطد نفسه على الأخلاق العالية والمعاملة الكريمة واحتمال الأذى وإذا كان التغير مما يمكن معالجته يعمل على معالجته استبقاء للخير والود والمحبة نعم.

❁

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال قال مكحول إن كان في مخالطة الناس خير فالعزلة أسلم

❍ **التعليق:**

إن كان فى مخالطة الناس خير فالعزلة أسلم أى العزلة فيها السلامة لكن يبقى أمر ثالث وهو مخالطة أهل العلم والفضل والديانة ممن لا يجنى المرء من مصاحبتهم إلا العلم النافع والخلق الفاضل والزيادة فى التدين والصلاح فلا شك أن مثل هؤلاء خير للإنسان من العزلة وأنفع نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا علي بن سعيد العسكري حدثنا شعيب بن يحيى حدثنا أحمد النسائي حدثنا يحيى بن عبد الأعلى أن مالك بن دينار كان يقول من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره

❍ **التعليق:**

هذا كلام عظيم جدًا مالك بن دينار يقول من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين وحديث الله أى كلام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهذا الكتاب العظيم الذى هو هداية الخلق ونور القلوب وأنسها وسعادتها فى الدنيا والآخرة من لم يأنس بهذا الكتاب وأنس بحديث المخلوقين معرضًا عن كتاب الله فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره وهذا كلام عظيم جدير بالتأمل نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا محمد بن روح قال سمعت ابراهيم البخاري يقول دخلت المسجد الحرام بعد المغرب فإذا فضيل جالس فجئت فجلست اليه فقال من هذا فقلت إبراهيم قال ما جاء بك قلت رأيتك وحدك فجلست اليك قال تحب أن تغتاب أو تتزين أو ترائي قلت لا قال قم عني

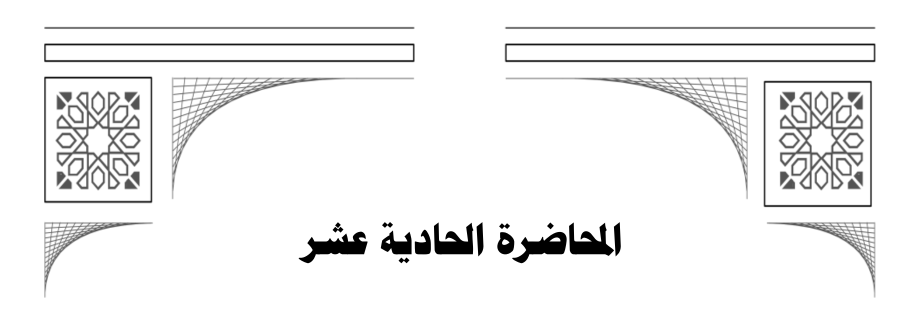
○ **التعليق:**

المراد بقوله تغتاب أو تتزين أو ترائي أن بعض الناس يكون هذا غرضه من المجالسة إما أن يجلس مثلًا إلى عالم أو فاضل وهو يريد أن يغتاب عنده أحدًا أو يتزين بذلك أو أن يدخل بضرب من ضروب الرياء والمراءاة والتظاهر بهذا العمل فقد يكون الفضيل لم يطمئن لهذه المجالسة وحذره عن بعض المقاصد التى قد تكون من بعض الناس وأتم ذلك برغبته فى البقاء جالسًا وحده وبهذا الأثر ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الترجمة وهى استحباب الإعتزال من الناس عامًا لكن هؤلاء العلماء ومن وقفنا على نقولهم فيما يتعلق بالعزلة ثمة نوع من الخلطة لم يوجد إلا فى زماننا هذا ولم يكن له فى الأزمنة الماضية أى وجود وهذا النوع من الخلطة جنى جناية كبيرة جدًا على عقول كثير من اناس وخلخل أديانهم وأوقعهم فى الكثير من الشبهات وحرك فيهم سيء الشهوات وأوجد فيهم الأفكار الرديئة والمذاهب المنحلة وجنى عليهم جنايات عظيمة جدًا وإذا كانوا يتحدثون عن هذه الخلطة التى ربما لا تكون متيسرة للإنسان بإستدامة فماذا يقال عن الخلطة التى وجدت الآن فى زماننا ولها جنايتها البالغة العظيمة أعنى الخلطة التى هى مجالسة القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية الإنترنت والله مصاب عظيم وبلاء جلل وخطب لا يعلم مدى شره إلا رب العالمين وكم تغيرت من عقول وكم فسدت من أفهام وكم

خرفت من عقائد وكم خربت من عقائد وكم خلخلت من أديان وكم أفسدت من أخلاق وكم نشرت وزرعت من شرور وعداوات وكم وكم أمور لا يعلم بها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والمصيبة أن هذه الخلطة تختلف عما سبق ربما بعض الخلطة فيما سبق يحتاج الإنسان أن يفعلها مسارقة وخفية عن الناس يجالس بعض أهل الشر ويحرص على أن لا يراه أحد من الناس ويتخوف لكن قضية القنوان والإنترنت أصبح بعض الناس يغلق على نفسه الباب فى غرفته ثم يخالط من هب ودب من السمج والهمل والضلال والمفسدين والمبتدعة وغير ذلك ويدخل فى هذا الموقع وتلك القناة وهذا المسلسل إلى آخره ويتنقل وربما فضول بعض الناس يجره إلى ورطات عظيمة ودخل على الناس من هذا الباب مفاسد سواء فيما يتعلق بالشبهات أصبح بعضهم يدخل مواقع لضلال ومبتدعة ورؤس فى الشبهات وإثارتها وهو لا علم عنده ويقول أريد أن أرى ماذا يقولون أريد أن أطلع وأوسع ثقافتى وأعرف ماذا عند الناس إلى آخره ثم يفاجىء مع مر الأيام وإذا قلبه ملوث بشبهات تلج وهو الذى أذن لها بالولوج ولا تخرج «دخل على ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجل من المبتدعة وقال أريد أن أقرأ عليك آية من كتاب الله قال أخرجوه عنى قال آية من كتاب الله قال أخرجوه عنى قيل له يا أبا عبدالرحمن إنما أراد أن يقرأ آية قال خشيت أن يطرح على شبهة تجلجل فى صدرى حتى أموت» تبقى فى صدرى ما أستطيع أن أخرجها «ومر طاووس برجل من أهل البدع ومعه ابنه إبراهيم فقال لإبنه يا إبراهيم ادخل اصبعك فى أذنيك فلما اقترب المبتدع التفت لإبنه إبراهيم وقال له أشدد» إذا كانت هذه رعايتهم فكيف الآن بالأبناء يجلس ويدخل فى القنوات ومواقع أهل البدع والضلال ويسمع لهذا ويقرأ لذاك ويطالع هنا و هناك ثم تتراكم عليه شبهات لا حد لها هذا فى باب الشبهات وأما باب الشبهات فهذا مصاب آخر يدخل بعض الشباب والشابات إلى مواقع ليس فيها إلا الفساد والفواحش والنساء المتعريات فى رقص ومجون وممارسة للفواحش

والرذيلة وينظر إلى مثل هذه المناظر وأذنه تسمع ما يقولون وعينه ترى ما يفعلون والعين والأذن منفذ للقلب ومع استمرار هذا النظر يتلوث القلب ويمرض بشبهات وشهوات لا حد لها نسأل الله أن يحفظ أولادنا وأولاد المسلمين وأن يجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميع الدعاء جَلَّ وَعَلَا وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ﮩ ◈ ﮪ



المحاضرة الحادية عشر

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر إستحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء وآخى بين عوف بن مالك وبين الصعب بن جثامة

○ **التعليق:**

هذه الترجمة ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص المراد بالمؤاخاة التآخى فى طاعة الله والعمل على تحقيق الأخوة الإيمانية كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وفى الحديث «المسلم أخو المسلم» وهذه الأخوة الإيمانية هى أوثق رابطة وأقوى صله فليس فى الصلات أوثق منها ولا فى الروابط أوثق من هذه الرابطة العظيمة رابطة الإيمان ومما يندب إليه التآخى فى الله وعليه عقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذه الترجمة استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص والمراد بالخاص أى من كان عاملا بطاعة الله مقبلًا على عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإن مثل هذا يحرص على مؤاخاته كأن يكون عرف بالعلم عرف بالعبادة أو عرف بالأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة فإن من كان كذلك يحرص على مؤاخاته وهو المراد بقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الخاص وسبق أن عقد ترجمة اعتزال العام فهذه

مقابل لها مؤاخاة الخاص أى من كان من أهل الديانة وأهل العلم والنبل والفضل فإن أمثال هؤلاء يعتنى بمؤاخاتهم ويحرص على مصاحبتهم فإن لهم الاثر البالغ على العبد فى إيمانه واستقامته وثباته على طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصدر رَحِمَهُٱللَّهُ الترجمة بحديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه قال «آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء وآخى بين عوف بن مالك وبين الصعب بن جثامة»وهذه المؤاخاة كانت فى السنة الأولى من الهجرة وهى مؤاخاة أكرمها الله المؤمنين بها فحصل من المؤاخاة فى ذلك العام ما يعد مضرب مثل فى هذا الباب وذلك أن النبى ﷺ آخى فى العام الأول من الهجرة بين المهاجرين والأنصار ومن المعلوم أن المهاجرين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وأموالهم وتجارتهم تركوا ذلك كله ورآء ظهورهم وجاءوا إلى المدينة فقراء لا يملكون شيئًا فاجتمعوا فى بيت أنس بن مالك وآخى بينهم النبى ﷺ وكان عددهم تسعين من المهاجرين والأنصار وفى ذلك المجلس آخى بينهم مثل ما ذكر طرف من أفراد هؤلاء الذين آخى النبي ﷺ بينهم فى هذا الحديث قال سلمان وأبى الدرداء وعوف والصعب فآخى بين المهاجرين أى بين مهاجرى وأنصارى ومهاجرى وأنصارى وهكذا ومن بنود هذه المؤاخاة أن يرثه فى ماله إلى أن نزل قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥] فنسخت ذلك وإلا فإنها أخوة تشمل الميراث وضرب الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأرضاهم فى تحقيق هذه الأخوة أروع مثل حتى إن الله جَلَّوَعَلَا أنزل فى ذلك ءاية تتلى فى كتاب الله فى ذكر هذه المنقبة العظيمة والخلة المباركة للأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حيث قال الله جَلَّوَعَلَا ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩] وكان من روائع هذه المؤاخاة أن الأنصارى يعرض على المهاجرى أن يناصفه فى أهله وماله أن يقسم ماله بينه وبينه بالنصف وأهله إن كان عنده مثلا زوجتين يطلق واحدة على أن يأخذها المهاجرى

فى مثل من أروع ما يكون فى تحقيق هذه الأخوة وفى ذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] هذه منة وفضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ امتن به على هؤلاء بهذا الإيمان الذى أوجد هذه الرابطة والإيمان حقا يوجد هذه الرابطة بلا ريب فإذا ضعفت الرابطة فهذا من ضعف الإيمان والإيمان يوجد هذه الرابطة بلا ريب الأخوة الإيمانية فإذا ضعفت هذه الرابطة بين أهله فهذا عائد إلى ضعف إيمانهم لأن الإيمان إذا تحقق وصح من أهله وجدت هذه الرابطة منًا على أهله وفضلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذه المؤاخاة كانت فى العام الأول من الهجرة وفى ذلك يقول بن أبى العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى منظومته الجميلة الميئية فى سيرة وهدي خير البرية عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال وفيه آخى أشرف الأخيار بين المهاجرين والأنصار وهو يعرف أيضا بعام المؤاخاة لأن هذا تم في العام الأول من الهجرة نعم.

ﮘ ◊ ﮗ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن لا يغفل عن مؤاخاة الإخوان وإعداده إياهم للنوائب والحدثان لأن من تعزى عن موضع سلوته بأخيه عند الهموم والغموم كان عقله إلى التقديح أقرب ومن النماء أنقص

التعليق:

يقول الواجب على العاقل ألا يغفل عن مؤاخاة الإخوان أى هذا أمر لا ينبغى أن يوصل عنه بل ينبغى أن يهتم به المرء لما يعود عليه من هذه المؤاخاة للإخوان من المنافع العظيمة والآثار المباركة والعوائد الحميدة وإعدادهم إياهم للنوائب والحدثان الحدثان المراد به ما ينوب الإنسان مما يكون فى الليل والنهار وتعاقب الليل والنهار فهؤلاء الإخوان لهم أثرهم على أخيهم فى الشدائد فى النوازل فى ما يعرض له من مصائب و تسلية من معونة و تسديد ورأى إلى غير ذلك ولهذا يقول لأن من تعزى عن موضع سلوته بأخيه عند الهموم والغموم كان عقله إلى التقديح أقرب ومعنى التقديح أى الظمور إلى التقديح أقرب ومن النماء أنقص فيقول هذا يعتبر من ضعف العقل وظموره ونقصه إذا لم يكن الشخص بهذه المثابة يتخذ إخوة ورسقه أحبه فى الله ومن فوائد هذه الصحبة أن الإنسان فى تصبره فى المصاب وما يلقاه مثلا من بعض الشدائد أونحو ذلك يجد فى إخوانه السلوان والمعونة والوقوف معه فى محنته وما إلى ذلك وهذه فائدة من الفوائد وإلا فإن الفوائد أعظم من ذلك وأكثر نعم.

﴿◊﴾

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني حدثنا يزيد بن خالد الرملي حدثنا سهيل أبو عمرو قال قال محمد بن واسع لم يبق من العيش إلا ثلاث الصلاة في الجماعة ترزق فضلها وتكفي سهوها وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه منه ولا لله عليك فيه تبعه وأخ محسن العشرة إذا زغت قومك

❍ **التعليق:**

وهذا الأثر الجميل جدا عن محمد بن واسع فيه فقه عظيم وفهم ووعى يقول لم يبق من العيش إلا ثلاث هذا من فقهه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وحسن نظره وإلا الفهوم فيما يتعلق بهذا الباب متباينة بحسب ما فى القلوب من الإيمان قوة وضعفًا أوعدم إيمان فيقول لم يبق من العيش إلا ثلاث الصلاة فى الجماعة انظر هو يتحدث عن العيش والهناءة واللذة والطعم الجميل فى هذه الحياة يقول لم يبق إلا الصلاة فى الجماعة ترزق فضلها وتكفى سهوها وهذا كلا م متين يدل على المكانة العظيمة للصلاة متممة مكملة مؤداة فى جماعة المسلمين ومالها عندهم من طعم ولذة وراحة للقلوب وهناءة للنفوس يقول لم يبق من العيش إلاثلاث وصدر هذه الثلاث بالصلاة فى الجماعة ترزق فضلها إذا حافظت عليها فى الجماعة فزت بالثواب العظيم الذى أعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمن يحافظ عليها فى جماعة المسلمين وتكفى سهوها أى تكفى السهو من الصلاة ولعله يشير بذلك إلى أن صلاة الإنسان فى الجماعة ولا سيما إذا كان يبكر إلى الجماعة ويحرص على المجىء مع الآذان ويأخذ مكانه فى الصف فإن مثل ذلك أبعد ما يكون عن السهو فى الصلاة شتان بين صلاة رجل هذه صفة صلاته وهذه عنايته بصلاته ورجل فى غمرة انشغاله بأعماله يقف في مكانه ويؤدى هذه الصلاة فى زحمة عمله بدون اطمئنان ودون قصد لبيوت

الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لأدائها فيها فكم يحصل فى هذه الصلاة من خلل وسهو وغير ذلك بخلاف هذا الذى يكرمه الله بأدائها فى بيوت الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الأمر الثانى قال وكفاف من معاش أى أن يحصل منه ويكون عنده منها المال من الرزق ما يحصل به الكفاف يحصل به كفايته ويحصل به غنيتة وقضاء حوائجة ومصالحة من مطعم ومسكن ومشرب إلى غير ذلك من الضروريات وكذلك الحاجيات فيقول وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه منة أى تكون حصلته بكد وتعب وعمل فضلا من الله ومنته عليك ولا يكون لأحد عليك فيه منة كأن يكون أعطاك إياها أحد فيكون له منة عليك بهذا المال قال ليس لأحد من الناس عليك فيه منة ولا لله عليك فيه تبعة وهذه أيضا مهمة فيما يتعلق بالمال وليس لله عليك فيه تبعة أى أن يكون من حلال وأن يكون أيضا صرفه فيما أحل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأى يؤدى حقه أى زكاة المال التى افترضها الله عليه فلا يكون عليه تبعة أى لا يتحمل تبعة هذا المال لأنه أخذه من حلة وصرفه فى حلة وأدى حق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيه والأمر الثالث هو موضع الشاهد لهذه الترجمة من هذا الأثر قال وأخ محسن العشرة إذا زغت قومك وهذا غنيمة إذا وفق المرء بمثله أخو محسن العشرة أن يحسن معاشرتك بالكرم والمعاملة الطيبة والأخلاق الفاضلة ومن فوائد صحبة مثل هذا إذا زغت قومك إذا زغت أى ملت وانحرفت عن الجادة وقع منك إخلال أو نحو ذلك قومك وناصحك وحذرك ولهذا صديقك كما سيأتى ليس من يتبع هواك لأن بعض الأصدقاء يتبع هوى صاحبه ينظر ماذا يهوى وهو معه ويعينه على أهوائه وشهواته هذه لا خير فيه ولكن صديقك هو الذى يناصحك ويحذرك من هوى نفسك ويأخذك إلى الجادة وصراط الله المستقيم نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجرجان حدثنا محمد بن عبد الله العصار أنبأنا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال ثلاث من اللذات محادثه الإخوان وأكل القديد وحك الجرب

○ **التعليق:**

وهذا أثر رواه عن بن المقفع قال ثلاث من اللذات وذكر أمورًا ثلاثة

الأول: محادثة الإخوان ومحادثة الإخوان فيها لذة ومجالستهم فيها لذة وفيها أنس وهى من المتع التى فى هذه الحياة الدنيا ولا سيما إذا كانت أخوتهم قائمة على الطاعة والإيمان والبر والتقوى لاشك أن محادثتهم ومجالستهم غنيمة وفى الوقت نفسه أنس وراحة ولذة

الثانى: أكل القديد و هو اللحم الذى يجعل على شرائح ويجفف ويملح فقال وأكل القديد وحك الجرب والجرب يترتب على وجوده فى بدن الإنسان آلام له وإيذاء له فإذا حكه أحس بشيء من الراحة لكن عندما يتكلم يعنى هنا عن اللذات يعنى فى بعض ذلك ذكر أمورا هى من أقل ما يذكر فى هذا الباب والعافية مثل هذه الأمور والسلامة منها فالعافية منها والسلامة مطلب للمسلم وهو يسأل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ المعافاة فذكر ذلك فى اللذات المسلم يسأل الله العافية من مثل ذلك ولا شك أن من كان مصابا بشيء من ذلك إذا حكه شعر بشيء من الراحة نعم .

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران الضبى

ومـــا المـــرء إلا بإخوانـــه … كمـا نقـبض الكـف بالمعصـم
ولا خيـــر في الكـــف مقطوعـــه … ولا خيـــر في الســـاعد الأجـــذم

○ **التعليق:**

فى هذين البيتين يوضح الناظم مكانة الأخوة ويضرب عليها هذا المثل الجميل بعد أن بين أن المرء بإخوانه بأن إخوانه الصادقين فى الأخوة هم من يسددونه من يعينونه من يشدون من أزره من يناصحونه فما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكف بالمعصم هذه الكف وهذا المعصم يعنى أنها أخوة وثيقة ورابطة عظيمة كما تقبض الكف بالمعصم ثم يقول ولا خير فى الكف مقطوعة مفصولة عن اليد ولا خير فى الساعد الأجذم أى المقطوعة منه اليد فهذا فيه تصوير لمكانة الأخوة الإيمانية ومالها من الأثر العظيم على الإخوان نعم.

❧◈❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن لا يعد في الأدواء إخاء من لم يواسه فى الضراء ولم يشاركه في السراء ورب أخى إخاء خير من أخي ولادة ومن أتم حفاظ الأخوة تفقد الرجل أمور من يوده والود الصحيح هو الذي لا يميل إلى نفع ولا يفسده منع والمودة أمن كما أن البغضاء خوف

التعليق:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ الواجب على العاقل ألا يعد فى الأدواء إخاء من لا يواسه فى الضراء ولم يشاركه فى السراء ورب أخى إخاء خير من أخى ولادة مثل ما قيل(رب أخ لك لم تلده أمك)أى أخوته لك الإيمانية أوثق من أخوة أخيك من نسبك وترى منه من معانى الإيثار والمحبة والوفاء ما لا تجده أو بعضه من أخيك من الولادة ولهذا قيل (رب أخ لك لم تلده أمك)أى لجمال أخوته ووفائه وحسن عنايته بهذه الأخوة وقوله من أتم حفاظ الأخوة تفقد الرجل أمور من يودهم هذه من الأمور التى تتم بها الأخوة أن الإنسان يتفقد أمور أخيه من حاله من صحة من فقر من كذا يتفقده حتى يعمل على تحقيق ما تقتضيه هذه الأخوة من معونة لأخيه قال والود الصحيح هو الذى لايميل إلى نفع يعنى ليست العلاقة التى هى الأخوة الإيمانية علاقة نفعية ترتبط بمنافع دنيوية أو مصالح يؤاخيه لمصلحة إن حصلت وإلا ترك تلك الأخوة ولهذا بعض الناس عندما يبتلى مثلا بمنصب فى الرئاسة أو إدارة يكثر إخوانه يكثر من يشير له بالأخوة والمحبة إلى آخر وإذا انتهى من الرئاسة لم يجد منهم أحد إلا من قل فتكون هذه الأخوة وإظهارها مرتبط بذاك العمل والهدف من تلك المصلحة ولهذا يقول الود الصحيح هو الذى لايميل إلى نفع يعنى لا يقصد صاحبه بمؤاخاة هذا منفعة دنيوية يطمع فيها من وراءه وإنما حب لله وأخوة فى الله

وتعاون على طاعة الله ولا يفسده منع يعنى لو احتاج من أخيه شيء واعتذر لحاجته لذلك الشيء أو لظرف معين يلتمس له المعاذير ولا يفسد المنع تلك الأخوة لا يقول أن أنا آخيت وصاحبت وفعلت ولما احتجت فى الأمر الفلانى منعنى إذا أقاطعه لا يفسده منع بل ألتمس لأخى المعاذير ولا يفسد منعه هذه الأخوة والمودة أمن كما أن البغضاء خوف المودة أمن أى تحدث بين المتحابين أمن وارتياح ولاحظ هذا الإرتباط بين الأخوة الإيمانية والأمن لأن الإيمان يحقق الأمن ومنه الأخوة فالإيمان يحقق الأمن قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] نعم.

ﮢﮣﮤ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعاقل لا يواخي إلا من خالفه على الهوى وأعانه على الرأي ووافق سره علانيته لأن خير الإخوان من لم يناقش كما أن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار والمستوخم لا يؤلف كما ان غير الثقه لا يود فمتى ما آخى المرء من لم يصافه بالوفاء يجب الاستظهار عليه بمن يسليه عنه لأن التودد ممن لا يود يعد ملقا ولا يفوت الإنسان في الأخوة أحد رجلين إما أريب قصر في حقوقه فاغتاله بمكر وإما جاهل لم يصافه فيؤذيه بسوء معاشرته وصيانة الأخوة ليست إلا في الإستغناء عن الإخوان

○ **التعليق:**

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ العاقل لا يؤاخى إلا من خالفه على الهوى وأعانه على الرأى وهذا كلام جميل جدا لا يؤاخى إلا من خالفه على الهوى وأعانه على الرأى هذا أخوة صادقة أما الذى يعين على الهوى هذا مضرة للإنسان ورفقاء السوء هذا شأنهم يعينون الإنسان على الهوى ويصدونه عن الهدى ففى الأهواء يشدون من أزره ويعينونه ويشجعونه وإذا مال إلى استقامة وإلى التدين أخذوا يثنونة عن ذلك وهؤلاء شر عظيم على من يصاحبهم فليس الأخ من يكون كذلك قال لايؤاخى إلا من خالفه على الهوى إذا مال إلى أهواء نفسه وحظوظها المحرمة نهاه وحذره وقال له اتقى الله فهذا أخ صادق أعانه وخالفه على الهوى وأعانه على الرأى إذا كانت أمور صحيحة يعينه عليها ووافق سره علانيته قال لأن خير الإخوان من لم يناقش يعنى ليست الأخوة جدل وخصومات ولجج ليس كما قال لأن خير الإخوان من لم يناقش الأخوة الإيمانية مبنية على الصفاء والوفاء والمعونة على الخير والدلالة إلى الخير كما أن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار لأن ثناء هؤلاء يكون ناشيء عن دراية وعن بصيرة أما ثناء الأشرار فهذا مما لا يحمد بل يخشى منه إذا كان الإنسان يثنى عليه الأشرار ويمدحونه هذا يخشى عليه والثناء المعتبر المحمود هو ثناء الأخيار والأشرار إنما يثنون على الشخص فى مطمع

معين يودونه أو يرجونه من ورائه أو لموافقتهم فى أشياء أو إغضائه عنهم أو نحو ذلك فثناء الأشرار ليس مما يفرح به والمستوخم لا يؤلف المستوخم هو الإنسان الثقيل الذى لا يؤمن مضرته على صاحبه من الوخم الذى هو متلوث به فمن كان كذلك لا يؤلف لأنه يخشى على من يصاحبه أن يصيبه ما أصاب هذا المستوخم من الوخم كما أن غير الثقة لا يود لأن غير الثقة غير مأمون الجانب فمتى ما آخى المرء من لم يصافه بالوفاء يعنى إذا ابتلى بمن هذه صفته يجب الإستظهار عليه بمن يسليه عنه يقصد أنه إذا ابتلى الإنسان برفقة ممن لا خير فيهم وليس فيهم صفاء ولا وفاء ويريد أن يتخلص منهم الطريقة المثلى هى التى أشار إليها الإستظهار عليه بمن يسليه عنه يعنى يتخذ رفيقا صالحا ويؤاخيه ويسليه عن ذلك الرفيق لأن الإنسان بحاجة إلى أخ له فإذا كان آخى شخصا ولم ير منه الصفاء بل رأى منه الشر فليتخذ صديقا آخر ورفيقا آخر يسليه عنه ويكون معونة له على الخير قال لأن التودد ممن لا يود يعد ملقا والملق هو أن يظهر الإنسان بلسانه ودا ومحبة ونحو ذلك والقلب ينطوى على خلافه قال ولا يفوت الإنسان فى الأخوة أحد رجلين إما أريب قصر فى حقوقه فاغتاله بمكر وإما جاهل لم يصافه فيؤذيه بسوء معاشرته وهذا يذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على وجه التنبيه لأن قد يبتلى بهذا أو ذاك وصيانة الأخوة ليست إلا فى الإستغناء عن الإخوان ولعل المراد والله أعلم الإستغناء عن الإخوان أى عما في أيديهم مثلما جاء فى الحديث» إزهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس» وسيأتى إشارة إلى هذا المعنى أن الذى يثقل على إخوانه يمللهم ويفجرهم وربما نفروا منه بينما الذى يزهد فيما فى أيدى الإخوان هذا مما يحقق الأخوة ويمكنها وصيانة الأخوة ليست إلا فى الإستغناء عن الإخوان ليس المراد الإستغناء عن الإخوان أنفسهم لأنه هو هذه الصيانة للأخوة نفسها فالمراد صيانة الأخوة بالزهد فيما فى أيدى الإخوان «ازهد فيما أيدى الناس يحبك الناس»نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن العباس بن عبيد بن يعيش حيث يقول

كم من أخ لك لم يلده أبوكا — وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صاف الكرام إذا أردت إخاءهم — وأعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا
كم إخوة لك لم يلدك أبوهم — وكأنما آباءهم ولدوكا
لو كنت تحملهم على مكروهة — تخشى الحتوف بها لما خذلوكا
وأقارب لو أبصروك معلقا — بنياط قلبك ثم ما نصروكا
الناس ما استغنيت كنت أخا لهم — وإذا افتقرت اليهم فضحوكا

التعليق:

هذه الأبيات فيها ذكر معانى جميلة فى الأخوة ومكانتها وأن الأخوة الإيمانية أخوة الصفاء والوفاء والمحبة قد ترتقى إلى أن تكون أبلغ من الأخوة فى النسب ولهذا يقول كم من أخ لك لم يلده أبوكا لكن بينك وبينه اخوة عظيمة جدا وصلة متينة كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا وقد يكون أخ لك من النسب ويجفوك يعنى يعاملك بالجفاء ويسيء إليك ويعاديك ويكون منها الشنئان والبغض إلى غير ذلك صافى الكرام إذا أردت إخاءهم لأن الأخوة لا بد فيها من هذا الصفاء الصدق الوفاء والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا علم منك صدقك مع إخوانك فى صفاء القلب ونقاءة وحسن الأخوة معهم من عليك بإخوة يبادلونك هذا الصدق يبادلون الوفاء بالوفاء والإخاء بالإخاء صافى الكرام إذا أردت إخاءهم واعلم بأن أخ الحفاظ أخوكا لا بد أن يعمل على حفظ هذه الأخوة وصيانتها ورعايتها كم من إخوة لك لم يلدك أبوهم وهم إخوة لك وأبوهم لم يلدك لكن الأخوة التى بينكم أخوة دينية وكأنما أبائهم ولدوكا لو كنت تحملهم يعنى من قوة هذه الأخوة التى

بينك وبينهم لو كنت تحملهم على مكروهة تخشى الحتوف أى عليك وعليهم بها لما خذلوكا أى لوقفوا معك جنبا إلى جنب وفى الوقت نفسه ربما بعض أقاربك يخذلونك عن مثل هذا قال وأقارب لو أبصروك معلقا بنياط قلبك ثم ما نصروكا فأخ الصفاء والوفاء يقف معك وربما إخوانك أو بعض أقاربك يتخلون عنك ولا يقفون معك الناس ما استغنيت كنت أخا لهم وهذا يشير للمعنى الذى مر معنا الناس ما استغنيت أى استغنيت عما فى أيديهم وعرفوا أن مؤاخاتك لهم ليست من ورائها مطامع دنيوية أو حدوث دنيوية حسوا منك بصدق المؤاخاة الناس ما استغنيت كنت أخا لهم وإذا افتقرت إليهم فضحوكا نعم.

ﷺ ◊ ﷺ

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الآ ثر يروي أخبرنا القطان بالرقة حدثنا أحمد بن اسماعيل السنى حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال دخلت على قتادة وأنا ظمآن وفي الحجرة حب ماء فقلت أشرب من مائكم هذا قال أنت لنا صديق قال أحمد قال عبد الرزاق يتأول القرآن ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١] **يقول لا يستأذن**.

❍ التعليق:

هذا الأثر يرويه عبد الرزاق الصنعانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيخه معمر قال دخلت على قتاده وأنا ظمئان أى عطشان وفى الحجرة حب ماء أى زير وهو معروف يصنع من الفخار والماء إذا جعل فيه يكون باردا فيقول فى الحجرة حب ماء فقلت أشرب من ماءكم هذا يستأذن قال أنت لنا صديق قال أحمد قال عبدالرزاق يتأول القرآن ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ **[النور: ٦١]** يقول لا يستأذن يعنى أنت صديق لنا إشرب مثل ما يقال (المحل محلك) إشرب فقال أنت لنا صديق أى لا يحتاج أن تستأذن نعم.

༄◊༄

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا علان بن المغيرة البصري حدثنا عمرو الناقد حدثنا ابن عيينه عن أيوب السختياني أنه قال يزيدني حرصا على الحج لقاء إخوان لي لا ألقاهم بغير الموسم

التعليق:

انظرهذه المكانة للأخوة فى النفوس والتلاقى بالإخوان وأحيانا يكون للإنسان إخوة لم يرهم بعينه لكن له معهم أخوة صادقة وهو لم يرهم ولم يلقهم والحج يعتبرونه فرصة ثمينة للقى الإخوان والإلتقاء بهم قال أيوب «يزيدنى حرصا على الحج لقاء إخوان لى لا ألقاهم بغير الموسم» وهذه من ثمار الحج وآثاره المباركة كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨] فمن منافع الحج هذه المنفعة ومنافع الحج كثيرة وعديدة ومتنوعة يقول الذهبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى سير أعلام النبلاء«لقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون الحج وما المحرك لهم سوى لقيء سفيان بن عيينة لإمامته وعلو إسناده» إذكر مرة فى أعوام مضت رأيت رجلا فى المدينة متجهًا إلى الحج عليه إحرامه رأيته فى الميقات ويظهر على وجهه فرح عظيم ثم أخذ يعبر لى عن فرحه وسبب الفرح يقول لى الحمد لله أظنه من الجمهوريات الإسلامية إن لم أكن نسيت يقول الحمد لله الذى جئت الحج الحمد لله الذى جاء بى إلى الحج سأرى ابن باز الله أكبر وفرح جدا يعنى بهذاالمجيء فهذا جعله يعنى من الأهداف العظيمة التى قامت فى قلبه وفرح فرحا عظيما بهذا المجيء نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من المؤاخاة ليس الاجتماع والمؤاكلة والمشاربة لأن البغال والحمير تجتمع على المؤاكلة والمشاربة والسراق يداخلون الرجال على التقارف ولا يزدادون بذلك مودة ولكن من أسباب المؤاخاة التي يجب على المرء لزومها مشي القصد وخفض الصوت وقلة الإعجاب ولزوم التواضع وترك الخلاف

○ **التعليق:**

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من المؤاخاة ليس الإجتماع على والمؤاكلة والمشاربة يعنى ليس للمؤاخاة مجرد الجلوس والمزاح والأكل والشرب وإن كان هذا هو مقصد كثير من الناس فى التآخى يسلى بعضهم بعضا وأكل وشرب ويتفرقون يقول البغال والحمير تجتمع على المؤاكلة والمشاربة تجتمع على الأكل والشرب واللعب لكن الإنسان ينبغى أن يكون لمؤاخاته ومجالسته للإخوان بمعنى آخر ليس مجرد أكل وشرب ولعب يعنى بعض الناس هذا هدفه بلقاءه بإخوانه يأكل ويشرب ويلعب وانتهت انتهى المجلس لا الأخوة أشرف من ذلك ويتميز بها المؤمن قال لأن البغال والحمير تجتمع على المؤاكلة والمشاربة قالوا والسراق يداخلون الرجال على التقارف أى للإثم والباطل والعدوان ولا يزدادون بذلك مودة أى لسوء مقصدهم وفساد طويتهم ولكن من أسباب المؤاخاة التى يجب على المرء لزومها مشى القصد والقصد هو التوسط كما قال الله تعالى ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ [لقمان: ١٩] والمشى القصد هو ليس بالسريع المندفع ولا البطيء المتماوت وإنما وسط بين ذلك مشى القصد وخفض الصوت ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ [لقمان: ١٩] خفض الصوت وقلة الإعجاب يعنى يجتهد على طرد العجب لأن العجب لا يزال يتسلل الإنسان بين

وقت وآخر كل ما رأى شيئا جميلا أو موقفا حصل له أو نحو ذلك يبدأ العجب يتسرب إلى قلبه فيحتاج الإنسان إلى معالجة لذلك وإبعاد له ولزوم التواضع قد مر معنا باب خاص بذلك وترك الخلاف يعنى يبتعد عنه مثل ما عبر سابقا المناقشة والمماراة والجدال ونحو ذلك وإن كان لزم الأمر فى مقام ما بدون جدال وبدون مماراة وإنما يذكر الفائدة بهدوء ورفق وأسلوب لين تصل الفائدة ويتحقق المقصود ويبتعد عن المرآت لأن بعض الناس يريد أن يوصل الفائدة لأخيه لكن يقلب المجلس مع أخيه إلى جدل مضر به وبأخيه ويقوم من ذلك المجلس وقد أصابهم الشنئان والعداوة وكل أصبح فى نفسه على أخيه شيء هذا مما لا خير فيه لكن إذا كان ثمة فائدة أو نصيحة يوصلها لأخيه برفق وإذا أراد أن ينظر الإنسان من رفق فى هذا الباب وهذه فائدة مهمة إذا أراد أن ينظر من رفق ليتصور نفسه هو المخطيء ليتصور نفسه أنه هو المخطيء وأنه سيعالج فى خطأ ما الذى يحب لنفسه فما أحبه لنفسه فليعامل به غيره وما لا يحبه لنفسه ليتجنب معاملة الآخرين به والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويأتى لإخوانه الشيء الذى يحب أن يأتى إليه نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيبرمهم لأن المرضع إذا كثر مصه ربما ضجرت أمه فتلقيه

❍ **التعليق:**

يقول لا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات يعنى أحيانا يحس بعض الناس من إخوانه أنهم يساعدونه وحاجته يقضونها إلى آخر فيكسر عليهم المؤونات يبدأ يطلب أعطنى كذا أحضرلى كذا اذهب وافعل لى كذا إلى آخره يكثر المؤونات إذا أكثر المؤونات ما الذى يحصل؟ قال يبرمهم أى يملون منه يضجرون يتضايقون ربما أيضا ينفرون فيقول لا يكثر عليهم المؤونات فيبرمهم أى يحدث لهم ملل وضجر منه ثم ضرب سبحان الله مثل طريف ضرب مثل طريف يوضح هذا الأمر يقول لأن المرضع يعنى الطفل الرضيع إذا كثر مصه من ثدى أمه ربما ضجرت أمه فتلقيه مع حبها له وحرصها على رضاعته لكن إذا أكثر من المص من ثديها ضجرت منه وألقته فى الأرض يعنى تركته فى الأرض إذا أكثر من ذلك وهذا مثل حقيقة جميل جدا جميل وامتزاعه هنا فى هذا الموقع مثالا من أجمل ما يكن نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا ينبغي لمن قدر أن يمنع أخاه شيئا يحتاج اليه ليجبر به مصيبته أو يفرج به كربته والعاقل لا يؤاخي لئيما لأن اللئيم كالحية الصماء لا يوجد عندها إلا اللدغ والسم ولا يصل اللئيم ولا يؤاخي إلا عن رغبه أو رهبة والكريم يود الكريم على لقية واحدة ولو لم يلتقيا بعدها أبدا

التعليق:

يقول لا ينبغى لمن قدر أن يمنع أخاه شيئا يحتاج إليه من قدر يعنى عنده قدرة مثلا مالية أو مقدرة على مساعدة أخيه أو مقدرة حتى بدنية يساعده مثلا فى حمل متاع له أو رفعه أو نحو ذلك فلا ينبغى لمن قدر أن يمنع أخاه شيئا إحتاج إليه ليجبر به مصيبته أو يفرج به كربته وليحب لإخوانه ما يحبه لنفسه«والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» والعاقل لا يؤاخى لئيما لماذا؟ قال لأن اللئيم كالحية الصماء والحية الصماء هى الداهية العظيمة وهى التى إذا كانت بسفح الجبل ما يقرب لها أحد من دهائها وخطورتها قال كالحية الصماء لا يوجد عندها إلا اللدغ والسم إذا المكان الذى هى فيه هل يقرب له الإنسان؟ أبدا فاللئيم كذلك ما عنده إلا الأذى وجحد الجميل وتنكر الإحسان ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ «الكريم يود الكريم على لقية واحدة» لقية واحدة التقاء واحد ولهذا بعض الناس تجده يقول والله إننى أحببته الآن وما رأيته إلا مرة فى حياتى بل أبلغ من ذلك أحيانا تكون أخوة بدون لقى مما يسمع يعنى عنه ويذكر له عنه فيقع فى قلبه حب له هو لم يره «الكريم يود الكريم على لقية واحدة» ولو لم يلتقيا بعدها أبدا أى ولولم يحصل بعد ذلك لقاء أبدا تبقى هذه الأخوة وإن تباعدت الديار لا تتباعد القلوب نعم.

○ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

حدثنا البجيرى عمر بن محمد الهمدانى حدثنا محمد بن سهل بن عسكر حدثنا سعيد بن كثير بن عفير حدثنا الفضل بن المختار عن أبى حمزة عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال «إن من أفضل الحسنات تكرمة الجلساء»

○ **التعليق:**

تكرمة الجلساء بإكرامهم والتلطف معهم وملاقتهم بالكلام الجميل واللقاء الطيب والإحسان إليهم فهذا من أفضل الحسنات وهذا أيضا فيه تنبيه من ابن عباس أن هذا باب من أبواب التقرب إلى الله عز وجل بما يطمع الإنسان فيه بالمثوبة والأجر يكرمهم لا لشيء يرجوه منهم وإنما لشيء يرجوه من الله مثوبة وأجرا نعم.

❧◊☙

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يونس بن عبيد أنه أصيب بمصيبة فقيل له ابن عوف لم يأتك فقال إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يضره أن لا يأتينا

○ **التعليق:**

يعنى أنظرالآن إلى جمال التلمس بالمعاذير بعض الناس في مثل هذا الموقف يستاء من أخيه وربما أيضا قاطعه يقول أنا في المصاب الفلاني ويعلم عنى ولم ياتني مع أنه قد يكون مثلا لم يعلم قد يكون أيضا يمر بمصاب آخر قد قد فيه احتمالات فالتماس المعاذير للإخوان أبقى للصفاء وانظر يونس بن عبيد فى مقولته عندما قيل له ابن عوف لم يأتك قال «إذا وثقنا بمودة أخينا لم يضره أن لا يأتينا» ما دام أننا نعرف منه صدق الأخوة لا يضره ولا سيما إذا كان للإنسان ظرفه فى عدم الإتيان أحيانا يكون لا يعلم ولم يبلغ أويكن عند ظرف معين لا يتمكن فالتماس المعاذير من الأمور التى تبقى الأخوة نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ويراعي محوها إن بدت منه ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة لأن من استصغر الصغير يوشك أن يجمع اليه صغيرا فإذا الصغير كبير بل يبلغ مجهوده في محوها لأنه لا خير في الصدق إلا مع الوفاء كما لا خير في الفقه إلا مع الورع وإن من أخرق الخرق التماس المرء الإخوان بغير وفاء وطلب الأجر بالرياء ولا شيء أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له وصنيعة تصطنع عند من لا يشكرها

❍ **التعليق:**

يقول فيما يتعلق بالجفاء أحيانا تحصل مواقف معينة فيترتب عليها وجود جفوة والجفوة أول ما تقع تكون ماذا صغيرة والجفوة أول ما تقع الجفوة تكون صغيرة فيقول العاقل يراعى محوها إن بدت الجفوة يراعى محوها أن يعمل على إزالتها ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة بل يسارع إلى محوها ولا يقول هذه جفوة يسيرة وسأسكت عنها بل يحرص على محوها وإن كانت صغيرة لماذا؟ قال لأن من استصغر الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرا فإذا الصغير كبير فإذا ينبغي عليه إذا بدأت الجفوة أن يحرص على إزالتها وهذا من الفقه فقه الأخوة واستبقائها واستدامتها أن إذا بدأت الجفوة يحرص على محوها وإزالتها لأنه إن لم يحرص على ذلك الصغير يكبر نعم.

❊❊❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الخلادي قال أنشدني محمد بن محمد البكري

أحـــذر مـــودة مـــاذق خلـــط المـــرارة بـــالحلاوة
يحصـــى الـــذنوب عليـــك أيـــام الصـــداقة للعـــداوة

التعليق:

يقول الناظم احذر مودة ماذق والمذق هو الخلط فاخذر مودة ماذق أى هذا شأنه الخلط خلط المرارة بالحلاوة يعنى خلط السيء بالرديء والطالح بالصالح والداء بالدواء يحصى الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوة يعنى احذر هذا الصديق الذى ليس فيه صفاء وليس فيه صدق ومودة يحصى الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوة يعنى الذنب الذى يقع والتقصير الذي يقع ما يتركه يحصيه بمعنى أنه يحفظه وربما يكتب بعضهم لماذا إذا جاء وقت العداوة استخرج المحفوظ إن كان حافظته قوية اكتفى بها وإن كانت ضعيفة يدون حتى إذا حصل هذا يبدأ ينفر اليوم الفلانى التاريخ الفلانى إلى آخره نعم.

৯◊൦

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن ابراهيم البصري بصور لنفسه

لا يغرنـــك صـــديق أبـــدا ۞ لـــك في المنظـــر حتـــى تخبـــره
كـم صـديق كنـت منـه في عمـى ۞ غـــرني منـــه زمانـــا منظـــره
كـــان يلقـــاني بوجـــه طلـــق ۞ وكـــلام كـــاللآلي ينثـــره
فـــإذا فتشـــته عـــن غيبـــه ۞ لـــم أجـــد ذاك لـــود يضـــمره
فـــدع الإخـــوان إلا كـــل مـــن ۞ يضـــمر الـــود كمـــا قـــد يظهـــره
فـــإذا فـــزت بمـــن يجمـــع ذا ۞ فاجعلنـــه لـــك ذخـــرا تـــذخره

التعليق:

فى الحديث يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» أى أن هذا المقام مقام الخلة والمؤاخاة يحتاج إلى فقه وتفقه كما قال بعض السلف «من فقه الرجل مأكله ومشربه وممشاه» فهذا مقام يحتاج إلى فقه مثل ما يتفقه الإنسان فى الطعام ويعرف هذا حلال أم حرام أم فيه شبهه وكذلك الشراب و الممشى» ولهذا أيضا قال بعض السلف ولعلها الحسن «ليس للمرء أو للمؤمن أن يمشى مع من شاء» فإذا هذا الباب يحتاج إلى فقه ومعرفة بالإخوان وخصالهم وخلالهم وبناء على ذلك تكون الأخوة ومن أهم العمد فى هذا الباب الصلاة من أهم العمد والركائز فى هذا الباب الصلاة والمحافظة عليها فى جماعة المسلمين وهذا ميزان يومه متكرر خمس مرات فى اليوم والليلة فإذا رآه محافظا على الصلاة متخلقا بالأخلاق الفاضلة حريصا على النفع والفائدة يحسن المعاملة إلى غير ذلك من الصفات يحرص عليه وإذا وجده بخلاف ذلك فإنه يحرص على اجتنابه وبعد مقدمات يحذر فيها من الإغترار بمن يتظاهر بالصداقة ويبطن خلاف

ذلك قال دعا الإخوان إلا كل من يضمر الودة كما قد يظهره أى مثل هذا إذا ظفرت به فاحرص على مصاحبته نعم.

๑◊๑

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى المكي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال وضع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للناس ثمانية عشر كلمة كلها حكم قال ما كافأت من يعصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا ومن تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن ومن كتم سره كانت الخيره في يديه وعليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ولا تعرض لما لا يعنيك ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يحب لك نجاحها ولا تصحبن الفاجر فتعلم فجوره واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله وتخشع عند القبور وذل عند الطاعة واعتصم عند المعصية واستشر في أمرك الذين يخشون الله فإن الله يقول ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨]

التعليق:

هذه وصايا عظيمة تروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه قال وضع عمر للناس ثمان عشرة كلمة كلها حكم قال ما كافئت من يعصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وهذا كلا م جميل جدا من يعصى الله فيك فلا تعصى الله

أنت فيه وإنما أطع الله فيه وطاعة الله فيه أن تعامله في ما حصل منه تجاهك في حدود الشرع دون تجاوز أو تعدى وأنت مخير بين أمرين إما أن تأخذ بحقك كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ [النحل: ١٢٦] أوأن تعفوا هذا أكمل وأفضل فى حقك أما أن تظلمه وتعتدي عليه ونحو ذلك فإنه لا يجوز وكونه عصى الله فيك لايخولك فى أن تعصى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فيه وضع أمر أخيك علي أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك أي يضطرك فضع أمر أخيك على أحسنه يعنى ضعه على أحسن المحامل حتى يأتيك ما يضطرك إلي أن تنتقل عن ذلك ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا أى كلمة تصدر من أخيك المسلم لا تحملها علي أسوأ المحامل بل إبحث عن أحسن المحامل وأحملها عليه ولأن تخطيء في حمل كلام أخيك على محمل حسن خير لك من أن يكون خطأك فى حمله على محمل سيء ومن تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن أى أن الواجب على الإنسان أن يتجنب مواطن الريبة وأن يحرص على أن لا يستجلب لعرضه ما يشينه وفى الحديث «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» ومن تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن ومن كتم سره كانت الخيرة في يده لأن السر كما يقال إذا جاوزالإثنين شاع ما المراد بالإثنين؟ بعضهم يقول الإثنين أى الشخص و شخص آخر يحبه وبعضهم يقول لا يجاوز الإثنين أي الشفتين فإذا ضاق صدرك بسرك فأفشيته فأن يضيق بها صدور الآخرين من باب أولى فإذا كان الإنسان كتم سر نفسه فهو بيده الخيرة لكن إن أخرجه أصبحت الخيرة ليست بيده بل شاركه آخر في ذلك ومن كتم سره كانت الخيرة في يده وعليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم أي إلزمهم واحرص على مصاحبتهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق والصدق منجاة كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾

[التوبة: ١١٩] ولا تعرض لما لا يعنيك كما قال عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلا عما لم يكن وهذا أيضا كلام جميل يعنى بعض الناس يسأل أسئلة افتراضية لأشياء لم تكن وأمور كثيرة من أمور دينه يجهلها ولا يسأل عنها ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يحب لك نجاحا إذا علمت من شخص لا يحب لك الخير ولا يحب لك النجاح فليس من العقل ولا من الحكمة أن تعرض عليه حاجتك ولا تصحبن الفاجر فتعلم فجوره لعلها تعلم فجوره أي تتعلم منه بسبب صحبته الفجور واعتزل عدوك أي بمجانبته والبعد عنه والحذر منه واحذر صديقك إلا الأمين إلا من كان مؤتمن في صحبته ولا أمين إلا من خشي الله وهذا كلام جميل ولا أمين إلا من خشي الله أي من علم عنه ذلك وتخشع عند القبور أي بتذكر أن مآلك سيكون في حفرة من هذه الحفر وأن هؤلاء الذين في الحفر كانوا يوما مثلك يمشون على الأرض تخشع عند القبور وذل عند الطاعة أي أحرص على الخشوع والخضوع عند قيامك بالطاعة واعتصم أي بالله عند المعصية محاذرة وابتعاد عن المعصية خوفا من الله سُبۡحَانَهُ‌وَتَعَالَىٰ واستشر في أمرك الذين يخشون الله أي لا تستشر كل أحد وإنما استشر من كانوا كذلك أهل الخشية قال فإن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [فاطر: ٢٨] نعم.

๑◈๑

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يواخي إلا ذا فضل في الرأي والدين والعلم والأخلاق الحسنة ذا عقل نشأ مع الصالحين لأن صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال ورأس المودة الأسترسال وآفتها الملالة ومن أضاع تعهد الود من إخوانه حرم ثمرة إخائهم وآيس الإخوان من نفسه ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد الود بوشك أن يبقى بلا أخ كما أن من ترك نزع الماء إشفاقا على رشائه يوشك أن يموت عطشا والعاقل يستخبر أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ومن أصح الخبرة للمرء وجود حالته بعد هيجان الغضب

○ **التعليق:**

من أصح الخبرة للمرء وجود حالته بعد هيجان الغضب فكل عاقل يستخبر أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم وهذا المعنى مر معنا ومن أصح الخبرة للمرء يعنى الإختبار وجود حالته بعد هيجان الغضب وهو موطن من المواطن التي تكتشف فيها الأخلاق الغضب موطن من المواطن التى تكتشف فيها الأخلاق حتى الإنسان يكتشف فيها خلق نفسه أى فى حالات الغضب فيقول ومن أصح الخبرة للمرء أي أصح المواقف التي تختبر فيها المرء حتى تختبر فيها نفسك وجود حالتة بعدهيجان الغضب إذا هاج الغضب كيف يصنع فبعض الناس في الغضب ما يملك نفسه لا يملك لسانه ولا يملك حواسه وبعضهم يوفقه الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ويملك نفسه عند الغضب فهذا الموطن من المواطن التي تكتشف فيها الأخلاق نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا عبد الله بن الضحاك الهدادي حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال قال لقمان لابنه يا بني إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه قبل ذلك فإن أنصفك عند غضبه وإلا فدعه

التعليق:

هذا ينسب إلى لقمان الحكيم والله أعلم بصحة هذه النسبة لكن قوله إذا أردت أن تآخى رجلا فأغضبه قبل ذلك هذا لا يستقيم ولا ينبغي أن يكون ذلك لكن المواقف هي بنفسها التي تكشف عما الإنسان مثلا يغضب أخاه مثلا يكتشف مثلا حالته عند الغضب أو يستهزئ به ليكتشف صبره أوغيرذلك هذا كلا مما لا يليق وبعض الناس فعلا يفعل ذلك يعنى يستهزئ بشخص وليس مراده ذات الإستهزاء وإنما يقول أردت أن نعرف كيف يكون موقفك وكيف احتمالك أو مثلا يغضبه ليكتشف هذا كله مما لا ينبغي لكن المواقف هي التي بنفسها تكشف فحال الغضب الإنسان إذا حصل له موقف مغضب سواء معه او مع غيره فإن هذا من أصح ما يكون به الإختبار من المرء كما تقدم نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن صالح الطبري حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا داود عن يحيى بن اليمان عن أبيه عن سفيان قال أصحب من شئت ثم اغضبه ثم دس إليه من يسأله عنك

التعليق:

هذا نظير ما سبق مما ينسب إلى لقمان والقول فيه كما تقدم والله أعلم نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من لم ينصفك عند غضبه لم تودك أيامه وليس الصديق كالمرأة يطلقها المرء إذا شاء والجارية يبيعها متى أحب لكنه عرضه ومروءته فالتثبت والاتئاد أولى به من التهاجر والانقطاع ومن غاب عنه أخوه فلا يغب عما يجب له عليه وليكثر منهم عدة للشدائد لأن الشعر مع دقته إذا جمع عمل منه الحبل الغليظ الذي يقهر الفيل المغتلم ولا يصلح أن يكون رفيقا من لم يزدرد ريقا

❍ **التعليق:**

يعنى هذا في المعنى ينبه فيه أن الذي ينبغي على الصديق أن يتغاضى عن عيوب إخوانه وأصدقائه ولا يوجد صديق بلا عيب وبلا خطأ كل بنى آدم خطاء فلا ينبغي للإنسان أن يتخذ من أخطاء إخوانه سببا للقطيعة لأن كل بنى آدم خطاء فلا بد من الخطأ فالتثبت والإتئاد أولى به من التهاجر والإنقطاع والأخطاء يحرص على معالجتها لكن وجودها لا يجعله سبب للقطيعة ثم ينبه على أن أهمية الإخوان والإستكثار منهم الإخوة الصالحين بهذا المثال قال الشعرة مع دقتها إذا جمع الشعر مع دقته إذا جمع عمل منه الحبل الغليظ أما الشعرة الواحدة رقيقة لكن أخرى وثانية وثالثة يعمل منه الحبل الغليظ ولا يصلح أن يكون رفيقا من لم يزدرد ريقا يعنى لا بد أن يمر بعض المواقف من بعض الإخوان تجعل الإنسان يزدرد ريقا أي من تألمه للموقف الذي حصل ومن لم يتغاضى عن عيوب إخوانه عاش بلا صديق فإذا لا بد من التغاضي والتغافل عن بعض الأخطاء ولا يسلم أحد وهؤلاء الذين اتخذهم أصدقاء له ليسوا بمعصومين بل هم بشر يخطئون ويصيبون فإذا كان لا يتغاضى عن الأخطاء سيعيش بدون إخوان ولا أصدقاء نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الخلادي قال أنشدني محمد بن محمد البكري لصالح بن عبد القدوس

إذا كـــان ود المـــرء لـــيس بزائـــد   على مرحبا أو كيف أنت وحالكا
أو القـــول إني وامـــق لـــك حـــافظ   وأفعالــه تبــدي لنــا غيــر ذلكــا
ولـــم يـــك إلا كاشـــرا أو محـــدثا   فـــأف لـــود لـــيس إلا كـــذلكا
ولكـن إخـاء المـرء مـن كـان دائمـا   لـذى الـود منـه حيثمـا كـان سـالكا

التعليق:

يعنى هذا يتحدث عن إخاء محمود وإخاء مذموم والإخاء المذموم يعنى هو الذي لا يزيد على مجرد مرحبا كيف الحال ما أخبارك يعنى هذا حده والتملك يعنى يقول إني محب لك وأنا حافظ لوده لكن أفعاله تبدى خلاف ذلك يعنى يلقى بالتحية والسؤال وأنا محب لك ونحو ذلك لكن افعاله خلاف ذلك فيقول أخوة هذا شأنها أف لها ولكن إخاء المرء من كان دائما لذى الود منه حيث ما كان سالكا

وقوله حيث ما كان سالكا أيضا هذا تفصيل لكنه يحمل على مسالك الخير أما إذا كان مسالك الخير والأهواء فليس على إطلاقه لكن يحمل على مسالك الخير وسبله وأبوابه نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو يعلي حدثنا علي بن الجعد حدثنا سفيان الثوري عن شعبة قال خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه فقال أنتم جلاء حزنى

❍ **التعليق:**

قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنتم جلاء حزني أي يجلوا بالإخوة والمجالسة لهم الأحزان ولا شك أن الإخوة فيهم تسلية وفيهم سلوان للأخ ووقوفهم معه ومنافعهم وعوائدهم عليه كثيرة فهذا من فوائد الصحبة أنهم جلاء للحزن نعم.

❧◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف عن شيبه بن أبي مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان لم يبق من لذات الدنيا إلا ثلاث مجالسة النسوان وشم الولدان ولقى الأخوان

التعليق:

لم يبق من لذات الدنيا إلا ثلاث مجالسة النسوان والمراد مثل ما جاء في الحديث «حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء» يعنى المراد بالنسوان الأهل وشم الولدان يعنى شم الإنسان لولده عندما يقبله ويشم رائحته ويستطيبها ويرتاح لذلك وكل أب يجد لرائحة مولوده الصغير يعني لذة عظيمة جدا ويرتاح لها وكل أب يشعر لذلك ولهذا يروى عن تلك المرأة التي تحنذ طفلها ومولودها ورضيعها تقول يا حبذا ريح الولد ريح الخزامة في البلد هكذا كل الولد أم لم يلد قبلي أحد وهذا الشعور الذي تقوله هذه كل إمرأة تقوله في ولدها أن تجد في رائحة ولدها لذة لا تظن أنها موجودة في الآخرين فشم الولدان ولقي الإخوان وهذا الموضع الشاهد للترجمة نعم.

ﮐ ◈ ﮐ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصري حدثنا خالي هارون ابن سعيد حدثنا خالد بن بزار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال إن كنت لألقى الأخ من إخواني فأكون بلقيه عاقلا أياما

○ **التعليق:**

هذا والله كلام جميل يعني ألق الأخ من إخوانه فأكون عاقلا للقيه أياما يعنى أسمع منه نصيحة جميلة تذكير جميل ويبقى معي هذا أيام وأنا متأثر بملاقاته له وهذا من فوائد ملاقاة الإخوان ومجالستهم إن كنت لألق الاخ من إخوانى فأكون بلقيه عاقلًا أيامًا نعم.

꧁◊꧂

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب مراعاة العشرة فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب

○ **التعليق:**

كان مكثر في التصنيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأكثر كتبه مفقودة نعم.

꧁◊꧂

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالواجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شيء يعدل صحبة الإخوان ولا غم يعدل غم فقدهم ثم يتنوقى جهده مفاسدة من صافاه ولا يسترسل إليه فيما يشينه وخير الإخوان من إذا عظمته صانك ولا يعيب أخاه على الزلة فإنه شريكه في الطبيعة بل يصفح ويتنكب محاسدة الإخوان لأن الحسد للصديق من سقم المودة كما أن الجود بالمودة أعظم البذل لأنه لا يظهر ود مستقيم من قلب سقيم وليحذر المرء في إخائه ألم التثقيل على أخيه لأن من ثقل على صديقه خف على عدوه وإن من أعظم المعونه على تسلية الهم الرضا بالقضاء ولقى الإخوان

التعليق:

هذا أيضا فيه معاني جميلة في الأخوة وعوائدها وفوائدها يقول العاقل يعلم أنه ليس من السرور شيء يعدل الصحبة ولا غم يعدل فقد الصحبة ثم يتوقع جهده مفاسدة من صافاه ولا يسترسل إليه فيما يشينه وخير الإخوان من إذا عظمته صالك قال ولا يعيب أخاه على الزلة فإنه شريكه في الطبيعة قف عند هذه ففيها فائدة لك قال لا يعيب أخاه على الزلة فإنه شريك من الطبيعة فهو إن ذل فأنت مثله تزل ومن طبعك أنك تزل كل إنسان خطاء فلا تعيبه على الزلة لأنه شريك لك في الطبيعة هذه المرة منه والمرة الأخرى منك فإذا قاطعته وهجرته وجفوته علي الزلة لم يبق لك أصدقاء وأنت مثلهم مثل ما أنه يخطيء أنت تخطيء مثل ما انه يخطيء معك أنت أيضا تخطيء معه ولا تزكى نفسك أنت شريك له في الطبيعة هذا مما يروضك على احتمال الزلات هذا المعني الذي ذكره يروضك على احتمال الزلات إذا عرفت أنك شريك له في الطبيعة أن هذا الخطأ الذي حصل منه أيضا يحصل منك وكما أنه لو حصلت منك الزلة ما تحب أن يجفوك عليها أيضا أنت لا

تجفوه وقل هو مثلى أنا وإياه طبيعتنا واحدة طبيعتنا الزلل كل بنى آدم خطاء إذا مثل ذلك يدفعك إلى الإحتمال والصفح قال ويتنكب محاسدة الإخوان وهذا ايضا مهم في باب الأخوة إذا مشيت أنت وإخوانك في علم في طلب وعبادة قد يفوقك قد ييسر له من أبواب الخير ما لا يتيسر لك لا تحاسده على ما أنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به عليك والأقران تقع بينهم المحاسدة لكن يحرص الإنسان على الخلاص من ذلك والسلامة منه وختم هذا الكلام بقوله «إن من أعظم المعونة على تسلية الهم الرضا بالقضاء ولقى الإخوان» وهذا فيه أن لقى الإخوان مثل ما مر عن بن مسعود جلاء الأحزان نعم.

❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثني يونس بن إبراهيم العدنى حدثنا إبراهيم ابن عبد الله العدني عن سفيان أنه قيل له ما ماء العيش قال لقاء الإخوان

التعليق:

قيل له ما ماء العيش قال لقاء الإخوان أي أن لقاء الإخوان يجرى هذا الماء وما يكون في هذه الأخوة من صفاء ومحبة ويتحرك فيها معاني عظيمة جدا نعم.

❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا المسيب بن واضح عن ابن المبارك قال قال سفيان لربما لقيت الأخ من اخواني فأقيم شهرا عاقلا بلقائه

التعليق:

هذا نظير ما تقدم عن موسي بن عقبة قال(إن كنت لا ألقي الأخ من إخواني فأكون بلقيه عاقلا أياما) نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش

استكثرن من الإخوان إنهم خير لكانزهم كنزا من الذهب
كم من أخ لك لو نابتك نائبة وجدته لك خيرا من أخي النسب

التعليق:

هذا المعني تقدم نظير له في الحث على الإستكثار من الإخوان وأن هؤلاء خير وكنز يكتنزه الإنسان لنفسه وأنهم من فوائد هذه الاخوة إنهم معونة له في النائبات وربما أن بعض هؤلاء يكون خير لك من أخيك من النسب «رب أخ لك لم تلده أمك» نعم.

﴿◊﴾

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

مــن خيــر مــا حزتــه ود لــذي كــرم … يجزيك ما عشت بالإحسان إحسانا
تلقـــى بشاشـــته في قربـــه وإذا … أنـــال نالـــك منـــه البـــر مـــا كانـــا

❍ **التعليق:**

يعني من خير ما ظفرت به وحزته في هذه الحياة ود لذى كرم أي مودة للإنسان معروف بكرم الخصال يجزيك ما عشت بالإحسان إحسانا كل ما أحسنت إليه أحسن إليك تلقي بشاشته في قربه وإذا أنال نالك منه البر ما كان نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان يقول كنت أنظر إلى أخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهرا

❍ **التعليق:**

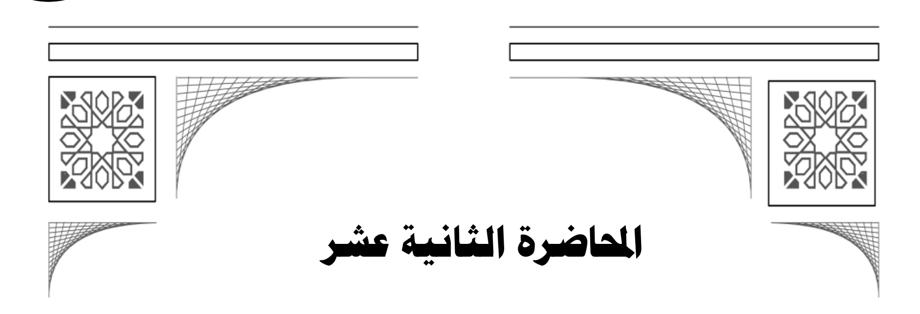
يعني ألتقي به أنظر إلي أخي أخ من إخواني أي ألتقي به فيكون لها الآثر علي هذه المدة الطويلة وهذا نظير ما تقدم عن سفيان وموسي بن عقبة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس قال قال ربيعة المروءة مروءتان فللسفر مروءة وللحضر مروءة فأما مروءة السفر فبذل الزاد وقلة الخلاف على أصحابك وكثرة المزاح في غير مساخط الله وأما مروءة الحضر فالإدمان إلى المساجد وكثرة الإخوان في الله وتلاوة القرآن

التعليق:

المر وءة ومعانيها هذه باب واسع وأظنه سيأتى شيء من ذلك عند المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي لكن نقل هذا الآثر أن المروءة مروءتان مروءة السفر في ومروءة في الحظر وذكر مروءة السفر بذل الزاد أي لإخوانه في السفر يحرص علي حمل من الزاد ليس لشيء يكفيه هو أو يخصه بل يحمل زادا له يكرم به إخوانه يبذله لهم بذل الزاد وقلة الخلاف مع أصحابك وبعض الناس في السفر ينشأ بينهم خلاف فيتفرقون في سفرهم مع أنهم عزموا علي رحلة واحدة ووجهة واحدة ومسار واحد لكن يختلفون في أثناء الطريق خلافا يشتد بهم فيفترقون وقد قيل إن السفر إنما سمي سفرا لأنه يسفر عن وجوه الرجال كيف احتماله لإخوانه كيف صبره عليهم كيف إلي آخره فينبغي علي الإنسان في السفر أن يتجنب كل هذه الخصال وأن يحرص علي البذل وإكرام إخوانه والإحسان إليهم واحتمالهم والبعد عن الدخول في الجدل والخصومات وكثرة المزاح في غير مساخط الله السفر فيه عناء وهو قطعة من العذاب والمزاح في السفر في غير مساخط الله يقطع شيء من عناء السفر فقال كثرة المزاح في غير مساخط الله قال وأما مروءة الحضر فالإدمان إلى المساجد أي مداومة إتيان المساجد والتبكير إليها وكثرة الإخوان في الله وتلاوة القرآن بهذا انتهت هذه الترجمة



المحاضرة الثانية عشر

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر كراهية المعاداة للناس

أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام ببيروت حدثنا محمد بن محمد بن مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال أول شيء نهانى عنه ربي بعد عبادة الأوثان لعن الحمير وملاحاة الرجال

❍ **التعليق:**

هذه الترجمة ذكر كراهية المعاداة للناس أراد بها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي أن ينبه علي أهمية إجتناب المعاداة للناس بحيث لا يتسبب المرء بايجاد العداوات بينه وبين من يصاحب أومن يرافق ومن يلتقي بهم أو نحو ذلك لأن هذه المعاداة أو إيجادها مما لا خير فيه للإنسان وسيأتي من الإيضاح والبيان وذكر الشواهد علي ذلك عند المصنف ما يبين المقصود قال ذكر كراهية المعاداة للناس بمعني أنه لا ينبغي للإنسان أن يتخذ او يفعل من الأسباب والأمور التي توجد في نفوس الناس عداوة له لا يثير العداوة في الناس ضد نفسه بل عليه ان يدرأ ويدفع بالتي هي أحسن ويعامل الناس بالمعاملة الطيبة بحيث لا يوجد بينه وبين الآخرين معاداة وصدر هذه الترجمة بحديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال «إن أول شيء نهاني عنه

ربي بعد عبادة الأوثان لعن الحمير وملاحاة الرجال» وفي كثير من مصادر التخريج لهذا الحديث بدل قوله لعن الحمير شرب الخمر وقوله ملاحاة الرجال هذا موضع الشاهد من ذكر هذا الحديث للترجمة والملاحاة هي المنازعة والمخاصمة والملاحات مما يوجد العداوات الملاحاة ملاحاة الرجال مما يثير في نفوسهم العداوة ولهذا ينبغي تجنب الملاحاة اتقاء للعداوة والترجمة في ذكر كراهية المعادات للناس لكن هذا الحديث الذي صدر به الترجمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث لا يثبت عن النبي ﷺ بل هو ضعيف وضعفه شديد وفيه عمرو بن واقد متروك نعم.

٭٭٭

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يعلم أن من يوده لم يحسده ومن لم يحسده لم يعاده فيكون للعدو المكاتم أشد حذرا منه للعدو المبارز ومن وجد عنده مغترا وكان ممن لا يعفو ثم لا ينتصف منه أصابته الندامة والرأي إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها

التعليق:

هذا الكلام منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي كله يتعلق بإتخاذ الحيطة في هذا الباب بحيث يتقي وجود المعاداة معاداة الناس له وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يعلم أن من يوده لم يحسده ومن لم يحسده لم يعاده وهذا كله من إتخاذ الأسباب في إتقاء المعاداة من يودك من الناس لا يحسدك لأن المودة تدرأ ومن لا يحسدك لا يعاديك وهذا أيضا يدرأ فإذا ينبغي على الإنسان أن يعامل الناس معاملة رفيقة معاملة طيبة معاملة لطيفة يدرأ بهذه المعاملة الحسد والعداوات يدرأ بها شرور الناس يدفع عن نفسه بالتي هي أحسن قال فيكون للعدو المكاتم أشد حذرا منه للعدو المبارز وهذا فيه أن العدو صنفان:

عدو مكاتم: أي لا يظهر العداوة معني المكاتم أي لا يظهرالعداوة بل يكتمها في نفسه يخفيها في صدره ولكنه يتربص الدوائر ويكيد لمن يعاديه في الخفاء.

عدو مبارز: أي من يظهر العداوة ويبرزها ولا يخفيها فالعدو المكاتم أخطر من العدو المبارز ولهذا ينبغي أن يتقي إتقاء أشد ومن وجد عنده مغترا وكان ممن لا يعفوا ثم لا ينتصف منه أصابته الندامة أي إذا كان متصف بهاتين الصفتين لا يعفوا أي ممن أخطأ عليه أساء إليه ولا ينتصف أي من نفسه إذا كان هو المسيء الظالم المعتدي إذا كان لا يعفوا ولا ينتصف أصابته الندامة لأن من كانت هذه

صفته لا يعفوا عمن أساء إليه ولا ينتصف هو أيضا ممن أساء له قال أصابته الندامة والرأي إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود وهذا أيضا تنبيه في باب تجنب المعاداة أن يكون الإنسان في هذا الباب مستشيرا لأهل الرأي وأهل العقل وأهل البصيرة هم الذين يرشدونه إلي السبل الصحيحة والطرائق السليمة التي يتقي بها هذه المعاداة قال وترك العداوة علي الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها نعم.

ꕥ ◈ ꕥ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو الأعور عن اسماعيل قال لا تشترين عداوة رجل بمودة ألف رجل

وأنشدني عمرو بن محمد قال حدثنا الغلابي قال أنشدني مهدي ابن سابق :

تكثر من الإخوان ما استطعت إنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور

وليس كثيرا ألف خل لصاحب وإن عدوا واحدا لكثير

التعليق:

هذا الأثر عن إسماعيل قال لا تشترين عداوة رجل بمودة ألف رجل أي عداوة رجل واحد ليست قليلة بل خطيرة علي الإنسان ولو كان واحدا خطيرة علي الإنسان ولو كان الذي يعاديك رجل واحد معني قول لا تشتري أي لا تحرص علي أن يوجد بينك وبين إنسان عداوة تستثيرها فإن هذا مضرته علي الإنسان مضرة عظيمة وخطرة عليه خطر عظيم لا تشتري عداوة رجل واحد بمودة ألف رجل مودة ألف رجل شيء عظيم لكن عداوة رجل واحد هذا أمر خطير لا يستهين به الإنسان وذكر البيتين في هذا المعني تكثر من الإخوان أي استكثر منهم ما استطعت إنهم عماد ويروى بطون عماد إذا استنجدتهم وظهورهم أي فيهم منفعة لك في الضائقات في الهموم في المعونة في بذل الرأي عماد إذا استنجدتهم وظهورهم وليس كثيرا ألف خل لصاحب وإن عدوا واحدا لكثير أي احذر من معاداة الناس ولو كان رجلا واحدا نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يجب على العاقل أن يكافيء الشر بمثله وأن يتخذ اللعن والشتم على عدوه سلاحا إذ لا يستعان على العدو بمثل إصلاح العيوب وتحصين العورات حتى لا يجد العدو إليه سبيلا

التعليق:

هذا أيضا كلام جميل جدا في إتقاء شر العدو ولا سيما السفهاء الذين تلوثت ألسنتهم بالسباب و البذاء والقبح والفحش يقول لا يجب على العاقل أن يكافئ الشر بمثله لا يجب أن يكافئ الشر بمثله وأن يتخذ اللعن والشتم علي عدوه سلاحا إذا كانت بضاعة العدو الشتم فارب بنفسك أن تهبط لمستواه وأن تنزل إلي سوء فعاله فإذا كانت بضاعته السباب والشتام والبذاء والقبح والفحش فأنت أرفع من ذلك فلا تعامله بمثل المعاملة التي هي من جهله وفساد وقبح لسانه فلا تعامله بذلك فلا يجب علي العاقل أن يكافئ الشر بمثله وأن يتخذ اللعن والشتم علي عدوة سلاحا فإذا كان بضاعة العدو الشتم واللعن والسباب والقبح والبذاء لا يقابله ذلك بمثله إذا ماذا يصنع مع أمثال هؤلاء وأضرابهم؟ أن يعرض عنهم كما قال الله ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ لا يستعان علي العدو بمثل إصلاح العيوب إذا تسلط عليك جاهل بالسباب والشتام والقبح والبذاء ونحو ذلك لا تقابله بمثل ذلك ولكن انظر في عيوب نفسك التي أوجبت تسلط هذا السفيه عليك واستغفر لذنبك فلا يستعان علي العدو بمثل إصلاح العيوب وتحصين العورات أي تجنب الذنوب التي هي منافذ لتسلط الأعداء وتحصين العورات حتى لا يجد العدو إليه سبيلا نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعاقل لا يرحم من يخافه ولا يترك إحصاء معائب العدو ويتفقد عثراتهم مع السكوت عن ثلبه ولا يستضعف عدوا بحيلة فإن من استضعف الأعداء اغتر ومن اغتر لم يسلم اللهم إلا أن يكون العدو ذليلا فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء لأن العدو الذليل أهل أن يرحم كما أن المستجير الخائف أهل أن يؤمن والمعاداة للعاقل خير من المصافاة للجاهل

وأنشدني الخلادي أنشدني أحمد بن محمد البكري :

ولمن يعادى عاقلا خير له — من أن يكون له صديق أحمق
فأرغب بنفسك أن تصادق أحمقا — إن الصديق على الصديق مصدق

❍ **التعليق:**

قوله والعاقل لا يرحم من يخافه ولا يترك إحصاء معائب العدو ويتفقد عثراته مع السكوت عن سلبه ولا يستضعف عدوا بحيله أي بضعف الحيلة عند العدو بل يكون علي حذر منه لا يستضعفه بحيله فإن من استضعف الأعداء اغتر ومن اغتر لم يسلم لا يستثني من هذه الحال إلا إذا كان العدو ذليلا قال اللهم إلا أن يكون العدو ذليلا فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء الإغضاء أي غض الطرف عن مثالبه ومعائبه رحمة به لأن العدو الذليل أهل أن يرحم كما أن المستجير الخائف أهل أن يؤمن والمعاداة للعاقل خير من المصافاة للجاهل لماذا؟ لأن العاقل يمنعه عقله العدو العاقل يمنعه عقله من الظلم والعدوان والبغي إلي غير ذلك وأما المصافي الجاهل أو الصديق الجاهل فإن جهله قد يوقعه فى الإساءة وسوء التصرف من حيث أراد الإحسان ففيه خطورة علي من يصاحبه قال ولمن يعادي عاقلا خير له من أن يكون له صديق أحمق الصديق الأحمق مضرة علي صاحبه

والعدو العاقل يؤمن جانبه من جهة عقلة وأن عقله يمنعه من الظلم البغي المكر إلي غير ذلك فأرغب بنفسك أن تصادق أحمقًا إن الصديق علي الصديق لعلها مصدق بكسر الدال إن الصديق على الصديق مصدق ومعني مصدق أي مصدق لما يظنه الناس فيه من خير أو شر لماذا؟ لأن إذا أريد أن تعرف أخلاق شخص من خير أو شر فلينظر إلي من يصاحب ومن يرافق لأن من يصاحبهم ويرافقهم يعلم منهم حقيقة حاله إن القرين بالمقارن يعرف فالصديق مصدق لمن يقارنه أي مصدق لما يظنه الناس في من يقارنه من خير أو شر نعم.

༺◊༻

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادى

أخلــق بــذي الصــبر أن يحظــى ومــدمن القــرع للأبــواب أن يلجــا
أبصر لرجلك قبل الخطو موضعها فمــن عــلا قلــة عــن غــرة زلجــا

التعليق:

يقول الناظم أخلق بذى الصبر أن يحظي بحاجته أي ما أحراه وأجدره بأن يحظي بحاجته ومن تحلي بالصبر حمد العاقبة وظفر بالمطلوب أخلق بذي الصبر أن يحظي بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا من لا ييأس ويتخذ الأسباب والوسائل ويمضى في أبواب البر والإحسان هذا حري بأن ينال رفيع الدرجات وعظيم المطالب مدمن القرع للأبواب أن يلجا أبصر لرجلك قبل الخطو موضعها قبل أن تمشي خطوة تأمل وتبصر وانظر في عواقب الأمور ومآلتها قبل أن تخطو فمن علا قلة المراد بالقلة المكانة العالية أو رأس الجبل والمكان الرفيع من علي قلة عن غرة أي عن غفلة زلج وهي بمعني زلق ينزلق يهوي يسقط فمن علي قلة عن غرة أي عن غفلة زلج إذا قبل أن تصعد انظر مواضع خطوك حتي لو كنت في صعود لأنه خطر أن تنزلق قدمك فتسقط فالإنسان ينظر في مواضع خطوه بمعني ينظر في العواقب يتئد عليكم بالتؤدة بالأناة ينظر في العواقب ثم يمشي في خطى ثابتة واضحة المعالم نعم.

۞

○ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

العاقل يبصر موضع خطواته قبل أن يضعها ثم يقارب عدوه بعض المقاربه لينال حاجته ولا يقاربه كل المقاربه فيجترأ عليه والعاقل لا يعادي ما وجد الى المحبة سبيلا ولا يعادي من ليس له منه بد ولا العدو الحنق الذي لا يطاق فإنه ليس له حيلة إلا الهرب منه وحيلة السبيل الى القدرة على العدو وجود الغرة فيه وأن يرى العدو أنه لا يتخذه عدوا ثم يصادق أصدقاءه فيدخل بينه وبينهم

وأحزم الأمور في أمر العدو أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض وإن مما يستعين به المرء على عدوه مجانبة من يعاشره ويصحب عدوه

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال سمعت يحيى بن معين يقول قال ابن السماك لا تخف ممن تحذر ولكن احذر ممن تأمن

○ **التعليق:**

قال لا تخف ممن تحذر ولكن احذر ممن تأمن وهذا بمعني ما قيل من مأمنه يأتي الحذر فلا تخف ممن تحذر ولكن احذر ممن تأمن نعم.

﴾◊﴿

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تمنيــت أن أبقــى معــافى وأن أرى　　　علــى مــن ينــاويني تــدور الــدوائر
فيصــبح مخــذولا وأمســي ســالما　　　الــــى الله داع بالكفايــــة ناصــــر

سمعت محمد بن محمود يقول سمعت علي بن خشرم يقول سمعت الفضل ابن موسى الشيباني يقول كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح قال فجعلت الرياح تدخل في عينيه الغبار فتذرفان فكلما صاد عصفورا كسر جناحه وألقاه في ناموسه فقال عصفور لصاحبه ما أرقه علينا ألا ترى الى دموع عينيه فقال له الأخر لا تنظر الى دموع عينيه ولكن انظر الى عمل يديه

○ **التعليق:**

قوله ألقاه في ناموسه الناموس قترة الصائد أي المكان الذي يختفي فيه ثم يمسك بالصيد ويكسر جناحه ويلقيه في هذا المكان الذي هو مختبئ الصائد والمكان الذي يختفي فيه فجعل يصطاد ويكسر جناح الطير حتى يبقي في المكان لا يستطيع أن يطير ويهرب فكان التراب والريح يذر في عينه الغبار فتذرفان أي عيناه بالدموع قال عصفور لصاحبه ما أرأفه علينا ألا تري إلي دموعه فقال له الآخر لا تنظر إلي دموع عينيه ولكن انظر إلي عمل يديه هذا يذكر كمثال وأن الإنسان لا يغتر من عدو بكلام يصفه ظاهره فيه الرحمة للإنسان ولكن ما يخفيه في باطن هذا العدو وهو الشر والعداء وتربص الدوائر بالإنسان فلا ينبغي أن يغتر لأن بعض الناس يكون معاديا ويظهر شيئا من مثلا المحبة والصفاء ونحو ذلك ولكن ما يخفيه هو الكيد والمكر فلا يغتر بكلامه وإنما ينظر إلي تصرفاته وفعاله نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يأمن عدوه على كل حال إن كان بعيدا لم يأمن مغادرته وإن كان قريبا لم يأمن مواثبته والعاقل لا يخاطر بنفسه في الإنتقام من عدوه لأنه إن هلك في قصده قيل أضاع نفسه وإن ظفر قيل القضاء فعله والمعاداة بعد الخلة فاحشة عظيمة لا يليق بالعاقل ارتكابها فإن دفعه الوقت الى ركوبها ترك للصلح موضعا

التعليق:

(مواثبته) أى هجومه

يقول إن دفعه الوقت إلي ركوبها أي ركوب المعاداة بعد الخلة أى المحبة الشديدة إذا كان بين الإنسان وآخر محبة شديدة فالمعاداة بعد هذه المحبة الشديدة المتينة القوية فاحشة عظيمة أمر خطير لا يليق بالعاقل أن يرتكبة ثم يقول إن دفعها الوقت إن ابتلي بشيء من ذلك ترك للصلح موضعًا ما معني ترك للصلح موضعًا؟ أي لا يعاديه المعاداة التامة بحيث لا يستبقي مدخلا للصلح بينه وبينه بل يبغضه ويعاديه هونا وليس بغضا تاما حتى يجعل لنفسه طريقا للعودة والصفاء يعني بعض الناس يكون بينه وبين شخص ألفة ومحبة ثم يحصل موقف من المواقف فيعاديه عداء تاما ويبغضه بغضا تاما ولا يجعل للصفاء أي طريق وهذا من الخطأ يقول عليه في مثل هذه الحال أن يترك للصلح موضعا نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي الأسود الدؤلي

وأحبب إذا أحببت حنا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مجانب ... فإنك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدنا للحلم واصفح عن ... فإنك راء ما عملت وسامع

○ **التعليق:**

روي الترمذي وغيره حديثا يرفع إلي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال «أحبب حبيبك هونا ما عسي أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسي أن يكون حبيبك يوما ما» وهذا المعني جاء في هذه الأبيات أحبب إذا أحببت حبا مقاربا هذا حبا مقاربا أي هونا ما أحبب حبيبك حبا مقاربا أي أحببه هونا ما أي لا تغالى في حبه فإنك لا تدري ما أنت نازعه يعني لا تدري ربما يصبح بغيضك يوما ما فتندم علي تلك المغالاة في الحب أيضا في مقابل ذلك إذا أبغضت أبغض بغيضك هونا ما وأبغض إذا أبغضت غير مجانب يعني لا تبغض البغض الشديد وإنما أبغض غير مجانب فإنك لا تدري متى أنت راجع ربما تزول هذه البغضة والعداوة وكن معدنا للحلم وصفة عن الأذى فإنك راء ما عملت وسامع نعم.

٭٭٭

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي

إذا أنـت عاديـت أمـرءا بعـد خلـة فدع في غد للعـود والصلح موضعا
فإنــك إن نابــذت مــن زل زلــة ظللت وحيدا لـم تجد لـك مفزعـا

التعليق:

هذا بمعني أيضا ما سبق إذا أنت عاديت إمرء بعد خلة أي بعد محبة إذا عاديت وبعد خلة أي بعد محبة كانت بينك وبينه فدع في غد للعود والصلح موضعا مثل الكلام الذي سبق عند المصنف ترك للصلح موضعا أى لا يعاديه معاداة تامة ولا يجانبه مجانبه تامة وإنما يترك مساحة للصلح إذا أنت عاديت إمرءًا بعد خلة أي بعد محبة بينك وبينه فدع في غد للعود والصلح موضعا فإنك إن نابذت من زل زلة ظللت وحيدا لم تجد لك مفزعا إذا كان كل من وقع في زلة أو زلتين أبغضته وعاديته لم يبق لك إخوة وأصحاب ورفقاء نعم.

○ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرني يونس ابن يزيد عن ابن شهاب قال اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوما عند عائشة فجلسا في حجرتها وبينها وبينهما الحجاب فسألا عائشة شعرا وحديثا ثم قال مروان :

ومن يشا الرحمن يخفض بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافع

وقال ابن الزبير :

وفوض الى الله الأمور إذا اعترت وبالله لا بالأقربين تدافع

وقال مروان :

وداو ضمير القلب بالبر والتقى ولا يستوي قلبان قاس وخاشع

وقال ابن الزبير :

ولا يستوي عبدان عبد مكلم عتل لأرحام الأقارب قاطع

وقال مروان :

وعبد يجافي جنبه عن فراشه يبيت يناجي ربه وهو راكع

وقال ابن الزبير :

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب

وقال مروان

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

قال فسكت ابن الزبير فلم يجب مروان بشيء فقالت عائشة يا عبد الله مالك لم تجب صاحبك والله ما سمعت تجاوب رجلين تجاولا نحو ما تجاولتما فيه أعجب الى من مجاولتكما، قال ابن الزبير اني خفت عوز القول فكففت فقالت عائشة إن لمروان في الشعر ما ليس لك

التعليق:

(مكلم) هكذا فى نسخ الكتاب ووجدت فى بعض المصادر لهذه الأبيات (مظلم) وهذا أوضح

ابن الزبير هو عبدالله وقوله إني خفت عوز القول أي شدته فكففت لأن هذه الأبيات التي فيها المجاولة بين هذين الرجلين كل يجيب صاحبه هي تتضمن شيء من التعريض كل منهما بالآخر وانتهت بقول مروان وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع فسكت بن الزبير لم يجب وقال إني خفت عوز القول أي شدة القول وغلظته ونحو ذلك فكففت فقال عائشة «إن لمروان في الشعر ما ليس لك» نعم.

٨٠◊٥٣

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا عصام بن الفضل الرازى حدثني الزبير بن بكار عن محمد بن حرب قال قال عبد الله بن حسن لابنه محمد إياك ومعاداة الرجال فإنها لا تعدمك مكر حليم أو مباذاة جاهل

التعليق:

مباذاة جاهل أي التسلط عليك بالبذاء المباذاة من البذاء نعم.

٨٠◊٥٣

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يعادي على الحالات كلها لأن العداوة لا تخلو من أن تكون لأحد رجلين إما حليم لا يؤمن مكره أو جاهل لا يؤمن شتمه ولا يجب على العاقل إذا عادى أن يغره إحسانه الى عدوه وما يرى من سكونه اليه فإن الماء وإن أطيل إسخانه ليس بمانعه ذلك من إطفاء النار إذا صب عليها ولا يجب أن يعظم عليه حمله عدوه على عاتقه إذا وثق بحسن عاقبته لأن اللين والمكر أنكى في العدو من الفظاظة والمكابرة ألا ترى النار مع حرها لا تحرق من الشجر إلا ما ظهر والماء مع برده ولينه يستأصلها ومجانبة المرء عدوه في العشرة أحد الأعوان عليه عند الفرصة

كما أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العتبي عن أبيه قال قال الأحنف بن قيس من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه

التعليق:

(أو جاهل لا يؤمن شتمه) هذه مباذاة الجاهل

فإن الماء وإن أطيل إسخانه ليس بمانعه ذلك من إطفاء النار إذا صب عليها) مع أن السخونة التى فى الماء إنما هى من النار التى تحتها ولا يمنع ذلك أنه إذا صب على النار أن يطفئها وبمجانبة مجالسة العدو إتقاء ذلك والسلام منه لأن من جالس عدوه أحصي عدوه عليه عيوبه نعم.

❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الأبرش

لا تخـــافن إن رمـــاك عـــدو — بعيـــوب إذا تكـــون بريـــا
إنمـــا العيـــب أن يكـــون محقـــا — في الـــذي قالـــه ولســـت نقيًـــا
فـــإذا كـــان كاذبـــا كنـــت بالصـــدق — علـــى العائـــب الكـــذوب جريًـــا
ولقـــد يلـــزق العـــدو بجنـــب — المرء...عيبـــا تخالـــه مكويًـــا

التعليق:

يقول لا تخافن إن رماك عدو بعيوب إذا تكون بريا إذا كنت بريء من هذه العيوب لا تخاف من ذلك أن يرميك عدوك بعيوب ليست فيك لكن المصيبة أن تكون عيوب محققة فيك إنما العيب أن يكون محقا أي فيما ينسبه إليك من عيوب ويذكره عنك من عيوب إنما العيب أن يكون محقًا في الذي قاله ولست نقيا أي لست نقيا سالما من هذه العيوب التي يصفك فيها فإذا كان كاذبا كنت بالصدق علي الكذوب جريا يعني صدقك وسلامتك مما يضيفه إليك من عيوب هذا يقوي من شأنك ومكانتك وجرأتك عليه تستطيع أن تجترئ لأنه يكذب عليك فيما ينسبه من عيوب لكن إذا كانت بيده عيوب فعلا وأمور مشينه أنت متصف بها لا تتجرأ عليها لأنك تخشي إن تجرأت عليه أن (هذه العيوب التي يعرفها عنك ولقد يلزق العدو بجنب المرء عيبا تخاله مكويا أي مثل الإنسان الذي فيه مكاوي تظهر عليه فقد يلزق فيه عيوب فتصبح صفة للإنسان يعرف بها مثل المكاوي التي تكون في بدنه نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يغيره الزاق العدو به العيوب والقبائح لأن ذلك لا يكون له وقع ولا لكثرته ثبات ولا يلتذ المرء ما كان عدوه باقيا كما لا يجد السقيم طعم النوم والطعام حتى يبرأ

وأشد مكيدة العدو ما يعمل فيك من سبيل مأمنك والغالب بالشر مغلوب وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخدمه وتوقيه إياهم على المعائب والزلات

❍ **التعليق:**

هذا الكلام عظيم جدا يكون من أعظم الأعوان علي الأعداء تعاهد المرء ولده وأعياله وخدمه وتوقيه إياهم من المعائب والزلات يقول من أعظم مما يستعان به علي الأعداء تربية الأبناء واستصلاحهم وتنشئتهم النشأة الطيبة الصالحة المستقيمة علي طاعة الله يقول هذا من أعظم ما يكون به المعونة علي الأعداء أما إذا ترك الأبناء هملا ضياعا فإن هذا من إعظم ما يكون في تسلط الأعداء ودخولهم علي الناس من خلال هؤلاء الأبناء الجهلة السفهاء الحمقى الذين لم ينشئوا تنشئة دينية صحيحة نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال قال سليمان بن داود لابنه يا بني إذا أردت أن تغيظ عدوك فلا ترفع عن أبنك العصا

التعليق:

يعني احرص علي تأديب ابنك لا ترفع عن ابنك العصا أي احرص علي تأديبه وإبعاده عن السفه عن الجهل عن الحمق احرص علي تأديبه فإن ذا أعظم مما تغيظ به عدوك أما إذا ترك الإنسان أبناءه هملا إذا تركهم هملا فهذا فيه تسليط لعدوه عليه بل ربما كان أبناء المسلمين آلة في يد العدو ولهذا من أعظم ما يستعان به علي العدو للسلامة منه العناية بتربية الأبناء التربية الإسلامية الصحيحة والمصيبة تعظم إذا كان في أبناء المسلمين من لا تربية إسلامية صحيحة متينة تربي عليها ونشأ عليها ثم ذهب إلي ديار الكفار ليتعلم منهم العلوم الدنيوية هذه كارثة مصيبة عظيمة جدا ويجني بها علي نفسه وعلي أيضا مجتمعه نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان النسائي حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي عن شعبة عن قتادة عن أنس عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم ينلك منه أصابك من ريحه ومثل جليس السوء مثل القين إن لم تصبك ناره أصابك شرره.

❍ **التعليق:**

هذه الترجمة الحث علي صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار فيها أن المؤمن ليس له أن يصحب من شاء من الناس بل عليه أن يتخير من الرفقاء الصالح وأن يحذر من رفقة الأشرار وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «المرء علي دين خليلة فلينظر أحدكم من يخالل» لأن الصحبة مؤثرة في الإنسان ولا بد ولهذا يحتاج الإنسان أن يتخير من الرفقاء والأصحاب من يعينونه علي الخير يشدون من أزره في الطاعة يناصحونه يحذرونه من الشر إن وقع فيه ولا يصاحب الأشرار لأن صحبتهم شر ويجرونه إلي شرهم وفسادهم وفي هذا الحديث حديث أبي موسي الأشعري الذي صدر به المصنف هذه الترجمة ولفظه في الصحيحين أو في صحيح البخاري «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك أو نافخ الكير» والقين هو الحداد في هذا اللفظ الذي ساقه المصنف القين هو الحداد الذي هو نافخ الكير نعم.

❊ ◊ ❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل يلزم صحبة الأخيار ويفارق صحبة الأشرار لأن مودة الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومودة الأشرار سريع أنقطاعها بطيء اتصالها وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم

❍ **التعليق:**

صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار الإنسان سبحان الله إذا صاحب الأشرار وقفت نفسه تجاه الأخيار وأساء بهم الظن لماذا؟ لأن هذه الصحبة للأشرار توجد في نفسه النفرة من أهل الخير والكراهية لمجالسهم ولهذا يجب علي الإنسان أن يحذر مجالسة الأشرار لأنه لو لم يأتي منهم إلا هذا أنهم يوجدون في نفس من يصاحبهم نفرة من أهل الخير لكفي دلالة علي خطورة هذه الصحبة للأشرار

أمر آخر يدل علي الخطورة ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم إذا صاحبهم لا يأمن علي نفسه أن يكون مثلهم لأن الصاحب كما يقولون ساحب الصاحب ساحب فلا يأمل أن يكون مثلهم إذا صحبهم وهذا أمر آخر في بيان خطورة مصاحبة الأشرار نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريبا فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشر

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

عليـــك بـــإخوان الثقـــات فـــإنهم — قليل فصلهم دون من كنت تصحب
ونفســك أكرمهــا وصـــنها فإنهـــا — متى ما تجالس سفلة الناس تغضب

❍ **التعليق:**

يعني هذا فيه حث علي صحبة الأخيار الثقات وصلة هؤلاء والقرب منهم دون غيرهم دون من كنت تصحب أي ممن ليست هذه حاله وصن نفسك عن مجالسة السفلة من الناس.

متي ما تجالس سفلة الناس تغضب أي يصل بك الأمر إلي أن تغضب أي من آثار هذه الصحبة فيما بعد لما تري من عظم ضررهم عليك نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت أبا يعلي يقول سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول سمعت سفيان ابن عيينه يقول من أحب رجلا صالحا فإنما يحب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

التعليق:

لأن المقصد أن هذه محبة في الله لأن هذه من محبة الله ففي الدعاء المأثور «اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربني إلي حبك» وفي الحديث «أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله» فقوله من أحب رجلا صالحا فإنما يحب الله أي أن هذا من محبة الله أن تحب ما يحب أي من أهل الخير والفضل والنبل والإستقامة وأن تبغض من يبغض من أهل الشر والفساد نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن أبي علي الخلادي حدثنا عبد الله بن الصقر السكري حدثنا وهب بن محمد بن منبه البناني قال سمعت الحارث بن وجيه يقول سمعت مالك بن دينار يقول إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار

❍ **التعليق:**

قال مالك بن دينار إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار نقل الحجارة متعب مجهد للإنسان لكن نقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص طعام حلو يصنع من التمر والسمن ولذيذ وشهي خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار يعني لو كان في صحبة الأخيار شيء من التعب والجهد فهذا خير لك وإن كانت نفسك تجد مثلًا في صحبة الأشرار شيء من المتعة والراحة ونحو ذلك فهذا شر لك لا يغتر بذلك لأن ذكر الخبيص والحجارة المراد به أن الإنسان لو قدر أنه وجد في صحبة الأخيار شيء من التعب شيء من الجهد شيء من هذه الأمور فهذا خير له وإن وجد شيء من المتعة والراحة مع الأشرار وفي مصاحبتهم من لهو أو لعب أو غير ذلك ربما يجد أن فيه متعة له أو نحو ذلك فهذا شر له لا خير فيه لأن صحبتهم مما لا خير فيه للإنسان نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يدنس عرضه ولا يعود نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار ولا يغضي عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار على أن الناس عند الخبرة يتبين منهم أشياء ضد الظاهر منها

التعليق:

قوله ولا يغضي عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار صحبة الأخيار فعلا تحتاج إلي رياضة للنفس حتي تروض النفس وتأنس بهم لأن النفس نافرة وشرود وتميل إلي اللهو والسفه ونحو ذلك فصحبة الأخيار تحتاج من العبد إلي رياضة مع الإستعانة بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ نعم.

❁

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني علي بن محمد البسامي :

وقل ما احلولي كلام امريء ... ولان إلا كان مر الفعال
وربما احلولي كلام الفتى ... وكان محمودا على كل حال
وربما لم يك ذا منظر ... فكان خلو الفعل من المقال
فكل هذا أنت راء إذا ... تصاحب الناس وتبلوا الرجال

❍ **التعليق:**

يقول هذه الأشياء كلها ستجدها في من تصاحبهم فالناس أصناف وأجناس منهم من يحلوا كلامه ولكن فعاله مره يلقاك بالكلام الحلو الجميل ولكن الفعال التي ينطوي عليها فعال سيئة وقبيحة ومنهم من كلامه حلو جميل طيب وأيضا محمود علي كل حال وربما لم يك ذا منظر فكان خلو الفعل من المقال يعني ليس عنده كلام يتزين به أو يتجمل به أو كلام حلو تسمعه منه لكن فعاله أيضا ليست علي الشر وربما لم يك ذا منظر فكان خلو الفعال من المقال يعني أفعاله خالية من المقال فكل هذا أنت راء إذا تصاحب الناس وتبلوا الرجال نعم.

❧◊☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي حدثنا نصر بن علي أنبأنا نوح ابن قيس حدثنا حوشب عن الحسن في قوله ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] **قال حلماء علماء صبر ثبت إن ظلموا لم يظلموا وإن بغى عليهم لم يبغوا قد براهم الخوف كأنهم القداح**

❍ **التعليق:**

(صبر ثبت) أي صابرون ثابتون

قد براهم الخوف ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] قال حلماء علماء صبر ثبت إن ظلموا لم يظلموا وإن بغي عليهم لم يبغوا قد براهم الخوف أي جعل أجسامهم نحيلة الخوف أي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد براهم الخوف كأنهم القداح والقداح هي سهم أو سهام الخشب عندما ينحت ويبري فيصبح نحيلًا قد براهم الخوف نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي حدثنا سريج بن يونس حدثنا شجاع بن أبي نصر أبو نعيم القاري عن أبي عمرو بن العلاء قال رآني سعيد ابن جبير وأنا جالس مع الشباب قال ما يجلسك مع الشباب عليك بالشيوخ

❍ **التعليق:**

لأن مجالسة الشيوخ وملازمتهم فيه منفعة للناس منفعة لمن يجالسهم والمراد بالشيوخ أي الأكبر من الإنسان سنا عندهم بصيرة عندهم تجربة من أهل العقل أهل الديانة يستفيد من مجالستهم نعم.

❧ ◊ ❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن أبي المحجل عن ابن عمران بن حطان عن ابيه قال قال أبو الدرداء لصاحب صالح خير من الوحدة والوحدة خير من صاحب السوء ومملى الخير خير من الساكت والساكت خير من مملي الشر

التعليق:

صاحب صالح خير من الوحدة أن يكون للإنسان له صاحب صالح خير من أن يبقي وحيدا ولكن الوحدة خير من جليس السوء قال والوحدة خير من صاحب السوء ومملي الخير خير من الساكت من يتكلم بالخير خير من الساكت لكن الساكت خير من المتكلم بالشر وفي الحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» بدأ بقول الخير وإلا فليصمت فقول الخير لا شك أن هذا فيه نفع وهو أولي من السكوت لكن السكوت أولي من قول الشر نعم.

❀ ◈ ❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يصاحب الأشرار لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار تعقب الضغائن لا يستقيم وده ولا يفى بعهده وإن من سعادة المرء خصالا أربعا أن تكون زوجته موافقه وولده أبرارا وإخوانه صالحين وأن يكون رزقه في بلده

وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرا تكون مجالسة الكلب خيرا من عشرته ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم

❍ **التعليق:**

هذا كله تحذير من صحبة الأشرار لما تعقبه من شر علي من يصاحبهم

قوله إن من سعادة المرء خصالا أربعا أن تكون زوجته موافقة أي مواتية مطيعة لزوجها غير عاصية ولا معاندة وفي الحديث «خير نسائكم الودود الولود المواتية» المواتية هي الموافقة التي تطيع زوجها ولا تعصيه وأن تكون زوجته موافقة وولده أي أولاده أبرارا أي صالحين مستقيمين علي طاعة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وإخوانه الذين يصاحبهم ويرافقهم صالحين المراد بالإخوان أي الرفقة والأصحاب صالحين وأن يكون رزقه في بلده أي بين أهله وعشيرته ليس مغتربا وإنما مرتاحا رزقه في بلده أي بين أهله وعشيرته فهذه الأمور الأربعة من السعادة نعم.

❊❖❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وما أشبه صحبة الأشرار إلا بما أنشدني منصور بن محمد الكريزي :

فلو كان منه الخير إذ كان شره ... عتيدا ضربت الخير يوما مع الشر
ولو كان لا خيرا ولا شر عنده ... رضيت لعمري بالكفاف مع الإجر
ولكنه شر ولا خير عنده ... وليس على شر إذا طال من صبر

❍ **التعليق:**

أي أن من يصاحبون ثلاثة الأول من قال فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيدًا معني عتيدا أي حاضرًا موجودًا ضربت الخير يومًا مع الشر يعني لو كان هذا الذي يصاحبه عنده خير وعنده شر عنده هذا وهذا ضربت الخير مع الشر وقلت مثلًا إن ما عنده من الخير يكفر مثلا ما عنده من الشر وضربت الخير بالشر أمر آخر أو ضرب آخر لو كان لا خير ولا شر عنده من لا خير عنده ولا شر رضيت لعمرى بالكفاف مع الأجر لكن المصيبة إن كان هذا المصاحب شر لا خير فيه ولكنه شر ولا خير عنده وليس علي شكل إذا طال من صبر نعم.

❧

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا إسحاق بن إبرهيم القاضي حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا ابن عليه عن يونس عن الحسن قال أيها الرجل إن أشد الناس عليك فقدا لرجل إذا فزعت إليه وجدت عنده رأيا ووجدت عنده نصيحة بينا أنت كذلك إذ فقدته فالتمست منه خلفا فلم تجده

❍ **التعليق:**

يعني أشد ما يكون علي الإنسان فقدا فقد الرفيق الصالح إما بموت مثلا أو بسفر إلي مكان بعيد عن الإنسان أو نحو ذلك أشد ما يكون من الفقد فقد الرفيق الصالح لماذا؟ قال إذا فزعت إليه وجدت عنده رأيا وجدت عنده نصيحة دائما تجد نفسك منتفعا مستفيدا من صحبته ففقده أمر ليس بالهين نعم.

❊❊❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندي حدثنا عبد الله بن سليمان قال قال جعفر بن محمد من كان فيه ثلاث فقد وجب له على الناس أربع إذا خالطهم لم يظلمهم وإذا حدثهم لم يكذبهم وإذا وعدهم لم يخلفهم وعلى الناس أن يظهروا عدله وأن تكمل فيهم مروءته وأن يجب عليهم أخوته وأن يحرم عليهم غيبته

❍ **التعليق:**

يعني من وجدت فيه هذه الخصال عدم الظلم وعدم الكذب وعدم الخلف فهذه من أمارات الخير وإذا وجدوا إنسانا هذه صفته لا شك أن له عليهم حقوق ومنها هذه التي ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أصحب خيار الناس أين لقيتهم ... خير الصحابة من يكون ظريفا
والناس مثل دراهم ميزتها ... فرأيت فيها فضة وزيوفا

❍ **التعليق:**

من يكون ظريفًا أى حسنًا طيبًا

الناس مثل الدراهم فيها فضة وفيها زيوف أي مغشوشة نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا أحمد بن يحيى بن يزيد الصورى حدثنا الهيثم بن جميل قال قال عمارة بن زاذان عن مكحول قال «قلت للحسن إنى أريد الحج فقال لى إياك أن تصحب من يكرم عليك فتفرق الذى بينك وبينه»

❍ **التعليق:**

إياك أن تصحب من يكرم عليك أي له كرامة عندك فتفرق في بعض المصادر فيفسد الذي بينك وبينه نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا ابن قحطبة حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول إن الله ليحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس

❍ **التعليق:**

يعني العبد الصالح المستقيم علي طاعة الله لا شك أن له آثره في مجتمعه ولا سيما إن كان من أهل العلم والنصح والدعوة إلي الخير نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يعنه وإن نسى لم يذكره وإن غفل حرضه على ترك الذكر ومن كان أصدقاؤه أشرارا كان هو شرهم وكما أن الخير لا يصحب إلا البررة كذلك الردى لا يصحب إلا الفجرة

التعليق:

كما أن الخير لا يصحب إلا البررة كذلك الرديء لا يصحب إلا الفجرة هذا مثل ما يقال الطيور علي أشكالها تقع الطيور التي تطير في السماء تجد الحمام مع الحمام والعصافير مع العصافير والرخم مع الرخم علي أشكالها تقع فالخير لا يصاحب إلا البررة والرديء لا يصاحب إلا الفجرة لأن الإنسان لا يصاحب إلا من يشاكل نعم.

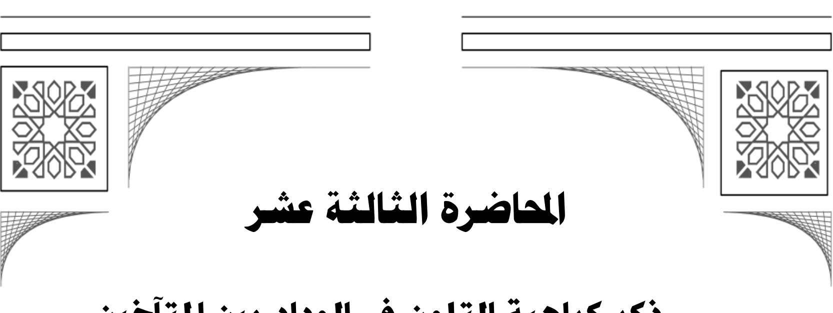
❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن المرء إذا أضطره الأمر فليصحب أهل المروءات لأن محمد بن عثمان العقبي قال حدثنا أحمد بن داود البصري حدثنا ابن عائشة قال قال عبد الواحد بن زيد جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم فإن كنتم لابد فاعلين فجالسوا أهل المروءات فإنهم لا يرفثون في مجالسهم

التعليق:

أهل المروءات المراد بهم أهل العقل المروءات أهل العقل وسيأتي فيما بعد ترجمة خاصة بالمروءات وأيضا ذكر عدة تعاريف للمروءة ما هي؟ لكن مما ذكره ويناسب هذا المقام أهل المروءات أي أهل العقل يقول جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم فإن كنتم لابد فاعلين فجالسوا أهل المروءات يعني عندهم عقل فإنهم لا يرفثون في مجالسهم لأن عقلهم يمنعهم من ذلك يمنعهم من الفسق والفجور والكلام القبيح في مجالسهم وبالله التوفيق.



المحاضرة الثالثة عشر

ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتآخين

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان حدثنا ابراهيم الحورانى حدثنا بكار بن شعيب حدثنا ابن ابي حازم عن أبيه عن سهل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال قال رسول الله** ﷺ **لا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له**

❍ **التعليق:**

هذه الترجمة ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتآخيين المراد بالتلون ألا يكون له ثبات في الصحبة والمودة وإنما يكون له مع صاحبه ود من باب وكراهية وبغض من باب آخر وربما يظهر له خلاف ما يضمر والتلون يعني عدم الثبات ألا يكون علي لون واحد علي طريقة واحدة علي نهج واحد في الصفاء في المودة في الوفاء وغالبا التلون يظهر في المواقف أما في حال الرخاء والإنبساط والسرور ونحو ذلك فإن في مثل هذه الأمور يظهر لون واحد وأما في المواقف فإن التلون يظهر في صورته الواضحة مما سيشير إلي نماذج منه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي في ما ساقه من أخبار وصدر هذه الترجمة بهذا الحديث حديث سهل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ «لا خير في صحبة من لا يري لك من الحق مثل ما تري له» والأصل في الصحبة هو هذا ومما يدل علي ذلك جملة قول النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم

حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» كذلك في الحديث قال «أن تأتي للناس الذي تحب أن يؤتي إليك» ففي هذا الحديث يقول «لا خير في صحبة من لا يري لك من الحق مثل ما تري له» الأصل أنه حق متبادل تري لأخيك من الحق والواجب أن يبادلك هذه المعاني الجميلة الشريفة الفاضلة التي دعي إليها الإسلام واقتضتها أخوة الإيمان قال الله تعالي ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وهذا الحديث الذي ساقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي في إسناده بكار بن شعيب قال عنه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يجوز الإحتجاج به فالحديث ضعيف غير ثابت لكن المعني الذي تضمنه الحديث يدل عليه جملة قول النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل إذا رزقه الله ود امريء مسلم صحيح الوداد محافظ عليه أن يتمسك به ثم يوطن نفسه على صلته إن صرمه وعلى الإقبال عليه إن صد عنه وعلى البذل له إن حرمه وعلى الدنو منه إن باعده حتى كأنه ركن من أركانه وإن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد

التعليق:

إن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد ولهذا ينبغي أن يكون مودة المسلم لأخيه المسلم مودة صادقة يحبه لله ويوده في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والتقرب إليه ولا يكون عنده معه تلون فإن التلون من أعظم عيوب المرء في هذا الباب باب الوداد والواجب علي العاقل إذا رزقه الله ود إمرئ مسلم صحيح الوداد المحافظة علي ذلك وسبق أن أشار في موضع مضي أن المرء لا بد له من أخطاء وهذا موجود جبلة في الإنسان كل بنى آدم خطاء ولهذا عليه أن يحتمل ما يقع منه من قصور من بعض النقص من بعض الخلل ولا يكون وجود شيء من القصور في من يوده ويحبه سببا للقطيعة والإنفصال وهذا ما نبه عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي وأيضا قوله أن يتمسك به ثم يوطن نفسه علي صلته إن صرمه وعلي الإقبال عليه إن صد عنه وعلي البذل له إن حرمه وعلي الدنوا منه إن باعده فمثل هذه الأمور هي التي يستبقي فيها الوداد لا يكون الصلة لمن وصلك وإنما تصل أيضا من قصر معك حتى تستبقي هذه المودة غير ملتفت للقصور الذي في صاحبك نعم.

﴿﴾

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

وكـــم مـــن صـــديق وده بلســـانه	خـــؤون بظهـــر الغيـــب لا يتنـــدم
يضـــاحكني كرهـــا لكيمـــا أوده	وتتبعنـــي منـــه إذا غبـــت أســـهم

❍ **التعليق:**

هذا أخطر ما يكون في الناس إذا كان من يظهر الوداد بهذه الصفة وده بلسانه فقط.

أما باطنه فخئون أي خائن وليس علي طوية صحيحة تجاه صاحبه ظاهره المضاحكة والمباسطة والمؤانسة وإظهار الود لكن باطنه خلاف ذلك يقول يضاحكني كرها لكيما أوده وتتبعني منه إذا غبت أسهم أي لما أكون في الغيبة يكون طاعنا في مغتابا إلي غير ذلك من الخصال الذميمة نعم.

❧◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل حدثني ابن ابي شيبة قال قال الأصمعي قال رجل من الأعراب إن من أعجز الناس من قصر عن طلب الإخوان وأعجز منه من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم وإنما يحسن الاختيار لغيره من أحسن الإختيار لنفسه

التعليق:

ترك طلب الإخوان والبحث عن الأصدقاء والخلان هذا قصورلكن أيضا أشد قصورًاوعجزًا من ذلك من وفق بالرفقة الطيبة الصالحة الأخيار فضيعهم وفرط فيهم وفرط في صحبتهم قال وأعجز منهم من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يقصر في تعاهد الوداد ولا يكون ذا لونين وذا قلبين بل يوافق سره علانيته وقوله فعله ولا خير في متآخيين ينمو بينهما الخلل ويزيد في حاليهما الدغل

التعليق:

الدغل هو الفساد لا خير في متآخيين ينموا بينهما الخلل ويزيد في حاليهما الدغل أي الفساد بمعني أن الإخاء ينبغي أن يكون قائما علي الصفاء أما إذا وجد فيه الدغل والخلل اختلت قاعدة الأخوة نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لحـا الله مـن لا ينفـع الـود عنـده ... ومـن حبلـه إن مـد غيـر متـين
ومـن هـو ذو لـونين لـيس بـدائم ... علـى الوصـل خـوان لكـل أمـين
ومـن هـو ذو قلبـين أمـا لقـاؤه ... فخلـو وأمـا غيبـه فظنـين
ومن هـو إن تحـدث لـه العـين نظـرة ... يقطـع بهـا أسـباب كـل قـرين

❍ **التعليق:**

يقول هذا الناظم لحا الله أي قبح الله هذه كلمة دعاء علي بالعقوبة والتقبيح قال لحا الله أي قبح الله من لا ينفع الود عنده ومن حبله إن مد غير متين أي صلته ليست متينه مع صاحبه ليست قوية أدني الأمور يقطعها لأن حبله مع صاحبه غير متين حبل الصلة قال ومن هو ذو لونين ليس بدائم أي ليس بدائم علي لون واحد لون الصفاء والإخاء الصادق بل يتلون مع صاحبه ليس بدائم علي الوصل خوان لكل أمين ومن هو ذو قلبين أما لقاءه فخلو وأما غيبه فظنين أي غير مأمون في حال غيبته عن صاحبه ومن هو إن تحدث له العين نظرة يقطع بها أسباب كل قرين نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عمرو بن محمد النسائي لابن الاعرابي :

العين تبدى الذي في نفس صاحبها — مــن الشــناءة أو ود إذا كانــا
إن البغــيض لــه عــين يصــد بهــا — لا يسـتطيع لمـا في الصـدر كتمانـا
العــين تنطــق والأفــواه ســاكنة — حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

❍ **التعليق:**

أي أن الشنئان الذي هو البغض والكراهة قد تبديه العين ولهذا سيأتي عند المصنف أيهما أشد في إبداء الشنئان وإظهاره هل هو نظرات العين أو فلتات اللسان؟ فالعين قد تبدي شيئا ولهذا يقال مثلا تتطاير عيونه شررا أو غير ذلك من المعاني التي تتلمح في نظرات عين الإنسان فقد يعرف الشر في نظرة العين وقد يعرف في فلتات اللسان لكن لا يجوز للإنسان أن يتكلف أمورا في هذا الباب يسيء بها الظن بمجرد اعتماد علي نظرة عين أو نحو ذلك لكن هذه المعاني قد تظهر ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: ٣٠] قد يظهر من فلتات اللسان الإنسان قد يظهر من مسارقة النظر أو نحو ذلك يعني قد تظهر لكن ما ينبغي للإنسان أن يبني علي ذلك سوء ظن غير قائم علي أصل يمكن أن يعتمد عليه نعم.

❧◈☙

❍ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

وجـــار لا تـــزال تـــزور منـــه   قـــوارض لا تنـــام ولا تنـــيم
قريـــب الـــدار نـــائى الـــود منـــه   معانـــدة أبـــت لا تســـتقيم
يبـــادر بالســـلام إذا التقينـــا   وتحـــت ضـــلوعه قلـــب ســـقيم

❍ **التعليق:**

يعني يتشكي من جار هذه صفته لا تزال تزور منه قوارض أي يبلغه عنه تعديات وتجنيات وظلم ووقيعة و نحو ذلك لا تزال تزور منه قوارض المراد بالقوارض أي من الأذى لا تنام ولا تنيم أي أنها دائمة منه المراد بقوله لا تنام أي هذه القوارض بمعني أنها دائمة مستمر في أذاه لجاره الدار قريبة لكن المودة بعيدة قريب الدار نائي الود منه فداره قريبة لكن مودته قاسية بعيدة يبادر بالسلام إذا التقينا وتحت ضلوعه قلب سقيم يظهر المودة حين اللقاء ويبادر بالسلام لكن قلبه ينطوي علي خلاف ذلك نعم.

❧◈☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن أبي علي الخلادي حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأنباوي عن هشام بن عبد الملك اليزني قال المقنع الكندي

أبـل الرجـال إذا أردت إخـاءهم | وتوسـمن أمـورهم وتفقـد
فـإذا ظفـرت بـذي اللبابـة والتقـى | فبـه اليـدين قريـر عـين فاشـدد
ومتـى يـزل ولا محالـة زلـة | فعلـى أخيـك بفضـل رأيـك فـاردد
وإذا الخنـا نقـض الحبـى في موضـع | ورأيـت أهـل الطـيش قـاموا فاقعـد

❍ **التعليق:**

هذه أبيات جميلة في أن الأصل في المسلم أن يتخير الرجال بعد أن يمتحن ويتفرس ويعرف مثل ما مر معنا في الحديث «المرء علي دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» قوله أبل الرجال أي إختبر محص تفرص ليس للمؤمن أن يمشي مع من شاء مع كل نت هب ودب بل يتخير من الإخوان والرفقاء من هم معونة له علي الخير أبل الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمن أمورهم وتفقد ومن أهم ما ينبغي أن يتوسم في الرجال حسن الصلة بالله في المواظبة علي الطاعة والعبادة ولا خير في صحبة رجل سيئة صلته بربه ولا سيما في الصلوات الخمس المكتوبة التي افترضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علي عباده في اليوم والليلة خمس مرات ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور: ٣٦] ولهذا من النعم أن هذه الصلوات محك يومي واضح يبتلي فيه الرجال ويمتحن الرجل هو من يواظب علي هذه الصلاة في بيوت الله مع الرجال في قوله تعالي ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور: ٣٦] من؟ رجال إذا فقد في المسجد أين هو من هذه الرجولة التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رجال أين هو من

هؤلاء ولهذا من أعظم ما يبتلي به ويعرف به الرجال في هذا الباب هذه الصلوات الخمس التي كتبها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأمور أخري تتوسم فيه من حيث أخلاقه من حيث تعامله إلي غير ذلك من المعاني التي تتوسم في المرء وتتفقد فيه وفي ضوئها تكون الصحبة فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقي اللبابة هي العقل الراجح الرسيم والتقي أي تقوي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فبه اليدين قرير عين فاشدد لا تفرق في صحبة الصاحب إذا كان بهذه الصفة ومتى يزل ولا محالة زلة والزلل حاصل وواقع إذا وجد من صاحبك فعلي أخيك بفضل رأيك فاردد قدم له النصيحة الطيبة الكلمة الصادقة لا تكن زلته سبب للهجران والقطيعة أما الصنف الآخر من الناس أهل الخنا فهؤلاء ابتعد عن مجالستهم واحذر منها أشد الحذر وإذا قاموا من المجلس فاقعد فيه أي لا تشاركهم في مجالسهم نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال قال سليمان بن داود لابنه يا بني عليك بالحبيب الأول فإن الآخر لا يعدله

❍ **التعليق:**

قال يا بني عليك بالحبيب الأول فإن الآخر لا يعدله علي كل إذا تقادم عهد المحبة مع الصدق فالأول أعظم مكانة لتقادم عهد المحبة لكن إذا وجد للمرء أخ أقوي من الأول صدقا في المحبة وقوة في المعونة علي الطاعة فإنه في مثل هذه الحالة الآخر لا يعدله الأول بل الآخر أفضل لكن إذا تساوو في الصدق والمودة فالأول له حق آخر وهو تقادم عهد الأخوة والصحبة له نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن بكر بن سيف حدثني محمد بن حسين قال كان أعرابي بالكوفة وكان له صديق وكان يظهر له مودة ونصيحة فاتخذه الأعرابي من عدده للشدائد إذ حزب الأعرابي أمر فأتاه فوجده بعيدا مما كان يظهر للأعرابي فأنشأ يقول :

إذا كـــان ود المــــرء لـــيس بزائـــد ... على مرحبا أو كيف أنت وحالكا
ولــم يــك إلا كاشــرا أو محــدثا ... فـــأف لـــود لـــيس إلا كـــذلكا
لســانك معســول ونفســك بشــة ... وعنـد الثريـا مـن صـديقك مالكـا
وأنـــت إذا همـــت يمينـــك مـــرة ... لتفعـــل خيـــرا قاتلتهـــا شـــمالكا

○ **التعليق:**

هذه الأبيات ذكرها منسوبة لهذا الأعرابي في هذه القصة تقدمت بقريب منها أو نحوها في صفحة ثمانين منسوبة لصالح بن عبدالقدوس وفي هذا السياق يذم الأعرابي في هذه الأبيات من كانت أخوته قاصرة علي مجرد الترحيب والإبتسامة عند اللقاء وأما صدق الأخوة في المواقف والشدائد فإنها لا تكون فيه فإن هذا ليس من الأصدقاء والإخوان الذين تشد بهم اليد ففي هذه الأبيات يذم من كانت هذه حاله وتقدم معنا نظير لها نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ:

سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول قال محمد بن حازم:

وإن من الإخوان كشرة وإخوان حياك الإله و مرحبا
وإخوان كيف الحال والأهل كله وذلك لا يسوي نقيرا متربا
جواد إذا استغنيت عنه بماله يقول الى القرض والقرض فاطلبا
فإن أنت حاولت الذي خلف ظهره وجدت الثريا منه في البعد أقربا

○ **التعليق:**

أي أن بعض الإخوان أخوته قاصرة علي مجرد الترحيب والسؤال مثل ما عبر الناظم يكشر يعني وإنما الإخوان إخوان كشرة أي إبتسامة وإخوان حياك الإله ومرحبا وإخوان كيف الحال والأهل كله يعني قاصر علي هذا المعني هذه أشياء جيده للسؤال لكن هو يذم من كان كذلك إذا كانت هذه مجرد أخوته ليس إلا وعندما يكون لأخيه عنده حاجه تنقلب الأمور وإن حاولت الذي خلف ظهره وجدت الثريا منه في البعد أقربا أقرب من الذي وراء ظهره نعم.

∞◊∞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يصادق المتلون ولا يؤاخي المتقلب ولا يظهر من الوداد إلا مثل ما يضمر ولا يضمر فوق ما يظهر ولا يكون في النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها لأنه لا يحمد من الإخاء ما لم يكن كذلك

وأنشدني محمد بن المنذر وأنشدني محمد بن خلف التيمي أنشدني رجل من خزاعة :

ولــيس أخـــي مـــن ودني بلســـانه ... ولكـن أخـي مـن ودني في النوائـب
ومــن مالــه مــالي إذا كنــت معــدما ... ومــالي لــه إن عــض دهــر بغــارب
فــلا تحمــدن عنــد الرخــاء مؤاخيــا ... فقـد تنكـر الإخـوان عنـد المصـائب
ومــا هــو إلا كيــف أنــت ومرحبــا ... وبـــالبيض رواغ كـــروغ الثعالـــب

❍ **التعليق:**

بالبيض أي الدراهم والنقود عند الإحتياج إليه رواغ كروغ الثعالب أما في ما سوي ذلك يلقي بالوداد والسؤال والترحيب ونحو ذلك وإذا لحقت أخاه شدة فإنه يتنكر له ولا يقف معه نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا ابن قحطبة حدثنا محمد بن الصباح حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة أحبب خليلك وخليل أبيك

وقال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه ملاحظة العين إذا لحظت فإنها لا تكاد تبدي إلا ما يضمر القلب من الود ولا تكاد تخفى ما يجنه الضمير من الصد فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ويجعل له بينهما مسلكا لا يرده عن معرفة صحته شيء تخيله

❍ **التعليق:**

ويجعل له بينهما مسلكا لا يرده عن معرفة صحته شيء تخيله أن هذا أمر ليس من اليقينيات وإنما هي ظنون نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن الحسن الذهلي حدثنا علي بن محمد المدائني عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدي وعن إبراهيم بن شكلة قال اعلم أن من أظهر ما تحب أو ما تكره فإنما لك أن تقيس ما أضمر قلبه بالذي أظهر لسانه وليس لك أن

ضميره فعامله على نحو ما يبدي لك لسانه وفي ذلك أقول

ليس المسيء إذا تغيب سوءه ... عني بمنزلة المسيء المعلن

من كان يظهر ما أحب فإنه ... عندي بمنزلة الأمين المحسن

والله أعلم بالقلوب وإنما ... لك ما بدا لك منهم بالألسن

ولقد يقال خلاف ذلك إنما ... لك ما بدا لك منهم بالأعين

التعليق:

يعني يقصد أن هذه فيها خلاف بعضهم يري أن الأعين أقوى في إظهار ما يبطنه الإنسان من الألسن نظرات الأعين وبعضهم يري أن الألسن أقوي كما أيضا سيشير إلي ذلك بقوله غير أن خالي نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

غير أن خالي خالفني في ذلك وزعم أن الأعين أبين شهادة على ما في القلوب من الألسن وكتب في ذلك رسالة أما بعد فقد بدا لي من صدك ما آيسني من ودك ولم يزل يخبرني لحظك ما تضمر لي من بغضك وكتب في أسفل ذلك

وما أحب إذا أحببت مكتتما ... يبدي العداوة أحيانا ويخفيها
تظل في قلبه البغضاء كامنة ... فالقلب يكتمها والعين تبديها
والنفس تعرف في عيني محدثها ... من كان سلمها أو من أعاديها
عيناك قد دلتا عيني منك على ... أشياء لولاهما ما كنت أدريها

التعليق:

لولاهما أي لولا العينين ما كنت أدريها أي ما أعرفها عنك فالشاهد هنا قوله فالقلب يكتمها والعين تبديها والنفس تعرف في عيني محدثها من كان سلمها أو من أعاديها ومعلوم أن المودة التي في القلب صدقها من عدمها أمر لا يطلع عليه الإنسان وإنما الذي يطلع عليه رب العالمين لكن الإنسان يستأنس باستشعار صدق هذه المودة بما يظهر من لسان المرء وأيضا ما تحمله نظرات العين فهذه أمور يستأنس بها ولا يستطيع أن يجزم الإنسان بما في قلوب من يلقاهم هل هو ود أو صادق أو ينطوي علي خيانة هذا أمر لا يعلم به إلا الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لكن المرء ليس له إلا حديث اللسان ونظرة الأعين ونظرة العين معبرة واللسان أيضا معبر عما في الضمير ويبني علي ذلك ولهذا لضعف الإنسان وقصوره قد ينخدع بمن يظن مثلا أنهم علي وداد صادق ثم تتكشف الأمور في المواقف علي خلاف ذلك فالشاهد ما في الضميروالقلوب لا يعلمه إلا الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ والإنسان ليس له في هذا الباب إلا الظاهر وما يتلمحه في حديث الإنسان ونظرة العين نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا الخلادي حدثنا أحمد بن محمد الصوفي حدثنا محمد بن صالح البغدادي قال سمعت إبراهيم الحجبى يقول دلائل الحب تعرف في المحب وإن لم ينطق لسانه

التعليق:

هذه الدلائل يعني ثمة دلائل تعرف بها المحبة حتي وإن لم ينطق اللسان فدلائل الحب متعددة منها ما سيأتي في الترجمة اللاحقة ما يشعر الإنسان بارتياح لأخيه مما يري فيه من صفاء وطمأنينة القلب إليه كما في الحديث الآتي «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فدلائل الحب تعرف في المحب وإن لم ينطق لسانه فثمة أمور أخري غير نطق اللسان ولهذا بعضهم يأتي إلي أخيه ويقول إني أحبك في الله فيقول له علمت ذلك من حالك يعني قبل أن ينطق مما يراه مثلا في معاني الخير والصدق والمودة ونحو ذلك نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر أئتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السختياني حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال قال رسول الله** ﷺ **«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»**

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال قال على «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **سبب أئتلاف الناس وافتراقهم بعد القضاء السابق هو تعارف الروحين وتناكر الروحين فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقه بين جسميهما**

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال رأى ابن عباس رجلا فقال إن هذا ليحبني قالوا وما علمك قال إني لأحبه والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف

أنشدني محمد بن أبي على الخلادي أنشدني أحمد بن محمد بن بكر الأبناوي :

إن القلـــوب لأجنـــاد مجنـــدة ... لله في الأرض بـــالأهواء تعتـــرف
فمـــا تعـــارف منهـــا فهـــو مؤتلـــف ... ومـــا تنـــاكر منهـــا فهـــو مختلـــف

التعليق:

هذه الترجمة ذكر ائتلاف الناس واختلافهم وذكر في هذه الترجمة حديث النبي ﷺ «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف» جنود

مجندة تأتلف وتختلف ولإئتلافها أسباب ولإختلافها أيضا أسباب وكل روح تقرب من الروح التي هي من جنسها وعلي شاكلتها فهذا هو سبب الأئتلاف وسبب الإختلاف فالأرواح تجتمع لما تألفه من أرواح مما هي من جنسها وتنفر مما ليس هو من جنسها والطيور علي أشباهها تقع كما سيأتي «فالأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف» والحديث الذي صدره رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي به الترجمة حديث صحيح خرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي في كتابه الصحيح قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب أئتلاف الناس وافتراقهم بعد القضاء السابق هو تعارف الروحين وتناكر الروحين فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما وهذه الألفة التي تكون بين النفوس أمر يجعله الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بين أرواح أهل الإيمان ونفوسهم وقلوبهم ولكن الله ألف بينهم هذا أمر يجعله الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فقلوبهم تميل وترتاح وتأنس ببعض لما جعله الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بين هذه القلوب من تآلف فالقلوب تأتلف وتختلف فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف وذكر هذا الآثر الجميل عن ابن عباس أنه رأي رجلا فقال إن هذا لا يحبني قالوا وما علمك كيف عرفت؟ قال لأني أحبه وهو يحبني لأن في قلبي محبة له واستشهد علي ذلك بالحديث قال «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف» وهذا المعني الذي يذكره ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يشعر به كثير من الناس يعني يأتي شخص إليه ويقول إني أحبك في الله ويحس أن هذا الذي قاله هو موجود أيضا في نفسه تجاه هذا الآخر إلا أن الآخر سبقه بالتعبير عن هذا الحب الذي في قلبه له ثم أورد هذين البيتين إن القلوب لأجناد مجندة لله في الأرض بالأهواء تعترف فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا ابن مكرم بالبصرة حدثنا بشر بن الوليد حدثنا الحكم ابن عبد الملك عن قتادة في قول الله تعالى «إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» قال للرحمة والطاعة فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة وإن تفرقت ديارهم وأهل معصية الله قلوبهم مختلفة وإن اجتمعت ديارهم وانشدني منصور بن محمد الكريزي

فما تبصر العينان والقلب آلف ... ولا القلب والعينان منطبقان

ولكن هما روحان تعرض ذي لذي ... فيعرف هذا ذي فيلتقيان

التعليق:

هذا الآثر عن قتادة في معني قوله تعالى «إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» قال للرحمة والطاعة قال فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة وفي الحديث وإن كان في سنده شيء من الكلام «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» فأهواؤهم مجتمعه أي علي الإتباع والطاعة والعبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقلوبهم وأهوائهم مجتمعه وإن تفرقت ديارهم لماذا؟ لأن الطاعة هي التي جمعتهم وإن تباعدت بينهم البلدان بل حتى إن تباعدت بينهم الأزمان فالحب قائم ولهذا سبحان الله تجد في قلبك محبة لأشخاص ماتوا من مئات السنين وفي قلبك محبة عظيمة فالمسافة الزمنية التي بينك وبينهم لم تحجب ولم تقطع هذه المحبة أيضا المسافة المكانية قد تكون أنت في طرف من الدنيا و هو في طرف آخر والبعد المكاني يبنك وبينه لا يقطع هذه المحبة فهي محبة ثابتة وإن تباعدت الأبدان وتباعدت الأمكنة واختلفت الألسن أيضا قد يكون هو من لسان وأنت من لسان آخر وأهل معصية الله قلوبهم مختلفة وإن اجتمعت ديارهم حتى وإن كان جارًا للإنسان بيته ملاصق لبيته نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من تقلبه وسكونه هو الإعتبار بمن يحادثه ويوده لأن المرء على دين خليله وطير السماء على أشكالها تقع

وما رأيت شيئا أدل على شيء ولا الدخان على النار مثل الصاحب على الصاحب وأنشدني الأبرش

يقـــاس المـــــرء بــــالمرء إذا مـــــا هــــو مـــــا شــــاه

وذو العـــــــــر إذا احتــــــك ذا الصــــــــــحة أعــــــــداه

وللشــــــيء علــــي الشــــيء مقـــــاييس وأشـــــــباه

وللـــــــروح علـــــى الــــروح دليـــــــل حــــــين يلقـــــــاه

❍ **التعليق:**

قوله فما تبصر العينان والقلب آلف ولا القلب والعينان منطبقان ولكن هما روحان تعرض ذي لذي فيعرف هذا ذي فيلتقيان هذا تقرير للمعني الذي تقدم في الحديث «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف» فتعرض ذي أي الروح لذي أي الروح الأخرى فيعرف هذا ذي فيلتقيان أي يأتلفان قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن من أعظم الدلائل علي معرفة ما فيه المرء من تقلبه وسكونه هو الإعتبار بمن يحادثه ويوده لأن المرء علي دين خليله وطير السماء علي أشكالها تقع هذا فيه بيان أن المرء يعتبر بجلسائه ويعرف بأصدقائه لا تسأل عن المرء وسئل عن قريني إن القرين بالمقارن يقتدي فيعتبر المرء بأصدقائه وبمن يجالس فيقول إن من أعظم الدلائل علي معرفة ما فيه المرء من تقلبه وسكونه هو الإعتبار بمن يحادثه ويوده لماذا؟ لأن الطيور علي أشكالها تقع والمرء علي دين خليله قال لأن المرء علي دين خليله وهذا ثبت عن النبي ﷺ في سنن أبي داود

وغيره المرء علي دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل يؤكد هذا المعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله ما رأيت شيئا أدل علي شيء ولا الدخان علي النار مثل الصاحب علي الصاحب يعني إذا أردت أن تعرف خلق شخص انظر إلي أصدقائه فسئل عن أصدقائه من يجالس من هم أصحابه لماذا؟لأن الإنسان لا يألف إلا من هو علي شاكلته الطير علي أشباهها تقع والأبيات التي أوردها فيها تقرير لهذا المعني يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ما شاه إذا كان يماشيه ويصاحبه فإنه يقاس به لأن المرء يعرف بقرينه ورفيقه ومن يصاحب ثم يبين أن الصحبة مؤثرة في الصاحب يقول وذو العر إذا احتك ذا الصحة أعداه العر الجرب فذو العر أي الجرب الإنسان الذي هو مصاب بالجرب والمراد بالجرب هنا الذنوب والأخلاق السيئة والخلال القبيحة فإنه يعدي الصحيح إذا صاحبه وجالسه وللشيء علي الشيء مقاييس وأشباه وللروح علي الروح دليل حين يلقاه نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير العبدي أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن هبيرة قال أعتبر الناس بأخدانهم

أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن موسى الأخباري حدثنا محمد بن صالح العدوى حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبعي قال سمعت أبي يقول سمعت مالكا يقول الناس أشكال كأجناس الطير الحمام مع الحمام والغراب مع الغراب والبط مع البط والصعو مع الصعو وكل إنسان مع شكله

○ **التعليق:**

قال هبيرة اعتبر الناس بأخدانهم أي أصدقائهم وخلانهم ومن يصاحبون ويجالسون اعتبرهم بأخدانهم إذا أردت أن تعرف خلق شخص فانظر من هم أصحابه لأن الطير علي أشباهها تقع مثل ما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ الناس أشكال كأجناس الطير الناس أشكال أي في معادنهم وصفاتهم وأخلاقهم كأجناس الطير ومعلوم أن كل طير يقع عند شكله الطير علي أشباهها تقع فالحمام مع الحمام الغراب مع الغراب البط مع البط الصعو مع الصعو والصعو طائر صغير أصغر من العصفور فالطيور علي أشباهها تقع وكل إنسان مع شكله نعم.

❧◈☙

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

يــزين الفتــى في قومــه ويشــينه وفي غيــرهم أخدانــه ومداخلــه
لكل امريء شكل من الناس مثله وكل امريء يهوى الي ما يشاكله

○ **التعليق:**

يقول يزين الفتي في قومه ويشينه وفي غيرهم أي في قومه وفي غير قومه أخدانه ومداخله من يجالس من يداخل من يصاحب من يرافق هؤلاء هم من يزينون الفتي أو يشينونه إن كانوا أهل خير زانوه وإن كانوا أهل شر شانوه لكل امريء شكل من الناس مثله وكل امريء يهوي إلي ما يشاكله إن كان من أهل الخير فإنه يهوي ويميل إلي الخير وإن كان من أهل الشر فإنه يميل ويهوي مجالسة أهل الشر نعم.

٨٥ ◊ ٥٥

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي

إن كنت حلت وبي استبدلت ودا فلم تأت مكروها ولا بدعا
فكل طير إلى الأشكال موقعها والفرع يجري إلى الأعراق منتزعا

❍ التعليق:

قوله (زنجى) ومر معنا ضبطه بكسر الزاى

يقول هذا الناظم إن كنت حلت وبي استبدلت مطرحًا ودا فلم تأتي مكروها ولا بدعا فكل طير إلي الأشكال موقعها والفرع يجري إلي الأعراق منتزعا يعني إذا كنت استبدلت بالمودة غيري وانتقلت من مودتي مثلا إلي غيري وجالست غيري فيقول هذا ليس بدعا من الأمر ولست بغريب معني قوله ليس ببدع أي ليس بغريب ليس بأمر مستغرب لماذا؟ لأن الطير تقع علي أشكالها وكل يميل إلي جنسه وإذا جلس المرء إلي من هو ليس علي شاكلته لم يستمر معه وانتقل منه إلي من هو علي شاكلته نعم.

❀◊❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل يجتنب مماشاة المريب في نفسه ويفارق صحبة المتهم في دينه لأن من صحب قوما عرف بهم ومن عاشر أمرأ نسب إليه والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله فإذا لم يجد المرء بدا من صحبة الناس تحرى صحبة من زانه إذا صحبه ولم يشنه إذا عرف به وإن رأى منه حسنة عدها وإن رأى منه سيئة سترها وإن سكت عنه ابتدأه وإن سأله أعطاه

❍ **التعليق:**

هذا كلام جميل جدا في الحث علي مصاحبة أهل الخير والفضل وتجنب مماشاة أهل الريبة ومن هو متهم في دينه لأن من صحب قوما عرف بهم ومن عاشر إمرأ نسب إليه نعم.

﴿◊﴾

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرني محمد بن يعقوب البغلاني حدثني عبد الصمد ابن الفضل حدثنا الحسن بن سهيل التياس عن أبي عبيدة قال تكلم عصفور في بني إسرائيل مع فخ فقال العصفور انحناؤك لماذا قال من العبادة قال دفنك في التراب لماذا قال من التواضع قال فما هذا الشعر قال هذا لباسي قال ما هذا الطعام قال هذا أعددته لعابر السبيل قال أفتأذن لي فيه قال نعم قال فنقر العصفور نقرة فأخذ بعنقه فجعل العصفور يقول شغ شغ وقال والله لا يغرني قارئ بعدك أبدا

❍ التعليق:

قوله (فأخذ بعنقه) أي الفخ

قارئ أي ناسك ومتعبد علي كل حال هذا مثل يذكر لمن يظهر الوداد ويتزين بالخير ويتجمل به ويتصنع وهو يبطن خلاف ذلك يظهر أنه يحسن للإنسان وفي الباطن يحفر له ويكيد له ويتربص به الدوائر وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها لكن مع ذلك فالخير موجود ولا يزال ولا يقنط الناس بل الخير لا يزال موجود ومن يتحري ييسر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له ولا سيما وهذا من أهم ما يكون في هذا الباب صدق اللجوء إلي الله لأن رفقة الصالحين الذين يعينون الإنسان علي الخير وعلي طاعة الله هذه من منن الله سبحانه علي عبده ولهذا يصدق الإنسان مع الله في سؤاله أن يوفقه لمجالسة أهل الخير أن يوفقه للرفقة الصالحة أن يعينه علي الصبر علي مجالستهم الأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن أبي علي للأقيشر

إن كنـــت تبغـــي العلـــم أو نحـــوه أو شـــاهدا يخبـــر عـــن غائـــب

فـــــاعتبر الأرض بأســـــمائها واعتبـــر الصـــاحب بالصـــاحب

التعليق:

ويروي أيضا فاعتبر الأرض بسكانها والصاحب بالصاحب يعنى إذا كنت تبغي العلم أو نحوه أو شاهدا يخبر عن غائب فاعتبر الأرض بسكانها واعتبر الصاحب بالصاحب يعني الصاحب يعتبر بصاحبه تعرف حاله من خلال من يصاحب ويجالس نعم.

﴾◊﴿

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي

تعارف أرواح الرجال إذا التقوا فمنهم عدو يتقى وخليل
كذاك أمور الناس والناس منهم خفيف إذا صاحبته وثقيل

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري

اجعل قرينك من رضيت فعاله واحذر مقارنة القرين الشائن
كم من قرين شائن لقرينه ومهجن منه لكل محاسن

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به**

فإذا ازداد به علما ازاد به عجبا ومنهم من يبغضه حين يراه ثم لا يزداد به علما إلا ازداد له مقتا فاتفاقهما يكون باتفاق الروحين قديما وافتراقهما يكون بافتراقهما وإذا ائتلفا ثم افترقا فراق حياة من غير بغض حادث أو فراق ممات فهنالك الموت الفظيع والأسف الوجيع ولا يكون موقف أطول غمة وأظهر حسرة وأدوم كآبة وأشد تأسفا وأكثر تلهفا من موقف الفراق بين المتآخيين وما ذاق ذائق طعما أمر من فراق الخلين وانصرام القرينين

○ **التعليق:**

قوله فيما تقدم اجعل قرينك من رضيت فعاله واحذر مقارنة القرين الشائن من الشين وهو القبح

والمراد بالشائن الذي تشين صحبته قرينة لأن القرين يعتبر بقرينه كم من قرين شائن لقرينه ومهجن منه لكل محاسن فالقرين إذا كان من أهل السوء فإن مصاحبته لا تزيد الإنسان إلا شرا بحيث أنه لا تفيده هذه الصحبة إلا أن هذه الصحبة تشينه ولا تزينه نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال سمعت معمر بن سهل يقول سمعت جعفر بن عون يقول سمعت مسعر بن كدام يقول

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

التعليق:

لما قال فيما سبق وما ذاق ذائق طعمًا أمر من فراق الخلين وانصرام القرينين نبه إلي أن هذا أمر لا بد منه وكل اجتماع إلي افتراق فأمر لا بد منه لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن موسى أبو غزية قال كان أبو العتاهية إذا قدم المدينة يجلس الى فأراد مرة الخروج فودعني وقال :

إن نعـــش نجتمـــع وإلا فمـــا   أشغل من مات عن جميع الأنام

حدثنا محمد بن أبي علي قال أنشدنا محمد بن موسى السمري أنشدنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني

فيــا عجبــا ممـــن يمـــد يمينـــه   إلـى إلفـه عنـد الفـراق فيسـرع
ولمـا رأيـت البـين قـد جـد جـده   وأيـدي المطايـا بالأحبـة تسـرع
ضـعفت عـن التوديـع لمـا رأيتـه   فصـافحته بالقلـب والعـين تـدمع

❍ **التعليق:**

قوله لما رأيت البين أي الفراق الجد جده وأيدي المطايا بالأحبة تسرع ضعفت عن التوديع لما رأيته فصافحته بالقلب والعين تدمع أي هو الآن في هذه الأبيات يصور شدة الفراق بين المتحابين يعني مثلا مع صاحب له وأمضي معه مثلا مدة طويلة في المحبة ومثلا طلب العلم والعبادة وسنة سنتين ثلاث ثم جاءه صاحبه وقال أنا أودعك وأنا مثلا راجع إلي البلاد ربما لا يكون بينهما بعد ذلك التقاء فهذا صعب جدا ولهذا يقول مظهرا صعوبة هذا الموقف فيا عجبا ممن يمد يمينه إلي إلفه عند الفراق فيسرع ولما رأيت البين قد جد جده وأيدي المطايا بالأحبة تسرع ضعفت عن التوديع لما رأيته فصافحته بالقلب والعين تدمع يعني حتى أن بعضهم ربما لا يحب أن يراه ويعانقه ويوادعه لشدة الأمر عليه ولكن يقول له سافر ومتى ما جاء السفر سافر وأسأل الله أن يحفظك لكن يصعب عليه جدا أن يعانقه ويصافحه من شدة الموقف عليه نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني ابن فياض للبحتري

الله جـــــارك في انطلاقــــــك تلقـــــاء شـــامك أو عراقـــك
لا تعــــــذلني في مســــــيري يــــوم ســـرت ولـــم ألاقـــك
إني خشـــــــيت مواقفـــــــا للبـــين تفســـح غـــرب ماقـــك
وعلمـــت مـــا يخشـــى المـــودع عنـــــد ضـــــمك واعتناقـــــك
فتركــــــت ذاك تعمـــــــدا وخرجـــت أهـــرب مـــن فراقـــك

❍ **التعليق:**

هذه الأبيات في المعني السابق لكنها أوضح يعني معني شدة الفراق بين المتحابين شدة البين إذا جد جده يقول الله جارك يعني صاحبه سيسافر ويودعه يقول الله جارك يعني الله صاحبك في سفرك وحافظك في ترحالك الله جارك في انطلاقك تلقاء شامك أو عراقك إلي أي وجهه أنت ذاهب الله جارك الله معك الله حافظك الله صاحبك في السفر أنت الصاحب في السفر لا تعدلني في مسيري يوم سرت ولم ألاقك يقول لا تلمني أنني اليوم الذي مشيت فيه لم آت إلي الوداع وتوديعك لا تلمني في ذلك لأنه موقف صعب جدا عليك لا أحتمله لا تلمني في ذلك لماذا؟ يقول إني خشيت مواقفا للبين أي الفراق تسفح غرب ماقك تسفح أي تسيل دمع العيون وتنسكب العيون دموعا من شدة الموقف تسفح غرب ماقك والمراد بغرب أي مسيل الدمع من العين والماق هو مقدمة العين وعلمت ما يخشي المودع عند ضمك واعتناقك يعني موقف صعب جدا فتركت ذاك تعمدا وخرجت أهرب من فراقك أي أفر من هذا الموقف نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي

أفي كــل يــوم حيــة البــين تقــرع وعينـي لبـين مـن ذوي الـود تـدمع
فـلا الـنفس مـع تهيامهـا مسـتفيقة ولا بالـذي يـأتي بـه الـدهر تقنـع

❍ **التعليق:**

هذا أيضا بمعني الذي سبق يعني صعوبة الفراق وشدته علي الناس لكن يأتي في بعض الشعر مثل نسبة الأمور إلى الدهر مثل أيضا سبق ما مر معنا في ثلاثة وتسعين إن عض دهر بغارب فجاء في الحديث «لا تسبوا الدهر» الدهر هو تقلب الليل والنهار لا يأتي بحسنات و لاسيئات الدهر هو تقلب الليل والنهار لكن يأتي ذم الدهر وأشياء من هذا القبيل في الشعر والدهر ليس بيده شيء وليس هو الذي يأتي بالأمور وإنما الذي يصرف الليل والنهار ويدبر الأمر رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن بندار بن أصرم

أيا قلب لا تجزع من البين واصطبر فليس لما يقضى عليك بدافع
توكل على الرحمن إن كنت مؤمنا يجرك ودعني من نحوس الطوالع
وكل الذي قد قدر الله واقع وما لم يقدره فليس بواقع

التعليق:

هذه جميلة في التوكل علي الله عز وجل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول أيا قلب لا تجزع من البين أي الفراق واصطبر فليس لما يقضى عليك بدافع فالأمر الذي كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حاصل فلا تجزع هذا أمر كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسواء كان الفراق بموت الصاحب أو بسفره أو غير ذلك فلا تجزع من ذلك فالأمر قضاء وقدر توكل علي الرحمن إن كنت مؤمنا يجرك ودعني من نحوس الطوالع دعني من هذه التعلقات الباطلة بالطوالع يقولون طالعه سعد وطالعه نحس ونحو ذلك هذا دعنا منه توكل علي الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجرك أي يكفيك وكل الذي قد قدر الله واقع وما لم يقدر فليس بواقع ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن نعم.

❀◈❀

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسي لنفسه

نطقـــت مدامعـــه بمـــا في قلبـــه وعـــن الجـــواب لســـانه لا ينطـــق
فكأنـــه ممـــا يقاســـي قلبـــه دنـــف مـــريض أو أســـير موثـــق
وكأنمـــا الأشـــجان في أحشـــائه لفـــراق أهـــل الـــود نـــار تحـــرق
كيـف السـلو وهـل لـه مـن سـلوة مـــن بـــان عـــن أحبابـــه يتفـــرق

❍ **التعليق:**

قوله فكأنه مما يقاسي قلبه دنف مريض والدنف هو المرض الملازم دنف مريض أو أسير موثق فكأنه مما يقاسى قلبه دنف مريض أو أسير موثق نعم.

❊

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السبب المؤدي الى إظهار الجزع عند فراق المتواخين هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ثم ورود الشيء على مضمر الحشا بضد ما انطوى عليه قديما فمن وطن نفسه في ابتداء المعاشرة على ورود ضد الجميل عليها من صحبته وتأمل ورود المكروه منه على غفلته لا يظهر الجزع عند الفراق ولا يشكو الأسف والإحتراق إلا بمقدار ما يوجب العلم إظهاره

○ **التعليق:**

يتكلم هنا عن هذه المواقف التى مرت إظهار الجزع عند الفراق يقول سببه هو ترك الرضا بما يوجب القضاء لكن إذا وطد الإنسان نفسه من أول الأمر عندما يلتقى بالإخوان ويجد الأصحاب والخلان أن هذه الصحبة لابد فيها من افتراق إما بموت أو بسفر لا تدوم وكل اجتماع لا بد له من افتراق إلا الإجتماع فى جنات النعيم نسأل الله الكريم لنا أجمعين من فضله نعم.

﴾◊﴿

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أولع بجماعة الفراق حتى إنهم خرجوا إلى ثلب الطيور ومدح الدمن وتأولوا لعن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **الغراب**

○ **التعليق:**

قوله (ولقد أو لع بجماعة الفراق) الصواب والله أعلم أن (الباء) فى العبارة تقدمت والصواب (ولقد أولع جماعة بالفراق) ومعنى أولوعوا أى أخذت ألسنتهم تلهج به وتذكره دائمًا وهذا الغراب فى القصة وهى ستأتى يضرب به المثل فيما يذهب ولا يعود الرسول الذى يذهب ولا يعود يقال مثل غراب نوح يعنى كل من يرسل بشىء ولا يقوم بهذه المهمة وينشغل بأمور أخرى يقال مثل غراب نوح لكن القصة الله أعلم بها نعم.

꧁◊꧂

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا جعفر بن أحمد بن سنان القطان بواسط حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى الضبعي حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي السليل عن أبي مراوح قال بعث نوح الغراب والحمامه حيث استقرت السفينه على الجودي يلتمسان له الجد يعني الأرض فأما الغراب فرأى جيفه فوقع عليها فأكل منها وأما الحمامة فجاءت عاضة على غصن شجرة بطين أحمر قال فدعا للحمامة بالبركة وأما الغراب فلعنه وقال له قولا شديدا

❍ **التعليق:**

قوله (فأما الغراب فرأى جيفة فوقع عليها فأكل منها) أى انشغل بها

وهذا خبر والله أعلم بصحته فالراوى (أبو مراوح) كم بينه وبين نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ قرون وربما الإصطلاح الذى عند المحدثين انقطاع ما يكفى والإعضال ما يكفى هذه قرون ليست سنة أو سنتين نعم.

❊ ◈ ❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغوي قال قال سليم بن منصور أمرت لبنى فاشترى له أربع غربان فلما رأتهن صرخت وبكت وكتفتهن وجعلت تضربهن بالسوط حتى قتلتهن جميعا وأنشأت تقول

لقد نادى الغراب بين لبنى — فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباين دار لبنى — وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب — أكل الدهر سعيك في تباب
لقد أولعت لا لقيت خيرا — بتفريق المحب عن الحباب

وأنشدني إبراهيم بن على الطرفي قال أنشدني على بن إسحاق

غراب البين ويحك صح بقرب — كما قد صحت ويحك بالبعاد
تنادى بالتفرق كل يوم — فمالك بالتواصل لا تنادي
أراني الله ريشك عن قريب — تمرطه البزاة بكل وادي
كما أسخنت يوم البين عيني — وألقيت الحزازة في فؤادي

❍ **التعليق:**

هذه جاهلية كلها نعم.

❧ ◈ ❧

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب بهمذان حدثنا عبد الكبير بن محمد الأنسي حدثنا بعض أصحابنا قال مررت بالبصرة على باب دار فإذا بصوت غراب يجلد فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار وبين يديها جوار وهي تأمر بجلده فقلت أما تتقون الله في هذا الغراب فقلن لي هذا الغراب الذي قيل فيه.

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي ... أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

فقلت ليس هذا ذاك الغراب فقالت والله ما نراك تأخذ البريء بالسقيم حتى تظفر بذلك الغراب

○ **التعليق:**

كأن فيه..(فى الموضع هذا فقلت ليس هذا ذاك الغراب يعنى ليس هذا الذى تعذبنه ذاك الغراب الذى فى قصة لبنى فقالت والله (ما نراك) لعلها (ما نزال) نأخذ البرىء بالسقيم حتى (تظفر) لعلها (نظفر) بذاك الغراب على كل حال هذه جاهلية كلها جاهلية نعم.

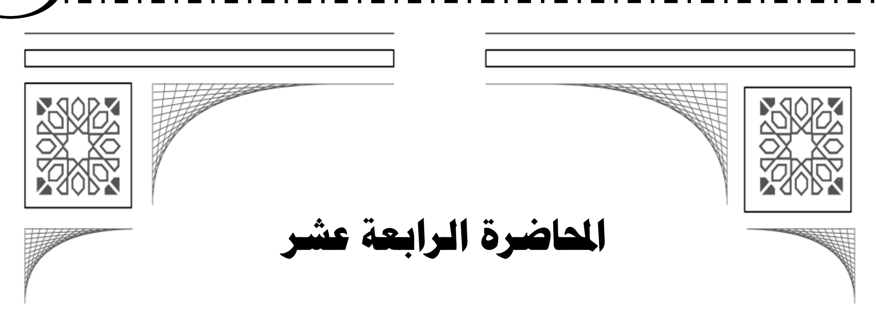
❧◊☙

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات والأشعار على التقصي في كتاب الوداع والفراق فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب إذ شرطنا فيه الإشارة الى الشيء المحصول والإيماء الى الشيء المقول

○ **التعليق:**

أما إن كانت من جنس الأبيات الأخيرة فجميل أنه لم يذكرها.



المحاضرة الرابعة عشر

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح اليشكري حدثنا حماد ابن سلمه عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عن رسول الله** ﷺ **أن رجلا زار أخا له في قرية فأرصد الله على مدرجته ملكا فقال أين تريد فقال أريد أخا لي في هذه القرية فقال هل له عليك من نعمة تربها قال لا إلا أني أحبه في الله قال إني رسول الله إليك أن الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **أحبك كما أحببته**

التعليق:

أما بعد: هذه الترجمة ذكر الحث علي زيارة الإخوان وإكرامهم زيارة الإخوان أي في الله عز وجل وتقربا إليه عز وجل فإن التزاور في الله من الطاعات ومن القرب وإكرامهم أي بالقول والفعل فإن من الإكرام اللقاء بطلاقة الوجه وحسن الترحيب والتلطف في القول وبالفعل بحسن ضيافتهم وحسن الإحتفاء بهم والفرح بمجيئهم فهذا كله داخل في باب الإكرام قال باب قال ذكر الحث علي زيارة الإخوان وإكرامهم وأورد هذا الحديث مصدرا به هذه الترجمة حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال «إن رجلا زار أخا له في قرية» أي ارتحل من منطقة إلي منطقة من بلد إلي بلد لا لشيء إلا لزيارة أخ له في الله فأرصد الله علي مدرجته ملكا أي

جعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ملكا في الطريق المدرجة هو الطريق فأمر ملكا أن يكون في طريقه إلي تلك القرية فلقيه الملك وقال أين تريد قال أريد أخا لي في هذه القرية أي ليس لي غرض آخر ولا هدف آخر وإنما هدفي بالذهاب إلي تلك القرية أنني أريد أخا لي فقال هل له عليك من نعمة تربها معني تربها أي ترعاها وتحفظها وتتعاهدها هل له عليك من نعمة تربها أي زيارتك هذه سببها أن له عليك نعمة له عليك يد قال لا إني أحبه في الله ليس هناك سبب في هذه الزيارة إلا المحبة في الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال إني رسول الله إليك أن الله تعالي أحبك كما أحببته وهذه ثمرة التحاب في الله بما يعلمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من صدق المرء في ضميره في أن هذه المحبة إنما هي لله وفي الله ليست تتبع مصالح ومنافع وغير ذلك وإنما هي محبة لأجل الله تثمر التزاور في الله والتعاون علي طاعة الله وتثمر المعاني العظيمة التي هي معاني الأخوة الإيمانية وانظر جملة منها عقب قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في سورة الحجرات «إنما المؤمنون إخوة» فإن هذه الأخوة الإيمانية لها مقتضياتها العظيمة التي هي من ثمار هذه الأخوة وآثارها العظيمة المباركة فمن هذه الآثار أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يحب من كان كذلك من أحب إخوانه في الله وتقربا إلي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأحبهم في الله لا لشيء آخر أحبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نعم.

***

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فل الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للإخوان وتفقد أحوالهم لأن الزائر في قصده الزيارة يشتمل على مصادفة معنيين أحدهما استكمال الذخر في الآجل بفعله ذلك وقال بعض القدماء إن الرجل إذا زار أخا له في الله لم يبق في السماء ملك إلا حياه بتحية مستأنفة لا يحييه ملك مثله ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادت صاحبتها ألا ان ابن فلان زار أخا في الله والأخر التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور مع الإنقلاب بغنيمتين معا

○ **التعليق:**

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن هذا التعاهد لزيارة الإخوان يتحصل منه ثمرتين الأولي أخروية والثانية دنيوية أما الأخروية فهي استكمال الذخر في الآجل أي مثوبة وأجرا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما نقله عن بعض القدماء أنه لم يبق في السماء ملك إلي آخره هذا أمر يحتاج إلي دليل ولا يكفي في مثل ذلك نقله هكذا مرسلا عن بعض القدماء والثمرة الثانية دنيوية والتلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور وما من شك أن مجالسة الأخ في الله فيها من الأنس والراحة شيء عظيم فهذه ثمرة دنيوية يجدها الأخ في زيارته لأخيه في الله نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا عبد الله بن رجاء الغداني قال كان عتبة الغلام يأوي إلي المقابر والصحاري ثم يخرج الى السواحل فيقيم بها فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم

❍ **التعليق:**

الشاهد من هذا الخبر لعتبة الغلام وهو معروف بعتبة الزاهد له ترجمة في سير أعلي من النبلاء الشاهد من ذلك قوله ورأى إخوانه فسلم عليهم وأما ما ذكر في أنه يأوي إلي المقابر والصحاري فهذا سبق الحديث عن مثل ذلك في الكلام علي العزلة في ترجمة سبقت عند المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نعم.

❧◊☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثني بعض مشيختنا قال قال عامر بن عبد قيس إنما أجدني آسف على البصرة لأربع خصال تجاوب مؤذنيها وظمإ الهواجر ولأن بها إخواني ولأن بها وطني

❍ **التعليق:**

وهذا الآثر عن عامر بن عبد قيس في قوله إنما أجدني آسف علي البصرة لأمور أربعة الشاهد منه قوله ولأن بها إخواني والمراد الأخوة في الله نعم.

وبقوله ولأن بها وطني في حب الوطن وهذا أمر مركوز في نفوس الناس حب الإنسان لوطنه حبه للمكان الذي ولد فيه حنينه إلي المقر الأول هذا مركوز في الفطر الأرض التي نشأ عليها ودرج في صغره علي تربتها واستنشق هوائها وشرب من مائها في فطر الناس مركوز حب هذه الأرض ولا شيء في ذلك هذا حب طبيعي موجود في كل إنسان نعم.

❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن بشر الخطابي حدثنا محمد بن سهل التميمي قال سمعت الفريابي يقول جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة فقال يا أبا محمد لم يكن طريقي عليك ولكن أحببت ان أزورك وأقيم عندك فأقام عندي ليلة وجاءني ابن المبارك وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس فأقام عندي ثلاثا فقلت يا أبا عبد الرحمن أقم عندي عشرة أيام قال لا الضيافة ثلاثة أيام

التعليق:

وهذا الآثر قال الفريابي جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة فقال يا أبا محمد لم يكن طريقي عليك ولكني أحببت أن أزورك أي عدل الطريق عليه وجعل طريقه من جهته من أجل أن يزوره ربما تطول المسافة قليلا لكنه عدل الطريق إلي جهته من أجل أن يزوره وهذه الزيارة زيارة في الله ويستفاد من ذلك فائدة عظيمة كان السلف علي عناية بها ألا وهي ترتيب المصالح الدينية المعتبرة في الرحلة الواحدة يعني كم هو جميل بالإنسان أن يرتب وقته بدل أن تنشيء مثلا سفرة وتعود لفلان في السفرة الواحدة تضع لك خط طريق تحقق فيه عدد من المصالح فهذا الآن خرج من بلده معتمرا لكنه انتهز الطريق ولو أنه يغير مسار الطريق شيئا ما تطول المسافة شيئا ما لكن تتحقق بذلك مصالح عظيمة نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الناس في الزيارة على ضربين فمنهم من صحح الحال بينه وبين أخيه وتعرى عن وجود الخلل وورود البغض فيه فإذا كان بهذا النعت أحببت له الإكثار من الزيارة والإفراط في الإجتماع لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعته لا يورث الملالة والإفراط في الإجتماع بين من هذه صفته يزيد في المؤانسة والضرب الآخر من لم يستحكم الود بينه وبين من يواخيه ولا أداهما الحال إلى ارتفاع الحشمة بينهما فيما يبتذلان لمهنتيهما فإذا كان بهذا النعت أحببت له الإقلال من الزيارة لأن الإكثار منها بينهما يؤدي الى الملالة وكل مبذول مملول وكل ممنوع ملذوذ وقد روى عن النبي ﷺ أخبار كثيرة تصرح بنفي الإكثار من الزيارة حيث يقول زر غبا تزدد حبا إلا أنه لا يصح منها خبر من جهه النقل فتنكبنا عن ذكرها وإخراجها في الكتاب وإليها ذهب بعض الناس حتى ذكروها في أشعارهم

من ذلك ما انشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي

وقـد قـال النبـي وكـان بـرا ... إذا زرت الحبيـب فـزره غبـا
وأقلـل زور مـن تهـواه تـزدد ... الـى مـن زرتـه مقـة وحبـا

وأنشدني محمد بن أبي علي

إني رأيتـك لـي محبـا ... والـى حـين أغيـب صـبا
فقعـدت لا لملالـة ... حـدثت ولا اسـتحدثت ذنبـا
إلا لقـول نبينـا ... زوروا علـى الأيـام غبـا

○ **التعليق:**

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي هنا أن الزيارة علي ضربين من حيث الإكثار منها أو التقليل فهي علي ضربين يقول إذا كانت الأخوة مستحكمة ولا يوجد ثمة خلل ولا يوجد شيء من البغض فإن هذه الأخوة المستحكمة بين الأخوين لو أكثر فيها الزيارة

لاضير في ذلك لأنه لا يترتب علي هذه الزيارة حصول الملل والسئامة لأن الأخوة بينهما مستحكمة فلا تحدث الملامح والملل والسئامة أما إذا كانت الأخوة دون ذلك فهذا يري المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي أن في مثل هذا تقلل الزيارة ولا يكثر منها وأشار بعد ذلك إلي الحديث وضعفه لكن الحديث ثابث زر غبا تزدد حبا والزيارة المتكررة المتوالية تحدث ملالة حتي مع ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصنف الأول إلا إذا كانت هناك مثلا مصالح معينة تقوم الزيارة عليها كأن يتدارس معه كتاب أو يراجع عليه متنا أو نحو ذلك مما يترتب عليه مصالح ويعلم من حال من يزوره أنه لا يمل منه في ذلك فإنه في مثل هذا لا بأس به من أجل هذه المصلحة نعم.

وفي البيت قال وقد قال النبي وكان برا إذا زرت الحبيب فزره غبا واقلل زور من تهواه تزدد إلي من زرته مقة المقت الحب الشديد تزدد إلي من زرته مقة وحبا نعم.

ﻸ ◊ ﻸ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا خالد بن أحمد الشيباني حدثنا سعيد ابن عنبسة حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي قال سمعت الحسن بن صالح يقول كل مودة لا تزداد إلا بالإلتقاء مدخولة

❍ **التعليق:**

قال كل مودة لا تزداد إلا بالإلتقاء مدخولة لأن الإلتقاء من طبيعتة أنه يحصل فيه مؤانسة وعلي إثر هذه المؤانسة تزداد المودة يزداد الإرتباط فإذا كانت المودة لا تزداد إلا باللقاء فهي مدخولة معني مدخولة أن لها سبب آخر وهو المؤانسة والمباسطة التي تحصل عند التلاقي أما المودة التي تزداد مع مر الأيام باللقاء وبدونه بالتلاقي وبدون التلاقي فهذا دليل علي صفاء هذه المودة نعم.

☙◈❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من صحح الحال بينه وبين الإخوان لم يضره كثرة الإلتقاء ولا يضره قلة الإجتماع لاستحكام الحال بينهما والمودة إذا أضر بها قلة الإلتقاء تكون مدخولة وأما من لم يحل في نفس صحة الحال ولم يستحكم أسباب الوداد فالتوقي من الإكثار في الزيارة أولى به لئلا يستثقل ويمل

التعليق:

يعني نقل عن الحسن بن صالح أنه قال كل مودة لا تزداد إلا بالإلتقاء مدخولة ورتب علي ذلك أن المودة إذا أضر بها قلة الإلتقاء تكون مدخولة فالمودة تزداد لأنها قائمة علي أصل عظيم وهو التآخي في الله والتحاب في الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فإذا كانت قلة الزيارة تضعفها وكثرة الزيارة تزيدها وبدون الزيارة لا تزداد فإنها مدخولة كما أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وانشدني الخلادي أنشدني أحمد بن محمد الصيداوي

عليــــك بـــإقلال الزيـــارة إنهـــا　　　تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فـــإني رأيــت القطــر يســأم دائبــا　　　ويســأل بالأيــدي إذا هــو أمســكا

❍ **التعليق:**

القطر هو المطر إذا أخذ ينهمر ويصب دائما يحصل عند الناس سئامة وملل ربما يحصل لهم أذي بكثرة انهمار المطر ونزوله وإذا توقف المطر وانقطع وانحبس عن الناس مدوا أيديهم إلي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يسألونه ويسأل بالأيدي إذا هو أمسك فمثل ذلك يقول الزيارة إذا أقل الإنسان منها كان لها وقع وطعن أما إذا كثرت وزادت حصلت الملالة والسئامة وربما أفضي ذلك إلي الهجر نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزى.

أقلـــل زيارتـــك الحبيـــب　　　تكـــون كـــالثوب اســـتجده
إن الصـــديق يملـــه　　　ألا يـــزال يـــراك عنـــده

❍ **التعليق:**

يعني بإكثار الزيارة وتواديها نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني بن أوس أحمد بن محمد بن أحمد بن أوس لأبي تمام

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلي الخلق إذ ليست عليهم بسرمد

التعليق:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه والديباجتان صفحتا الوجه فبطول المقام تخلوا لك الديباجتان وبالإغتراب يحصل التجدد وضرب لذلك مثلا قال فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلي الخلق إذ ليست عليهم بسرمد يعني لو كانت سرمد الشمس كل الوقت ليس هناك ليل وإنما كله نهار لحصلت السئامة والملل لكن إذا أشرقت الشمس الصباح ابتهجت القلوب بإشراقتها وهكذا يكون التجدد نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حميد بن زنجوية حدثنا حسين بن الوليد حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكةقال قال ابن عباس أكرم الناس علي جليسي الذي يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلي

التعليق:

يعني مراده بالجليس الذي يحرص علي الزيارة ويرغب فيها نعم.

و ليس المقصود ذاك التخطي بالرقاب وإنما المقصود الحرص علي الزيارة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا مكحول ببيروت حدثنا عبيد الله بن محمد بن هارون حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن بشير عن قتادة في قوله تعالى ﴿ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الشورى: ٢٦] **قال يشفعون في إخوانهم** ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ١٧٣] **قال يشفعون في إخوان إخوانهم**

باب ذكر صفة الأحمق والجاهل معا

أنبأنا محمد بن نصر بن نوفل أنبأنا أبو داود السنجي حدثنا أبو عاصم عن شبيل بن عزرة عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ **قال قال رسول الله** ﷺ **«مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يعطك شيئا يصبك من عطره ومثل الجليس السوء مثل القين إن لم يحرق ثوبك أصابك من دخانه»**

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى شبيل بن عزرة هذا من أفاضل أهل البصرة وقرائهم ولكنه لم يحفظ إسناد هذا الخبر لأن أنس بن مالك سمع هذا الخبر من أبي موسى عن النبي** ﷺ **فقصر به شبيل ولم يحفظه**

التعليق:

قوله لأن أنس ابن مالك سمع هذا الخبر من أبي موسي تقدم ذلك صفحة سبعة وثمانين تقدم إراد هذا الحديث بإسناده من طريق أنس بن مالك يرويه عن أبي موسي الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا فقصر به شبيل قصر شبيل أي بالإسناد فأوقفه علي أنس بن مالك ولم يحفظه وعرفنا فيما سبق أن هذا الحديث حديث أبي موسي الأشعري أصله في الصحيحين باللفظ المشهور مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير إلي آخر الحديث نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والواجب على العاقل ترك صحبة الأحمق ومجانبة معاشرة النوكي كما يجب عليه لزوم صحبة العاقل الأريب وعشرة الفطن اللبيب لأن العاقل إذا لم يصبك الحظ من عقله أصابك من الإعتبار به والأحمق إن لم يعدك حمقه تدنست بعشرته

❍ **التعليق:**

قوله (والأحمق إن لم يعدك) أى تصاب به بالعدوى الأحمق هو الأرعن سيء التصرف والفعال والأقوال والنوكي هم الحمقى فترك مصاحبة هؤلاء ومجانبة معاشرتهم وجالستهم فيه السلامة للمرء لأن من جالسهم إن لم يصب بمجالستهم بالعدوى أي يعدوه في خصالهم وتصرفاتهم الذميمة إن لم يحصل ذلك دنسوه بعشرتهم أي دنسوا سمعته وذكره بعشرتهم لأن القرين يعرف بقرينه والجليس يعرف بجليسه كما تقدم

وقوله والأحمق إن لم يعدك حمقه تدنست بعشرته يستفاد من الحديث المثل الذي ذكره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن نافخ الكير قال «إما أن يحرق ثيابك أو أن تجد منه رأي الحسن خبيثة» نعم.

❧◈☙

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أنبأنا الحسين بن محمد السنجي حدثنا إبراهيم بن أبي داود البرلسي حدثنا زهير بن عباد حدثنا شهاب بن خراش عن أبيه عن يسير بن عمرو وكان قد أدرك الصحابة قال أهجر الأحمق فليس للأحمق خير من هجرانه

❍ **التعليق:**

قوله اهجر الأحمق أي تجنب مجالسته وابتعد عن معاشرته ليس الأحمق خير من هجرانه أي من أجل السلامة منه نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي حدثنا أحمد ابن إسحاق الخشاب عن الأصمعي عن سلمة بن بلال قال كان فتى يعجب على ابن أبي طالب فرآه يوما وهو يماشي رجلا متهما فقال له

فـــلا تصـــحب أخـــا الجهـــل وإيـــــــــاك وإيـــــــــاه
فكـــــم مـــــن جاهـــل أردى حليمــــــا حـــــين آخـــــاه
يقـــاس المـــــرء بـــالمرء إذا مــــا هــــو ماشــــاه
وللشـــــيء مـــــن الشـــــيء مقــــــاييس وأشــــــباه
وللقلـــــب علـــــى القلـــــب دليــــــل حــــين يلقــــاه

التعليق:

هذه الأبيات ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هنا منسوبة إلي علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد تقدمت بنحو هذه الألفاظ في صفحة ستة وتسعين منسوبة لعبد العزيز الأبرش وعبد العزيز الأبرش هذا له أبيات كثيرة مرت معنا وستأتي نقلها المصنف وفيها معاني جميلة جدا وتتبعت فوجدت أن إسمه فيما نقله عنه من أبيات في هذا الكتاب يقرب من الخمسين مرة يذكره ويذكر عنه أبيات وأبياته جميلة فلو أن أحد طلبة العلم انتدب إلي جمع أبياته سواء من هذا الكتاب ومن غيره من المصادر أو أيضا شيئا عن حياته فحقيقة الأبيات التي تنقل عنه مما مر معنا أبيات جميلة وفيها معاني جزلة حرية بأن تجمع وأن تفرد وأما معاني الأبيات فقد تقدم نعم.

❧◈❧

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش

أختـــر ذوي التمييـــز واســـتبقهم ... وجانـــب النـــوكي وأهـــل الريـــب
فصـــحبة العاقـــل زيـــن الفتـــى ... وصـــحبة الأنـــوك أخـــذ الســـبب

❍ **التعليق:**

الأنوك الأحمق وصحبة الأنوك أخذ السبب فصحبة العاقل زين للفتي أما الأنوك فإنها تجر الإنسان إما أن يعديه أو أن يشينه نعم.

ﷻ◈ﷻ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من علامات الحمق التي يجب للعاقل تفقدها ممن خفي عليه أمره سرعة الجواب وترك التثبت والإفراط في الضحك وكثرة الإلتفات والوقيعة في الأخيار والإختلاط بالأشرار

التعليق:

كم علامة هذه؟كلها علامات للأحمق علامات للرجل الأحمق ذكر من علامات:

الأولى: سرعة الجواب يعني لا يتأني وأي شيء يسأل عنه يجيب بسرعة دون أن يتثبت ودون أن يتأني في الإجابة.

الثانية: ترك التثبت لأنه من حمقه ليس عنده أناة وإنما هو في عجلة وتسرع دائم.

الثالثة: الإفراط في الضحك أي كثرة القهقهة والضحك.

الرابعة: كثرة الإلتفات وهو يمشي يتلفت يمين ويسار إلتفات سريع فكثرة الإلتفات.

الخامسة: الوقيعة في الأخيار هذه من علامات الحمق الأخيار يستفاد منهم ولا يذكرون إلا بخير لأنهم هم أخيار إذا كان يذكر الأخيار بالسوء والذم والقدح فهذا من علامات الحمق.

السادسة:الإختلاط بالأشرار فهذه صفات أو علامات ست للرجل الأحمق نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأحمق إذا أعرضت عنه اغتم وإن أقبلت عليه اغتر وإن حلمت عنه جهل عليك وإن جهلت عليه حلم عنك وإن أسأت إليه أحسن إليك وإن أحسنت إليه أساء إليك وإذا ظلمته انتصفت منه ويظلمك إذا أنصفته وما أشبه عشرة الحمقى إلا بما أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي

لي صديق يرى حقوقي عليه ... نافلات وحقه كان فرضا
لو قطعت الجبال طولا إليه ... ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما صنعت غير كبير ... واشتهى أن أزيد في الأرض أرضا

التعليق:

يعني لا يشكر الجميل ولا يعترف بالإحسان والإحسان الذي يعامل به يراه أنه فرض وواجب وأنه حقيق بذلك وجدير وبالمقابل يري أن إحسانه إلي الآخرين ليس بفرض وإنما هو نفل فيري له حقوق علي إخوانه وزملائه ولا يعتبر أي حق لهم عليه

ومهما أحسنوا إليه لا يري ذلك شيئا ويري أن حقه أكبر من ذلك وهذا المثل ضربه قال لو قطعت الجبال طولا إليه ثم من بعد طولها صرت عرضا لرأي ما صنعت غير كبير يعني أن حقه أكبر من كل ما يقدم له نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال قال لي أبو طاهر ابن السرح قال حدثني خالي أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد ابن أبي أيوب قال لا تصاحب صاحب السوء فإنه قطعه من النار لا يستقيم وده ولا يفي بعهده

التعليق:

قطعة من النار أي أن صحبته كلها معاناة لأنه رجل سوء ولا تؤمن غائلته وصحبته لا تجر لصاحبه إلا السرج وهو قطعة من النار أي لا يوجد عنده إلا الأذى والشر فلا خير في صحبته نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني المنتصر بن بلال الانصاري

لـن يسـمع الاحمـق مـن واعـظ ... في رفعـة الصـوت وفي همسـه
لـن تبلـغ الأعـداء مـن جاهـل ... مـا يبلـغ الجاهـل مـن نفسـه
والحمـق داء مالـه حيلـه ... ترجـى كبعـد الـنجم في لمسـه

التعليق:

يقول أن الأحمق يستفيد من موعظة سواء كانت سرا أو علنا في رفعه الصوت أي الواعظ في الموعظة العامة أو في همسه أي في وعظه سرا بينه وبينه فالمواعظ العلنية التي تسمع وكذلك ما يخص به من موعظة كل ذلك لا يستفيد منه لشدة حمقه نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أظلم الظلمات الحمق كما أن أنفذ البصائر العقل فإذا أمتحن المرء بعشرة الأحمق كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه والمباينة لأخلاقه

التعليق:

كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه يعني إذا ابتلي بصحبة أحمق ابتلي بذلك ليس له اختيار في هذا الأمر كأن يكون معه مثلا في مسكنه أو في عمله أو شيء من هذا القبيل كان الواجب عليه انظر فائدة ثمينه كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه والمباينة لأخلاقه إذا ابتلي بصحبة فليلزم أخلاق نفسه لا يتأثر بأخلاق هذا الأخمق لا يجهل مثل جهله ولا يتعامل بالسفه مثل سفهه وإنما يبقي علي أخلاقه العالية وآدابه الرفيعة في معاملته معه نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه والمباينة لأخلاقه مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الإنتباه لما حرم غيره التوفيق له فإن جرى الأحمق في صحبته ميدانه في عشرته فالواجب على العاقل لزوم السكوت حينئذ في أوقاته لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف أنبأنا بنسا حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا ابن داود قال سمعت الأعمش يقول السكوت للأحمق جواب

○ **التعليق:**

قوله (مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الإنتباه لما حرم غيره التوفيق له)يعنى يحمد الله على العافية مما ابتلاه به.

قوله (السكوت للأحمق جواب) أى لا يسترسل معه فى الحديث وينبسط معه فى الكلام إذا ابتلى بمعاشرة الأحمق يحرص علي السكوت وملازمة الصمت ويقول السكوت للأحمق جواب لأنه لا سلامة منه والسكوت فيه السلامة نعم.

❧◇☙

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإن من الحمقى من لا يصده عن سلوكه السكوت عنه ولا يدفعه عن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه

○ **التعليق:**

مع ذلك يقول أيضا لا حيلة فيه نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نعته تكلف بعض التجاهل في الأحايين لأن بعض الحلم إذعان كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل ولقد أنشدني محمد بن اسحاق الواسطي

لئن كنت محتاجا الى الحلم إنني ... الى الجهل في بعض الأحايين
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإني مقوم ... ومن شاء تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا ... ولكنني أرضى به حين أحرج
فإن قال بعض الناس فيه سماجة ... فقد صدقوا والذل بالحر أسمج

○ **التعليق:**

يعني قوله (إني إلي الجهل في بعض الأحايين أحوج)المراد دفع الجهل بالجهل دفع جهل الجاهلين بالجهل عليهم مثلهم مثل صنيعهم لكن هذا ما ينبغي هذا لا ينبغي وإنما الجاهل يتعامل معه في ضوء قول الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقوله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [المؤمنون: ٩٦] أما هذه القائدة سقيمة ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين هذه قاعدة سقيمة وإنما الإنسان يدفع بالحسنى ويعرض عن الجاهلين

قوله ولي فرس للحلم بالحلم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإني مقوم ... ومن شاء تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا ... ولكنني أرضى به حين أحرج
فإن قال بعض الناس فيه سماجة ... فقد صدقوا والذل بالحر أسمج

وعلي كل الأمر كما تقدم يعني هذا دفع للجهل بالجهل والجهل لا يدفع

بالجهل والسباب لا يدفع بالسباب والبذاء لا يدفع بالبذاء قلة الأدب والحياة لا يدفع بقلة الأدب وقلة الحياة وإنما تدفع هذه التصرفات السيئة والذميمة بالإعراض أجمل من هذه الأبيات قول الشاعر ولقد أمر علي السفيه يسبني فأمر ثمة وأقول لا يعنيني يعرض عنه ولا يبالي لسبابه وكأنه لم يسمع منه أصلا أما مقابلة السباب بالسباب والجهل بالجهل فإن هذا الباب عند السفيه البضاعة فيه كثيرة جدًا وسلاطة اللسان وسوء التصرف فما مثل مداواته بالإعراض عنه وعدم الوقوف معه في جهله وفي سفهه فهذه الأبيات فيها دفع الجهل بالجهل وكأنه يقول الحلم له مقام ولى فرس أعددته لذلك والجهل أيضا له مقام ولى فرس أعددته لذلك ولهذا يصف نفسه بأنك إن شئت تقويمي فإني مقوم ومن شاء تعويجي فإني معوج يعني بهذا التصرف من أراد أن يعدني مع العقلاء أعدني ومن أراد ان يعدني مع الجهلاء أعدني لأنني جاهز في أي الحالات هذا ما يصلح ولا يليق بالإنسان وإنما الصحيح هو الإعراض عن الجاهلين ودفع شرهم بالتي هي أحسن نعم.

؟؟

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني علي بن محمد البسامي

لن ترضى الرذل إلا حين تسخطه ... وليس يسخط إلا حين ترضيه
ولا يسوءك إلا حين تكرمه ... ولا يسرك إلا حين تقصيه

حدثنا أبو يعلي حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو سيفان المعمرى عن سفيان الثوري قال ابن آدم لم يخلق إلا أحمق ولولا ذلك لم ينفعه عيشه

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عصام بن الفضل الرازي حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن حرب قال قال عبد الله بن حسن لابنه يا بني احذر الجاهل وإن كان لك ناصحا كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوا فيوشك الجاهل أن يورطك بمشورته في بعض اغترارك فيسبق إليك مكر العاقل

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ومن شيم الأحمق العجلة والخفة والعجز والفجور والجهل والمقت والوهن والمهانة والتعرض والتحاسد والظلم والخيانة والغفلة والسهو والغي والفحش والفخر والخيلاء والعدوان والبغضاء**

وإن من أعظم أمارات الحمق في الأحمق لسانه فإنه يكون قلبه في طرف لسانه ما خطر على قلبه نطق به لسانه والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل ويتكلم في الساعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه باقل

❍ **التعليق:**

قوله أن الحمق في الأحمق لسانه فإنه يكون قلبه في طرف لسانه مر معنا قبل قليل في صفات الحمقي سرعة الجواب ومن صفاته أن الذي في قلبه يخرجه علي السريع دون أن يتأمل في العواقب والمئالات ما خطر علي قلبه نطق به لسانه قال والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل مضرب مثل في الفصاحة

والبلاغة والبيان ويتكلم في الساعة الأخري بكلام لا يعجز عنه باقل وباقل مضرب مثل في العي فيعني كثير الكلام يقول الأحمق كثير الكلام أحيانا تأتي كلمات جميلة وأحيانا تأتي كلمات سيئة مثل ما يقولون دلو ماء ودلو طين نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعاقل يجب عليه مجانبة من هذا نعته وترك مخالطة من هذه صفته فإنهم يجترؤون على من عاشرهم ألا ترى الزط ليس هم بأشجع الناس ولكنهم يجترؤون على الأسد لكثرة ما يرونها

التعليق:

ألا تري الزط يعني هذا جيل من السند بشرتهم سوداء فيقول ألا تري الزط ليسوا هم بأشجع الناس ولكنهم يجترؤون على الأسد لكثرة ما يرونها لكثرة ما يرونها يجترؤون عليها ما لا يجترئ عليها غيرهم نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن يوسف بن أيوب الأرمني

ولمن يعادي عاقلا خير له ... من أن يكون له صديق أحمق
فارغب بنفسك أن تصادق أحمقا ... إن الصديق على الصديق مصدق

التعليق:

هذان البيتان تقدم صفحة إثنين وثمانين منسوبة لأحمد البكري نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني أبي لصالح بن عبد القدوس

أحـــذر الأحمـــق أن تصـــحبه ... إنمـــا الأحمـــق كـــالثوب الخلـــق
كلمـــا رقعتـــه مـــن جانـــب ... حركتـــه الـــريح وهنـــا فـــانخرق
أو كصـــدع في زجـــاج فـــاحش ... هـــل تـــرى صـــدع زجـــاج يلتصـــق
كحمـــار الســـوء إن أقضـــمته ... رمـــح النـــاس وإن جـــاع نهـــق
وإذا جالســـــته في مجلـــــس ... أفســـد المجلـــس منـــه بـــالخرق
وإذا نهنهتـــــه كـــــي يرعـــــوي ... زاد شـــــرا وتمـــــادى في الحمـــــق
عجبـــا للنـــاس في أرزاقهـــم ... ذاك عطشـــان وهـــذا قـــد غـــرق

○ **التعليق:**

هذه الأبيات لصالح بن عبد القدوس يقول فيها إحذر الأحمق أن تصحبه يعني هذه الأبيات في التحذير من صحبة الحمقي ومثل حال الأحمق بالثوب الخلق هو الثوب القديم المتهالك كلما رقعته من جانب حركته الرياح أي حركت الرياح الثوب وهنا فإنخرق أي إنخرق من جهة أخري هذا مثل كالثوب الخلق ومثل آخر كصدع في زجاج فاحش هل تري صدع زجاج يلتصق؟ الزجاج إذا أصبح له صدع وتشلخ هل يلتصق مثله يقول الأحمق ومثال ثالث كحمار السوء إن أقضمته أي أعلفته وأطعمته رمح الناس أي رفسهم برجله وإن جاع نهق أي ليس في حيلة سواء أطعم أو لم يطعم وإذا جالسته في مجلس أفسد المجلس منه بالخرق أي سوء التصرف والفعال وإذا نهنهته أي زجرته كي يرعوي زاد شرا وتمادي في الحمق عجبا للناس في أرزاقهم ذاك عطشان وهذا قد غرق هذه الأبيات تنسب لصالح بن عبد القدوس هذا وأيضا تنسب في بعض المصادر لغيره ومن عجيب أمره أعني

صالح بن عبد القدوس صاحب هذه الأبيات التي يحذر فيها من مجالسة الحمقي له بيت يقول فيه وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم وإن كنت في الحمقي فكن أنت أحمقا وله شعر أسوء من هذا وأسوء بكثير وبعض العلماء تعجب من حاله أنه يروي عنه أبيات فيها معاني جيدة في باب الآداب وفي المقابل له أبيات سيئة جدا وبل في بعضها زندقة والعياذ بالله ولهذا في طبقات الشعراء لما ذكر بعض الأبيات الجميلة له وذكر بعض الشعر الجميل تعجب قال فيا عجبا كيف يمكن أن زنديق يقول مثل هذا القول نعم.

℘◊ↄ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا يعقوب بن إسحاق القاضي حدثنا أبو هانئ عبد الحميد بن عبد الله حدثنا عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال الأحمق كالثوب الخلق إن رفأته من جانب انخرق من جانب آخر ومثل الفخار المكسور لا يرقع ولا يشعب ولا يعاد طينا

فهذا مثل الأحمق إن صحبته عناك وإن اعتزلته شتمك وإن أعطاك من عليك وإن أعطيته كفرك وإن أسر إليك اتهمك وإن أسررت اليه خانك وإن كان فوقك حقرك وإن كان دونك غمزك

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش

إعلــم بــأن مــن الرجــال بهيمــة   في صـورة الرجـل السـميع المبصـر
فطنــا بكــل مصــيبة في مالــه   وإذا يصــاب بدينــه لــم يشــعر

التعليق:

قوله (عناك) أى أتعبك أدخلك فى العناء والتعب

هذا عبد العزيز بن سليمان الأبرش من شرت قبل قليل إلي جمال أبياته وكثرتها في هذا الكتاب قال إعلم بأن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر فطنا بكل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر يعني إذا كانت المصيبة تتعلق بشخصه أو بماله يغضب ويفطن لها ولا تغيب عنه أما المصيبة في الدين فإنه لا يبالي بها ونبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان لا يغضب لنفسه قط وإذا انتهكت حرمة الله لم يكن يرضي به شيء نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي

وإن عنـــاء أن تفهــــم جـــاهلا فيحســب جهــلا أنــه منــك أعلــم

وتشــخص أبصــار الرعــاع تعجبــا إليـــه وقـــالوا إنـــه منـــك أفهـــم

التعليق:

يعني معاناة تفهيم الجهال والحمقي ولا سيما من كان منهم متعالمًا يري أنه يفهم وأنه علي دراية ومعرفة نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأحمق يتوهم أنه أعقل من ركب فيه الروح وأن الحمق قسم على العالم غيره والأحمق مبغض في الناس مجهول في الدنيا غير مرضى العمل ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين كما أن العاقل محبب الى الناس مسود في الدنيا مرضى العمل عند الله في الآخرة وعند الصالحين في الدنيا

التعليق:

يقول من عجيب أمر الأحمق أنه يتوهم أنه أعقل من ركب فيه الروح أنه لا يوجد علي وجه الأرض أعقل منه وأيضا أن الحمق قسم علي العالم غيره ليس فيه شيء من الحمق وإنما يكون في الناس وليس فيه منه شيء نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندي حدثنا عبد الله بن سليمان قال كان الحسن يقول أنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحمق المقبل

التعليق:

العاقل المدبر أي المعرض يقول أنا له أرجي من الأحمق المقبل يعني مقبل عليه يتظاهر بالمودة والمحبة يقول أنا أرجي للعاقل المدبر من الأحمق المقبل نعم.

﴿﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري

ومـا الغـي إلا أن تصـاحب غاويـا ... وما الرشد إلا أن تصاحب من رشـد
ولـن يصـحب الإنسـان إلا نظيـره ... وإن لـم يكونـا مـن قبيـل ولا بلـد

التعليق:

واوالطيور كما تقدم معنا علي أشباهها تقع والغي صحبة الغواة والرشد صحبة الراشدين لأن الصاحب ساحب ومؤثر في جليسه ولا بد نعم.

﴿﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني علي بن محمد البسامي

لنــا جلــيس تــارك لــلأدب   جليســه مــن نوكــه في تعــب
يغضـب جهـلا عنـد حـال الرضـا   عمـدا ويرضـى عنـد حـال الغضـب
فــنحن منــه كلمــا جاءنــا   في عجـب قـد جـاز حـد العجـب
فكأنــه مــن ســوء تأديبــه   أســلم في كتــاب ســوء الأدب

التعليق:

من سوء أدبه كأنه تخرج من مدرسة سوء الأدب يعني كأنه تتلمذ ودرس في مدرسة سوء الأدب لأنك تتعجب من حاله يعني في كل الأحوال تجده علي خط النقيض تماما فمن حمقه يغضب عند حال الرضا ويرضي عند حال الغضب فحاله في غاية الغرابة من سوء فعاله وتصرفاته نعم.

❧◈☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي حدثنا عبد الله بن موسى البصري حدثنا العتبي قال سمعت أعرابيا يقول العاقل بخشونه العيش مع العقلاء أسر منه بلين العيش مع السفهاء

التعليق:

خشونة العيش من العقلاء لا تكسب صاحبها شرا أو سوءا في أخلاقه أما لين العيش مع السفهاء تضر الإنسان في أخلاقه وسلوكه نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإن من شيم العاقل الحلم والصمت والوقار والسكينة والوفاء والبذل والحكمة والعلم والورع والعدل والقوة والحزم والكياسة والتمييز وحسن السمت والتواضع والعفو والإغضاء والتعفف والإحسان فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشد يديه به ولا يزايله على الأحوال كلها، والواجب على العاقل أن لا يصحب بحيله من لا يستفيد منه خيرا

❍ **التعليق:**

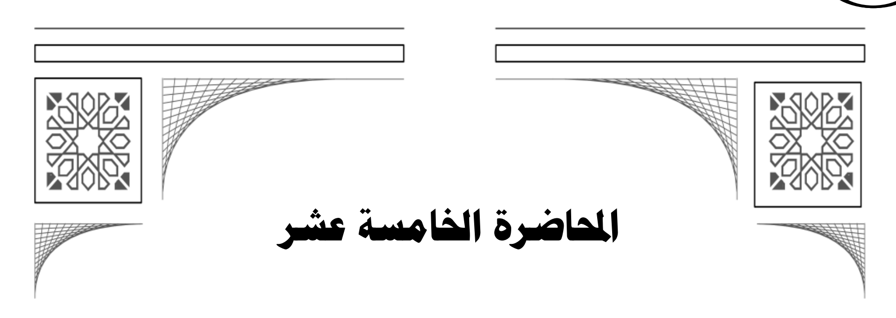
يعني يحرص علي الإستمساك والمحافظة علي صحبة من كانت هذه صفته نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا محمد بن محمود بن عدي النسوي حدثنا علي بن سعيد بن جرير قال سمعت أحمد بن حنبل يقول أخبرت عن مالك بن دينار أنه قال مررت براهب في صومعته فناديته فأشرف علي فكلمني وكلمته فقال لي فيما يقول إذا استطعت أن تجعل فيما بينك وبين الدنيا حائطا من حديد فافعل وإياك وكل جليس لا تستفيد منه خيرا فلا تجالسه قريبا كان أو بعيدا

❍ **التعليق:**

قريبا أي له قرابة بك أو بعيدا أي ليس بينك وبينه صلة أو قرابة والمراد ألا يجالس إلا من في صحبته خير قد تقدم معنا قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «المرء علي دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» نعم.



المحاضرة الخامسة عشر

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر الزجر عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أحمد الرقام بتستر حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى حدثنا أبو داود حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال«قال رسول الله** ﷺ **أياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا»**

التعليق:

هذه الترجمة ذكر الزجر عن التجسس وسوء الظن والتجسس هو تتبع عورات المسلمين وفى الحديث: «يا آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن يتبع عورة مسلم يفضحه الله ولو كان فى بيته» أو كما جاء عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وسوء الظن بالمسلمين وبأهل الخير والفضل إما بحمل فعالهم على أسوأ المحامل أو حمل أقوالهم على أسوأ المحامل فجاء الإسلام بالنهى عن ذلك والتحذير منه وقد أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حديث أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانًا» وقوله إياكم والظن المراد به الظن السيء وذلك بأن يحقق الظن ويصدقه أما الذى

يعرض للقلب ويهجم عليه ولا يسترسل معه المرء ولا يصدقه لا يضر الإنسان وحديث النفس لا يضر الإنسان الذى يهجم على قلبه ولا يسترسل معه لكن الكلام على تحقيق الظن وتصديقه والإسترسال معه وقوله ولا تجسسوا ولا تحسسوا بالجيم هو البحث عن العورات وبالحاء هو الإستماع لحديث القوم وقوله لا تباغضوا أى تجنبوا فعل ما يوجب ويوجد بينكم البغض ولهذا قال بعض العلماء يستفاد من قوله ولا تباغضوا النهى عن البدعة لأن وجودها يوجد البغض لأن السنة تجمع والبدعة تفرق وكونوا عباد الله إخوانًا أى متآخين بأخوة الإيمان قائمين بما تقتضيه هذه الأخوة نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقى حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي حدثنا عبدالله بن المبارك عن يونس بن نافع عن كثير بن زياد قال سمعت الحسن يقول لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء فإنه من التجسس

التعليق:

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا تسأل عن عمل أخيك الحسن

والسيء فإنه من التجسس المراد بلا تسأل أي لا يتتبع الإنسان عمل الآخرين لماذا فعل كذا ولماذا لم يفعل كذا ويتقصي من حاله ويسأل عن أعماله قال هذا من التجسس وبعض الناس فعلا فيه هذه الصفة يتتبع أمور الآخرين يسأل لماذا فعل كذا لماذا جاء هنا لماذا لم يذهب إلي كذا يسأل أولا هودخول منه فيما لا يعنيه ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ثم هو من التجسس ولا يرضي مثل هذا الصنيع لنفسه فكيف يرضاه للآخرين نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس علي عيوب الناس مع الإشتغال بإصلاح عيوب نفسه فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه وأن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه وتعذر عليه ترك عيوب نفسه وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه من عاب الناس عابوه

○ **التعليق:**

قوله من اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه الأصل أن الإنسان يفتش في عيوب نفسه وينظر في جوانب التقصير عنده ومواطن الخلل ويتدارك وهذا ما يسمي محاسبة النفس بحيث ينظر ويفتش في عيوب نفسه وهذا إذا كان كذلك أراح قلبه وكان ذلك موجبا لإصلاح نفسه بهذه المحاسبة والمتابعة أما إذا كان غافلا عن عيوب نفسه منشغلا بعيوب الآخرين أو أنه يعيب الآخرين بأمور هو متصف بها أو أسد فهذه مصيبة عظيمة ولهذا ينبغي علي الإنسان أن يهتم بعيوب نفسه وينظر في مواطن الخلل والتقصير عنده ولهذا يذكر أن بعض السلف سئل فقيل له ما رأيناك تتكلم في أحد قال لست راض عن نفسي عندي من النقص والتقصير ما هو شاغل لي علي النظر في عيوب الآخرين فالأصل في العبد أن ينظر في عيوب نفسه وفي تقصيره وفي تفريطه ويعمل علي استصلاح حاله أما أن يغفل عن عيوب نفسه وينشغل بعيوب الآخرين هذه مصيبة عظيمة ولهذا تجد أحيانا بعض الناس علي سبيل المثال يفرط في صلاة الفجر ينام عنها ويكسل عن القيام بها ثم إذا أصبح قال فلان فيه وفلان فيه صل الفجر أولا اعبد الله أد فرائض الإسلام تجنب المحرمات انظر تقصيرك في جنب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ داوي نقصك

ومرضك والخلل الذي عندك ثم بعد ذلك تأتي الأمور الأخري وليس معني ذلك أنه يغفل عن جوانب الإصلاح أو مواطن النقد أو التحذير من الباطل لكن المراد أن العبد لا بد أن يهتم بنفسه وينظر فيها وفي أعماله أما أن يكون منشغلا بعيوب الآخرين غافلا عن عيب نفسه أو أن يكون يعيب الآخرين بعيوب فيه أو بأمور فيه مثلها أو أشد منها فهذه مصيبة نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول :

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا	عليك وأبدوا منك ما كان يستر
وقد قال في بعض الأقاويل قائل	له منطق فيه كلام محبر
إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم	فلا عيب إلا دون ما منك يذكر
وإن عبت قوما بالذي ليس فيهم	فذلك عند الله والناس أكبر
وإن عبت قوما بالذي فيك مثله	فكيف يعيب العور من هو أعور
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه	أشد إذا عد العيوب وأنكر
متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم	عيوبا ولكن الذي فيك أكثر
فسالمهم بالكف عنهم فإنهم	بعيبك من عينيك أهدى وأبصر

التعليق:

هذه أبيات يعني جميلة في المعني نفسه الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي ويقول فيها الناظم إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا إذا عبتهم أيضا هم سيعيبونك ويكثرون في ذكر عيوبك وأكثروا عليك وأبدوا منك ما كان يستر فمعني ذلك أنك بعيبك لهم جرأتهم عليك وكما تدين تدان فتكون بذلك قد جرأت الآخرين علي تتبع عيوبك مثل ما أنك شغلت بتتبع عيوبهم يتجرؤن علي تتبع عيوبك وإظهار ما ستر منها وقد قال في بعض الأقاويل قائل له منطق فيه كلام محبرإذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم فلا عيب إلا دون ما منك يذكر يعني ما من عيب إلا دون العيوب التي فيك بمعني أنه فيك عيوب ينبغي أن تشغل نفسك بها بدل إنشغالك بعيوب الآخرين وإن عبت قوما بالذي ليس فيهم فذلك عند الله والناس أكبر هذا أمر عظيم أن يذم إنسان آخر بما ليس فيه ويدعي عليه من الفعال

والأقوال ما ليس فيه وإن عبت قوما بالذي فيك مثله إن عبتهم بعيب موجود فيك مثله فكيف يعيب العور من هو أعور يعني كيف يعيب المرضي من هو مثلهم مصاب بالمرض نفسه وكيف يعيب الناس من عيب نفسه أشد إذا عد العيوب وأنكروك كيف يعيب الناس من عيوبه أشد من عيوب غيره متي تلتمس للناس عيبا تجد لهم عيوبا ولكن الذي فيك أكثر متي تتبع وتبحث عن عيوب الناس لا بد أن تجد لكن أيضا فيك أنت عيوب أكثر ففتش عن عيوب نفسك عملا علي إستصلاح نفسك والتقليل من هذه الأخطاء والتوبة إلي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا أنفع لك عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذه الأبيات لعله يبحث من القائل لها؟قال ولقد أحسن الذى يقول نعم.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضي حدثنا سعيد ابن مسلمة الإيادي قال أدعت أمرأة على رجل حمارا لها فقدمته الى القاضي فسألها البينة فأحضرت أبا دلامة ورجلا آخر فقال لها القاضي أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته فأئتنا بشاهد آخر فأتت أبا دلامة فأخبرته فصار الى القاضي وأنشأ يقول :

إن النــاس عطــوني تغطيــت عــنهم　　　وإن بحثــوا عنــي ففــيهم مباحــث

وإن حفـروا بئـري حفـرت بئـارهم　　　لــيعلم يومــا كيــف تلــك النبائــث

فقال القاضي للمرأة كم ثمن حمارك قالت ثلاثمائة قال قد احتملتها لك من مالي

التعليق:

قوله (فقال لها القاضي أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته فأتنا بشاهد آخر فأتت أبا دلامة) كأنه طلب منها الإتيان بشاهد غير أبى دلامة

قال في أبياته إن الناس غطوني تغطيت عنهم يعني سكتوا عني ولم يخوضوا مثلًا في عيوبي أو فى مواطن الخلل أيضا أنا أغطي عنهم أسكت عنهم وعن عيوبهم ولا أتكلم فيهم وإن بحثوا عني وإن فتشوا عني من مواطن الخلل أو التقصير وأخذوا يشيعون ويذكرون عيوبي ففيهم مباحث أيضا هم فيهم مجال لأن يبحث الواحد ويستخرج من عيوبهم ومواطن الخلل عندهم قال وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ويروي أيضا إن نبثوا بئري نبثت بئارهم والنبث هو الحفر قال وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلم يوما كيف تلك النبائث وهي تلك الأماكن التي حفرت والنبث هو الحفر جاء بهذه الأبيات وأسمعها القاضي لأنه رد شهادته ورد الشهادة مبني علي مثلًا ملاحظة الأمور أو الصفات في الشخص فكأنه بهذه الأبيات يظهر أنه يريد أن يتسلط علي القاضي بالعيوب وذكرها ونحو ذلك فقال القاضي للمرأة

كم ثمن حمارك قالت ثلاثمئة قال قد احتملتها لك من مالي أي أن القاضي أطلق ذلك اليهود مر علينا أن إدعت علي رجل حمار جاء في بعض المصادر أنه يهودي إدعت علي رجل حمارا لها فأطلق ذلك الرجل وغرم القاضي نفسه المال لماذا؟ يعني لم يحكم علي ذلك الرجل لأنه لم يثبت عنده صلاحية الشاهد فغرم بنفسه المال أولا ليسلم من لسان ذلك الرجل يسلم من سلاطة لسانه والتسلط عليه بلسانه وأنهي القضية بأن احتمل المال عن ذلك الرجل وأعطاه المرأة نعم.

৩◊ଔ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

أرى كـل إنسـان يـرى عيـب غيـره ويعمـى عـن العيـب الـذي هـو فيـه
ومـا خيـر مـن تخفـى عليـه عيوبـه ويبـدو لـه العيـب الـذي لأخيـه

❍ **التعليق:**

هذه جميلة في التحذير من ذلك يعني أري كل إنسان يري عيب غيره بل يري الأمور الصغيرة التي في الآخرين والأمور الكبيرة التي في نفسه لا يراها يري القذاة في عين أخيه ولا يري الجذع في عينه نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا الليث بن عبدة المصري حدثنا الحسن بن واقع حدثنا ضمرة عن الشيباني قال في الكتب مكتوب كما تدين تدان وبالكأس الذي تسقى به تشرب وزيادة لأن الباديء لا بدله من أن يزاد

❍ **التعليق:**

هذا الآثر قال في الكتب مكتوب جاء في الحلية قال في التوراة مكتوب قال كما تدين تدان أي بالذي تعامل به الآخرين تعامل يعني إحسانا فإحسان وإن إساءة فإساءة وبالكأس الذي تسقي به أي الآخرين تشرب زيادة هذا بمعني كما تدين تدان إذا كنت تسقيهم كأسا فيه مضرة عليهم تسقي بهذه الكأس وزيادة مثله من حفر حفرة لأخيه وقع فيها وسيأتي وقوله لأن البادي لا بد له أن يزاد أي من صنع مثل هذا الصنيع نال مثله وزياده نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان والعاقل يحسن الظن بإخوانه وينفرد بغمومه وأحزانه كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ولا يفكر في جناياته وأشجانه

ولقد أحسن الذي يقول :

مـــا يســـتريح المســـيء ظنـــا　　مـــن طـــول غـــم ومـــا يـــريح
وقـــــل وجـــــه يضـــــيق إلا　　ودونـــــه مـــــذهب فســـــيح
مـــن خفـــف الله عـــن هبـــت　　مـــن كـــل وجـــه إليـــه ريـــح
والجســـم حيـــث اســـتقر هـــاد　　والـــروح جوالـــة تســـيح
كـــم تـــذبح الأرض مـــن بنيهـــا　　كـــل بنيهـــا لهـــا ذبـــيح
لـــن يهلـــك المـــرء مـــن سـماح　　وقلمـــا يفلـــح الشـــحيح

○ **التعليق:**

ما يتعلق بالترجمة قوله ما يستريح المسيء ظنا من طول غم وما يريح لا يستريح هو في نفسه من توالي الغموم عليه ولا يرتاح الآخرين منه لسوء ظنه فيهم ما يستريح المسيء ظنًا من طول غم وما يريح ما يستريح أي هو في نفسه وما يريح أي الآخرين وقل وجه يضيق إلا ودونه مذهب فسيح يعني إذا ضاقت الأمور إنفرجت وأبواب التيسير ومذاهب التيسير كثيرة يفتح الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ منها ما شاء علي عباده من خففف الله عنه أي محنته وما حل به هبت من كل وجه إليه ريح يعني جاءه الفرج من كل جهة وصوب والجسم حيث استقر هاد والروح جوالة تسيح نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سوء الظن على ضربين أحدهما منهى عنه بحكم النبي ﷺ والضرب الآخر مستحب

فأما الذي نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة على ما تقدم ذكرنا له وأما الذي يستحب من سوء الظن فهو لمن بينه وبينه عداوة أو شحناء في دين أو دنيا يخاف على نفسه مكره فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكره لئلا يصادفه على غرة بمكره فيهلكه

التعليق:

ذكر أن من سوء الظن ماهو منهي ومنه ما هو مستحب والمنهي سوء الظن بعموم المسلمين والمباح أو المستحب هو من سوء الظن بأعداء الدين أومن بينه وبينهم عداوة يعلم منهم المكر والخبث والكيد نعم.

❧ ◊ ❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي ذلك أنشدني الأبرش :

وحســن الظــن يحســن في أمــور　　　ويكمــن في عواقبــه ندامــة
وســوء الظــن يســمج في وجــوه　　　وفيــه مــن ســماجته حزامــه

وانشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

مــا ينبغــي لأخــي لــب وتجربــه　　　أن يترك الـدهر سوء الظن بالنـاس
حتــى يكــون قريبــا في تباعــده　　　غبـا ويـدفع ضـر الحـرص باليـأس

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا ابراهيم بن هانيء حدثنا ابن أبي مريم أنبأنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن بسر بن سعيد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مكتوب في التوراة من نحر نحرومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى الواجب على العاقل مباينة العوام في الأخلاق والأفعال بلزوم ترك التجسس علي عيوب الناس لأن من بحث عن مكنون غيره بحث عن مكنون نفسه وربما طم مكنونه على ما بحث من مكنون غيره وكيف يستحسن بمسلم ثلب مسلم بالشيء الذي هو فيه**

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لا تلــتمس مــن مســاوي النــاس　　　فيهتـك النـاس سـترا مـن مسـاويكا
واذكـر محاسـن مـا فـيهم إذا ذكـروا　　　ولا تعــب أحــدا عيبــا بمــا فيكــا

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا ما اتقيت الأمر من حيث يتقى　　　وأبصـرت مـا تـأتي فأنـت لبيـب
ولاتـك كالنـاهي عـن الـذنب غيـره　　　وفي كفــه ممــا يــذم نصــيب
يعيب فعـال السوء من فعـل غيـره　　　ويفعــل أفعــال الــذين يعيــب

❍ التعليق:

قوله (حدثنا ابن أبي مريم أنبأنا الليث) بينهما فى الأصل مخطوطًا سقط والله أعلم ماذا يكون

قوله (ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها) هذا مثل ما تقدم قوله الكأس الذى تسقى بها تشرب وزيادة

قوله(إذا ما اتقيت الأمر من حيث يتقى ... وأبصرت ما تأتي فأنت لبيب

ولاتك كالناهي عن الذنب غيره ... وفي كفه مما يذم نصيب يعيب فعال السوء من فعل غيره ... ويفعل أفعال الذين يعيب)

يعني يذم الناس بأفعال موجود فيه مثلها وأشد نعم.

✿◈✿

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن موسى السمري حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال وحدثني عزيز عن الزبير بن موسى المخزومي قال قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود وهي زوجة طلحة بن عبد الله بن عوف لزوجها ما رأيت أحدا قط ألأم من أصحابك قال مه لا تقولى ذاك فيهم وما رأيت من لؤمهم قالت أمرا والله بينا قال وما هو قالت إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت جانبوك قال مازدت على أن وصفتهم بمكارم الأخلاق قالت وما هذا من مكارم الأخلاق قال يأتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف منا عليهم

○ **التعليق:**

وهذا من كرم نفسه قوله عن صنيعهم ذلك قال هذا من مكارم الأخلاق يأتوننا فى حال القوة منا عليهم والقوة القدرة على مساعدتهم ويفارقوننا فى حال الضعف منا عليهم أى عدم القدرة على مساعدتهم فمن كرم نفسه حمل أمرهم على أحسن المحامل وتأوله على أحسن التأويلات ومثل ذلك الخلق لا ينهض له إلا النفوس الكبار يعنى حمل أعمال الناس على أحسن المحامل نعم.

❊

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا عمر بن محمد الهمدانى حدثنا الفضل بن سهل الأعرج حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا أبى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب حدثنى زرارة بن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف أن المسور بن مخرمة اخبره أن عبدالرحمن بن عوف أخبره أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **فبينما هم يمشون إذ شب لهم سراج فى بيت فانطلقوا يؤمونه حتى إذا دنوا إذا باب البيت مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر وأخذ بيد عبدالرحمن أتدرى بيت من هذا؟ فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن فى شرب قال فماذا ترى؟ فقال عبدالرحمن أرى أنا قد أتينا ما نهينا عنه قال الله** جَلَّ وَعَلَا **«ولا تجسسوا» وقد تجسسنا فانصرف عمر وتركه**

○ **التعليق:**

قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أري أن قد أتينا ما نهينا عنه وهوالتجسس قال الله تعالي «ولا تجسسوا» فانصرف عمر وتركه يعني لكونه تجسسا وتصنت لما في البيت وعرف أنهم في شرب لكنه تركهم لأنه كان ذلك أو حصلت له تلك المعرفة عن ذلك التجسس الذي نهي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنه نعم.

۞

❍ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

باب ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن اسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثنا بشر بن معاذ العقدي حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال النبي ﷺ «يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص والحسد»

❍ **التعليق:**

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الحث علي مجانبة الحرص للعاقل والمراد بالحرص الحرص علي الدنيا والتكالب عليها والإنشغال بها وأن تكون هي مبلغ علم الإنسان ونهاية مقصوده وشغله الشاغل فهذا ينهي عنه ويحذر المسلم منه لأنه يشغله عن المقصد الذي خلق لأجله وجد لتحقيقه وهو عبادة الله ينشغل بما خلق له بهذه الأشياء التي خلقت له عن الأمر الذي خلق لأجله وهو عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذه الترجمة في النهي عن الحرص علي الدنيا انشغالا بها وانكبابا عليها وأن تكون هي شغل المرء الشاغل أما الحرص علي ما ينفع المسلم من أمور دينه وأيضا ما لا بد له من أمور دنياه فقد قال عليه الصلاة والسلا م «احرص علي ما ينفعك واستعن بالله» هذا مأمور به أما الحرص علي الدنيا انكبابا عليها وتكون هي شغل المرء الشاغل وهي موطن اهتمامه ومنتهي علمه فهذا مما ينهي عنه ولأجله عقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي هذه الترجمة أورد حديث أنس أن النبي ﷺ قال «يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص» أي تشب منه خصلتان لا تزال هاتان الخصلتان في شباب وقوة وبقية الأمور التي تضعف مع الكبر إلا أن هاتين الخصلتين تشبان ولا يزال أمرهما في اشتداد وقوة قال الحرص والحسد والحديث في صحيح مسلم

وغيره لكن لفظه الحرص علي المال والحرص علي العمر يعني هاتان تشبان مع الإنسان وإن شاب وكبر الحرص علي المال لا يزال حريصا علي المال وأيضا لا يزال حريصا علي العمر

إذا كان حرصه علي العمر من أجل المال والدنيا فهذا موطن ذم وإذا كان حرصه علي العمر ليطول في طاعة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وتكثر أعماله الصالحة فهذا لا يذم وخيركم من طال عمره وحسن عمله نعم.

ﮂ ◈ ﮂ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ركب الله جل وعز في البشر الحرص والرغبة في الدنيا الفانية لئلا تخرب إذ هي دار الأبرار ومكسب الأتقياء وموضع زاد المؤمنين واستجلاب الميرة للصالحين ولو تعرى الناس عن الحرص فيها بطلت وخربت فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله فضلا عن اكتساب ما يجدي عليه النفع في الآخرة نفلا والإفراط في الحرص مذموم

التعليق:

هذا توضيح جيد في بداية في هذا الباب أن الحرص من حيث هو لا يذم لأنه لا بد منه ولو لم يكن الحرص تخرب الدنيا لأن كل المصالح تتعطل مصالح ما تقوم إلا بالحرص فالحرص لا بد منه ولا بد من وجوده لو تعري الناس عن الحرص فيها بطلت وخربت إذا الذي يذم هو ما ذكره بقوله الإفراط في الحرص ولهذا لاحظ في الدعاء المأثور قال اللهم لا تدع للدنيا ماذا أكبر همنا فكون الإنسان يهتم بدنياه لا يذم لكن ما الذي يذم الإفراط أن تكون الدنيا هي أكبرها هما قال اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا فالإهتمام بأمور الدنيا وتعلم أمور الدنيا لا يذم لكن ما الذي يذم أن يكون ذلك هو أكبر هم الإنسان ومبلغ علمه وهذا الذي أشار إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة كلامه بقوله والإفراط في الحرص مذموم نعم.

❧◊☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما أنشدني علي بن محمد البسامي :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببته أو كرهته
لو إلى الأمور أختار منها خيرها لي عواقبا ما عرفته
ولو أني حرصت جهدي أن أدفع أمرا مقدرا ما دفعته
فأرى أن أرد ذاك الى من عنده علم كل ما قد جهلته

التعليق:

هذه أبيات في الإيمان بالقدر الإيمان بالقضاء والقدر وتفويض الأمر إلي الله والتوكل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببته أو كرهته أي الرضا بالقضاء والإيمان به حلوه ومره وأنه من الله تعالي ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾ [التغابن: ١١] ثم يبين ضعف الإنسان بجهله بالعواقب وعدم درايته بها يقول لو إلي الأمور أختار منها خيرها لي عواقبا ما عرفته لوترك الأمر لي أن أختار من الأمور أحسنها عاقبة وأفضلها مآلا لما عرفت لأن الإنسان لا يدري ما تصير إليه عواقب الأمور ولو أني حرصت جهدي أن أدفع أمراً مقدراً ما دفعته فهذا كله في الإيمان بقضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقدره قال فأري أن أرد ذلك إلي من عنده علم كل ما قد جهلتم ولهذا جاء في دعاء الإستخارة اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب نعم.

❧◈☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن نصير المديني :

يـــا كثيــــر الحـــــرص مشــــغولا ... بـــــــدنيا لــــــيس تبقـــــى
مارأينـــــا الحــــــرص أدنـــــــى ... مــــن حـــــريص قـــط رزقـــا
لا ولكـــــــن في قضـــــــاء الله ... أن تعيــــــا ويشـــــــــقى
تعـــــرف الحــــــق ولكـــــــن ... لا تـــــرى للحـــــق حقـــا

التعليق:

يعني هذا يذم من كان حريصا مشغولا بالدنيا الفانية التي لا تبقي ولا يزال حريصا عليها مع أن الذي كتب له من رزق في هذه الدنيا حاصل وكائن لا محالة قال لا ولكن في قضاء الله أن تعيا وتشقي تعرف الحق ولكن لا تري للحق حقا يعني يظهر لك الحق ويستبين لكنك تفرط في القيام به نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن حماد عن ابن المبارك قال سخاء النفس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء البذل ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء

التعليق:

هذا معني عظيم في السخاء ينبه عليه ابن مبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ سخاء النفس عما في أيدي الناس هذا أيضا ضرب من ضروب السخاء لأن السخاء وأبوابه كثيرة وينظر في ذلك ما كتب فيه ابن القيم وأجاد في منزلة السخاء من مدارج السالكين وذكر أنواع كثيرة للسخاء خلاف ما يظنه كثير من الناس أن السخاء هو بذل المال فمن السخاء ما ذكره ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ سخاء النفس عما في أيدي الناس يعني نفسه سخيه أي ليست متطلعة لما في أيدي الناس نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدنا أبو يعلي قال أنشدونا منذ دهر للشافعي :

قـــــدر الله واقـــــع   حيــــث يقضـــــي وروده
قـــد مضـــى فيـــك حكمـــه   وانقضـــى مـــا يريـــده
وأخـــو الحـــرص حرصـــه   لـــيس ممـــا يزيـــده
فـــأرد مـــا يكـــون   إذ لـــم يكـــن مـــا تريـــده

❍ **التعليق:**

هذه أيضا أبيات جميلة للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القدر يقول قدر الله واقع حيث يقضي وروده أي يقع طبقا لما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الوقت الذي شاء جَلَّ وَعَلَا قد مضي فيه حكمه وانقضي ما يريده وأخ الحرص حرص الإنسان ليس مما يزيده في القضاء بل المقضي المقدر كائن ولا يزيده حرص الحريص قال فأرد ما يكون إذ لم يكن ما تريده إذا وقع الأمر المقدر علي خلاف الشيء الذي تريده فأرد ما جاء به القدر ومعني أرده إن كان أمرا مثلا من المصائب المؤلمة فمعني إرادة ذلك الصبر علي القضاء والرضا بما قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب هذه الأبيات له أبيات أخري قيل عنها إنها أحسن ما قيل أو نظم شعرا في القدر وهي قولهم ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن خلقت العباد علي ما علمت وفي العلم يجري الفتي والمسن علي ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن أي كل ذلك أمور قضاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقدرها نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عبد الله بن عروة حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا ابن علية عن أيوب عن ابن سيرين قال إذا لم يكون ما تريد فأرد ما يكون

التعليق:

قول ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون هذا مثل البيت الذي في خاتمة أبيات الشافعي فأرد ما يكون إذ لم يكن ما تريد نعم.

❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميرا لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن مواضعه والحرص محرمة كما أن الجبن مقتله ولو لم يكن في الحرص خصلة تذم إلا طول المناقشة بالحساب في القيامة على ما جمع لكان الواجب على العاقل ترك الإفراط في الحرص وقد كان بعض أصحابنا كثيرا ما ينشد

تجانب الحرص ودع عنك الحسد ففيهما الذل وإتعاب الجسد...

التعليق:

تجانب أي ابتعد عن الحرص ودع عنك الحسد ففيهما الذل وإتعاب الجسد والحرص والحسد هما اللذان جاءا في الحديث بالرواية التي صدر بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ الترجمة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

وأرقنـــي طـــول التفكـــر إننـــي — عجبـت لـدهر مـا تقضـي عجائبـه
فكـم عـاجز يـدعى جليـدا لغشـمه — ولـو كلـف التقـوى لكلـت مضـاربه
وعــف يســمى عــاجزا لعفافــه — ولـولا التقـى مـا أعجزتـه مذاهبـه
فليس بحـرص المـرء أدركـه الغني — ولا باحتيـال أدرك المـال كاسـبه
ولكنــه قــبض الإلــه وبســطه — فـــلا ذا يجـــاوزه ولا ذا يغالبـــه

التعليق:

هذه أبيات أيضا عظيمة جدا في باب القدر وقسم الأرزاق قال تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢]

وقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦] فهذه الأرزاق قسمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين العباد فهذا الناظم يتفكر في أحوال الناس ويتعجب من أمورهم تعجبا لا ينقضي يقول في هذا التعجب كم عاجز يدعي جليدا أي جلدا قويا لغشمه ولو كلف التقوي لكلت مضاربه يدعي بين الناس بأنه رجل جليد وقوي وذكي وإلي آخره من الأوصاف ولو كلف التقوي لكلت مضاربه يعني يعجز عن القيام بمعاني التقوي يعني تجده في أمور الدنيا من الحزاق الفطناء النبهاء إلي آخره وإذا أمر بتقوي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كل عن ذلك وعف أي عفيف يسمي عاجزا لعفافه يعني ليس مشتغل كالأول لما قام فيه من عفاف لا عن عجز ولولا التقي ما أعجزته مذاهب يعني عنده قدرة ذهنية وفكرية وجسمية لكن منعه من ذلك الحرص والإكباب علي هذه الأمور ما رزقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به من عفاف ثم يبين أن حرص المرء ليس هو الذي يدرك به الغني ولا بإحتيال أدرك المال كاسب

ولكن هذه أمور قسمها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بين العباد ولهذا كم من حريص علي الدنيا باذل فيها جهده الكثير لا يحصل منها شيئا ومنهم من يحصل شيئا كثيرا بحرص قليل فالأمر قسمه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بين العباد وليس هذا معني بأن الإنسان لا يعمل ولايحرص علي مصالحه الدنيوية فالشريعة جاءت بالحرص في قوله ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك: ١٥] ولا يبقي الإنسان عالة علي الآخرين وإنما موطن الذم من ذلك الإفراط كما سبق أن نبه عليه المصنف نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحرص غير زائد في الرزق وأهون ما يعاقب الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله فيتعب في طلب ما لا يدري أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه والظفر بما لو سعى فيه وهو حريص عليه لتعذر عليه وجوده

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

ألا رب بـــاغ حاجـــة لا ينالهـــا وآخــر قــد تقضــي لــه وهــو أيــس
يحاولهـــا هـــذا وتقضـــي لغيـــره وتأتى الذي تقضي لـه وهـو جالس

○ **التعليق:**

يعني الا رب باغ حاجة لا ينالها يريدها ويسعي في تحصيلها لكن لا ينالها وآخر قد تقضي له وهو آيس منها غير مشغول الذهن بطلبها وتحصيلها يحاولها هذا حريصا عليها مجتهدا في نيلها وتقضي لغيره تحصل لغيره وتأتي الذي تقضي له وهو جالس أي أن هذه قسمة الرب العظيم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا»نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

وكم من أكلة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدري

التعليق:

يعني رب أكلة حريص عليها الإنسان متلذذ بها حريص علي تناولها ربما أضرت به دهرا بما تجره عليه مثلا من أمراض أو أسقام أو نحو ذلك وكم من طالب يسعي لشيء وفيه هلاكه لو كان يدري نعم.

๛◈๛

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحرص علامة الفقر كما أن البخل جلباب المسكنة والبخل لقاح الحرص كما أن الحمية لقاح الجهل والمنع أخو الحرص كما أن الأنفة توأم السفه

وأنشدني عمرو بن محمد قال أنشدني الغلابي :

لا تــــأتين نذالــــة لمنالــــة ... فليأتينـــك رزقـــك المقـــدور
واعلــم بأنــك آخــذ كــل الــذي ... لــك في الكتــاب محبــر مســطور
والله مـــا زاد امـــرء في رزقـــه ... حـــرص ولا أزرى بـــه التقصـــير

❍ التعليق:

هذه المعاني أيضا جميلة يقول فيها ناظمها لا تأتين نذالة لمنالة يعني لا تأتي أمورا فيها شيء من النذالة والسفه أو الرداءه من أجل منالة أو من أجل أن تحصل عطاء أو نيلا يعني بعض الناس يفعل أمورا فيها نذالة فيها خسة فيها يعني سوء عمل سوء قول لا لشيء إلا لينال مالا ليحصل مالا فيقول لا تأتين نذالة لمنالة فلا يأتينك رزقك المقدور الشيء الذي كتبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أتيك لماذا تدخل نفسك في النذالة والأمور الحقيرة والرزق الذي قد كتبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أتيك ولا بد واعلم بأنك آخذ كل الذي لك في الكتاب محبر مسطور كل ما كتبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لك حاصل ولا بد إذا لماذا يوقع بعض الناس نفسه في شيء من النذالة والمهانة والتصرفات السيئة من أجل أن ينال أن يحصل مالا والمال الذي سيحصله في هذه الحياة الدنيا مكتوب له ومقدر والله ما زاد أمرء في رزقه حرص ولا أزري به التقصير نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وارض من العيش في الدنيا بأيسره ... ولا ترومن ما إن رمته صعبا
إن الغني هو الراضي بعيشته ... لا من يظل على ما فات مكتئبا

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا أبو عبد الرحمن العتبي حدثني أبي قال اختصمت بنو إسرائيل في القدر خمسمائة عام ثم تحاكموا الى عالم من علمائهم فقالوا له أخبرنا عن القدر وقصر وبين لتفهمه عنك العوام فقال حرمان عاقل وحظ جاهل

التعليق:

قال حرمان عاقل وحظ جاهل يعني هذه الأمور التي تقع في الناس علي هذه الصفة أن العاقل يحرم وجاهل مثلا وجاهل مثلا يحظي بأمور هذا مما يدل علي أن الأمور بقضاء الله وقدره لا يجلبها حرص الحريص ولا يسلبها تقصير مقصر أو إفراط مفرط فالأمور مقدره قضاها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وقدرها قال حرمان عاقل وحظ جاهل نعم.

﴿◊﴾

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا حظ في الراحة إن أطاع الحرص إذ الحرص سائق البلايا فالواجب على العاقل أن لا يكون بالمفرط في الحرص في الدنيا فيكون مذموما في الدارين بل يكون قصده إقامة فرائض الله ويكون لبغيته نهاية يرجع اليها لأن من لم يكن لقصده منها نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذي يحمد

○ **التعليق:**

يعني إذا كان حرصه علي طاعة الله والمحافظة علي فرائض الإسلام وحريص علي أمور دنياه دون أن يكون فيه تجاوز أو إفراط فهذا الحرص يحمد ولا يذم نعم.

يعني يكون قصده في هذا الحرص أيضا علي الدنيا قصده إقامة فرائض الله عز وجل يطلب من دنياه ما يعينه علي دينه وطاعة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الحرص عون للزمان على الفتى والصبر نعم القرن للأزمان
لا تخضعن فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمده بهوان
وإذا رآك وقد قصدت لصرفه بالصبر لاقى الصبر بالإذعان

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي قال أنشدني شعيب بن أحمد لأبي العتاهية :

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذاك مضر منك بالدين

التعليق:

لا تخضعن لمخلوق علي طمع أي علي طمع عندك في شيء عند ذلك المخلوق فإن هذا الخضوع وهذا الذل الذي يقع من أجل الطمع مضر بدينك فإن ذاك مضر منك بالدين نعم.

ﮔ

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزى أيضا أنشدني شعيب بن احمد لأبى العتاهية :

قد شاب رأسي ورأس الحرص لم | إن الحريص على الدنيا لفي تعب
مــالي أراني إذا حاولــت منزلــة | فنلتهـا طمحـت نفسـي الـى رتـب
لـو كـان ينفعنـي علمـى وتجربتـي | ماأشتد غيظي علي الدنيا ولا كلبي

○ **التعليق:**

ما اشتد غيظي علي الدنيا ولا كلبي أي كلبي في طلبها وإتعاب نفسي في تحصيلها يقول شاب رأسي ورأس الحرص لم يشب يعني هذا بمعني الحديث الذي صدر به رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي الترجمة قال

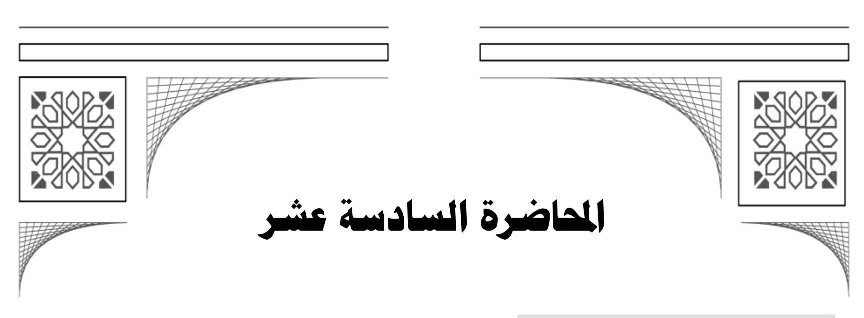
«يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان» فرأس الحرص لم يشب أي باق علي شبابه نعم.

༺◊༻

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات بعللها في كتاب الثقه بالله بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على معرفتها فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب.

༺◊༻



المحاضرة السادسة عشر

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء

أنبأنا محمد بن الحسين بن مكرم البزاز بالبصرة حدثنا عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج حدثني عطاء أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **يقول قال رسول الله** ﷺ **«لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»**

○ **التعليق:**

أما بعد: هذه الترجمة ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء التحاسد تفاعل من الحسد والحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير ولهذا يقال الحاسد عدو نعمة الله لأن الحسد يتحرك في نفس الحاسد عند حلول النعم ونزولها فإذا رأي غيره خص بنعمة ميزه الله بنعمة تحرك في قلبه حسد له بأن يتمني أن هذه النعمة التي أعطاه الله إياها ومن عليه بها أن تزول عنه وألا تبقي عنده فالحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين والبغضاء قال الزجر عن الحسد والبغضاء البغضاء من البغض وهو أن يوجد بغضه بين مسلم ومسلم ونفرة وتعادي ونحو ذلك فهذا كله مما ينهي عنه فالإسلام جاء بالنهي والتحذير من هذه الخصال الذميمة والخلال المشينة وحذر من أن تكون بين أهل الإسلام أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال «لا تباغضوا» أي لا تكن بينكم البغضاء والنهي عن البغضاء

نهي عن أسباب وجودها ولهذا ينبغي علي المسلم في تجنبه للبغضاء أن يتجنب الأسباب التي تفضي إلي البغضاء فمثلا التسلط علي الناس باللسان أذى أو سبا أو غيبة أو نحو ذلك هذا مما يوجد البغضاء البدعة نفسها وجودها توجد للبغضة لهذا بعض العلماء في شرح هذا الحديث قالوا في قوله

«ولا تباغضوا» نهي عن البدعة لأنها توجد لبغضة كما أن السنة تجمع فالبدعة تفرق ولهذا يقال أهل السنة والجماعة و أهل البدعة والفرقة وليست فى الدنيا شيء يجمع مثل الإسلام واتباع سنة النبي الكريم عليه صلوات الله وسلامه وقوله «ولا تحاسدوا» هذا نهي عن الحسد ومرة تعريفه وهو تمني زوال النعمة عن الغير وهوشر جاء في القرآن التعود منه «من شر حاسد إذا حسد» فالحسد شر وتفاعل الحسد في نفس الحاسد قد يترتب عليه مضرة علي المحسود فهو شر يتعوذ بالله تبارك وتعالي منه وفي الحديث نهي عن التحاسد «ولا تدابروا» أي لا يعطي الواحد منكم دبره لأخيه معرضا عنه وصادا وغير مقبل عليه «وكونوا عباد الله إخوانا» أي أخوة الإيمان التي هي أعظم أخوة وأوثق رابطة كما قال الله سبحانه ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء وإرادة ضد ما حكم الله جَلَّ وَعَلَا **لعباده ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم**

❍ **التعليق:**

قوله (ثم إنطواء الضمير علي إرادة زوال النعم عن المسلم) فلهذا قيل عن الحاسد إنه عدو نعمة الله علي عباده لأن ضميره منطو علي هذه الإرادة السيئة إرادة زوال النعم عن المسلم نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحاسد لا تهدأ روحه ولا يسكن قلبه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء

❍ **التعليق:**

وقوله ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ولهذا شبه قال لا تهدأ روحه ولا يسكن قلبه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ولهذا شبه الحاسد بالحية الممتلئة سما لا ترتاح حتي تفرغ سمها وتبقي غير مرتاحة وهذا السم ممتلئ بها إلا إذا أفرغته فيشبه الحاسد بها في امتلاءه بهذا الشر الذي هو الحسد ولا يرتاح إلا إذا زالت تلك النعمة التي تحرك الحسد في نفسه عندما وجدها في الآخرين وهو رتب الحسد رتب ودرجات وأقلها كراهة النعمة لما ينعم الله علي آخر بنعمة يكره ذلك يكره أن هذه النعمة حصلت لفلان ويبغض ذلك وأزيد منه أن يتفاعل قلبه بتمني زوال هذه النعمة وأشد منه أن يعمل علي زوالها بإتخاذ شيء من التدابير والأمور والأعمال التي يريد منها زوال تلك النعمة عن المنعم عليه بها نعم.

❊

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أعـذر حسـودك فيمـا قـد خصصـت ... إن العلـي حسـن في مثلهـا الحسـد
إن يحسـدوني فـإني لا ألـومهم ... قبلـي مـن النـاس أهـل الفضـل قـد
فـدام لـي ولهـم مـا بـي ومـا بهـم ... ومـات أكثرنـا غيظـا بمـا يجـد
أنـا الـذي وجـدوني في صـدورهم ... لا أرتقـي صـدرا مـنهم ولا أرد

❍ **التعليق:**

يقول هذا الناظم مشعرا في هذه الأبيات عدم إلقاءه البال والتفاته إلي الحسدة يقول إعذر حسودك فيما قد خصصت به أي ما خصك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنعمة بأن الحسد الذي وجد فيه وتحرك في نفسه هو أنك ميزت بذلك إن العلا حسن في مثلها الحسد يعني كون الإنسان يميز بعلو ورفعة في مال في صحة في غير ذلك هذه يحصل فيها الحسد يقول إن يحسدوني فإني لا ألومهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا وهذا تبرير ليس في محله يعني كون أهل الفضل قد حسدوا لا يعني أن الحاسد لا يلام بل هو ملوم علي ذلك والواجب عليه أن يتجنب ذلك ويتعوذ بالله تبارك وتعالي من ذلك وألا يعمل علي إضرار الآخرين بما إنطوت عليه نفسه من إرادة زوال هذه النعمة قال فدام لي ولهم ما بي وما بهم ما بي من نعمة وما بهم من شر ومات أكثرنا غيظًا بما يجدوا أي أيضا بما يجد في نفسه من حسد للآخرين ثم يقول أنا الذي وجدوني في صدورهم لا أرتقي صدرا منهم ولا أرد يقول أنني أصبحت غصة ناشبة في صدور هؤلاء لا تذهب بل هي باقية في صدورهم أنا الذي وجدوني في صدورهم لا أرتقي صدرا منهم ولا أرد يعني أنني أصبحت غصة في صدورهم ناشبة لا تصدر ولا ترد وإنما هي باقية في صدور هؤلاء نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال رأى موسى رجلا عند العرش فغبطه بمكانه فسأله عنه فقال ألا أخبرك بعمله كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يعق والديه قال وكيف يعق والديه قال يستثب لهما حتى يسبا ولا يمشي بالنميمة

❍ **التعليق:**

وقوله في هذه الرواية كان لا يحسد الناس علي ما آتاهم الله من فضله لا شك أن من كان كذلك فيه هذه السلامة في صدره لا شك أن هذا من علامة الخيرية وعلامة الفضل ومثل هذا الخبر لا يعتمد عليه وإنما عادة أهل العلم يذكرون مثل هذه الأخبار من باب الإستئناس فهي تذكر إستئناسًا ولا تذكر للإعتماد عليها فإن مثل هذا لا يعتمد عليه وإنما يذكر من باب الإستئناس نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني ابن بلال الأنصاري:

عين الحسود عليك الدهر حارسه — تبدى مساويك والإحسان يخفيها
فاحذر حراستها واحذر تكشفها — وكن على قدر ما توليك توليها

❍ **التعليق:**

قال عين الحسود عليك الدهر حارسة أي أنها تراقب عين الحسود تراقب هذه النعم التي ماذا جاء لفلان وبماذا رزق فلان وماذا حصل فلان فهي تراقب عليك حارسة تبدي مساويك والإحسان يخفيها تبدي مساويك والإحسان يخفيها والله أعلم أي يخفيها الحاسد يبدي المساوي ويخفي المحاسن فاحذر حراستها واحذر تكشفها احذر حراسة عين الحاسد واحذر تكشفها أي المساوي التي عندك لأنه إن ظفر بها أبداها وأشهرها وكن علي قدر ما توليك أي عين الحاسد الحارسة لمساويك وكن علي قدر ما توليك توليها أي من حذر وحيطة نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا عبد الرحمن بن زياد الكتاني بالأبلة حدثنا أبو يحيى الضرير حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «ما من أحد عنده من الله نعمة إلا وجدت له حاسدا ولو كان المرء أقوم من القدح لوجدت له غامزا وما ضرت كلمة لم يكن لها خواطب»

❍ **التعليق:**

يقول ما من أحد عنده من الله نعمة إلا وجدت له حاسدا والحاسد هوعدو النعمة إذا وجدت وجد ولو كان المرء أقوم من القدح إستقامة لوجدت له غامزا أي لا يسلم أحد مهما كانت إستقامته لا يسلم من غامز أي لا يسلم ممن ينقده ويطعنه فيه وماضرت كلمة وتروي أيضا حكمه وما ضرت كلمة لم يكن لها خواطب تعني الكلمة الجيدة التي هي حكمه ونفع وفائدة لا يضرها أن يكون في بعض الناس لا يلقي لها بالا نعم.

﴾◊﴿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أنداد له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغيا إنه لدميم
وترى اللبيب محسدا لم يجتلب شتم الرجال وعرضه مشتوم

التعليق:

يقول حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أنداد له وخصوم حسدوه لتميزه عليهم ولهذا يقال إن الحسد يكثر بين الأقران عندما يتميز أحدهم علي الآخر إما بعلم أو بمال أو غير ذلك يقع في نفوس أقرانه شيء من الحسد له لأنه تميز عليهم كان هو إياهم شيء واحد ثم رأوه وقد تميز إما بعلم أو تجارة فيقع في نفس أو نفوس أقرانه شيء من الحسد إذ لم ينالوا سعيه يعني لأنه كان معهم وعلي مستواهم وقدرهم وميز عليهم فيقع في نفوسهم حسد قال فالقوم أنداد له وخصوم كضرائر الحسناء وضرائر جمع ضرة وهى الزوجة على الزوجة كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدًا وبغيًا إنه لذميم والحسد بين الضرائر والنساء عمومًا أكثر يقول شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (وحسد النساء بعضهن بعضًا كثير غالب لا سيما المتزوجات بزوج واحد فإن المرأة تغار على زوجها لحظها فبسبب المشاركة يفوت بعض حظها)عندما تكون المرأة منفردة بزوجها ليس معها شريكًا فيه ثم يأخذ زوجة أخرى فتأخذ بعض حظها ونصيبها يكون لها ليلة وللزوجة الأخرى ليلة وإن جاءت ثالثة يصبح لها ليلة من بعد ليلتين فيفوت بعض حظها من زوجها فيقع فى نفسها بسبب الغيرة شيء من الحسد على الزوجة الأخرى فمثل هذه الأمور تولد الحسد إلا من يكرمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمقاومة لذلك ودفعه

ولهذا لما أراد أن يمثل لحسد الفتى الذى ميز بالنعمة مثل بضرائر الحسناء قال كضرائر الحسناء لأن مثل ذلك بين الضرائر كثير غالب وترى اللبيب محسدًا أى محسودًا لم يجتلب شتم الرجال يعنى لم يفعل أمرًا يتسبب فيه لنفسه شتم الرجال أو نيلهم منه لم يفعل جناية فى حقهم أو لم يسىء إليهم وعرضه مذموم لم يسلم منهم لماذا؟ مع أنه لم يرتكب شيئًا أو إساءة فى حقهم ومع ذلك عرضه مذموم ما السبب فى ذلك؟ حسد هؤلاء له نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن زهير بن حرب حدثنا غسان بن المفضل أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد قال قال ابن سيرين ما حسدت أحدا على شيء من الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير الى الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار

التعليق:

هذا كلام جميل لا بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فى مقاومة الحسد وطرده من النفس وهذا أيضًا فيه التنبية إلى أن الإنسان ينبغى أن يستجلب لنفسه أشياء حتى لا يبقى الحسد فى نفسه وينطرد فثمة معانى إذا تمكن الإنسان من استجلابها لنفسه ذهب عن نفسه الحسد ومن ذلكم هذا الكلام الجميل لابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قال ما حسدت أحدًا على شيء من الدنيا لماذا؟ لأنه يتفكر لو أن نفسه حدثته بشيء من الحسد لنعمة أنعم بها على شخص يبدأ يتفكر هذا التفكر الجميل يقول لأنه إن كان من أهل الجنة صاحب هذه النعمة التى تحرك فى نفسه شيء من الحسد له على هذه النعمة إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة فأمر الجنة أعظم فكيف أحسده على شيء يسير من أمر الدنيا وهو سيكون من أهل الجنة قال وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النارفبمثل هذا التفكر سواء كان من ابن سيرين أو نظائره ثمة أمور إذا استجلبها الإنسان لنفسه طردت عنه الحسد وأعظم ما يكون فى هذا الباب الإيمان بالقضاء والقدر وأن يبعد الإنسان نفسه من أن تكون معادية للنعم قال تعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤] فيذكر أن هذا فضل الله والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فأعظم ما يكون فى مداواة الحسد وطرده استذكار هذا واستحضاره نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحسد من أخلاق اللئام وتركه من أفعال الكرام ولكل حريق مطفيء ونار الحسد لا تطفأ

ومن الحسد يتولد الحقد والحقد أصل الشر ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتا مرا مذاقه نماؤه الغيظ وثمرته الندم

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره وحلولها فيه فأما من رأى الخير في أخيه وتمنى التوفيق لمثله أو الظفر بحاله وهو غير مريد لزوال ما فيه أخوه فليس هذا بالحسد الذي ذم ونهى عنه

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه فكلما أتحفه الله بترداد النعم ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم

○ **التعليق:**

قوله (والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره وحلولها فيه) هذا تعريف الحسد

قوله (فأما من رأى الخير في أخيه وتمنى التوفيق لمثله أو الظفر بحاله وهو غير مريد لزوال ما فيه أخوه فليس هذا بالحسد الذي ذم ونهى عنه) هذا يسمى غبطة وإن سمى حسدًا فالمراد به الغبطة كما فى الحديث «لا حسد إلا فى اثنتين»

قوله (ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه فكلما أتحفه الله بترداد النعم ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم)

أى أن الحسد مرتبط بوجود النعمة كلما زادت النعمة زاد الحسدة نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد كان داود بن علي رحمة الله عليه ينشد كثيرا

إني نشــأت وحســادي ذوو عــدد ... يـاذا المعـارج لا تـنقص لهـم عـددا
إن يحسدوني على ما كان من حسن ... فمثل خلقي فـيهم جر لـي حسـدا

○ **التعليق:**

يقول إنى نشأت وحسادى ذوو عدد وعادة لا يكون الحساد للشخص ذوو عدد لكثرة النعم فكثرتها يترتب عليها وجود الحسدة وكثرتهم لمن كثرت وتعددت نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددًا يعنى وجود هذا العدد مرتبط بكثرة النعم التى أنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها على نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق أخبرنا عباد بن عباد المهلبي قال قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية ما أسرع الناس إلى قدمتك المدينة فقال يا أمير المؤمنين

إن العرانين تلقاها محسدة ... ولن ترى للئام الناس حساد...

○ **التعليق:**

هذا شاهد لما سبق يعنى أن الحسد إنما يكون لأهل الشرف والمكانة والتميز بعلم أوفضل أو غير ذلك فقال يا أمير المؤمنين إن العرانين تلقاها محسدة والمراد بالعرانين الأشراف أى ذوو الشرف والفضل والمكانة تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادًا فالحسد يرتبط بالشرف والفضل والمكانة فهولاء الذين يكون لهم حسدة نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي أنشدني محمد بن الحسين العمي :

حسدوا النعمة لما ظهرت   فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أبدى نعمة   لم يضرها قول حساد النعم

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول سمعت أحمد بن سعيد الدارمى يقول سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول كنا نتعلم في الكتاب كما نتعلم أبو جاد جهل نيسابوري وبخل مروزي وحسد هروى وكرم بلخى

❍ **التعليق:**

(كرم) تروى أيضًا (طرم) وهذا الأثرمن حيث استقامة إسناده يحتاج إلى نظر وإذا استقام الأسناد مثل هذه النسب ما تصلح يعنى تخصيص بعض البلدان بمثل ذلك جهل نيسابورى بخل مروزى إلى آخره مثل هذا التخصيص ما يصلح وإنما الجهل والبخل والحسد يوجد فى كل مكان فمثل هذا التخصيص ما يصلح أن يقال نعم.

- **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثني أبي عن مخلد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين قال ما حسدت أحدا على دين ولا دنيا

- **التعليق:**

ما حسدت أحدًا على دين كأن يكون ميز عليه بعبادة أو علم ولا دنيا كأن يكون ميز عليه بصحة أو بتجارة أو نحو ذلك نعم ومر معنا كلام ابن سيرين قبل قليل ما حسدت أحدًا على شيء من الدنيا قال لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا ويصير إلى الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النارنعم.

- **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد منه لأنه ما دام مشرفا على ما خصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشه وسوء ظن بالله ونماء للحسد فيه

- **التعليق:**

يقول أسلم طريقة للسلامة من الحاسد وحصول الأمن من شره البعد عنه فأسلم ما يكون فى اتقاء الحاسد البعد عنه لا يوجد من الحسود أمان أحرز أى أقوم وأحسن من البعد منه لماذا؟ قال لأنه ما دام مشرفًا أى مطلعًا مشاهدًاعلى ما خصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ونماء للحسد فيه نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالعاقل يكون على إماتة الحسد بما قدر عليه أحرص منه على تربيته ولا يجد لإماتته دواء أنفع من البعاد فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ولا على خيانة ظهرت منك ولكن يحسدك لما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما قال العتبي :

أفكر ما ذنبي إليك فلا أرى ... لنفسي جرما غير أنك حاسد

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حسد ... وله البغضاء من كل أحد
وأرى الوحدة خيرا للفتى ... من جليس السوء فانهض إن قعد

وأنشدني محمد بن نصير المديني لحبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا إشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم تزل ... للحاسد النعمى على المحسود

❍ **التعليق:**

يعني أن كلام الحاسد في المحسود باطلًا وزورًا وتجنيًا عليه لا يضر المحسود بل يكون من أسباب ذكره بالخير لأن الناس تتكشف لهم الأمور أن هذا الكلام هو حسد وليس حقيقة فيزداد المحسود فضلا ونبلا ومثل لذلك قال وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود مثل لذلك من مثال قال لولا إشتعال النار فيما جاورت فيما حولها ما كان يعرف طيب عرف العود العود الذي رائحته زكية جميلة ما عرفت إلا بإشتعال النار فلما إشتعلت النار حوله ووصلت إليه ظهرت رائحته فعرفه الناس نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا روح بن عبادة حدثنا حماد عن حميد قال قلت للحسن يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنى يعقوب لا أبالك حيث حسدوا يوسف ولكن غم الحسد في صدرك فإنه لا يضرك ما لم يعد لسانك وتعمل به يدك

التعليق:

قال قلت للحسن يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن هل يقع منه حسد؟ قال ما أنساك بني يعقوب لا أبالك حيث حسدوا يوسف ولكن يعني إن تحرك في نفسك شيء من الحسد لاخيك غم الحسد في صدرك فإنه لا يضرك ما لم يعد لسانك وتعمل به يدك ولهذا يقال ما خلا جسد من حسد لكن الكريم يخفيه واللئيم يبديه نعم.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر هذه المقولة في بعض كتبه واستشهد عليها بكلام حسن نعم.

꧁◈꧂

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه أبلغ المجهود في كتمانه وترك إبداء ما خطر بباله

❍ **التعليق:**

بل ينبغي إضافة إلي ما ذكر قال العاقل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه أبلغ المجهود في كتمانه يعني بالغ في كتمان هذا الذي وجد في صدره يكتمه مثل ما قال الحسن ولكن غم الحسد في صدرك فيبالغ في كتمانه وتركب إبداء ما خطر بباله أي لا يتكلم بلسانه بهذا الذي جري في صدره أو في فؤاده لكن يضاف إلي ذلك أيضا الدعاء له بالبركة فهذا أيضا نافع جدا في طرد هذه الآفة اللهم بارك له بارك الله له فيما رزقه نعم.

❀◊❀



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران أو من تقارب في الشكل لأن الكتبة لا يحسدها إلا الكتبة كما أن الحجبة لا يحسدها إلا الحجبة ولن يبلغ المرء مرتبة من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من يبغضه عليها أو يحسده فيها والحاسد خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكما عند نائبة تحدث فإنه إن حكم لم يحكم إلا عليه وإن قصد لم يقصد إلا له وإن حرم لم يحرم إلا حظه وإن أعطى أعطى غيره وإن قعد لم يقعد إلا عنه وإن نهض لم ينهض إلا اليه وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبنى أعمامه

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العباس بن بكار قال قال رجل لشبيب بن شبه إني لأحبك قال صدقت قال وما علمك قال لأنك لست بجار ولا ابن عم

التعليق:

لأنه قال إن الحسد يكون بين الأشكال والأقران يكون بين الأقارب

و الجيران و بني العم لأنهم كلهم يشتركون في شيء واحد فمثلًا يشتركون في جيرة أو يشتركون في كونهم بني عمومة ثم يتميز واحد من أبناء عمهم أو يتميز واحد من جيرانهم بنعمة ما دينية أو دنيوية فيقع في النفوس شيء من الحسد وضرب مثالا عن ذلك بهذا الخبر أن رجلا قال لشبيب بن شبه إني لأحبك قال صدقت قال وما علمك قال لأنك لست بجار ولا ابن عم يعني أن الغالب في الجار إذا ميز مثلا في أحد الجيران بعلم ميز بفضل أو أبناء العم مع بعضهم بعضا إذا ميز أحدهم بشيء من العلم يقع في نفوسهم شيء فقوله له لأنك لست بجار ولا ابن عم أي أن الغالب أن هذا الكلام صدر منك عن صفاء ليس هناك إرتباط يعني يحرك في نفسك شيء من الحسد نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب علي العاقل الحازم أن يوطن نفسه علي تحمل مقاساة ألم الحسد من الحاسد فيه. وأكثر ما يوجد الحسد من الجيران والإخوان إذا تعروا عن الديانة ولزوم أسباب الصيانة

التعليق:

هذا باب ....

إذا تعروا عن الديانة ولزوم أسباب الصيانة أما من أكرمه الله بالديانة واتخذ الأسباب أسباب الصيانة من الحسد فإن جانبه مأمون نعم.

﴾◊﴿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم من الأقارب إذ الأقارب في الحقيقة عقارب إلا من عصمه الله

التعليق:

قال ثم من الأقارب يعني الحسد يكون من جيران والإخوان ثم من الأقارب قال إذ الأقارب في الحقيقة عقارب إلا من عصم الله نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وجازبه عن أمثالها ثم في أهل الصناعة الذين لم يسلكوا مسلك ذوي الحجي

❍ **التعليق:**

ثم في أهل الصناعة أي بينهم وبين بعض إذا ميز أحدهم مثلا بكثرة يكونوا يشتركون في صناعة واحدة ثم يتميز أحدهم بكثرة من يأتي إليه من المشترين من الزبائن يكثرون عنده ويتميز بذلك فيحسده من حوله من الصناع أو التجار لتميزه نعم.

❀◈❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا راموا محل أولي النحل في مجانبة الدين في الأقوال ولزوم ضده بالأعمال

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

أنــت امــرؤ قصــرت عنــه مروءتــه ... إلا مــن الغــش للإخــوان والحســد

أإن تــراني خيــرا منــك تحســدني ... إن الفضــيلة لا تخلــو مــن الحســد

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى بئس الشعار للمرء الحسد لأنه يورث الكمد ويورث الحزن وهو داء لا شفاء له**

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت وإن رأى به عثرة شمت ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبين وما رأيت حاسدا سالم أحدا

والحسد داعية الى النكد ألا ترى إبليس حسد آدم فكان حسده نكدا على نفسه فصار لعينا بعدما كان مكينا ويسهل على المرء ترضى كل ساخط في الدنيا حتى يرضى إلا الحسود فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها

التعليق:

فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها يقول كل أحد يمكن من السهل أن ترضيه ترضي كل ساخط حتي يرضي إلا الحسود لماذا؟ قال لأنه لا يرضيه إلا زوال النعمة نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد حدثني محمد بن عثمان العقدي حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال قال بعض الحكماء ألزم الناس للكآبة أربعة رجل حديد ورجل حسود وخليط للأدباء وهو غير أديب وحكيم محتقر لدي الأقوام وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله

١- جاهل ورث الضلالة عن أهله ورأس أهل ملته حظى فيهم بفضل الضلالة

٢- ومعظم للدنيا يرى بهجتها دائمة محبوبة ويرى ما رجى من خيرها قريبا وما صرف من شرها بعيدا ليس يعقد قلبه على الإيمان

٣- ورجل خالط النساك فانصرف عنهم لحرصه وشرهه ودامجهم على مكر وخديعة وبالله التوفيق

التعليق:

يعني هؤلاء ثلاثة هم من أبعد الناس من الدخول في الدين في دين الحق والنصيحة لأهله ثلاثة هم من أبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله

الأول: رجل جاهل ورث الضلالة عن أهله ورأس أهل ملته وحظي فيهم بفضل الضلالة هذا الأول وهذا خطورته عظيمة جدا يعني مثلا ينشأ في مجتمع ويكون مثلا لآبائه وأجداده رئاسة ما مثل رئاسة الطرقية أى طرق التصوف فينشأ أبناء ويرأسون لا علم ولا ديانة ولا فهم ويرأسون لمكانة آبائهم لمكانة أجدادهم يرأسون ويكون لهم الكلمة المسموعة في الرعاع الذين تحتهم فهذا من أعظم ما يكون خطورة علي الناس في أديانهم وعقائدهم فيكون هذا المرأس رأسا من رؤوس الضلالة ودعاة الشر والباطل وهذا يكثر يرأسونه للقرابة وهو جاهل وليس

عنده إلا الخرافة التي نشأ عليها وتلقاها عن الآباء والأجداد.

الثاني: رجل معظم للدنيا أيضا هذا من أبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله معظم للدنيا يعني منشغل بها تماما ومكب عليها وعلي طلبها يري بهجتها دائمة محبوبة ونفسه متعلقة بها ويري ما رجي من خيرها قريبا وما صرف من شرها بعيدا ليس يعقد قلبه علي الإيمان فهذا أيضا رجل بعيد من أبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله.

الثالث: رجل خالط النساك أي العباد فانصرف عنهم لحرصه وشرهه انصرف عنهم أي تركهم لم يبقي معهم لم يستمر معهم لحرصه علي الدنيا وشرهه في طلبها ودامجهم علي مكر وخديعة نعم.

၈◊ଓ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر الحث على مجانبة الغضب وكراهية العجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزاز بجنديسابور حدثنا محمد بن زياد الزيادي حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أو جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال علمني شيئا يا رسول الله أدخل به الجنة ولا تكثر على لعلى أعقل قال لا تغضب»

التعليق:

قال ذكر الحث علي مجانبة الغضب وكراهية العجلة والغضب جاء عن النبي ﷺ النهي عنه كما في الحديث الذي ساقه قال «لا تغضب» وذلك أن الغضب يؤدي بالإنسان إلي إنغلاق فكره بسبب شدة غليان الغضب في نفسه وتفاعله في نفسه فإن تكلم لم يحسن الكلام وإن فعل لم يحسن الفعل ولهذا ينبغي علي الإنسان تجنب الغضب بتجنب أسباب حصوله وينبغي عليه أن يتجنب الغضب بتجنب الأمور التي يقتضيها إن وجد ولهذا قوله مجانبة الغضب هذا يتناول أمرين

الأول: مجانبة أسباب وجود الغضب بحيث لا يحصل الغضب.

الأمر الثاني: مجانبة إن وجد الغضب أن يفعل شيء أو يقول شيء حال الغضب ولهذا قال العلماء في الحديث الذي ساق المصنف «لا تغضب» منهم من فسر قوله لا «لا تغضب» أي تجنب الأسباب التي تفضي بك إلي الغضب بحيث تكون دائم هادئ ولا تستثيرك المواقف وفسر قوله «لا تغضب» أي لا تفعل شيئا يقتضيه الغضب إذا وجد فيك ولهذا جاء في الحديث أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال «إذا غضب أحدكم فليسكت» وجاء في حديث آخر «إذا غضب أحدكم وهو قائم

فليجلس فإن سكن غضبه وإلا فليضجع» يؤخذ من هذين الحديثين أن الغضبان ينبغي عليه حال غضبه فورة الغضب وفورة الغضب هي تأخذ دقيقة دقيقتين لا تطول فحال فورة الغضب يمنع لسانه من أي كلمة تخرج ويمنع بدنه من أي حركة يوقف الحركة تماما حركة اللسان وحركة البدن هذه أهم ما ينبغي إذا فار الغضب في الإنسان فينبغي عليه أن يعطل هذه الحواس لا يعطل هذه الجوارح لا يحرك لسانه بأي كلمة إلا الإستعاذة من الشيطان هذه مطلوبة يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أما الكلام مع من أغضبه يتوقف عنه لأنه في الغالب الكلام لا يكون منضبطا ولهذا في الدعاء قال «أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا» كلمة الحق في الغضب عزيزة جدا ما يتمكن كل أحد منها ولهذا أسلم ما يكون للإنسان إذا غضب أن يسكت قال «إذا غضب أحدكم فليسكت» وهذا من حيث حركة اللسان من حيث حركة البدن أيضا يكف بدنه من أي تصرف لأن إذا تحرك بدنه أو يده أو رجله لن تتحرك إلا بمضرة وأذي وشيء يندم عليه قال «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن سكن غضبه وإلا فليضجع» لأن الجلوس والإضجاع يهدأ الجسم إذا حصل الهدوء وذهبت فورة الغضب يستطيع الإنسان أن يتكلم بكلام سليم ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» هذا هو الشديد وهذه هي القوة أن يملك نفسه عند الغضب من أن يتكلم أو أن يفعل وأول الغضب فورته شدته يفقد الإنسان في الغالب الإنضباط في الأقوال أو الأفعال ولهذا قيل في تعريف الغضب أوله جنون وآخره ندم أوله جنون لأن الإنسان في فورة الغضب تصرفاته لا يرضاها هو من نفسه لا يرضاها ولا يحب أن تكون من تصرفاته فيها إنفعال وفمه يزبد وحركة بدنه غير مناسبة ولا لائقة فأوله جنون وآخره ندم لكن السلامة من ذلك بالكف عن الكلام والكف عن الفعال كما وجه إلي ذلك النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأورد هذا الحديث أن

رجلا قال علمني شيئا يا رسول الله أدخل به الجنة ولا تكثر علي لعلي أعقل يعني أراد شيئا مختصرا موجزا فقال له النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «لا تغضب» و جاء في بعض الروايات أن الرجل قال تفكرت فإذا الغضب جماع الشر تذكرت لأنه طلب قولا جامعا فقال «لا تغضب» قال فتفكرت في ذلك فإذا بالغضب جماع الشر نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ:

أحسن الناس عقلا من لم يحرد وأحضر الناس جوابا من لم يغضب وسرعة الغضب أنكى في العاقل من النار في يبس العوسج لأن من غضب زايله عقله فقال ما سولت له نفسه وعمل ما شانه وأرداه

○ **التعليق:**

قوله (من لم يحرد) أى لم يغضب

قوله (لأن من غضب زايله عقله) أى جانبه عقله وابتعد عنه ولهذا قيل الغضب أوله جنون

انظر الآن ذكر أمرين قال ما سولت له نفسه وعمل ما شانه وأرداه إذًا الغضبان في فورة الغضب يحتاج إلي أمرين

الأول: يتعلق بالأقوال والنبي ﷺ قال «إذاغضب أحدكم فليسكت».

الثاني: يتعلق بالأفعال والنبي ﷺ قال «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن سكن غضبه وإلا فليضجع» إن لم يمنع لسانه ويمنع جوارحه يحصل هذا الذي قال المصنف قال فقال ما سولت له نفسه وعمل ما شانه وأرداه نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا إسحاق بن زكريا البناني حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثني وهيب قال مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وإذا ظلمت فلا تنتصر فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك

التعليق:

هذا يعني ذكرأنه مكتوب في الإنجيل الله أعلم بذلك قال ابن آدم إذكرني حين تغضب ولا شك أن المسلم مطلوب منه عند الغضب أن يذكر الله ولا سيما بالذكر الذي أرشد إليه النبي ﷺ عندما استبا رجلان عنده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأخذ بأحدهما الغضب ما أخذه فقال النبي ﷺ «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد» لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فمقام الغضب ينبغي أن يذكر فيه العبد ربه ولا سيما بالتعوذ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قائلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وإرشاد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلي التعوذ من الشيطان عند الغضب هذا يفيد ماذا؟ يفيد أن الشيطان يحضر فورًا عند غضب الإنسان ويستغل فرصة إنغلاق فكر الإنسان مع شدة الغضب ليجعله يتصرف تصرفات مشينة من أقوال ولهذا بعض الناس والعياذ بالله يحضره الشيطان عند غضبه ويصدر من لسانه كلمات غاية في السوء والقبح من سباب أو شتم أو بذاء حتي بعضهم يعني حال غضبه يسب نفسه حال غضبه وربما أيضا حال غضبه يشتم إبنه فبشتمه لمن أنجبه يشتم نفسه وربما أيضا يتصرف بتصرفات يفعل أفعالا ما يرضاها حال هدوءه وسكونه وطمأنينتة ولهذا يندم الغضبان دائما علي التصرفات التي حصلت منه حال الغضب إذا الشيطان يحضر فينبغي للإنسان عند فورة الغضب أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

حتي يسلم من حضوره ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨] نعم.

❀

○ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلا تم إلا بشيمة ... ولم أر عقلا صح إلا على الأدب

ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم ... عدوا لعقل المرء أعدى من

○ **التعليق:**

يعني أن الغضب عدو للمرء بل هو من أشر الأعداء لماذا؟ لأن الإنسان حال غضبه يحصل منه من أمور وجنايات ما تحصل يمكن بعضا من أشد الأعداء نعم.

❀

○ **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

سرعة الغضب من شيم الحمقي كما أن مجانبته من زي العقلاء

○ **التعليق:**

من زي العقلاء أي من صفة العقلاء وزينتهم

❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والغضب بذر الندم فالمرء علي تركه قبل أن يغضب أقدر منه علي إصلاح ما أفسده بعد الغضب

التعليق:

قوله (الغضب بذر الندم) لأن الغضبان دائمًا إذا انتهى الغضب ونظر إلى الأمور التى حصلت من أقوال أو أفعال ندم ولهذا قيل كما تقدم الغضب أوله جنون وآخره ندم وهذه الكلمة من أحسن ما مر على من حيث مبدأه ومنتهاه صحيح يعني الآن المرء علي تركه قبل أن يغضب يعني ترك ما يطلبه غضبه منه من أقوال سيئة أو أفعال سيئة ترك ذلك قبل أن يغضب هوعليه أقدر من إصلاح ما أفسد بعد الغضب يعني أضرب مثالا فقط للتوضيح من سنوات طويلة رأيت رجلا معه طفل له عمره خمس سنوات ذهب به إلي المستشفي ويد الطفل اليمني مملوعة من العضد يعني منفلتة ما تتحرك يعني يبدوا أنها شدت من هذا المكان شدا عنيفا فقلت لها سلامات ما الذي حصل له قال قاتل الله الغضب أريده أن يقوم من النوم وأبي أن يكون فشددت يده بقوة أريد أن يقوم وإذا يكن فكف نفسه عن ذلك التصرف وعليه أقدر من إصلاح ما أفسده بعد الغضب ولهذا بعض الناس وقت الغضب يضرب إبنه ثم يأخذه يذهب يعالجه وأدوية وأطباء وأشياء كثيرة وهو ندمان علي كل الذي حصل فكف نفسه أمر أيسر من الأمور التي يفعلها أو يقوم بها بعد الجناية والمضرة التي ترتبت علي أفعاله المشينة وقت غضبه ولهذا ينبغي علي الإنسان أن يعود نفسه علي الهدوء والسكون وعدم العجلة ولهذا تلاحظ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بوب الحث علي مجانبة الغضب وكراهية العجلة لا يستعجل الإنسان نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا محمد بن اسحاق الثقفي حدثنا حاتم بن الليث الجوهري حدثنا بكار بن محمد قال كان ابن عون لا يغضب فإذا أغضبه إنسان قال بارك الله فيك

التعليق:

يعني ابن عون وهوعبد الله بن عون سيرته جميلة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي ومن جمال أخلاقه أنه كان لا يغضب فإذا أغضبه إنسان قال بارك الله فيك يعني وقت الغضب وشدة الغضب عنده هذه الكلمة بارك الله فيك ويذكر في ترجمته أنه كان عنده ناقة جميلة ويحبها وأرسل مرة عبدا عنده علي تلك الناقة يسقي يأتي بالماء فالذي حصل أنها تلدنت معه فضربها ذلك العبد ضربة شديدة علي عينها ضربها علي عينها حتى خرجت العين من موضعها فكان من حوله يعرفونه في هدوءه قالوا اليوم نعرف ماذا يكون ابن عون لأن الناقة يحبها حب شديد وهذا عمل شنيع جدا حصل من فلما جيىء له بالناقة قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبحان الله أفلا غير الوجه يعني إذا أردت أن تضربها فلماذا الوجه قال سبحان الله أفلا غير الوجه بارك الله فيك أخرج عني إشهدوا أني أعتقته لوجه الله قال أخرج عني ما أراد أن يبقي عنده في هذا الموقف قال أخرج عني ثم أشهد الحاضرين أنه أعتقه لوجه الله فمثل هذا الموقف الذي تراه الآن مثل ما ينقل لك عن ابن عون وله نظائر كثيرة ممن يكرمهم الله بالأخلاق العالية عندما تقارنه بأحوال بعض الناس تجد مآسى تحصل في مثل هذه المواقف إلي درجة أن بعضهم مباشرة يلجأ إلي القتل قتل من أغضبه أو الإغرار به مضرة عظيمة أو شتمة بأشد الشتائم وأقبحها وأشنعها نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لـم يأكـل النـاس شيئا مـن مـآكلهم ... أحلـى وأحمـد عاقبـة مـن الغضـب
ولا تلحـــف إنســـان بملحفـــة ... أبهـى وأزيـن مـن ديـن ومـن أدب

❍ **التعليق:**

نعم يعني الدين والأدب هو أجمل زينة والله تبارك وتعالي

قال «ولباس التقوي ذلك خير» نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا كامل بن مكرم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ضمرة عن أبي سعيد قال كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على غلامه قال ما أشبهك بمولاك أنت تعصيني وأنا أعصي الله فإذا اشتد غضبه قال أنت حر لوجه الله

❍ **التعليق:**

هذا موقف آخر الأول لإبن عون وهذا لعون ابن عبد الله ابن عتبة كان إذا غضب علي غلامه قال ما أشبهك بمولاك أنت تعصيني وأنا أعصي الله فإذا إشتد غضبه قال أنت حر لوجه الله نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد ما تهواه نفسه أن يذكر كثرة عصيانه ربه وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه ولا يزري بعقله الخروج الى مالا يليق بالعقلاء في أحوالهم مع تأمل وفور الثواب في العقبى بالإحتمال ونفي الغضب

التعليق:

يعني هذه أمور تساعد الإنسان علي الوقاية من الغضب وما يترتب عليه من العواقب الوخيمة نعم.

﴿◊﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الأنصاري :

وكظمي الغيظ أولى من محاولتي ... غيظ العدو بإضراري بإيماني

لا خير في الأمر ترديني مغبته ... يوم الحساب إذا مانص ميزاني

التعليق:

يعني يقول ماذا يفيدني إذا أنني سايرت الغضب وأخذت أغيظ عدوي بأشياء أضر فيها بديني وإيماني من أن أقول مثلا ما لا يحل أو أتلفظ بألفاظ محرمة وكلمات سيئة فماذا يفيدني ذلك يوم الحساب فهذا أيضا باب من الأبواب التي تعين الإنسان علي مقاومة الغضب والسلامة منه نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا عمر بن علي بن زياد العنبري قال سمعت سلم ابن ميمون الخواص يقول:

سكت عن السفيه فظن أني ... عييت عن الجواب وما عييت
شرار الناس لو كانوا جميعا ... قذى في جوف عيني ما قذيت
فلست مجاوبا أبدا سفيها ... خزيت لمن يجاوبه خزيت
إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

○ **التعليق:**

قوله (عييت) أي عجزت عن الجواب والرد عليه قوله (**عييت عن الجواب وما عييت ... شرار الناس لو كانوا جميعا ... قذى في جوف عيني ما قذيت**) يعني لا أبالي ما يكون من شرار الناس قوله (**فلست مجاوبا أبدا سفيها ... خزيت لمن يجاوبه خزيت**) يقول أنا لا أجاوب السفيه وإنما أعرض عنه لأن مجاوبة السفيه والأخذ معه والتعاطي معه سبب للخزي والعاقبة التي لا يحمدها العبد ولهذا يقول قائل ولقد أمر علي السفيه يسبني فأمر ثمة وأقول لا يعنيني قوله

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

خير من أن تجيب السفيه أن تسكت وتعرض عنه كما قال الله جَلَّ وَعَلَا ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تـــأن في أمـــرك وافهـــم عنـــي فلـــيس شـــيء يعـــدل التـــأني
تـــأن فيـــه ثـــم قـــل فـــإني أرجـــو لـــك الإرشـــاد بالتـــأني

التعليق:

عبد العزيز الأبرش تقدم التنبيه إلي أن له أبيات جميلة وألفاظها حلوة ومعانيها جيدة والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي نقل عنه الكثير من الأبيات يعني حتي إنه تكرر ذكره فيما يقارب الخمسين مرة في هذا الكتاب وأبياته جديرة بأن تجمع سواء من هذا الكتاب أو كتب أهل العلم الأخري نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرني محمد بن أبي على الخلادي حدثنا عبد الله بن جعفر الزبيري عن سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال أنشدني يونس بن إبراهيم بن محمد بن طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تعجل على أحد بظلم ... فإن الظلم مرتعه وخيم
ولا تفحش وإن مليت غيظا ... على أحد فإن الفحش لوم
ولا تقطع أخا لك عند ذنب ... فإن الذنب يغفره الكريم
ولكن داوعوجاه برفق ... كما قد يرقع الخلق القديم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر ... فإن الصبر في العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيئا ... ولا مافات ترجعه الهموم

○ **التعليق:**

قوله (الخلق) أى الثوب الخلق

«إن الإيمان ليخلق فى جوف أحدكم كما يخلق الثوب»

هذه أبيات فيها معاني جميلة بدأها بالنهي عن العجلة قال لا تعجل علي أحد بظلم وتذكر أن الظلم مرتع وخيم وعاقبته علي الظالم وخيمه وإذا إمتلأت غيظا فتجنب الفحش في الأقوال والأفعال فإن الفحش لؤم ومن صفات أهل اللؤم فتجنبه واحذر من الفحش سواء في الأفعال أو الأقوال وأيضا تجنب أن تقاطع وتهجر أخاك بسبب ذنب وقع فيه وذلك أن الذنب يغفره الإنسان الكريم أما إذا كانت كل من أذنب هجره وقطعه لم يبقي له صاحب وهذا المعني سبق أن أشار إليه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولكن داو عوجاه برفق هذا كلام جميل يعني صاحبك ورفيقك إذا حصل منه خطأ لا تهجره ولكن داو عوجاه برفق العوج الذي حصل

عنده برفق داوه وعالجه بالكلمة الحسني والأسلوب الطيب والمعاملة الطيبة حتي يذهب عنه هذا العوج ولكن داو عوجاه برفق كما قد يرقع الخلق القديم مثل ما يرقع الثوب القديم إذا انفتق جانب منه يرقع ويصبح بهذه الرقعة صالحا للإستعمال ثم حذر من الجزع وحث علي الصبر وأن عاقبة الصبر حميدة وأن الجزع لا يغني الإنسان شيئا وأيضا الأمور التي فاتت كثرة الهموم بعدها لا تسترجعها ولا تعيدها وعلي الإنسان في مثل هذه المواقف أن يؤمن بالقضاء والقدر وليقل قدر الله ماشاء فعل نعم.

෴◈෴

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لو لم يكن في الغضب خصلة تذم إلا إجماع الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأي له

❍ **التعليق:**

علي أن الغضبان لا رأي له أجمع علي أن الغضبان لا رأي له لماذا؟ لأن شدة الغضب وفورته تفقده الرأي تفقده الكلمة التي هي عدل وحق وصواب فقال أجمعوا علي أنه لا رأي له نعم.

﴾◊﴿

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لكان الواجب عليه الإحتيال لمفارقته بكل سبب

والغضبان لا يعذره أحد في طلاق ولا عتاق ومن الفقهاء من عذر السكران في الطلاق والعتاق والخلق مجبولون على الغضب والحلم معا فمن غضب وحلم

❍ **التعليق:**

الخلق مجبولون علي الغضب والحلم معا ولهذا تقدم ما نقله شيخ الإسلام قيل أنه ما خلا جسد من حسد نعم.

﴾◊﴿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمن غضب وحلم في نفس الغضب فإن ذلك ليس بمذموم ما لم يخرجه غضبه الى المكروه من القول والفعل على أن مفارقته في الأحوال كلها أحمد

التعليق:

قال ما لم يخرجه غضبه إلي المكروه من القول والفعل علي أن مفارقته في الأحوال كلها أحمد لاحظ الآن يعني هذا الذي ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفيد أن تجنب الغضب في قوله لا تغضب يتناول أمرين ذكرهما رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا.

الأمر الأول: تجنب إن وجد الغضب أن يفضي به إلي المكروه من قول أو فعل.

الأمر الثاني: مفارقة الغضب علي الأحوال كلها بالعمل علي الأسباب التي يحصل بها ألا يوجد عنده الغضب

فقوله «لا تغضب» أي حاول واجتهد أن تتجنب أن يحصل منك الغضب ولا تغضب أيضا إن حصل الغضب فتجنب كل قول مكروه أو فعل مكروه يحصل من الإنسان حال الغضب نعم.

☙◊❧

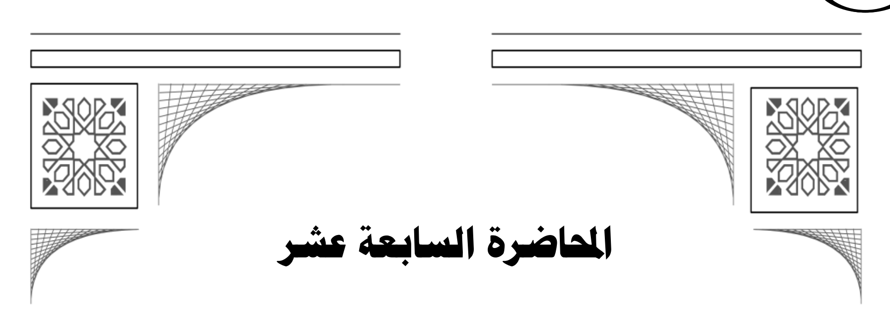
❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبانا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء قال قال عبد الملك بن مروان إذا لم يغضب الرجل لم يحلم لأن الحليم لا يعرف إلا عند الغضب

❍ **التعليق:**

الحليم لا يعرف إلا عند الغضب أنظر ما مر معنا قبل قليل في قصة ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعني المواقف الشديدة التي تستثير الإنسان هي التي تكشف حلمه فقال لأن الحليم لا يعرف إلا عند الغضب وقصة ابن عون التي تقدمت من يعرفونه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي قالوا اليوم نعرف ابن عون واليوم نري ماذا يفعل لأن المواقف الشديدة الصعبة تكشف الإنسان قال لأن الحليم لا يعرف إلا عند الغضب نعم.

﴿◊﴾



المحاضرة السابعة عشر

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر الزجر عن الطمع الى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال «جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

التعليق:

هذه الترجمة ذكر الزجر عن الطمع إلي الناس الزجر المراد به المنع والنهي والتحذير عن الطمع إلي الناس أي الطمع فيما أيديهم بحيث يكون العبد مستغنيا عما في أيدي الناس مستعفا عن سؤالهم والطلب منهم لأن هذا الإستغناء والإستعفاف يعد ضربًا من ضروب الغني بل كما سيأتي لاحقا عند المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أشرف الغني ترك الطمع إلي الناس ولا شك عندما تكون نفس الإنسان مستغنية عفيفة إلا مما عند الله جَلَّ وَعَلَا والسؤال له والذل بين يديه من كان كذلك فلا شك أنه في أشرف الغني وأعلاه وأطيبه وأسماه أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي في صدر هذه الترجمة حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال جاء رجل إلي النبي ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس قال ﷺ: «إزهد في

الدنيا يحبك الله وإزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» وهذا كلام جامع عظيم والحديث أورده النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي في الأربعين التي هي جوامع الكلم المأثورة عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهذا من جوامع الكلم في هذا الباب العظيم فالسائل طلب من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يرشده إلي عمل إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس فأرشده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما تنال به محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يزهد في الدنيا والمراد بالزهد في الدنيا أي كل ما يشغل منها عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أما إذا كان لا يشغل عن الله وإنما هو معونة علي طاعته وعبادته وما يقرب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنه لا يتنافي مع الزهد في الدنيا فالزهد في الدنيا أن يزهد في كل ما يشغله من الدنيا عن الله تبارك وتعالي أما إن لم يكن كذلك فإنه ما لم يكن كذلك أي ما لم يكن من الدنيا شاغلًا العبد عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنه لا يضر العبد إشتغاله به وإنما الذي يضر من الدنيا ما كان شاغلا عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعما خلق العبد لأجله ولهذا جاء في الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧] فالعبد لا بد له من بيت يسكنه من طعام يشربه من لباس يلبسه لا بد أن يكون بيده مال يستغني به عن الناس وعن سؤالهم يقضي به حاجته فهذه الأمور إكتسابها وتحصيلها لا يؤثر ما لم تكن شاغله عن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولعل مما يوضح هذا المعني ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه» فقوله علي الصلاة والسلام «وما والاه»أي ماوالى ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأمور التي ليس فيها غفلة عن الذكر بل هي إنشغال به من وجه أو آخر قال فيما يتعلق بسؤاله الثاني وهو ما ينال به محبة الناس قال «إزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» لماذا؟ لأن الناس أموالهم وممتلكاتهم ثمينة عندهم عزيز عليهم التفريط فيها فإذا شوغلوا عندها شاغلهم عندها مشاغل بسؤال أو طلب أو نحو ذلك ملوه وربما أيضا أبغضوه وربما أنهم كرهوا مجالسته ومصاحبته

وبالمقابل زهد الإنسان فيما في أيدي الناس هذا سبب لإكتساب محبة الناس له إذا زهد فيما في أيديهم أما إذا كان يشاغلهم علي أمورهم ويسألهم أعطني كذا وأنا أريد كذا وأنت عندك مثلا كذا وكذا لماذا لا تعطيني مثلا ربعًا أو عشرًا أو إلي آخره هذا مشاغله للناس في أموالهم في ممتلكاتهم فيما أكرمهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به يورث الملالة وربما البغضة والكراهة ولهذا جاء في هذا الحديث قال «وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» أي أن زهدك فيما في أيديهم سبب لمحبتهم لك نعم.

ﮂ ◈ ﮂ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل ترك الطمع الى الناس كافة بكمال الإياس منهم إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده في الناس فقر حاضر فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه

❍ **التعليق:**

ثمة يأس وطمع الطمع إلي الناس أو فيما إلي ما في أيدي الناس هذا مذموم والترجمة معقودة لبيانه ضد ذلك اليأس منهم وإذا كان الطمع فيما فى أيديهم مذموم فإن اليأس مما في أيدي الناس أمر محمود يحمد عليه الإنسان عندما يكون عنده يأس مما في أيدي الناس بمعني أنه يقطع من قلبه التعلق والطمع فيما في أيديهم واليأس مما في أيدي الناس راحة للقلب لأن الطمع في أيديهم عندما يتحرك في القلب ربما عرض نفسه لسؤالهم وإذا عرض نفسه لسؤالهم عرض نفسه لمذلة السؤال وربما أيضا مذلة الرد قد لا يجيبونه يسألهم ويعرض لهم حاجته الشديدة فلا يجيبونه علي سؤله ومطلوبه فمن أنفع ما يكون وهو ضرب كما تقدم من ضروب الغني أن ييأس الإنسان مما في أيدي الناس وذلك بقطع الطمع فيما في أيديهم قال إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده في الناس فقر حاضر فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه نعم.

❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول:

لأجعلن سبيل اليأس لي سبلا ما عشت منك ودار الهجر أوطانا
والصبر أجعله غرما أنال به في الناس قربي وعند الله رضوانا
فالنفس قانعة والأرض واسعة والدار جامعة مثنى ووحدانا

التعليق:

هذه الأبيات في الباب نفسه باب اليأ س مما في أيدي الناس قال هذا الناظم لأجعلن سبيل اليأس لي سبلًا ما عشت منك يخاطب شخصًا ربما أنه محتاج شيئًا عنده إلا أنه جعل في نفسه يأس مما عنده بحيث لا يتعلق قلبه ولا يطمع فيقول لأجعلن سبيل اليأس لي سبلًا ما عشت أي حياتي كلها سابقى كذلك منك أي مما في يدك ومما هو عندك وملك لك قال والصبر أجعله غرما والغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه فيقول أنا سأجعل الصبرغرمًا أنال به في الناس قربي يعني عندما أتصبر وأمنع نفسي عما في أيدي الناس هذا يزيدني قربًا منهم وقد تقدم معنا في الحديث «وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» وزهدك فيما في أيدي الناس هو أن تصدر وتمنع نفسك عن التطلع لما في أيديهم أو سؤالهم أو نحو ذلك قال والصبر أجعله غرما أنال به في الناس قربا وعند الله رضوانا يعني من جهتين من جهة الناس أنال به قربا منهم ومحبة منهم لي وعند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنال رضوانًا لأني لم أعلق قلبي بالناس وإنما توكلت عليه وحده سبحانه وفوضت أمري إليه قال فالنفس قانعة يعني عندي نفس من الله علي بها وهي نفس قنوعة والأرض واسعة ويشير بساعة الأرض أن رزق الله عز وجل ليس في هذا الشخص المعين الذي قد يئست أو جعلت في نفسي يئسًا مما في يده بل أرض الله واسعة قال تعالى ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي

مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾ [الملك: ١٥] قال والأرض واسعة والدار جامعة مثني ووحدانًا نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسائي قال أنشدني الحسين بن أحمد بن عثمان

اليأس أدبني ورفع همتي ... واليأس خير مؤدب للناس

إني رأيت مواضع الطمع الذي ... يضع الشريف مواضع الأخساس

○ **التعليق:**

قال اليأس أدبني ولا شك أن اليأس مما في أيدي الناس مهذب للنفوس ومربي لها ومؤدب اليأس أدبني ورفع همتي جعل همتي عالية لماذا؟ لأن الإنسان إذا قطع عن نفسه الطمع مما في أيدي الناس بدأت همته تعلوا في البحث عن الوجوه والأبواب التي من خلالها يحصل ولو أن يمسك بفأس يكسر الحجارة وسيأتي في هذا الباب قصة عجيبة أوردها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي ننتظرها وتبقي في أذهاننا لجمالها في هذا الباب يعني حتي لو يأخذ فأسا يكسر به الحجارة يحصلوا به مالا خير له من أن يذل نفسه للناس يسألهم أعطوه أو منعوه اليأس أدبني ورفع همتي والياس خير مؤدب للناس اليأس أي مما في أيدي الناس خير مؤدب للناس أي مهذب لهم ولأخلاقهم من حيث القناعة والرضا بالكفاف ومن حيث أيضا

تحريك النفس للجد في العمل والإكتساب وطلب الرزق قال إني رأيت مواضع الطمع الذي يضع الشريف مواضع الأخساس يضع الشريف الشخص الذي له شرف له مكانة له منزلة الطمع الذي قد يكون عنده فيما في أيدي الناس يجعله في موضع الأخساس أي موضع الأراذل لأن الطمع فيما في أيدي الناس والتعرض لسؤال مذلة للإنسان ومنقصة لشرفه ومكانته نعم.

❁

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

فأجمعت يأسا لا لبانة بعده ... واليأس أدنى للعفاف من الطمع
والنفس تطمع هشة إن أطمعت ... وتنال باليأس السلو فتقنع

التعليق:

قال هذا الناظم فأجمعت يأسا أجمعت أي في قلبي يأسا أي مما في أيدي الناس لا لبانة بعده أي لا لبانة بعد هذا اليأس ما هي اللبانة اللبانة لها معني مشهور عندنا وهي التي تمضغ في الفم أليس كذلك فيقول لا لبانة بعده ما اللبانة في اللغة هل هي اللبانة المعروفة التي تمضغ في الفم ثم ترمي أو لها معني آخر لعل هذا التسائل يرسخ لكم معني اللبانة اللبانة الحاجة لا لبانة بعده إلي حاجة بعده لا لبانة بعده أي لا حاجة اللبانة المراد بها الحاجة فيقول فأجمعت يأسا لا لبانة بعده أي لا حاجة بعده واليأس أدني للعفاف من الطمع أدني أي أقرب لحصول العفاف من الطمع أي طمع النفس وتعلقها بما في أيدي الناس والنفس تطمع هشة إن أطمعت وتنال باليأس السلو فتقنع نفس الإنسان بما تربي عليه وبما ينشئها صاحبها عليه إن

نشئها علي الطمع تقبله ويكون هشا عندها بمعني أنها تقبله بسهوله جداً ويكون صفة لها وتنال باليأس السلو أيضا إن قطع الطمع وأوجد في نفسه اليأس تسلو النفس ويذهب عنها التعلق ولهذا شبهت النفس بالطفل المرضع إن ترك وأهمل إستمر علي الرضاعة وشب علي الرضاعة وإن كان أمه عالجته إن عالجته أمه وحرصت علي فطمه من الرضاعة يتعب فترة معينة ثم يتقبل ذلك كما قال الناظم في بيت جميل في هذا الباب والنفس كالطفل إن تهمله شب علي حب الرضاعة وإن تفطمه ينفطم بيت من أجمل ما يكون في تقرير هذا المعني وأنت تتأمل جمال هذا البيت وجزالة معناه في تقرير هذا المعني تعجب غاية العجب إذا علمت أن صاحب هذا البيت في المنظومة نفسها يقول مخاطبا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم أين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واللياذ هو لا يكون إلا بالله كما أن الإستعاذه والدعاء والرجاء والتوكل يقول يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم وإن من جهدك الدنيا وضرتها وإن من علومك علم اللوح والقلم فيا سبحان الله وتنزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن مثل ذلك وتقدس سبحانه لكن تتعجب عندما تري هذا المعني الجميل فتعجب عندما تري أن قائله يقول مثل هذا الكلام الذي فيه مناقضة للتوحيد الذي بعث به النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا يزيد بن عبد الصمد حدثنا يحيى بن صالح حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن عمارة أنه قال لإبنه يا بني أظهر اليأس فإنه غنى وإياك والطمع فإنه فقر حاضر

التعليق:

قال سعد بن عمارة لإبنه يا بني أظهر اليأس فإنه غني أظهر اليأس أي مما في أيدي الناس فإن هذا غني أي غني لقلبك وغني القلب وغني النفس أظهر اليأس فإنه غني وإياك والطمع فإنه فقر حاضر طمع الإنسان فيما في أيدي الناس هذا با ب من أبواب الفقر ضده اليأس مما في أيديهم أشرف الغني وأعلاه نعم.

❧◈☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أشرف الغنى ترك الطمع الى الناس إذ لا غنى لذي طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع ولم يعم بصره الطمع

ومن أحب أن يكون حرا فلا يهوى ما ليس له لأن الطمع فقر كما أن اليأس غنى ومن طمع ذل وخضع كما أن من قنع عف واستغنى

ولقد أنشدني الكريزي :

لا خيــر في عـــزم بغيــر رويـــة   والشـــك عجــز إن أردت ســراحا
واليــأس ممــا فــات يعقــب راحــة   ولـــرب مطمعـــة تعـــود ذباحـــا

التعليق:

قال لا خير في عزم بغير روية أي بغير أناة وتؤده ونظر في العواقب ما كل عزم

يحمد عليه الإنسان إلا إذا كان عزمًا مبنيًا علي روية ونظر في العواقب ولا سيما في الأمور التي يكون فيها إشتباه وإلتباس أو يخشي من عواقبها فما كل عزم يحمد عليه إلا العزم علي الرشد والعزم علي الرشد لا يعرف إلا بالروية ولهذا جاء في الدعاء المأثور «اللهم إني أسألك الثبات في الأمروالعزيمة علي الرشد» فإذا ما كل عزيمة تحمد إلا إذا كانت رشدًا ولا يعلم ذلك إلا بالروية والأناة والتأمل والنظر في العواقب لا خير في عزم بغير روية والشك عجز إن أردت سراحًا واليأس مما فات يعقب راحة الأمور التي فات كان الإنسان يطمع في تحصيلها لكنه فاتت عليه ولم يحصلها ولم تحصل له فاليأس مما فات يعقب راحة يرتاح الإنسان ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] فهذا يعقب الإنسان راحة في نفسه وطمأنينة في قلبه قال ولرب مطمعة تعود ذباحا ولرب مطمعة في شيء وتعلق به بحيث أن القلب يكون متعلقا به ربما أن هذه المطمعة تعود ذباحًا والذباح نوع من النبت المسموم نبت من السموم يقال له الذباح إذا أكله الإنسان قتله يقال له إذا أكله الإنسان قتله يقال له الذباح ويقال له الذبح وهو نبات مسموم قاتل لمن يأكله فيقول ولرب مطمعة تعود ذباحا يعني يكون ظاهرها نبتة هذه مطمعة جميلة تعجبه ثم يأكلها لأنها أعجبته فتكون قاتلة له وهكذا الطمع قد يضر بصاحبه مثل هذه المضرة وذباحًا بضم الذال وليس بفتحها نعم.

๑♦๑

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

فكنت لي أملا دهرا لطالبه ... فغيرته صروف الدهر أطوارًا

صرفت باليأس عنه النفس ... فما أبالى أقام الدهر أم سار

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا عبد الله بن أبي شيبه حدثنا عبد الله بن مروان حدثنا محمد بن هانئ الطائي قال بعث أبو الأسود الديلي الى جار له يقترض منه فلم يقرضه واعتل عليه وكان حسن الظن به فقال أبو الأسود :

لا تشعرن النفس يأسا فإنما ... يعيش بجد عاجز وجليد

ولا تطمعن في مال جار لقربه ... فكل قريب لا ينال بعيد

وفوض الى الله الأمور فإنما ... تروح بأرزاق العباد جدود

التعليق:

قوله (واعتل عليه) أى ذكر له علة أو عذرسبب لعدم تمكنه من إعطاءه واعتل عليه لما سأله كان حسن الظن به أنه كريم وسخى وأنه يعطى كان حسن الظن به

قوله (الجد)هو الحظ وجمعه جدود كما سيأتى فى الأبيات نفسها

فجدود أي حظوظ يقول لا تشعرن النفس يأسا فإنما يعيش بجد عاجز وجليد الجد هو الحظ والنصيب مما قسمه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ للعباد هذه ليست ينالها الجلد أو الكيس الفطم بل ينالها الجيد والعاجز فيعيش بجد أي حظ ونصيب من هذه الدنيا عاجز وجليد عاجز إنسان لم يعمل ولم كذا وتجده يأتيه شيء من الحظ والنصيب من هذه الدنيا وتجد أيضا الآخر جليد صاحب عزم ونشاط وعمل وجد ويحصل فيعيش بجد عاجز وجليد ولا تطمعن في مال جار لقربه لا تطمعن أي لا

يكن لديك طمع في مال جارك لقربك منه سواء قرب الجدار أو قرب المكانة بطول الجيرة والصحبة والمعاشرة لا تطمعن في مال جار لقربه فكل قريب لا ينال بعيد وفوض إلي الله الأمور وهذا زبدة البيت وغرته أو زبدة الأبيات وغرتها فوض إلي الله الأمور توكل علي الله فوض أمرك إلي الله إلجأ دوما إليه فوض إلي الله الأمور فإنما تروح بأرزاق العباد جدود أي حظوظ يقسمها الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بين العباد كما قال ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ [الزخرف: ٣٢]} نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا المروزي قال سمعت أحمد بن حنبل يقول سمعت ابن السماك يقول الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك ينفك القيد من رجلك

التعليق:

يقول الرجاء حبل في قلبك أي مشدود وموثق في قلبك والمراد بالرجاء أي فيما في أيدي الناس طمعًا ورجاء فيما في أيديهم فهذا حبل في القلب مقيد للقلب مشدود به القلب حبل في قلبك وقيد في رجلك ما معني أنه قيد في الرجل لأنه سبحان الله من يكون في طمع فيما في أيدي الناس تتعطل جوارحه عن العمل من الجهات الأخري ليكتسب ويحصل رزقا وإنما يبقي عاله علي الآخرين لأن في قلبه قيد وهو الرجاء مما في أيدي الناس يسبب هذا القيد الذي في قلبه القيد في رجله فلا يتحرك للعمل معني واضح ودقيق يقول الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك أخرج الرجاء أي الطمع فيما في أيدي الناس من قلبك ينفك القيد من رجلك بمعني أنك ستنطلق في البحث عن مصالحك بالإكتساب وطلب الرزق والعمل إلي غير ذلك نعم.

꧁◈꧂

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الطمع غدة من قلب المرء له طرفان أحدهما القيد في رجليه والآخر الطبع على لسانه فما دامت العقدة قائمة لا تنفك رجلاه ولا ينطق لسانه فإذا أخرج الطمع من قلبه انفك القيد عن رجليه وزال الطبع عن لسانه فسعى إلى ما شاء وقال ما أحب

ودواء زوال الطمع عن القلب هو رؤية الأشياء من مكونها بدوام الخلوة وترك الناس

○ **التعليق:**

هذا تقرير للمعني السابق والغدة هي كل عقدة في الجسد أضاف بها شحم وكل قطعة تكون بين العصب وكل قطعة صلبة تكون بين العصب فهذا يقال له غدة يقول الطمع غدة من قلب المرء له طرفان القيد في رجليه والطبع علي لسانه فلا يحسن عملا ولا يحسن أيضا بيانا وكلاما حتي يسلم من هذا الطمع ثم بين الدواء الشافي من هذا الطمع لزواله من القلب وهو رؤية الأشياء من مكونها ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ ﴾ [الزخرف: ٣٢] رؤية الأشياء من مكونها بدوام الخلوة وترك الناس يخلوا بينه وبين الله يذكر نفسه بالله وأنه الرزاق وأنه الذي بيده أزمة الأمور وأنه المعطي المانع وأنه ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [فاطر: ٢] نعم.

❧ ◈ ❧

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

كـــن لقعـــر البيـــت حلســـا وارض بالوحـــــدة أنســـــا
لســـت بالواجـــد حـــرا أو تـــرد اليـــوم أمســـا
فـــاغرس اليـــأس بـــأرض الزهـــد مـــا عمـــرت غرســـا
ولـــيكن يأســـك دون الطمـــع الكـــاذب ترســـا

التعليق:

يقول عبد العزير بن سليمان الأبرش كن لقعر البيت حلسا يقال فلان حلسه بيته أي لا يبرح من بيته يلازم الجلوس فيه والبقاء فيه كن لقعر البيت حلسا وارض بالوحدة أنسا وتقدم كلام حول هذا الموضوع أن الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء هذا المعني تقدم تقريره عند الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال لست بالواجد حرا أو ترد اليوم أمسا يعني في ما تطمع فيه أو فيما فاتك من مصالح ونحو ذلك فاغرس اليأس بأرض الزهد ما عمرت غرسا إغرس اليأس بأرض الزهد ماعمرت أي حياتك كلها إجعله غرسا ثابتا بحيث تكون زاهدا فيما في أيدي الناس قاطعا للطمع فيما في أيديهم وليكن يأسك دون الطمع الكاذب ترسي كل ما وجد طمع فيما في أيدي الناس تترس باليأس حتي تسلم وتحمد العاقبة بإذن الله نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل يجتنب الطمع من الأصدقاء فإنه مذلة ويلزم اليأس عن الأعداء فإنه منجاة وتركه مهلكة والإياس هو بذر الراحة والعز كما أن الطمع هو بذر التعب والذل فكم من طامع تعب وذل ولم ينل بغيته وكم من آيس استراح وتعزز وقد أتاه ما أمل وما لم يأمل

وأنشدني الأبرش :

يعرى ويغرث من أمسى على طمع　　　من المكارم وهو الطاعم الكاسي
إن المطامع ذل للرقاب ولو　　　أمسى أخوها مكان السيد الراس

○ **التعليق:**

يقول عبد العزيز الأبرش يعري ويغرث أي يجوع من أمسي علي طمع من المكارم وهو الطاعم الكاسي يعري ويغرث من أمسي علي طمع من المكارم الجار والمجرور في قوله من المكارم متعلق بقوله يعري أن يكون عريا من المكارم من تعلق قلبه بالطمع فيما في أيدي الناس وهو الطاعم الكاسي حتي وإن كان الطعام وعنده الكساء لكنه يكون عريا من المكارم إن المطامع ذل للرقاب ولو أمسي أخوها مكان السيد الراسى أي الرأس والرأس أي الرئيس في قومه والمقدم حتي ولو كان بهذا المستوي سيدا ومقدما في قومه فإن المطامع تذل مكانته وتطيح بقدره نعم.

֍◊֍

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن اسحاق الواسطي :

ألـم تعلمـي أني إذا الـنفس أشـرفت   علـى طمـع لـم أنـس أن أتكرمـا
ولسـت بلـوام علـى الأمـر بعـد مـا   يفــوت ولكــن عــل أن أتقــدما

التعليق:

يقول هذا الناظم ألم تعلمي أني إذا النفس أشرفت علي طمع أي تطلعت وأقبلت علي طمع لم أنس أن أتكرما أي أن أكرم نفسي عن ذلك وأعفها عنه وأبعدها منه ولست بلوام علي الأمر بعدما يفوت إذا فات الأمر لا يتحسر مثل ما قال الله ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾ [الحديد: ٢٣] لا يتحسر علي الأمر الذي يفوت ولست بلوام علي الأمر بعدما يفوت إذا فات لا يتحسر عليه ولا يكون في قلبه أسي لأنه أمر فات ولم يقدره الله فلا يقع في قلبه أسي علي ما فات عل أن أتقدما يعني رجاء أن أكون بترك الأسي علي ما فات أنا أتقدم بأن يمن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ علي ما يكون فيه تقدمي ورفعتي وتحصيل ما أؤمل نعم.

ꕤ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن يوسف الكوفي حدثنا عبد الله بن جبلة الكناني عن معاوية بن عمار عن أبي جعفر قال اليأس عما في أيدي الناس عز ثم قال أما سمعت قول حاتم الطائي :

إذا ما عرفت اليأس ألفيته الغنى　　إذا عرفته النفس والطمع الفقر

❍ **التعليق:**

قال أما سمعت قول عن أبي جعفر قال اليأس عما في أيدي الناس عز ثم قال أما سمعت قول حاتم الطائي إذا ما عرفته اليأس ألفيته الغني إذا ما عرفت اليأس أي معرفة حقيقية والمراد باليأس أي اليأس مما في أيدي الناس ألفيته الغني وقد تقدم قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي أشرف الغني ترك الطمع إلي الناس فيقول إذا ما عرفت اليأس أي جربته وخبرته وعرفته معرفة جيدة ألفيت أي وجدت أنه غني إذا عرفته النفس أي معرفة جيدة وأدركته والطمع الفقر أي الطمع في أيدي الناس هو الفقر وهذا المعني سبق أن أوضحه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي قال إذا الطمع فيما لا يشك في وجوده في الناس فقر حاضر ونقل عن سعد بن عمارة أنه قال لابنه يا بني أظهر اليأس فإنه غني وإياك والطمع فإنه فقر حاضر قال هو المعني الذي قرر في هذا البيت أو بين في هذا البيت نعم.

๑◊๑

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر الحث على مجانبة المسألة وكراهيتها

حدثنا أبو يزيد خالد بن النضر بن عمرو القرشي بالبصرة حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه الزبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال «لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأتي بحزمة من حطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»

التعليق:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي ذكر الحث علي مجانبة المسألة وكراهيتها فهذه الترجمة عقدها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي تحذيرا من المسألة أي مسألة الناس والتعرض لسؤالهم ومن يتعرض لسؤال الناس يذل نفسه إن أعطوه فإنه قد تعرض لذل المسألة وإن لم يعطوه فإنه يكون حصل له ذلان ذل المسألة وذل الرد ولهذا سيأتي في الحديث أعطوه أو منعوه فالذي ينبغي علي الإنسان أن يستعف وأن يستغن مما في أيدي الناس ومن يستغن يغنه الله ومنى يستعفف يعفه الله كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ وأورد في هذه الترجمة عن الزبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال «لأن يأخذ أحدكم حبلا» الحبل لا يعتبر فى مقاييس التجارة رأس مال مكلف لأن الآن عندما يريد أن يتحدث عن تجارة أوالدخول في تجارة أو كذا يقول ما عندي رأس مال هذه الآن تجارة وفيها خير ومربحة ولا تحتاج إلي رأس مال الحبل أمره هين جدا قال «لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأتي بحزمة من حطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» خير له فى إكتساب المال وتحصيل الرزق أن يسعي بهذه الطريقة ليكتسب خير له من أن يعرض نفسه لسؤال الناس أعطاه الناس أو منعوه نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الواجب على العاقل مجانبة المسألة على الأحوال كلها ولزوم ترك التعرض لأن الإفكار في العزم على السؤال يورث المرء مهانة في نفسه ويحطه رتوة عن مرتبته وترك العزم على الإفكار في السؤال يورث المرء عزا في نفسه ويرفعه درجه عن مرتبته

❍ **التعليق:**

قوله لأن الإفكار في العزم علي السؤال يعني إعمال الفكر يعني عندما تعرض للإنسان حاجة مطلوبا تجد الناس بين نوعين من الفكر شخص يفكر أو طريقة تفكيره من أسأل علي من أعرض حاجتى فلان أو فلان ويبدأ يفكر في الناس آخر إفكاره في هذه المسألة بطريقة أخري ما هي الطرق التي أقوم بها حتي أحصل هذا المال يبدأ يفكر بأشياء عملية فانظر هذا الإفكار ماذا يورث وهذا الإفكار الآخر ماذا يورث علي ما بينه المصنف قال لأن الإفكار في العزم علي السؤال أي سؤال الناس يورث المرء مهانة في نفسه هذا من جهة ويحطه رتوة عن مرتبته أي منزلة ودرجة عن مرتبته الطريقة الأخري قال وترك الإفكار في السؤال في سؤال الناس يورث المرء عزا في نفسه ويرفعه درجة عن مرتبته نعم.

๏◊๏

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفيض بن الخضر التميمي حدثني عبد الله ابن خبيق قال قال موسى بن طريف إن الحاجة لتعرض لي إلى الرجل فيخرج عزي من قلبي قطع الحاجة من ناحيته فيرجع عزي الى قلبي

التعليق:

الله أعلم إن الحاجة لتعرض لي إلي الرجل فيخرج عزي من قلبي أي بسبب الحاجة إلي الرجل فيخرج عزي من قلبي بسبب توجه قلبي إلي عرض حاجتي عليه فيخرج عزي من قلبي ثم يبين وأنا بحثت عن هذا الأثر في المصادر لم أجده ولعل أحدا منكم ينشط للبحث عنه ويجده في شيء من المصادر أنا أظن أن ثمة حرف فيه ساقط يقول إن الحاجة لا تعرض لي إلي الرجل فيخرج عزي من قلبي فأقطع الحاجة من ناحيته فيرجع عزي إلي قلبي يعني هو فيه شيء من هذا فأقطع الحاجة من ناحيته فيرجع عزي إلي قلبي وجدت بمعناه عن يوسف بن أسباط أنه قال تعرض لي الحاجة فيدخل الذل في قلبي فأخرجها من قلبي فيرجع عزي لي فهذا الأثر عن موسي بن طريف يقول إن الحاجة لتعرض لي إلي الرجل فيخرج عزي من قلبي فأقطع الحاجة من ناحيته فيرجع عزي إلي قلبي يعني هنا في هذا الموضع لا بد والله أعلم أن ثمة حرف ساقط فلعل بعض الإخوة ينشط وينظر في مصادر إما في ترجمة موسي بن طريف أو في بعض كتب الآداب أو غير ذلك ومن وجد شيئا يزودنا به أو أيضا في المصادر ثمة مصادر لهذا الكتاب أو نسخ أخري نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي قال أنشدنا الحسين بن أحمد لعلى بن الجهم :

هي النفس ما حملتها تتحمل ... وللدهر أيام تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عارا أن يزول التجمل

○ **التعليق:**

يقول هذا في وصف النفس أنها بحسب ما يعودها عليه فهذا شأن النفس ومر نظيرذلك فيما تقدم فالنفس بحسب ما تعود وتمرن عليه قال وعاقبة الصبر الجميل جميلة عاقبة الصبرالحميل عندما يتحلي به المرء عاقبته جميلة وأفضل أخلاق الرجال التفضل ولا عار إن زالت عن الحر نعمة لا عار في ذلك ولكن العار أن يزول التجمل أي التخلق بالأخلاق الجميلة والتحلي بالصبر عند زوال النعمة العار أن يكون الإنسان كذلك أما زوال النعمة من الإنسان فإنه لاعار فيه نعم.

❧◊☙

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا خالد بن عبد الله حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي أن عمر بن الخطاب قال من سأل ليثرى ماله فإنما هو رضف من النار يلقمه فمن شاء استقل ومن شاء استكثر

○ **التعليق:**

رضف من النار الرضف هو الحجارة المحماة فإذا كان يسأل ليتكثر ليس به حاجة وإنما ليتكثر ليكثر المال وليثري فيسأل الناس فهذا إنما هو رضف من النار يلقمه نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو عباد يحيى بن عباد حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت مطرف بن عبد الله يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته فقال يا بني إياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجال

التعليق:

قال يا بني إياكم ومسألة الناس أي لا تعرضوا أنفسكم لمسألة الناس وعرض حاجتكم علي الناس فإنها آخر كسب الرجال أو آخر كسب الرجل فالرجل العفيف آخر كسبه وآخر ما يفكر فيه أن يسأل الناس بمعني أنه لا يمكن أن يفكر بسؤال الناس إلا في ضرورة قسوي وأمر ملح جدا لا أن يكون غير قادر على السؤال فهي آخر كسب الرجل يحذر أبناءه من أن يفكروا في أن يسألوا الناس أو يعرضوا حاجاتهم عليهم نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل لا يسأل الناس شيئا فيردوه ولا يلحف في المسألة فيحرموه ويلزم التعفف والتكرم ولا يطلب الأمر مدبرا ولا يتركه مقبلا لأن فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها وإن من سأل غير المستحق حاجة حط نفسه مرتبتين ورفع المسؤول فوق قدره

التعليق:

يعني لعل المرتبتين التي حط نفسه فيها مرتبة ذل السؤال ومرتبة ذل الرد وعدم إجابته نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن مدرك المصري قال سمعت حامد بن يحيى يقول سمعت سفيان بن عيينه يقول من سأل نذلا حاجة فقد رفعه عن قدره

○ **التعليق:**

من سأل نذلا والنذل دنى الخلق وسيئه من سأل نذلا حاجة فقد رفعه عن قدره

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنشدني ابن زنجي البغدادي :

ذل السؤال شجى في الحلق … من دونه شرق من خلفه جرض
ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت … من ماء وجهي إذا أفنيته عوض

○ **التعليق:**

يعني هذا البيت فيه تحذير من ذل السؤال وأن ذل السؤال شجي في الحلق والشجي في الحلق هو الشيء الصلب الذي يعترض في الحلق كعظم أو نحوه فيكون شجي بالحلق يغص به الإنسان شيئا صلبا كعظم أو نحو ذلك من دونه شرق من خلفه جرض الشرق الغصة بالماء والجرض الغصة بالريق ومن ذلكم أيضا أن الإنسان يأتيه هذا الجرض عندما يهان أو يذل فيبلع ريقا يبتلع ريقه ويتجرع ريقه فمثل هذا أيضا يسمي جرض فيقول من دونه شرق من خلفه جرض ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت من ماء وجهي إذا أفنيته عوض ما الذي يعوض ماء وجهي إن كففته عندك سواء أعطيتني أو منعتني لأن المسألة ذل سوء أعطي للإنسان أو لم يعط لكن إن لم يعط إجتمع عليه ذلان ذل المسألة وذل عدم إعطاءه

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال
وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا ... فابذله للمتكرم المفضال

❍ **التعليق:**

هذا أيضا في الباب نفسه والتحذير من إذلال النفس بالسؤال وأن ذلك لا يعيضه شيء حتي ولو أعطي مالا وكان المال كثيرا في مقابل السؤال فإن ذل السؤال لا يعوضه المال وإن كثر فيقول إن ابتليت واضطررت للسؤال إياك أن تسأل كل أحد وإنما سل المتكرم المفضال يعني إسأل شخصا معروف بالكرم والبذل والسخاء لا تسأل كل أحد نعم.

꧁◊꧂

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد الثعلبي الدمشقي حدثنا حاجب بن أبي علقمة العطاردي قال سمعت أبي يقول قال مطرف بن عبد الله بن الشخير لإبن أخيه يا ابن أخي إذا كانت لك حاجة إلى فاكتب بها إلي في إلي رقعه فإني أصون وجهك عن ذل السؤال وبذل الجهال

❍ **التعليق:**

هذا مطرف بن عبد الله يقول لإبن أخيه يا ابن أخي إذا كانت لك حاجة إلي فاكتب بها إلي في رقعة أكتب لي بها في رقعة فإني أصون وجهك عن ذل السؤال يعني كونك تكتبها فيه رقعة أهون عليك نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني في ذلك :

يــا أيهــا المتعــب بــذل الســؤال وطالــب الحاجــات مــن ذي النــوال
لا تحســبن المــوت مــوت البلــى فإنمـــا المـــوت ســـؤال الرجـــال
كلاهمــــا مــــوت ولكــــن ذا أعظـــم مـــن ذاك لـــذل الســـؤال

❍ **التعليق:**

هذا يبين يعني خطورة سؤال الناس وأنه ذل بل وصفه بأنه موت وأنه أشد من الموت الذي هو موت البلي يقول لا تحسبن الموت موت البلي الموت المعروف وإنما الموت سؤال الرجال كلاهما موت موت البلي وسؤال الرجال كل منهما موت ولكن ذا الذي هو سؤال الرجال أعظم من ذاك لذل السؤال نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أعظم المصائب سوء الخلق والمسألة من الناس والهم بالسؤال نصف الهرم فكيف المباشرة بالسؤال

التعليق:

الهم بالسؤال نصف الهرم فكيف بالمباشرة بالسؤال نعم.

೫◊ೞ

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن عزت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه ولا ينبل الرجل حتى يعف عما في أيدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم والسؤال من الإخوان ملال ومن غيرهم ضد النوال

التعليق:

من الإخوان ملال أي يوجد السئامة والملل يملوه ويفجر منه ومن غيرهم ضد النوال وهو العطاء نعم.

೫◊ೞ

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الأبرش:

أنبل بنفسك أن تكون حريصة — إن الحريص إذا يلح يهان
من يكثر التسآل من إخوانه — يستثقلوه وحظه الحرمان

❍ **التعليق:**

يقول أنبل بنفسك أي إربأ بنفسك وإرتفع بها لا تجعلها نفسا حريصة لماذا؟ قال إن الحريص إذا يلح يهان يهينونه حتي إخوانه وأصدقائه إذا يلح يهان من يكثر التسآل أي سؤال الناس والطلب منهم من إخوانه يستثقلوه يصبح ثقيل ويكرهون مجالسته ومصاحبته يستثقلوه وحظه الحرمان إضافة إلي أنهم يستثقلوه أيضا سيكون حظه ونصيبه منهم الحرمان نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أتيـت أبـا عمـرو أرجـى عطـاءه ... فـزاد أبـو عمـرو علـى حـزني حزنـا
فكنـت كبـاغي القـرن أسـلم أذنـه ... فبـات بـلا أذن ولـم يسـتفد قرنـا

التعليق:

فبات بلا أذن وتروي الأبيات أيضا فآبي بلا أذن ولم يستفد قرنا يقول أتيت أبا عمرو أرجي أتمني أن يعطيني كنت مؤمل أنه سيعطيني وقد أتيته وعندي أمل فزاد أبو عمرو علي حزني حزنا الحزن الذي أصابه من جهته أنه رده ولم يعطه يقول لما تفكر في الأمر وجاء بهذا المثل بديع قال فكنت كباغي القرن شخص أراد لنفسه قرن فأسلم أذنه من أجل أن يحصل القرن فآبي أو فبات بلا أذن ولم يستفد قرنا ويحتمل أن يكون القرن البوق الذي ينفخ فيه فيخرج صوتا فكان باغي أراد القرن من أجل أن يستمتع مثلا بصوته العالي فأتلف هذا القرن أذنه فرجع بلا أذن ولم يستفد قرنا فرجع بلا أذن أي أن أتلف هذا الصوت العالي أذنه فلم يستفد فآبي بلا أذن ولم يستفد قرنا نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندي حدثنا عبد الله بن سليمان قال كان أكثم بن صيفي يقول السؤال وإن قل أثمن من النوال وإن جل

❍ **التعليق:**

هذا الأثرأيضا أود لو أنه يراجع في المصادر أثر أكثم بن صيفي يقول السؤال وإن قل أثمن من النوال وإن جل نعم.

۞

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرم عليه قدره ويعظم عنده خطره فكيف بمن يهون عليه رده ولا يكرم عليه قدره وأشد اللقاء الموت وأشد منه الحاجة إلى الناس دون السؤال

❍ **التعليق:**

هذا مثل ما تقدم أشد اللقاء الموت وأشد منه الحاجة إلي الناس نعم.

۞

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأشد منه التكلف بالسؤال لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يخل من أن يكون فيه ذل السؤال وإذا الحاجة لم تقض كان فيه ذلان موجودان ذل السؤال وذل الرد

○ **التعليق:**

إن أعطوه نال بذلك ذل السؤال وإن لم يعطوه جمع إلي نفسه ذلين ذل السؤال وذل الرد نعم.

೫◊೫

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

لا يحس الصديق منك بفقر ... لا ولا والد ولا مولود

ذاك ذل إذا سألت بخيلا ... أو سألت الذي عليك يجود

○ **التعليق:**

يقول هذا الناظم في التعفف في هذا البيت في التعفف وهو جميل في هذا الباب يقول لا يحس الصديق منك بفقر صديقك الذي تصاحبه لا يحس يوم بفقرك ولا تشعره بفقرك ولا والد ولا مولود لا والد لك ولا مولود لا تشعره وفقرك لا تشكوا إلا إلي الله ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] ذاك ذل إذا سألت بخيلا أو سألت الذي عليك يجود لماذا؟ إن سألت بخيل إجتمع لك كما تقدم ذلان وإن سألت شخص يجود حصل لك ذل واحد وهو ذل المسألة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ببغداد حدثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة عن الأعمش قال سمعت المعرور بن سويد يحدث عن عبد الله قال إن في طلب الرجل الحاجة إلي أخيه فتنة إذا أعطاه حمد غير الذي أعطاه وإن منعه ذم غير الذي منعه

التعليق:

يقول في طلب الرجل الحاجة إلي أخيه فتنة أي لهذا السائل الطالب لماذا؟ لأنه إما أن يعطي فإن أعطاه حمد غير الذي أعطاه حمد الذي غير أعطاه يعني حمد هذا السائل وربما أيضا قال لولا أنت لم تقضي حاجتي ولولا أنت لكذا ولولا أنت ينسي المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المتفضل فإذا أعطاه حمد غير الذي أعطاه وإن منعه ذم غير الذي منعه نعم.

❧◈☙

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لو لم يكن في السؤال خصلة تذم إلا وجود التذلل في النفس عند الإهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن لو أضطره الأمر الى أن يستف الرمل ويمص النوى ألا يتعرض للسؤال أبدا ما وجد إليه سبيلا فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضي حاجته أو ذا سلطان لم يحرج في فعله ذلك كما لم يحرج في القبول إذا أعطى من غير مسألة ومن استغنى بالله أغناه الله ومن تعزز بالله لم يفقره كما أن من أعتز بالعبيد أذله الله

التعليق:

والآن وصلنا لما كنتم تنتظرون أعطنا هذا الخبر الجميل نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا أبو الهيثم الرازي حدثنا خالد بن يزيد حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال قال أبو معاوية رجل من ولد كعب بن مالك لقد رأيتني أنضح أول النهار وأضرب آخر النهار على بطني بالمعول في المعدن قال قلت لقد لقيت مؤونة قال أجل إنا طلبنا الدراهم من أيدي الرجال ومن الحجارة فوجدناها من الحجارة أسهل علينا

التعليق:

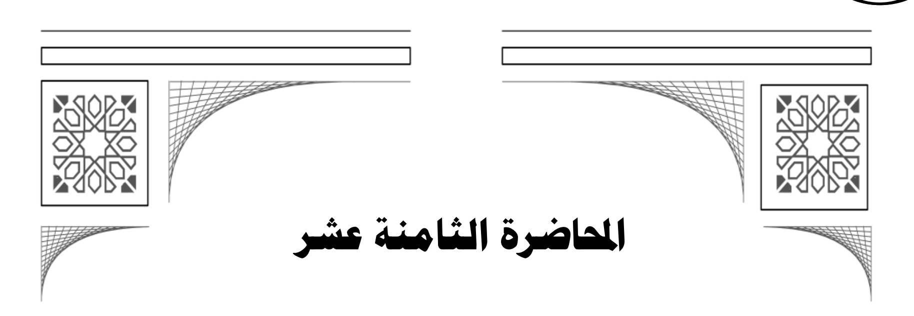
يقول أنضح أول النهار أي أستخرج الماء من البئر يعني يعمل هذا العمل في أول النهار في الصباح يعمل في نضح الماء إستخراجها من البئر ويحصل علي ذلك العمل مقابل وأضرب آخر النهار يعني أول النهار ينضح إشتغل ينضح الماء من البئر وآخر النهار عند عمل آخر ماذا يصنع قال وأضرب آخر النهار علي بطني المراد بعلي بطني أي علي طعام بطني علي الطعام يعني أعمل للأجرة فقط يعطوني أكل حتي أشبع بطني فقط هذه الأجرة يقول علي بطني وأضرب آخر النهار علي بطني بالمعول في المعادن معي المعول من الحديد وأضرب في الجبل لإستخراج المعادن أكون عاملا الأجرة التي آخذها بمقابل ضرب المعول علي الحجارة لأستخرج لمن أعمل عندهم المعادن يعطوني طعامي ذاك اليوم هذا معني قوله علي بطني أي يعطوني طعام ذلك اليوم

قوله (قال قلت لقد لقيت مؤونة)

لما أخبره بذلك قال لقيت مؤونة هذا تعب وجهد تعب شديد لقيت مؤونة قال نعم إنا طلبنا الدراهم من أيدي الرجال ومن الحجارة ووجدناها من الحجارة أسهل علينا وإضافة إلي كونها أسهل عليه مع أنها حجارة حجارة صم يعني ما

يخرج ما فيها إلا بتعب وجهد جهيد لكن وصفه بالسهولة قال وطلبناها من الحجارة فوجدناها من الحجارة أسهل علينا وكونها أيضا من الحجارة يصفها بأنها أسهل عليه وهي عمل عن التجربة فهو أيضا أعف له وأبرك أن يكون كسبه من جهده وبتعبه ونصبه وهذا خير له من أن يمد يده إلي الناس أعطوه أو منعوه وهذا فيه شاهد عملي لما صدره في الترجمة لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأتي بحزمة من حطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقوله لأن يأخذ أحدكم حبلا ليس المراد هذا العمل تعيينا وإنما المراد بذلك التنبية علي العمل سواء كان بهذه الطريقة أو ما قاربها أو نحو ذلك والإنسان بما ييسر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له من صناعة أو عمل أو حرفة أو غير ذلك مما يكتسب به ويعف نفسه عما في أيدي الناس نعم.

۞



المحاضرة الثامنة عشر

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان الشيباني حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا محمد ابن عبد الرحمن الطفاوي عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»

التعليق:

هذه الترجمة ذكر الحث علي لزوم القناعة أي أن يعود المرء نفسه علي أن يكون قنوعا أي راضيا بما قسم الله تبارك وتعالي له غني النفس ولهذا صح في الحديث عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال «ليس الغني بكثرة العرض» أي الأموال والتجارات والأملاك وإنما الغني غني النفس فالقناعة هي أن تكون نفس المرء غنية راضية بما قسم الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له ولهذا القناعة لا ترتبط بالمال قلة أو كثرة فقد يكون الإنسان قليل المال وقنوع وقد يكون كثير المال وقنوع وقد يكون أيضا العكس عنده مال كثير وليس بقنوع وفي الحديث «لو أعطي ابن آدم واديا من ذهب لتمني ان يكون له واديا أخر» فالقناعة أمر يتعلق بنفس الإنسان بحيث يرضي بما قسم الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له ويكون مؤمنا بأن الأرزاق مقسومة ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢] ويرضي بما قسم الله تبارك وتعالي له ولا

تعني القناعة لا من قريب ولا من بعيد ترك العمل فالذي جاء عنه الحث عن القناعة أيضا جاء عنه الحث علي العمل قد مر معنا في الترجمة السابقة لأن يأخذ أحدكم حبلا وهذا سبق البيان أن المراد به أن يعمل الإنسان أي عمل يكتسب به ويحصل به رزقا يكف به نفسه ويستغني به هو وولده في طعامهم وشرابهم وحاجاتهم ولا يحتاج أن يمد يده إلي الناس القناعة ليس لها إرتباط بالمال قلة وكثرة وإنما هي أمر في نفس الإنسان بحيث يكون راضيا بما قسمه الله تبارك وتعالي له غني النفس أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت هذ الترجمة حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وهذا فيه تضمن في دلالته الحث علي القناعة بما قسم الله تبارك وتعالي للعبد ومن القناعة ألا تنصرف همة الإنسان للدنيا جشعا وطمعا وهلعا وانشغالا بها وتكالبا عليها ولهذا جاء في هذا الحديث عن نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وأنت تعلم أن الغريب وأشد منه عابر السبيل في البلد الذي هو غريب فيه أو عابر سبيل لا يعتني مثل ابن البلد كمثلا إيجاد بيت وامتلاكه والعناية بتجهيزه وترتيبه وغير ذلك لأنه يعلم أنه ليس مكانا له وأنه سينتقل عنه قريبا وهذا البلد ليس موطنا له ولهذا تجده لا يعتني عناية بمثل هذه الأمور كعناية ابن البلد ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» لأن هذه الدنيا ليست دار بقاء ودوام وإنما هي دار عبور وإنتقال مثل ما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «إرتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل» ففي هذا الحديث يحث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علي العناية بعمل الآخرة وفي الوقت نفسه يتضمن النهي عن الإكباب علي الدنيا والتكالب عليها والإنشغال بها بحيث تكون هي هم الإنسان ومبلغ علمه وفي الدعاء المأثور

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا أيضا فيما يتضمنه هذا الحديث في دلالته ألا يفوت الإنسان نصيبه أو حاجته في هذه الحياة لأن عابر السبيل الذي ذكره النبي ﷺ مثلا كذلك الغريب لا يعطل نفسه عن مصالحه وإكتساب أرزاقه هذا الذي ذكره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مثلا في هذا الحديث «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» عابر السبيل والغريب لا يعطل نفسه عن مصالحه وأعماله وحاجياته في تحصيل المسكن أو في تحصيل المطعم أو في تحصيل الشراب لكنه في هذه الأمور ليس كإبن البلد إذا الحديث في توسط بين المغالات في هذه الأمور وأن تكون أكبر هم الإنسان وبين أيضا التخلي عنها وعدم الإنشغال بها مطلقا وأن يكون للإنسان عالة علي الآخرين فهذا مذموم وذاك مذموم والحق قوام بين ذلك وهذه الوسطية المشار إليها يدل عليها الحديث كما أسلفت بيان ذلك نعم.

⁂

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد مكثت برهة من الدهر متوهما أن الأعمش لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبي سليم فدلسه حتى رأيت على بن المديني حدث بهذا الخبر عن الطفاوي عن الأعمش قال حدثني مجاهد فعلمت حينئذ أن الخبر صحيح لا شك فيه ولا امتراء في صحته

○ **التعليق:**

قوله فدلسه التدليس ألا يذكر الراوي شيخه يسقط شيخه ويذكر من فوقه موهما أنه سمعه منه فيروية بالعنعنة مسقطا شيخه فمثل هذا يسمي تدليسا نعم.

✿◊✿

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقد أمر النبي ﷺ ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا الخبر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل فكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا إذ الغريب وعابر السبيل لا يقصدان في الغيبة الإكثار من الثروة بل القناعة إليهما أقرب من الإكثار من الدنيا

○ **التعليق:**

لاحظ الآن هذا المعني الذي قرره رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي أن الغريب وكذلك عابر السبيل لا يقصدان في الغيبة الإكثار من الثروة وأيضا في الوقت نفسه لا يتخليان عن طلب الرزق وتحصيله فإذا الحديث يفيد الوسطية في هذا الباب لا أن تكون الدنيا أكبر هم الإنسان ومبلغ علمه ولا أيضا يتخلي عن مصالحه وحاجاته وضرورياته في هذه الحياة بل يكون وسطا بين ذلك نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أخبرني محمد بن عثمان العقبي حدثني جعفر بن سنيد بن داود حدثني أبي حدثني حجاج حدثنا عتبة بن سنان قال قال أكثم بن صيفي لإبنه يا بني من لم يأس على ما فاته وزع بدنه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه

التعليق:

قال أكثم بن صيفي لإبنه في وصيته له قال يا بني من لم يأس علي ما فاته وزع بدنه هكذا في المطبوع الذي بين أيدينا ولا يظهر لهذه الكلمة في هذا السياق معنى من لم يأس علي ما فاته وزع بدنه هذه الكلمة لا يظهر لها معني في هذا السياق لكن وجدت الخبر في بعض المصادر بلفظ يستقيم به المعني في هذا السياق قال يا بني من لم يأس علي ما فاته ودع بدنه ودعه من الدعة وهي الراحة فمن لم يأس علي ما فاته من لم يكن كذلك فإنه يحقق لبدنه الراحة بمعني أن الإنسان إذا إشتغل بالأسي علي الذي فات

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣] إذا إشتغل بالأسي علي الذي فاته يصبح في هم وجسمه في عناء ومشقه وعنت لكنه إذا كان بهذا الوصف لم يأس علي ما فاته ودع بدنه أي جعل بدنه في دعة والدعة هي الراحة ومن قنع بما هو فيه قرت عينه وهذا موضع الشاهد القناعة ومن قنع بما هو فيه قرت عينه أي آثار بهذه القناعة قرير العين مرتاح البال تقدم معنا في الدرس الماضي خبرا عن أكثم بن صيفي طلبت مراجعته فهل أحد منكم راجع ووجد شيئا قوله السؤال وإن قل أثمن من النوال وإن جل هل منكم من راجع هذا الخبر نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

مـن تمـام العـيش مـا قـرت بـه   عـين ذي النعمـة أثـرى أو أقـل
وقليـل أنـت مسـرور بـه   لـك خيـر مـن كثيـرفي دغـل

التعليق:

يقول البسامي في هذين البيتين من تمام العيش أي مما يتم به عيش المرء ما قرت به عين ذي النعمة أثري أو أقل يعني لا يرتبط قرار العين بالمال كثرة أو قلة بل قد يكون المال كثيرا ويكون صاحبه به قرير عين وقد يكون المال قليلا ويكون أيضا صاحبه قرير عين فقرة العين لا تعود إلي المال قلة أو كثرة قال وقليل أنت مسرور به لك خير من كثير في دغل والدغل هو ما يكون في القلب من تفاعلات أو سخائم أو أحقاد أو غير ذلك فكون الإنسان عنده قليل من المال وقلبه مرتاح من الدغل خير له من كثرة مال والقلب فيه ما فيه وهاذان البيتان فيهما أيضا تقرير القناعة ورضا الإنسان بما قسم له وأن قرة العين إنما تكون بذلك لا بالمال نفسه قلة أو كثرة نعم.

❁

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

أقول للنفس صبرا عند نائبة ... فعسر يومك موصول بيسر غد
ما سرني أن نفسي غير قانعة ... وأن أرزاق هذا الخلق تحت يدي

❍ **التعليق:**

وهاذان البيتان جميلان جدا في تقرير القناعة ومكانتها العظيمة فيقول الناظم أقول لنفسي صبرا عند نائبة أي عندما يصيبني مصيبة من فقر أو قلة ذا يد أو نحو ذلك فعسر يومك موصول بيسر غد ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾ [الطلاق: ٧] وأسل نفسي في قلة يدي في اليوم بأن اليسر يأت فى الغد فهذا فيه تسلية للنفس وأمل فيما عند الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ورجاء في نواله سبحانه فعسر يومك موصول بيسر غد ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾ [الطلاق: ٧] ما سرني أن نفسي غير قانعة أنا الخصلة التيأحبها لنفسى هي القناعة فلا يسرني أنني أكون غير قنوع حتي لو إجتمع لي مال الدنيا كله وأي شيء يفيد الإنسان كثرة المال إذا ذهبت القناعة عن النفس ولهذا غير القنوع ولو أوتى من المال مثل قارون أو أكثر لا يزال يري نفسه بحاجة وأن الذي عنده قليل وأنه لا يكفيه وأنه لا يزال بحاجة إلي المال وبمقابل ذلك بعض الناس يكون عنده مال قليل يسد حاجته وعنده قناعة فيرضي بهذا الذي قسم الله تبارك وتعالي له فتقر عينه ويكون عنده من قرارة العين وراحة البال ما لا يكون عند ذاك المثري كثير المال ولهذا قالوا عن السعادة أن مدارها علي راحة القلب وأينما ذهبت للبحث عن مدار السعادة لا تجده عائد إلا إلي ذلك السعادة مدارها علي راحة القلب وراحة القلب لا تكون إلا بالإيمان بالله وطاعته والرضا بما قسم وقضي وقدر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فهذا الذي تكون به راحة القلب وسعادته والناس يمموا

شرقوا وغربوا في البحث عن السعادة وذكره بما تنال لكن مدار السعادة علي راحة القلب وراحة القلب إنما تكون بالإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والرضا بقضائه وقدره جل في علاه والقيام بطاعته وهذا المعني بسطه الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته العظيمة الوسائل المفيدة للحياة السعيدة وهذه الرسالة الوسائل المفيدة للحياة السعيدة كتبها الإمام بن سعدي كما أخبرني بذلك ابنه محمد كتبها وهو علي سرير المرض يعاني من ألم شديد في رأسه حتي إن الأطباء نهوه عن القراءة والكتابة من شدة ما يجد من ألم في رأسه وهو في هذه الشدة كتب الوسائل المفيدة للحياة السعيدة وتقرأ هذا الكتاب تجد فيه من بيان الوسائل التي تنال بها السعادة ما لا تجده مبسوطا ومجموعا في كتاب آخر وقد كتبه علي سرير المرض وربما عندما تقرأ الكتاب تظن أن مؤلف الكتاب كتبه وهو مرتاح البال في مكتبته وليس عنده مشكلة أو نحو ذلك بينما كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو علي تلك الحال فالسعادة مدارها على راحة القلب وهذا بينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقرره وذكر شواهده ودلائله مدارها علي راحة القلب وراحة القلب لا تكون إلا بالإيمان وطاعة الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

❊ ❊ ❊

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن عيسى بن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال أربع قد فرغ منها الخلق والخلق والرزق والأجل وليس أحد بأكسب من أحد

التعليق:

وهذا الذي ذكره ابن مسعود مستفاد من الحديث أيضا الذي رواه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مشهور بحديث الصادق المصدوق قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق

«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بكتب أربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي هو أو سعيد» فيقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا الأثر أربع قد فرغ منها الخلق والخلق والرزق والأجل الخلق المراد به صفة الإنسان ولون بشرته وطوله وقصره وبنيته ضعفا وقوة وغير ذلك والخلق معروف وهو ما يتحلي به من أخلاق وآداب سواء كانت سيئة أو غيرها الخلق والخلق والرزق أي ماذا سيطعم ويشرب ويتغدي في حياته والرزق والأجل أي متي يموت؟ ومتي تكون نهايته في هذه الحياة؟ فهذه كلها أمور قدرت وكتبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا المعني جمعه الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي في أبيات ....

أفضل لك من الصورة تستفيد من الحديث والصورة ما تفيدك حتي صورتي أنا غير نافعة إطلاقا الذي يفيدك كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جمعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي هذه المعانى في أبيات جميلة جدا حيث قال (ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن خلقت العباد علي ما علمت وفي العلم يجري

الفتي والمسن علي ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن) أي هذه كلها أمور قضاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقدرها جل في علاه نعم.

೧◊೧

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطرا القناعة وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء والثقة بالقسم ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال

❍ **التعليق:**

أيضا تنبه لقوله من أكثر مواهب الله لأن القناعة خلق مثل ما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أربعا قد فرغ منها الخلق والخلق ومن الخلق القناعة فالقناعة من مواهب الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفي الآثر إن هذه الأخلاق وهائب وإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحب عبده وهبه منه فالقناعة موهبة هبة ربانية منا إلهية يمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها علي من شاء من عباده من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطرا أي نفعا وفائدة القناعة وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء والثقة بالقاسم الله قاسم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الرضا بالقضاء والثقة بالقاسم ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة إلا كون صاحب القناعة ومرتاح البال علي أي أحواله سواء كان فقير أو غني يملك بيت أو لا يملك إلي غير ذلك يعني فائدة القناعة راحة البال وأذكر قبل وقت ليس

بطويل زرت شابا في بيته وهو مصاب بشلل رباعي منذ أكثر من سبعة عشر سنة لا يتحرك منه إلا رأسه حتي رأسه لا يتحرك حركة كاملة قلت له كيف حالك ما أخبارك قال أخباري والله أتقلب في نعمة الله الحمد لله وأتقلب في نعمة الله جسمه لا يتحرك يقول الحمد لله والله أتقلب في نعمة الله وتري علي وجهه السرور وتجد ناس ممتعين بالصحة والقوة والمال ولا يحمد مثل حمد هذا الرجل فلو لم يكن في القناعة إلا راحة البال لكفي أمر آخر من فوائد القناعة عدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل تجد الإنسان غير القنوع يغش مثلا في بيعه يكذب يخون ربما أيضا يتعدي إلي ما هو أعظم يسرق يرابي يجرم فهذه كلها تجر عليه أبواب من الشرور فلو لم يكن في القناعة إلا راحة البال وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل لكان الواجب علي العاقل ألا يفارق القناعة علي حالة من الأحوال نعم.

❊❊❊

- **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزاز حدثنا أبو مسعود محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عبد الله بن إبراهيم المدني حدثنا أبو بكر بن محمد بن المنكدر عن أبيه قال القناعة مال لا ينفذ

- **التعليق:**

هذا كلام جميل لمحمد بن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول القناعة مال لا ينفذ كنز لا يبلي ما دام أن الإنسان قنوع فعنده كنز وعنده مال لا ينفذ خلاف المال فإنه عرضه للسرقة عرضه للإنتهاء والضياع أما القناعة فإنها مال باقي لصاحبه ينال ثمرته في دنياه راحة للبال ويوم القيامة أجرا ومثوبة يوم يلقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول قال محمد بن حميد الأكاف :

تقنــع بالكفــاف تعــش رخيــا ولا تبــع الفضــول مــن الكفــاف

ففــي خبــز القفــار بغيــر أدم وفي مــاء الفــرات غنــي وكــاف

وفي الثــوب المرقــع مــا تغطــى بــه مــن كــل عــرى وانكشــاف

وكـــل تـــزين بـــالمرء زيـــن وأزينـــه التـــزين بالعفـــاف

○ **التعليق:**

هذه الأبيات أيضا في القناعة والحث عليها وأن يكون المرء قنوعا تقنع بالكفاف تعش رخيا يعني تعش حياتك في رخاء وسعادة وطمأنينة تعش رخيا ولا تبع الفضول من الكفاف أي لا تستبدله بل حافظ علي القناعة والرضا بالقليل ولا تستبدل هذه القناعة وهذا الرضا بالفضول أشياء هي ليست من ضرورياتك لكنها تستغرق أوقاتا كثيرة من الناس وهمتهم وحياتهم فعليك أن تكون قنوعا بالكفاف تعيش عيشة الرخاء يقول ففي خبز القفار بغير أدم وفي ماء الفرات غني وكاف يعني في كفاية والخبز القفار الخبز اليابس وبغير أدم الأدم معروف وهو ما يؤكل بالخبز بأنواع مختلفة وفي الحديث أن النبي ﷺ دخل بيته مرة والحديث في صحيح مسلم فجيء بكسرة خبز فقال هل عندكم من أدم قالوا ليس عندنا إلا خل فجائوا به إلي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال نعم الأدم الخل قالها مرتين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقوله نعم الأدم الخل ليس هذا تفضيل للخل علي أنواع الأدم ولكن هذا التفضيل للحاضر الموجود ما في بيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا هذا الأدم الذي هو الخل وفي الوقت نفسه فيه أيضا مؤانسة لاهله وتطييب خواطرهم كثير من الناس في هذا

الموقف يزمجر ويغضب لأن المعدة تحدث عند كثير من الناس تفاعلات أحيانا يرتقي هذا التفاعل إلي درجة الطلاق تخطئ الزوجة في مثلا مقدار الملح مثلا يزيد الملح قليلا فيعطيها طالق بالثلاث أو أكثر بعض الناس معدته تحركه لرعونه شنيعة جدا وحصل مئاسي في بيوتات كثيرة من أجل زيادة الملح أو تخطئ الزوجة مثلا تضع في الشاي بدل السكر ملح فما يحتمل ذلك مع أنها لم تتعمد ذلك ولم تكن قاصدة وإنما وقع خطأ وكل بني آدم خطاء ويقع في السهو لكن بعض الرجال معدته تحدث له أنواع من التفاعلات عجيبة جدا ثم بعد أن تركد معدته بأن يحصل فيما بعد طعاما يكفيه ويحقق مقصود المعدة يبدأ يندم علي الطلاق الذي حصل أو الفعل الذي ارتكبه أحيانا يحرك يده سبب المعدة يحرك يده في المرأة الضعيفة التي عنده في البيت ويجرم في حقها ضربا وبطشا عند أدني الأمور فانظر هذه الملاطفة الجميلة منه علي الصلاة والسلام قال نعم الأدم الخل يكررها لأن الخل مفضل علي غيره من الأنواع التي يؤكل بها الخبز الناشف ويلين بها الخبز لأن هذا هو الحاضر الموجود ويلاطف أهله ويؤانسهم ليس عندهم من هذا النوع من الأدم الذي هو الخل وختم الأبيات بقوله وكل تزين بالمرء زين إلا ان يكون تزين بما حرمه الله فإنه لا يعد زينا بل قبحا وشينا وأزينه التزين بالعفاف أي أن يتجمل بالعفاف ولا شك أن التزين بالأخلاق الفاضلة هو أجمل الزينة وأكملها والله يقول ولباس التقوي ذلك خير وفي الدعاء المأثور «اللهم زينا بزينة الإيمان وإجعلنا هداة مهتدين» نعم.

৯০◈০৪

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني الكريزي :

لعمرك ما طول التعطل ضائري ... ولا كل شغل فيه للمرء منفعة
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى ... عليك سواء فاغتنم راحة الدعة
وإن ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ... ألا رب ضيق في عواقبه سعة

التعليق:

وقد يكون هذه الأبيات فيها شيء من تعطيل الأسباب ولعمرك ما طول التعطل ضائري فالتعطل يضر الإنسان إذا كان يعطل نفسه عن العمل والكسب وبذل السبب والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مر معنا إرشاده إلي العمل وترك التعطل «لأن يأخذ أحدكم حبلا» يعني إعمل ولو كان قليلًا أو يسيرًا فالتعطل هكذا لا يحمد للمرء فلعمرك ما طول التعطل ضائري العطالة تضر الإنسان بل عليه أن يبذل السبب ويجتهد في تحصيل شيء من مجالات الرزق وأبوابه والله يقول ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [الملك: ١٥] وقال في الحديث عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «لو أنكم توكلتم علي الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا» ما قال أن الطير تجلس في أوكارها وتنتظر أن يأتيها الطعام فيه قال «تغدوا خماصا وتروح بطانا» إرشادًا منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلي بذل الأسباب لعمرك ما طول التعطل ضائري ولا كل شغل فيه للمرء منعفة لا شك أن ما كل شغل فيه منفعة للمرء بل بعض المشاغل تعد مضرة علي الإنسان في دينه ودنياه إذا كانت الأرزاق في الفرض والنوى هو البعد ضد القرب إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى عليك سواء فاغتنم راحة الدعة هذا غير صحيح فاغتنم راحة الدعة الأرزاق مقسومة لكننا في الوقت نفسه مطلوب منا ماذا؟ بذل الأسباب مطلوب منا

بذل الأسباب وجاء الأمر ببذل الأسباب في الكتاب وفي السنة فالمرء مطلوب منه بذل الأسباب ومن ذلك أن يبذل السبب في تحصيل الرزق له ولأهله ولولده «إنك أن تذر ولدك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» والإنسان يذر ولده أغنياء بالكسب والعمل وطلب الرزق حتي يكون ولده بهذه الصفة فالشاهد ان إغتنام راحة الدعة هذا ليس مما يحمد بل الأرزاق مقسومة وفي الوقت نفسه مطلوب من العبد أن يبذل أسباب غير معتمدا علي أسباب وإنما يكون في ذلك متوكلا علي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما قال ﷺ «إعقلها وتوكل» وقال «إحرص علي ما ينفعك واستعن بالله» والأحاديث عنه صلوات الله وسلامه عليه في هذا المعني كثيرة وقد كان ﷺ كل يوم إذا صلي الصبح بعد أن يسلم يقول «اللهم إني اسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا» ثم في هذه الثلاث يبذل عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ الأسباب يبدأ يومه بالدعاء ويشغل يومه بالأسباب لأن هذه الثلاث هي أهداف المسلم في يومه ليس له هدف رابع أهداف المسلم في يومه ثلاثة العلم النافع والرزق الطيب والعمل المتقبل وينبغي علي كل مسلم أن يعتني في يومه بهذه الثلاثة لأنها أهداف للمسلم في كل يوم من أيامه ويستحب للمسلم أن يستهل يومه بدعاء الله أن يوفقه لنيل هذه الأهداف العلم النافع والرزق الطيب والعمل المتقبل ثم إذا دعي يتبع الدعاء بماذا؟ بالعمل وبذل السبب إذا قال اللهم إني أسألك علما نافعا بعد صلاة الفجر وبعد الدعاء سحب الوسادة وحط رأسه عليها ونوم إلى الظهر يجيه العلم النافع فوق وسادته ينصب عليه النبي ﷺ يقول «إنما العلم بالتعلم» لا بد من بذل السبب ولهذا يقول الناظم في ذم من كان كذلك

تمنيت أن تمشي فقيها مناظرا ... بغير عناء والجنون فنون
وليس إكتساب المال دون مشقة ... تلقيتها فالعلم كيف يكون

لا بد من تعلم لا بد من صبر في مجالس العلم لا بد من حفظ من قراءة من

مذاكرة من مراجعة حتي يحصل الإنسان العلم أما من يجلس في بيته ويمدد رجليه ويقول إن كان الله شاء أن أكون من كبار العلماء أكون لكن لن أطلب العلم في حياتي هذا يموت وما تعلم لا بد من تعلم إنما العلم بالتعلم ومثل ذلك أيضا الرزق العبد يسأل الله ويرجوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويستعين به وفي الوقت نفسه يبذل الأسباب أما أن يقال إغتنم راحة الدعة ويجلس الإنسان خاملا كسولا لا يعمل ويقول الأرزاق مقسومة واللي قسمها الله يأتيني ولن أعمل قط هذا ليس من هدي الإسلام في شيء وإن ضقت فاصبر يفرج الله ما تري ألا رب ضيق في عواقبه سعة نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

الحمـــد لله حمـــدا دائمـــا أبـــدا لقـد تـزين أهـل الحـرص بالشـين
لا زيـــن إلا لـــراض في تقللـــه إن القنـــوع لثـــوب العـــز والـــزين

التعليق:

يعني يقول حامدا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مثنيا عليه يقول أهل الحرص تزينوا بالشين لأن الحرص علي الدنيا والإنكباب عليها يشين المرء ولا يزين قال لا زين إلا لراض في تقلله إن القنوع لثوب العز والزين القناعة هي ثوب العز وعرفنا فيما سبق أن القناعة لا ترتبط بالمال قلة أوكثرة نعم.

༻◊༺

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العاقل يعلم أن الأقسام لم توضع على قدر الأحظاء وأن من عدم القناعة لم يزده المال غنى فتمكن المرء بالمال القليل مع قلة الهم أهانأ من الكثير ذي التبعة والعاقل ينتقم من الحرص بالقنوع كما ينتصر من العدو بالقصاص لأن السبب المانع رزق العاقل هو السبب الجالب رزق الجاهل

التعليق:

يعني قوله فتمكن المرء بالمال القليل مع قلة الهم أهنا من الكثير للتبعة كون الإنسان عنده مال قليل في الوقت نفسه ليس عنده هم لا هم ديون ولا هم أيضا أناس يطالبونه بحقوق ولا غير ذلك فمال قليل مع راحة البال خير من مال كثير مع تبعة وملاحقة الناس له ومطالبة له بحقوقهم أوغير ذلك نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن سعيد القزاز أنشدنا محمد بن خلف التيمي أنشدني رجل من خزاعه:

رأيت الغنى والفقر حظين قسما فأحرم محتال وذو العي كاسب
فهذا ملح دائب غير رابح وهذا مريح رابح غير دائب

التعليق:

قال وهذا مريح رابح غير دائب والقافية متحركة يعني يالبيت الأول مضموم الباء فيه مضمومة والبيت الثاني الباء مكسورة وهذا يسمي إقواء يعني أن تختلف القافية ويجوزونهما بين الضم والكسر ما لا يجوزونهما في الضم والفتح بالتقارب بينها بين الضم والكسر وبعضهم يعني يذم ذلك وبعضهم يجيزه ويرخص ويسمي هذا الإختلاف (إقواء) قال رأيت الغني والفقر حظين قسما فأحرم محتال وذو العي كاسب فأحرم محتال يعني مجتهد في العمل والكسب ومع ذلك يخسر ولا يربح ولا يحصل شيء وفي الوقت نفسه ذو العي يعني انسان ماعنده ذاك الفطنة وذاك الحذر ومع ذلك كاسب لأن أرزاقهم مقسومة رأيت الغني والفقر حظين قسما فأحرم محتال وذو العي كاسب فهذا ملح دائب غير رابح الذي هو المحتال ملح دائب غير رابح وهذا مريح رابح غير دائب الذي هو ذو العي ولكن كون الأرزاق مقسومة كما تقدم لا يمنع الإنسان بل ينبغي عليه أن يبذل الأسباب المشروعة في تحصيل الرزق وإكتسابه مستعينا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المـرء لـم يقنـع بعـيش فإنـه ... وإن كـان ذا مـال مـن الفقـر مـوقر
إذا كـان فضـل النـاس يغنيك بينهم ... فأنـت بفضـل الله أغنـى وأيسـر

التعليق:

يعني في هذه الأبيات أو في هذين البيتين يقول عبد العزيز الأبرش رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا المرء لم يقنع بعيش فإنه وإن كان ذا مال من الفقر موقر يعني محمل فقرا حتي وإن كان ذا مال لأن الغني ليس بكثرة العرض وإنما الغني غني القلب وغني النفس نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن حماد قال سمعت إبن المبارك يقول مروءة القناعة أفضل من من مروءة الإعطاء

التعليق:

مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء كل منهما مروءة لكن مروءة القناعة افضل أن يكون الإنسان قنوعا بما آتاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ راضيا بما قسم الله له نعم.

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القناعة تكون بالقلب فمن غنى قلبه غنيت يداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ومن قنع لم يتسخط وعاش آمنا مطمئنا ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائد نهاية لرغبته والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد

○ **التعليق:**

قوله (الجد) بفتح الجيم وهو الحق والنصيب

هذا كلام جميل في تعريف القناعة وأن القناعة موضعها القلب ومن كان قلبه غنيا غنيت يداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ثم ذكر شيئا من فوائد القناعة أنه لا يتسخط ويعيش آمنا نعم.

❀◊❀

○ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد أحسن الذي يقول :

فما كل ما حاز الفتى من تلاده ... بكيس ولا ما فاته بتوان
فأجمل إذا طالبت أمرا فإنه ... سيكفيكه جدان يصطرعان

○ **التعليق:**

يعني يقول أن ليس كل ما حازه الفتي وحصله راجع إلي جده ونصبه وإجتهاده وليس أيضا كل ما فاته راجع إلي توانيه وكسله فأجمل إذا طلبت أمرا فإنه سيكفيكه جدان يصطرعان جدان أي نصيبان وحظان يصطرعان وقد تقدم قول المؤلف والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي عن المدائني قال كان يقال مروءة الصبر عند الحاجة والفاقة بالتعفف والغنى أكثر من مروءة الإعطاء

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي أنشدنا إبن عائشة :

غنى النفس يغني النفس حتى يعفها ... وإن مسها حتى يضر بها الفقر
وما شدة فاصبر لها إن لقيتها ... بدائمة إلا سيتبعها يسر

❍ **التعليق:**

﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ۝٧ ﴾ [الطلاق: ٧] نعم.

❊

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

فيارب كره جاء من حيث لم تخف ... ومسرور أمر بالذي أنت خائف
ترى الناس ما لم تبل إخوان ظاهر ... وإن تبل تنكر جل ما أنت عارف

❍ **التعليق:**

يقول قد يأتي الأمر المكروه المخوف من حيث لم يخف الإنسان يعني قد يأتيه من جهة لم يكن عنده خوف أن يأتيه ضر أو مصيبة أو بلاء من جهتها وأيضا مسرور أمر بالذي أنت خائف يعني قد يأتيك السرور من جهة كنت خائف من أن يصيبك ضر أو بلاء من جهتها وتري الناس مالم تبل أي تختبرهم إخوان ظاهر يعني بدون إختبار وإمتحان وتمحيص إخوا ن ظاهر يعني ظاهرهم الأخوة لكن عند الإبتلاء والإمتحان تنكر ما كنت تعرف منهم أو تظنه فيهم نعم.

۞

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا إبراهيم بن مهدي الأبلى حدثني محمد بن يحيى بن أبي عمر قال سمعت سفيان بن عيينه وذكر عنده الفضل ابن الربيع وضرباؤه فأنشأ سفيان يقول :

كم من قوي قوي في تقلبه ... مهذب الرأي عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ... كأنه من خليج البحر يغترف

التعليق:

يقول لسفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كم من قوي قوي في تقلبه عنده قوة ونشاط في تقلبه وإكتسابه مهذب الرأي عنه الرزق منحرف وتجده يعني يدخل في مجالات ويخسر ولا يربح مع أنه قوي ونبيه وفطن لكن لم يكتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له بتلك الأمور رزقا ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط كانه من خليج البحر يغترف من كثرة الأرزاق التي تتوالي عليه أعجب من ذلك وهذا يدل علي أيضا هوان الدنيا علي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قول الشاعر

كم كافر بالله أمواله ... تزداد أضعافا على كفره
ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيمانا على فقره

ما عنده مال ولكن إيمانه يزداد إيمانه وصلته بالله وإقباله علي طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يزداد ولا شك أن منة الله علي المؤمن بزيادة الإيمان الذي به سعادة الدنيا والآخرة خير من ذاك المال الذي هو عقوبة علي صاحبه وخسران في الدنيا والآخرة نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من نازعته نفسه الى القنوع ثم حسد الناس على ما في أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة بل لعجز وفشل

التعليق:

يعني أن القناعة تتنافي مع الحسد نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمثله كمثل حمار السوء الذي يفرح بخفة حمله ويحزن إذا رأى العلف يؤثر به ذو القوة والحمل الثقيل فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه

التعليق:

يقول الحمار حمار السوء يفرح إذا لم يوضع عليه حمل كبير إذا لم يوضع عليه حمل كثير يفرح لكنهم إذا أرادوا ان يعلفوه لم يعلفوه إلا بالشيء القليل لأنه ما يعمل لكن الحمار القوي أصحابه يحسون بالفائدة التي تكون منه فيعلفونه علفا كثيرا فيقول حمار السوء يفرح إذا خف حمله لكنه يحزن إذا رأي الحمار القوي يؤثر عنه بالعلف نعم.

❀◊❀

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه والشره اللئيم أتعب قلبه وجسمه والكرام أصبر نفوسا واللئام أصبر أجسادا

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدني الغلابي :

لعمرك ما الأرزاق من حيلة الفتى ولا سبب في ساحة الحي ثاقب
ولكنها الأرزاق تقسم بينهم فما لك منها غير ما أنت شارب

التعليق:

ليس للإنسان من رزقه إلا ما كتب الله له أن يأكله أو أن يشربه فهي أرزاق مقسومة ولكن كما تقدم بيانه غير مرة لا بد من بذل الأسباب والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دعا عباده إلي بذل الأسباب وجاء عن النبي ﷺ في ذلك احاديثه كثيرة سبق الإشارة إلي شيء منها نعم.

ﮧ ◊ ﮨ

❍ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنشدني محمد بن سعيد أنشدني هلال بن العلاء الباهلي :

تجمـل إذا مـا الـدهر أولاك غلظـة فـإن الغنـي في الـنفس لا في التمـول
يـزين لئـيم القـوم كثـرة مالـه ومـا زيـن الأقـوام مثـل التجمـل

حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا محمد بن يحيى الصائغ قال قال الخليل بن أحمد :

إن لـم يكـن لـك لحـم كفـاك خـل وزيـت
إن لا يكـن ذا وهـذا فكسـرة وبيـت
تظـل فيـه وتـأوى حتـى يجيئـك مـوت
هـذا لعمـري كفـاف فـلا يغـرك ليـت

❍ التعليق:

قوله (ما زين الأقوام مثل التجمل) أى التجمل بالإحتمال والصبر والرضا

هذا في مقابل ذم الإنشغال بليت لكن المطلوب من المرء هو الإستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبذل الأسباب في إكتساب الرزق له ولأهله والمعني هذا الذي هو بذل الأسباب والحث علي العناية بها جاءت به نصوص كثيرة في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وتقدم عند المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالي باب في هذا المعني باب الحث علي مجانبة المسألة بدأه بحديث

«لأن يأخذ أحدكم حبلًا» إلي آخره نعم.

❍ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنبأنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروتي حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] **قال القناعة**

❍ **التعليق:**

القناعة أي معني قوله ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] قال القناعة وهذا من تفسير النص ببعض أفراده وتفسير الآية بالقناعة جاء عن بن عباس وعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعن غيرهما قال محمدبن كعب القرظي في قوله ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] قال القناعة بمعني أن من وجدت عنده القناعة وجدت عنده الحياة الطيبة ولهذا قيل من قنع طاب عيشه ومن طمع طال طيشه نعم.

﴾◊﴿

مُحتويات الكِتاب